وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ



إسهامات أهل الذمّـة في الحضارة الإسلامية في المشرق العربي الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي

أطروحة قدمها

سمير عزيز عليوي خلف الجبوري

إلى

مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة تكريت

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه فلسفة

في التاريخ الإسلامي

بإشـــراف

الأستـــاذ الدكتـور

محمـــود عبـــاد محمد الجبوري

١٤٤٠هـ ٢٠١٨م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً

وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾

سورة هود : الآية (١١٨)

إقرار المشرف

أشهد أنَّ الأطروحة الموسومة بـ (**إسهامات أهل الذمّة في الحضارة الإسلامية في المشرق العربي الاسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي)** للطالب (**سمير عزيز عليوي خلف الجبوري**) جرت تحت إشرافي في قسم التاريخ- كلية التربية للعلوم الإنسانية- جامعة تكريت ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي.

التوقيع:

الأسم: أ. د. محمود عباد محمد

التاريخ: ١٨/ ١٢/ ٢٠١٨

إقرار رئيس لجنة الدراسات العليا

بناءً على طلب المشرف أرشح الأطروحة للمناقشة.

التوقيع:

الاسم: أ. م. د غفار جبار جاسم

التاريخ: / / ٢٠١٨

قرار رئيس القسم

بناءً على التوصيات المقدمة من المشرف أرشح الأطروحة للمناقشة.

التوقيع:

الاسم: أ. م. د غفار جبار جاسم

التاريخ: / / ٢٠١٨

إقرار المقوم اللغوي

أشهد أنَّ الأطروحة الموسومة بـ(**إسهامات أهل الذمّة في الحضارة الإسلامية في المشرق العربي الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي**) للطالب (**سمير عزيز عليوي خلف الجبوري**) تمت مراجعتها من الناحية اللغوية والتعبيرية ، وبذلك أصبحت مؤهلة للمناقشة ، بقدر تعلق الأمر بسلامة اللغة وصحة التعبير .

التوقيع:

الأسم: أ . م. د. محمد صبحي خلف الجبوري

التاريخ: / / ٢٠١٨

قرار لجنة المناقشة

نقرّ ونشهد نحن أعضاء لجنة مناقشة الأطروحة الموسومة بـ **《 إسهامات أهل الذمّة في الحضارة الإسلامية في المشرق العربي الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي》** للطالب **《 سمير عزيز عليوي خلف الجبوري》** ، قد ناقشنا الطالب في محتوياتها وكل ماله له علاقة بها، وتم ذلك يوم الثلاثاء بتاريخ ٢٠١٨/١٢/١٨م ، ووجدنا الأطروحة جديرة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي وبتقدير 《 **امتياز** 》 ولأجله وقعنا.

التوقيع:	التوقيع:	التوقيع:
أ. د. خالد محمود عبدالله	أ. د. عدي سالم عبدالله	أ. د. نايف محمد شبيب
رئيس اللجنة	عضواً	عضواً
٢٠١٨/١٢/ ١٨	٢٠١٨/١٢ / ١٨	٢٠١٨/١٢ /١٨
التوقيع:	التوقيع:	التوقيع:
أ.م. د. سعد رمضان محمد	أ.م. د. محمد إبراهيم عبد	أ. د. محمود عباد محمد
عضواً	عضواً	عضواً ومشرفاً
٢٠١٨/١٢/١٨	٢٠١٨/ ١٢ / ١٨	٢٠١٨/ ١٢ /١٨

مصادقة عميد الكلية

مصادقة عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية على قرار لجنة المناقشة

التوقيع:

أ. م. د. علي مخلف سبع

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية

٢٠١٩/ ١/ ٢٢

الإهـداء

- إلى الرسول النبي الأُمي المعلم محمد صلى الله عليه وسلم .
- إلى آل بيته الطاهرين وصحابته الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
- إلى من فارقنا صغاراً دون وداع ((أبي العزيز)) دعاءاً بالرحمة .
- إلى من احرقت عمرها لتنير لنا الدرب ((أمي العزيزة آطال الله بعمرها)) .
- إلى من ساندتني في مشواري الدراسي ((زوجتي العزيزة أم مطاع)) .
- الى ولدي البكر ((مطاع)) حفظه الله من كل مكروه .
- إلى فلذات كبدي بناتي ((أسمرة ، نمرة ، هجرة)) .
- إلى منبع قوتي وشجاعتي ومصدر فخري واعتزازي ((إخوتي وأخواتي)) .
- إلى كل زملائي في الدراسة من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية .
- إلى كل أساتذتي الأفاضل في كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة تكريت.

أهدي لهم هذا الجهد المتواضع ، وأسأل الله أن ينفع به عامة المسلمين .

الباحث



شكر وعرفان

الحمد لله ثم الحمد لله ما توفيقي ولا ثقتي ولا اعتصامي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وأصلي وأسلم على الحبيب المصطفى محمد ﷺ وعلى آله وصحبه الغر الميامين ﷺ وبعد...

لا يسعني في ختام هذا البحث إلا أن أتقدم بشكري واحترامي إلى الأستاذ الدكتور محمود عباد محمد الذي كان له فضل الإشراف على هذا العمل، والمتابعة المستمرة له منذ الخطوات الأولى حتى استوى على هذه الصورة، فكان موجهاً ومرشداً وناصحاً مقبلاً عليَّ بسعة صدره منمياً فيَّ حب البحث والتدقيق، ولم يبخل علي بعلمه وجهده ووقته، وهو أهل للعطاء، أسأل الله تعالى أن يثيبه وافر الجزاء في الدارين، وأن يديمه أستاذا ومؤرخاً خدمة لتاريخنا الإسلامي.

ولا يفوتني أيضاً أن أخص بالشكر والعرفان لأساتذتي في السنة التحضيرية اللذين رعونا منذ الوهلة الأولى وكان لهم الفضل في توجيهنا إلى طريق طلب العلم، وهم كل من الأستاذ الدكتور خالد محمود عبدالله ، والأستاذ الدكتور صالح حسين عبد، والأستاذ الدكتور عدي سالم عبدالله، والأستاذ الدكتور طلب صبار محل، والأستاذ الدكتور حسين حديس، والأستاذ الدكتور صلاح الدين خضير حسين، والأستاذ مساعد دكتور سامي أحمد الزهو.

وأقدم شكري إلى جميع من فاتني ذكرهم ممن تابعوا مرحلة البحث بالسؤال والدعاء...

جزاهم الله تعالى عني خير الجزاء ...

الباحث

المحتويات

المحتويات

المحتويات



المقدمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

اولاً :- أهمية البحث .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان وتقى إلى يوم الدين ، أما بعد :

مما لاشك فيه أنّ الحضارة العربية الإسلامية تعد من أغنى الحضارات في تاريخ البشرية بتراثها وآثارها ، وقد تفاعلت هذه الحضارة مع الحضارات الأخرى فاحتوتها وانتجت حضارة تقوم على أساس عملي في الميادين كافة ، وخطت خطوات كبيرة ووضعت المقومات الأساسية للحضارة الحالية التي أخذها الغرب عنها وعملوا على تطويرها فيما بعد، فعلى سبيل المثال ابتكر العرب صناعة الزخرفة والصياغة والتكفيت بالفضة والذهب والتزجيج والفخار والنسيج واضافة عناصر جديدة للعمارة ، هذا الى جانب دورهم في الاقتصاد بشكل عام ، علاوة على اسهامهم بالجانب العلمي ، إذ انعكس هذا على وضع العرب المسلمين بصورة عامة ، ولم يكن للعرب نهضة فنية قبل أن يخرجوا من جزيرة العرب فاتحين نصف العالم المعروف آنذاك ومتوجهين بهذه الفتوحات الى المشرق ، لكنهم تبنوا الفنون الجميلة والحرف اليدوية في كل مكان دخلوه ، فتبنوها في العراق وبلاد الشام ومصر ، وفتحوا صدورهم لغير المسلمين يهودا ونصارى ومجوسا وصابئة ، واتاحوا للعناصر المتميزة من هؤلاء احتلال مواقعهم الاجتماعية والوظيفية في إطار من مبدأ التكافؤ في الفرص ، لم تعرفه أمة من الامم عبر تاريخ البشرية كله ، وبذلك أسهم غير المسلمين في صنع الحضارة العربية الإسلامية وأغنائها ، دونما أية عقد أو حساسيات من هذا الجانب أو ذاك ، وتحركوا في ساحات النشاط الاقتصادي والمالي بحرية تكاد تكون مطلقة ، فنموا ثرواتهم وارتفعوا بمستوياتهم الاجتماعية بما يوازي قدراتهم على العمل ، حتى أصبحت بعض الانشطة الاقتصادية من اختصاصهم ، وكذلك الحال في المجال الثقافي والعمراني ، وما كان الأمويون ينقلون عاصمة الدولة الإسلامية الى دمشق

حتى جلبوا الخامات واستقدموا الصناع والمهرة من مختلف الولايات لبناء المساجد وتشييد المدن الجديدة التي مصروها ، وقد اشترك فنانون وصناع من البلاد العربية التي خضعت للعرب المسلمين في ذلك الوقت المبكر، وكذلك العباسيون من بعدهم عملوا على استقدام الفعلة والصنّاع ومنهم أهل الذمّة الذين شملوا اليهود والنصارى والصابئة والمجوس، فساهموا في الحضارة العربية الإسلامية في جوانبها كافة ، وهذا ما سنتناوله في موضوع بحثنا الموسم :

(إسهامات أهل الذمّة في الحضارة الإسلامية في المشرق العربي الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) .

ثانياً : أسباب اختيار الموضوع .

كانت هناك العديد من الأسباب والدوافع التي حدت بي لدراسة موضوع كهذا يأتي في مقدمتها الرغبة الشديدة لدراسة تاريخ أهل الذمّة في المشرق العربي الإسلامي ومعرفة أهم إسهاماتهم في مجال الحضارة العربية الإسلامية وعلى مر القرون الهجرية الثلاثة الأولى ، لاسيما إنهم عُدّوا مكوناً أساسياً من مكونات الدولة الإسلامية آنذاك ، وقد أصطلح على تسميتهم بـــ (أهل الذمّة) ومحاولا دراسة هذه الإسهامات في مجالات العمران والاقتصاد ، وكذلك إسهاماتهم في الجانب العلمي في تلك الحقبة التاريخية المنصرمة من تاريخ الإسلام ، وفي المشرق العربي الإسلامي تحديدا ، ويشمل دراسة العراق وبلاد الشام ومصر فقط ، والذي دفعني إلى اختياره موضوعاً لأطروحتي ، فهو موضوع على قدر عال من الأهمية والمسؤولية لأسباب عديدة منها ما يأتي :

- الحاجة إلى إبراز فضائل الإسلام ، وبيان الظروف التي هيأها لأهل الذمّة ومنحهم الحرية الكاملة بمزاولة اعمالهم التي أدت إلى رفد الحضارة العربية الإسلامية بالكثير من الانجازات العمرانية والاقتصادية والعلمية .
- اهتمام المؤرخين النصارى القدامى بالكتابة عن أحوال أهل الذمّة تحت الحكم الإسلامي ممن عاصر للأحداث ومنهم من نقل عن مؤرخين عاصروا تلك الأحداث واشتملت اخبارهم على الكثير من الأخبار التي تبين عكس حقيقة ما



كان عليه واقع حال أهل الذمّة من حرية تامة في ظل الحكم الاسلامي ، والتي بظلها اسهموا اسهاماتهم الواضحة وفي كافة الميادين .

- تناول عدد من الكتاب الغربيين في العصر الحديث هذا الموضوع فمنهم من أنصف الدولة الإسلامية ، ومنهم من تحامل عليها ، وركزوا في دراساتهم على الحروب والاضطرابات مسلطين الضوء على ما كان يحدث لهم من مضايقات وشدة متجاهلين دورهم الكبير في الحضارة العربية الإسلامية وإسهامهم الكبير فيها .
- هذه الدراسة محاولة لبيان حقيقة أوضاع أهل الذمّة في المشرق العربي الإسلامي ، وإسهاماتهم العمرانية والاقتصادية والفكرية ضمن حقبة البحث .
- أظهار الخبرات الكبيرة التي تمتع بها أهل الذمّة في ظل الحضارة العربية الإسلامية خلال حقبة البحث .

ثالثا :- مشكلة البحث .

من المعلوم أن لكل عمل صعوبات كثيرة ، ومن أهم الصعوبات التي عانى منها الباحث هي:

- تناثر المادة بين المصادر والمراجع والبحوث والدوريات وكتب المستشرقين وتشعبها ، مما أوجد صعوبة كبيرة لدى الباحث في التحري والتحقق من الروايات والتفريق بين غثها وسمينها .
- طول حقبة الدراسة جغرافياً وزمنياً إذ شملت ثلاث مناطق في آن واحد وهي العراق وبلاد الشام ومصر ، وبحقبة زمنية امتدت لثلاثة قرون أبتدات بعصر النبوة مرورا بالعصر الراشدي والأموي وحقبة من العصر العباسي .
- كثرة المشاكل السياسية والحروب في بعض مناطق البحث أدى إلى ندرة المعلومات وبخاصة في القرن الاول في العراق ، إذ لا توجد روايات دقيقة تؤكد دور أهل الذمّة في بعض الميادين .
- أن كثرة انجازات أهل الذمّة وخصوصاً في الجانب العمراني ، اضطرتنا الى ذكر بعض الشواهد التي بينت إسهامهم في ذلك ، متقيدين بالمنهج العلمي الذي يفرض علينا عدم التوسع أكثر مما هو مقرر .

- قلة المادة العلمية خاصة في المجال الثقافي لأهل الذمّة .

رابعاً :- نطاق البحث .

إن طبيعة الموضوع وحدوده تعرض بالضرورة نوع المنهج ، وبما ان دراستنا هذه تاريخية فلا شك أن المنهج الذي تعاملنا معه قائم على المنهج التاريخي الوصفي كمنهج أساس للدراسة ، ولذلك اقتضت طبيعة البحث ، تقسيمه إلى مقدمة واربعة فصول وخاتمة مع فهرس للمصادر والمراجع ومختصر باللغة الإنكليزية ، وبالشكل الآتي :

- **المقدمة** : عرضت فيها نبذة تعريفية عن الموضوع وتقسيمه وفق الآليات الأكاديمية ، وأهميته ونطاقة وتحليل المصادر والمراجع التي تم اعتمادها في كتابة هذه الاطروحة.

وجاء **الفصل الأول** من الاطروحة وقد حمل عنوان ، التعريف بأهل الذمّة ، فاحتوى **المبحث الأول** منه التعريف بهم لغةً واصطلاحاً ، والتعريف بأقسامهم والتي تمثلت باليهود ، والنصارى ، والصابئة ، والمجوس ، وفي **المبحث الثاني** تم التعرف على أهم التسميات التي أطلقت عليهم ، والتي تمثلت بأهل الكتاب ، المستأمنون ، المعاهدون ، أهل الذكر، الجوالي، أهل الارض ، في حين تناول **المبحث الثالث** منه أهل الذمّة في القرآن الكريم والسنّة النبوية، وتناول كذلك واجباتهم وحقوقهم ، والحياة الاجتماعية لهم .

ثم جاء **الفصل الثاني** ليكون بعنوان ، إسهامات أهل الذمّة في الجانب العمراني ، فانضوى تحت هذا العنوان ثلاثة مباحث أساسية ، تضمن **المبحث الأول** منها إسهامهم في بناء المدن ، وتناول **المبحث الثاني** ، إسهامهم في بناء القناطر والجسور ، أما **المبحث الثالث** فقد تناول اسهامهم في هندسة مشارع الإرواء والسدود .

ثم كان **الفصل الثالث** من الاطروحة بعنوان إسهامات أهل الذمّة في الجانب الاقتصادي ، فعرض **المبحث الأول** منه أهم إسهاماتهم الزراعية ، وتناول **المبحث الثاني** أهم وأبرز اسهاماتهم الصناعية ، ثم جاء **المبحث الثالث** ليبين إسهاماتهم التجارية .

واخيراً جاء **الفصل الرابع** بعنوان إسهامات أهل الذمّة في الجانب الفكري ، وقد أنضوى تحت هذا الفصل ثلاثة مباحث اساسية ، جاء **المبحث الأول** منه متناولاً الإسهامات العلمية لأهل الذمّة ، ثم تناول **المبحث الثاني** إسهام أهل الذمّة في المناظرات الفكرية والدينية ، أما **المبحث الثالث** فقد حمل العنوان علماء وشعراء وأدباء أهل الذمّة في مؤلفات المسلمين .

ثم جاءت **الخاتمة** لتبين أهم النتائج التي تم التوصل إليها في البحث ، ثم **قائمة بالمصادر والمراجع** التي تم اعتمادها أثناء مرحلة البحث والدراسة ، واخيراً **ملخص للأطروحة باللغة الإنكليزية ، وعنوان لها باللغة الإنكليزية** أيضا .

خامساً : تحليل المصادر والمراجع .

بما أن مثل هذه الموضوعات تتسم باتساعها وتعدد وتنوع معارفها ، من هنا تكثر الكتب التي تم اعتمادها ، لذا تناثرت المادة في ثنايا عدد كبير جداً من المصادر والمراجع، ولهذا أمكن تقسيمها الى :

أ- المصادر :

ويمكن تقسيمها إلى :

١- **كتب التفسير والحديث :**

- **كتب التفسير** : تعد كتب التفسير من المصادر المهمة للبحث ، ذلك أنها اهتمت بتفسير آيات القرآن الكريم ، وأسهبت في ذكر الوقائع والأحداث التي وردت فيه، ومن أهم كتب التفسير التي اعتمدها البحث ، كتاب (جامع البيان في تأويل آي القرآن) لمحمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠هـ /٩٢٢م) أفاد منه كل من جاء بعده ، وقد تم الاعتماد على هذا الكتاب في تفسير بعض الآيات القرآنية الكريمة والتي وردت أثناء البحث ، فضلاً عن كتاب (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت : ٦٧١هـ /١٢٧٢م) فهو تفسير جامع لآيات القرآن الكريم ولكنه يركز بصورة شاملة على آيات الأحكام فيه ، والتي لا يمكن أن يستغني عنه العالم فضلا عن طالب العلم .

المقدمة

- **كتب الحديث النبوي الشريف :** تكمن أهمية كتب الحديث في أنها قدمت لنا الصحيح من أحاديث الرسول ﷺ ، ويأتي في مقدمتها كتاب (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت : ٢٥٦هـ/٨٦٩ م) والذي يعد من أهم كتب الحديث النبوي ، لانعقاد إجماع الأمة على أن الاحاديث التي وضعها في كتابه كلها صحيحة ولا غبار عليها ، وبهذا فقد اغنى هذا الكتاب البحث بالكثير من الاحاديث النبوية الصحيحة ، والتي تخص طريقة التعامل الانسانية التي حظي بها أهل الذمّة في عصر الرسول ﷺ .

ومن الكتب المهمة التي تم الاعتماد عليها أثناء البحث أيضاً ، كتاب (صحيح مسلم) للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج (ت :٢٦١هـ/٨٧٥م) الذي لم يكن ليقل أهمية عن كتاب صحيح البخاري فيما أورده من احاديث للرسول ﷺ ، ولهذا اقتبسنا الكثير من الاحاديث النبوية الصحيحة ، والتي تخص أهل الذمّة والطريقة الإنسانية التي تعامل بها الرسول ﷺ معهم .

فضلاً عن اعتمادي على العديد من مصنفات الأحاديث ومنها مصنف عبد الرزاق الصنعاني (ت : ٢١١هـ /٧٢٧م) وهذا الكتاب من أكبر وأشمل دواوين الإسلام ، مع عناية مؤلف بانتقاء مادته إلى حد كبير وقد افادنا هذا المصنف في بعض جوانب الأطروحة .

ومن كتب مصنفات الأحاديث التي تم الاعتماد عليها أيضاً هو مصنف ابن أبي شيبة (ت : ٢٣٥هـ/٨٥٠م) فقد عد هذا الكتاب أصلا من الأصول التي يرجع إليها ويعول عليها في معرفة الأحاديث والآثار ، لسعة ما يحتوي عليه مع تقدم مؤلفه رحمه الله ﷻ في الزمن ، ورفعة مكانته في هذا العلم ، ولاشك أنه أفاد الاطروحة بالعديد من الروايات التي دعمت موضوعاتها .

كما أفادت كذلك من كتب شروح الحديث ومنها كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) الذي شهد له بالمعرفة الواسعة والعميقة للحديث النبوي الشريف .

٢- **الكتب الفقهية :**

أما المصادر الفقهية التي اعتمدنا عليها أثناء الأطروحة فهي الأخرى كثيرة ومتنوعة ، يأتي في مقدمتها كتاب الخراج لأبي يوسف (ت : ١٨٢هـ /٧٩٨م) الذي تضمن معلومات ممتازة عن الجزية ومقاديرها ، وتميز أبي يوسف عن مؤلفي كتب الخراج كيحيى بن آدم (ت : ٢٠٣هـ/٨١٨م) وابن رجب الحنبلي (ت : ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م) في أهتمامه بأحكام أهل الذمّة ، إذ إنه أفرد فصلا آخر يتعلق بلباسهم وزيهم ، في حين لم نجد ذلك الأمر لا عند يحيى بن آدم ولا عند ابن رجب ، ولم يتطرق إلى تلك الأحكام ، بأي شكل من الأشكال، سوى بعض الإشارات ليحيى بن آدم عن الأصناف الذين تفرض عليهم الجزية وقد أفرد فصلاً عن الرفق بهم .

وكذلك تم الاعتماد على كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م) وكتاب الأموال لأبن زنجوية (ت : ٢٥١هـ/٨٦٥م) والتي أفادتنا بالمعلومات القيمة عن مقدار الجزية المفروضة على أهل الذمّة ، هذا بالإضافة إلى المعلومات التي اختصت بالطريقة التي تعامل بها العرب المسلمون مع أهل الذمّة ، وتميز كتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر (ت : ٣٢٨هـ/٩٣٩م) بمعلوماته المفيدة والواضحة عن عهود الصلح التي عقدها المسلمون مع أهل الذمّة في البلاد المفتوحة ، ولتي كان لها دور واضح ومهم أثناء الأطروحة . وأخيرا وليس آخراً كتاب أحكام أهل الذمّة لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية (ت : ٧٥١هـ / ١٣٥٠م) فهو كتاب على قدر كبير من الأهمية ، إذ تناول فيه كيفية الجزية الموضوعة على أهل الذمّة في البلاد الإسلامية ، وسبب وضعها ، وعن مقدار ما يؤخذ من الأغنياء ومن المتوسطين ومن الفقراء ، وعن إلزامهم بها على حسب حالهم أم لا ، وهل تؤخذ من الغني والفقير والمتوسط . وقد أجاب ابن القيم أجابه وافيه أغنت الأطروحة بالمادة القيمة.

٣- **كتب السيرة النبوية :**

أما بالنسبة إلى كتب السيرة النبوية الشريفة فقد افادتنا في اقتباس المعلومات التي تخص أهل الذمّة وطريقة التعامل المنشود معهم ، ومنها كتاب السيرة النبوية لابن هشام (ت : ٢١٣هـ/٨٢٨م) والذي أشار فيه إلى تسامح الرسول ﷺ معهم ومنحهم حرية العبادة من خلال منحهم حق اقامة طقوسهم الدينية وعدم التعرض لهم من قبل المسلمين ، وأفادنا ذلك الكتاب كثيرا في الفصل الثاني لاسيما فيما يخص وثيقة المدينة المنورة فقد تم اعتماد نص تلك الوثيقة من خلال ذلك الكتاب المهم ، والتي انضوت تحت بنودها أسمى صور التعامل الإنساني التي جسدها الرسول ﷺ في التعامل مع أهل الذمّة .

ومن الكتب التي اعتمدت في الأطروحة أيضاً كتاب (الروض الأنُف في شرح السيرة النبوية لأبن هشام) لعبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت : ٥٨١هـ / ١١٨٥م) فهو من أجل ما ألف من الشروح على سيرة ابن هشام ، وأشهر مؤلفات السهيلي ، وبه علت شهرته ، فهو كتاب على قدر كبير من الأهمية ولا يمكن الاستغناء عنه أثناء كتابة الأطروحة .

٤- **كتب التراجم والطبقات :**

أما في مجال التراجم فقد كان كتاب الطبقات الكبرى لأبن سعد محمد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) الذي يعد من أقدم كتب التراجم ، وقد تناول المصنف في هذا الكتاب سيرة الرسول ﷺ ، وذكر سيرة أصحابه ﷺ ومن سار على نهجه من التابعين ، في العديد من جوانب الحياة ، سواء كان ذلك في الجانب الاجتماعي أو الاقتصادي ، لذلك أفادني هذا الكتاب كثيراً في العديد من مواضع الأطروحة ، إذ لا يمكن لأي باحث الاستغناء عن هذا الكتاب المهم أثناء كتابة الأطروحة . كما نال كتاب أُسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير عز الدين بن علي (ت : ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) بنصيب وافر أثناء البحث . وكذلك كتاب سير اعلام النبلاء للذهبي أبي عبد الله شمس الدين (ت : ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) .





وبصورة عامة كان لهذه الكتب الفضل الكبير في اقتناء المعلومات الخاصة بذكر بعض الصحابة ﷺ الذين وردوا في ثنايا هذه الاطروحة وترجمة سيرهم الذاتية .

٥- كتب التاريخ :

يعد كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ت : ٢٧٩هـ/٨٩٢م) من الكتب التاريخية المهمة الذي عززت معلومات البحث بالكثير من الروايات الخاصة بفتوحات المسلمين وطريقة تعاملهم مع أهل البلدان المفتوحة ، لأنه يعد من المصادر الموثوقة ، إذ كان البلاذري ينتقي معلوماته من أوثق المصادر، لذلك اقتبست منه كثيراً من المعلومات لاسيما فيما يتعلق بمعاهدات الصلح التي عقدها قادة المسلمين مع أهل الذمة في البلاد المفتوحة ، والتي حملت في ثناياها حقوق وواجبات أهل الذمّة في ظل الدولة الإسلامية . ويعد كتاب تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠هـ/٩٢٢م) من أوسع المصادر التاريخية إذ أفاد الأطروحة بمعلومات كثيرة وقيمة ، كما أمدنا بمعلومات مهمة جداً فيما يخص بحثنا . وكتاب الشابشتي (ت : ٣٨٨هـ / ٩٩٨م) الديارات والذي يعد من افضل المصادر التي تناولت الاديرة ومواقعها وأوصافها ، إذ نقل صورة جميلة عن اعياد ومناسبات تلك الاديرة والتي كانت تقام فيها ، وكذلك نزلائها من الخلفاء والامراء وغيرهم ، وقد افادنا بالكثير من الروايات التي تخص الاديرة والتي استعرضناها في ثنايا هذه الأطروحة .

أما كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير(ت : ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) الذي أورد نصوصاً كثيرة أغنت البحث وقد اعتمد ابن الأثير في كتابته على كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري إلا أنّه يكمل ما نقل من روايات ويضيف عليها مما زاد في أهميته، ولهذا فقد قدم لنا الكثير من المعلومات التي تم الأخذ بها أثناء البحث . وكذلك كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لأبن أبي أصيبعة (ت : ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) وقد وضح هذا الكتاب كيف كان اطباء أهل الذمّة يمارسون مهنة الطب ، ويشتركون في تأليف العديد من الكتب العلمية ، مما أفاد الأطروحة في الفصل الرابع .

٦- **الكتب البلدانية :**

تعد الكتب البلدانية ذات أهمية بالغة لما قدمته من تفاصيل دقيقة عن المواقع والأماكن فضلاً عن ما حوته من معلومات عن بعض الأحداث المهمة ومنها كتاب احسن التقاسيم للمقدسي (٣٨٠هـ/ ٩٨٥م) لذي اورد في تفاصيله معلومات قيمة عن اوضاعهم الدينية والاقتصادية ومناطق وجودهم ، مما حل الكثير من الاشكاليات التي مرت في هذه الأطروحة، وكتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت : ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) والذي أحتوى على الكثير من اسماء المواقع والأماكن، ومن بناها ومن سكنها وبين حدودها والمسافة بينها وبين من يقاربه ، وماهي الخصائص التي أختص بها ، وما ذكر فيها من العجائب وهل فتحت المناطق صلحاً أو عنوة لتعرف حكمه في الفيء والجزية ، وبهذا فهو كتاب غني بالمعلومات المهمة ، إذ لا يمكن لأي باحث الاستغناء عنه أثناء كتابة الأطروحة .

٧- **المصادر الأدبية :**

كما أمكن الإفادة من العديد من الكتب الأدبية ، والتي أفادت ثنايا هذه الأطروحة أيضاً ، من خلال ما قدمة من معلومات قيمة لا يمكن الاستغناء عنها ومنها كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني (ت : ٣٥٦هـ/٩٦٦م) ويعد كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت : ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) من الكتب التي حملت في طياتها معلومات قيمة أمكن الاستفادة منها في الأطروحة .

٨- **كتب اللغة :**

ولم يكن باستطاعتنا الاستغناء عن كتب اللغة أثناء الأطروحة ، لما لها من أهمية خاصة فيه ، وتكمن أهميتها في أنها ساعدت في فهم مفردات اللغة وغريبها وما ورد منها في اغلب مواضع البحث ، ومنها كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبي السعادات عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت : ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م) كما تميز كتاب (لسان العرب) لجمال الدين محمد بن منظور (ت : ٧١١هـ/١٣١١م) من بينها بما تضمنه من معلومات غزيرة ومهمة عن مفردات اللغة فضلاً عن إشارته لبعض الأحداث التي أفادت موضوع الدراسة ، هذا إلى جانب الاستفادة من العديد من الكتب اللغوية والتي أفادت مادتها الأطروحة .



ب- المراجع الحديثة :

إما ما يتعلق بالمراجع الحديثة فقد اعتمدت الأطروحة على العديد منها وأفاد بما قدمته من وجهات نظر وتحليلات أغنت البحث وأضاءت معظم جوانبه ، ككتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي والذي قدم من خلاله معلومات دقيقة عن أهل الذمة الموجودين في البلاد العربية قبل الإسلام.

فضلاً عن اعتماد الأطروحة على كتب بعض المستشرقين الذين كتبوا عن أحوال أهل الذمّة متناولين فيها أحكام الإسلام فيهم ، داعمين كتاباتهم بالروايات التاريخية القديمة ، فوقفوا على جوانب مهمة من حياتهم ، من ذلك ما أورده ترتون في كتابه أهل الذمّة في الإسلام الذي عرض فيه لأحوال الذميين وتسامح الإسلام وعدالته معهم ، مشيراً إلى طبيعة حياتهم في المجتمع العربي موضحاً أثرهم السلبي والايجابي في ذلك المجتمع مع تأكيد نواحي حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية معتمداً فيه على المصادر القديمة العربية والنصرانية ، فضلاً عن اعتمادنا على كتاب الدعوة إلى الإسلام لمؤلفه توماس أرنولد ، والذي أمكن الإفادة منه في اقتطاف بعض العبارات التي تعكس الطريقة الإنسانية في تعامل المسلمين مع أهل الذمّة في ظل الدولة الإسلامية ، ومن المراجع المهمة ايضا والتي اهتمت بالصابئة كتاب الصابئة المندائيون للمستشرقة الليدي دروار ، والتي قدمت فيه معلومات ثمينة عن الصابئة وطبيعة حياتهم واعرافهم ، فضلا عن كتب الصابئة انفسهم مثل كتاب ناجيه مراني مفاهيم صابئية مندائية ، والتي عرضت فيه جانبا من طقوسهم وعقائدهم .

ولا تفوتني الإشارة إلى البحوث والرسائل الجامعية والتي سيرد ذكرها في ثبت المصادر والمراجع في آخر الأطروحة . وفي الختام نأمل أن نكون قد وفقنا في تقديم صورة متواضعة عن :

(إسهامات أهل الذمّة في الحضارة الإسلامية في المشرق العربي الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي)

فما كان في هذه الأطروحة من سداد وصواب فهو من توفيق الله تعالى وما كان فيها من هنات فمن قصور النفس ، نسأل الله ﷻ العفو وله الحمد في الأولى والآخرة.

البـاحــث

الفصل الاول

التعريف بأهل الذمة

المبحث الأول: أهل الذمة لغةً وأصطلاحاً

المبحث الثاني: تسميات أهـــل الذمة

المبحث الثالث: أهل الذمة في القرآن الكريم والسنّة النبوية

المبحث الرابع: واجبات وحقوق أهل الذمّة

الفصل الأول

التعريف بأهل الذمّة

المبحث الأول

أهل الذمّة في اللغة :

تنوعت التعاريف في مصطلح أهل الذمّة فتناولها اللغويون بتعريفات مختلفة ، فالذمّة وجمعها ذمام تعني : العهد ، والأمان ، والضمـــان ، والكفالة ، والحرية ، والحرمة : وفلان له ذمّة أي حق ، وأذم بهم : أي تركهم مذمومين بين الناس وأذم به : أي تهاون ، والعرب تقول : الذم بمعنى اللوم في الإساءة [1] ، وفي تعريف آخر يقول ابن فارس [2] : إنهم أهل العهد والعقد : " ورجل ذمي معناه رجل عهد

---

[1]- ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي (ت : ٧١١هـ /١٣١١م) لسان العرب ، دار صادر ، ط٣ (بيروت ، ١٩٩٩م) ج١٢ ، ص٢٢٠ ؛ الرازي ، زين الدين أبو عبد الله محمد (ت :٦٦٦هـ / ١٢٦٧م) مختار الصحاح ، تحقيق : يوسف الشيخ حمد ، المكتبة العصْرية ، الدار النموذجية ، ط٥ (بيروت ، ١٩٩٩م) ص١١٢ ؛ البستاني ، بطرس ، كتاب دائرة المعارف ، مادة : ذمة ، م٨ (بيروت ، بلا. ت) ص ٣٥٣ ؛ عطية الله ، احمد ، القاموس الإسلامي (القاهرة ، ١٩٦٦م) م٢ ، ص٤٤٠ ؛ الخربوطلي ، علي حسني ، الإسلام وأهل الذمّة ، التعريف بالإسلام بحث منشور في مجلة يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، يشرف على إصدارها ، محمد توفيق عويضة ، الكتاب التاسع والأربعون (القاهرة ، ١٩٦٩م) ص٦٥ .

[2]- أبو الحسن ، احمد بن زكريا (ت : ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤م) معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت ، ١٩٧٩م) ج٢ ، ص٣٤٤ ؛ الشيزري ، عبد الرحمن نصر بن عبد الله (ت : ٤٨٩هـ / ١١٩٣م) نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة ، قام على نشره الباز العريني ، إشراف : محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والترجمة (القاهرة ١٩٤٦م) ص١٠٦ .

يأمن على عرضه وماله ودينه ويسمى العهد ذماما " . ويعرفها الفيروزآبادي [١] : بالعهد والكفالة . وترد كلمة الذمّة بمعنى : الذات والنفس ومنه قولهم : ثبت المال في ذمته وبرئت النفس والذات محل الذمّة [٢] .

قال الأخطل[٣] :

فلا تنشدونا من أخيكم ذمامة ... ويسلم اصداء العوير كفيلها

ويقول الجوهري[٤] : الذم نقيض المدح ويقال ذممته فهو ذميم . ووردت عند الدينوري [٥] : بمعنى الحق والعهد وجمعه أذمّة . وهي أيضا بمعنى العقد وأهل

١- مجد الدين أبو طاهر محمد (ت : ٨١٧هـ / ١٤١٤م) القاموس المحيط ، ت : محمد نعيم العرقسُوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، ط٨ (بيروت ، ٢٠٠٥ م) ج١ ، ص١١١٠ .

٢- السعدي ، أبو جيب ، القاموس الفقهي ، دار الفكر ، ط٢ (دمشق ، ١٩٨٨م) ص٣ .

٣- ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ، ص٢٠٠-٢٠١ ؛ هو غياث بن غوث بن الصلت بن الطارقة ويقال ابن سيحان بن عمرو من بني تغلب ويكنى أبا مالك ، كان نصرانيا من أهل الجزيرة (ت : ٩٠هـ / ٧٠٨م) ، وقد بعث النعمان بن المنذر بأربعة أرماح لفرسان العرب فأخذ أبو براء عامر بن مالك رمحا وسلمة بن طارقة اللحام رمحا وهو جد الأخطل وأنس بن مدرك رمحا وعمرو بن معد يكرب رمحا ، والأخطل لقب غلب عليه ذكر هارون بن الزيات عن ابن النطاح عن أبي عبيدة أن السبب فيه أنه هجا رجلا من قومه فقال له يا غلام إنك الأخطل فغلبت عليه وذكر يعقوب بن السكيت أن عتبة بن الزعل بن عبد الله من بني تغلب حمل حمالة فأتى قومه يسأل فيها فجعل الأخطل يتكلم وهو يومئذ غلام فقال عتبة من هذا الغلام الأخطل فلقب به . الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت : ٣٥٦هـ / ٩٦٦م) الأغاني ، تحقيق : سمير جابر ، دار الفكر ، ط٢ (بيروت ، بلا . ت) ج٨ ، ص ٢٩٠-٢٩١.

٤- أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت : ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين (بيروت ، ١٩٨٦م) ج٥ ، ص١٩٢٦ .

٥- عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت :٢٧٦هـ / ٨٨٩م) ، غريب الحديث ، تحقيق عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني (بغداد ، ١٩٧٦م) ج١ ، ص٣٦١ .

الذمّة أهل العقد [١] . والذمام كل حرمة تلزمك إذا ضيعتها المذمة ، ومن ذلك يسمى أهل العهد " أهل الذمّة " ورجل ذمي معناه : رجل له عهد يأمن به على ماله وعرضه ودينه ويسمى العهد ذماما لأن الإنسان يذم على إضاعته منه [٢]. ومما تقدم من استعراض لتعريفات بعض اللغويين وجدنا أنها تتشابه في المعنى عند الجميع .

أهل الذمّة في الاصطلاح :

عندما انتشر الدين الإسلامي في جزيرة العرب ، بدأت عمليات الفتح العربي الإسلامي خارجها ، ووجه المسلمون حملاتهم تجاه بلاد فارس في الشرق ، وإمبراطورية بيزنطة في الغرب ، إذ سمحت هذه الفتوح بدخول عدد كبير من النصارى واليهود والمجوس تحت الحكم الإسلامي ، فقد نظر الإسلام إلى أهل الملل الأخرى نظرة تسامح فسمي اليهود والنصارى بـــ " أهل الكتاب" و " أهل الذمّة " وهما تسميتان رقيقتان إذ إن الإسلام يعترف بنبوة الأنبياء السابقين وهذه هي الرسالة التي جاء بها النبي محمد ﷺ والتي تبين العلاقة بين الناس مع بعضهم البعض من خلال التسامح والعفو ، فكانت أهداف الدولة الإسلامية في الفتوح ، تخالف أهداف من سبقها من الدول ، فأول أهدافها هو نشر الدين الإسلامي والدعوة إلى الله ﷻ ولا يقصد منها سيادة الغالب على المغلوب ولا طمع في ملك أو إمارة ، وعدم فرض سلطتها بالقوة على أهل المناطق المفتوحة بل تعمل على أن تسوس الناس ، إذ أنها لا تميل إلى استخدام القوة والعنف ، ومن ثم تدعوا إلى الحكم بالعدل بين الناس ، كما دعا الإسلام إلى مجادلة أهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم ، بالحسنى

١- الرازي ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت٧٢١هـ / ١٣٢١م) مختار الصحاح ، تحقيق : احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٤م) ص١٢٣ .

٢- ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٢ / ، ص٢٢٠ ؛ ابن الأثير ، مجد الدين أبي السعادات (ت : ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد ومحمود محمد (بيروت ، بلا . ت) ج٢ ، ص١٦٨ ؛ الموسوعة الفقهية الكويتية ، مادة : ذمة ، ج٢١ ، دار السلاسل (الكويت ، ١٩٨٣م) ص٢٧٤ ؛ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج ٢، ص٣٤٦ ؛ عطية الله ، القاموس الإسلامي ، م٢ ، ص٤٤٠ .

ولم يأمر بالإكراه كما جاء في قوله ﷻ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1] . ولما تم للعرب المسلمين فتح المشرق رحب بهم بعض أهلها كل الترحيب ، ووجدوا فيهم المنقذ الوحيد الذي يخلصهم من الانقسامات الدينية والمذهبية ، والإعفاء من الخدمة العسكرية ، والتمتع بالحرية الدينية التي يسمح بها الإسلام مقابل دفع الجزية والخلاص من ظلم حكامهم من الأكاسرة الساسانيين [2] . كما حصل في العراق ، إذ يقول لوبون [3] : " احترم المسلمون عقائد أهل الذمّة وعاداتهم واعرافهم مقابل جزية زهيدة تقل عما كانوا يدفعونه إلى سادتهم السابقين من الفرس والروم من الضرائب." . ولم يطبق العرب عليهم ما كانوا يطبقونه على المسلمين من عقوبات لشرب الخمر [4] . ولا شك إن هذا اليسر والتسامح قام بدور كبير في التقريب بين الفاتحين وأهل بلاد الشام فلم يشعروا أن هناك طبقة فوقهم مما أدى إلى امتزاجهم واقترابهم من بعض مما مهد الطرق لانتشار الإسلام هناك فيما بعد . كذلك الحال فان تسامحهم مع أقباط مصر بعد أن رحبوا بهم ومنحوهم الحرية والأمان حتى يحببوا سكان مصر في الحكم الإسلامي الجديد ، فقد دعا العرب المسلمون أهل البلاد المفتوحة إلى الإسلام ، وأعلنوا أن المحارب إذا اسلم يصبح له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، ولذا دخل في الإسلام جموع كثيرة منهم بعد أن ضمن لهم حرية الإقامة لمن يستظلون برايته ، وآمن بعضهم بأن توفيق العرب المسلمين

---

[1] - سورة النحل : الآية : ١٢٥ .

[2] - لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ، ترجمة : عادل زعيتر (القاهرة ، ١٩٦٩م) ص١٦٩ .

[3] - حضارة العرب ، ص١٦٩ .

[4] - ديمو بين ، مورس غودا ، النظم الإسلامية ، ترجمة : فيصل سامر وصالح الشماع ، دار النشر للجامعيين ، ط٢ (بيروت ، بلا . ت) ص١٦٦ ؛ الخربوطلي ، الإسلام وأهل الذمّة ، ص١٠٦ .

في الفتوحات هو مظهر من مظاهر رضاء الله عليهم ودليل على صدق دينهم[١] . وأما من بقي منهم على دينه فقد عاملهم العرب بتسامح عظيم باعتبارهم " أهل كتاب " وضمن لهم حرية تقرير مصيرهم ، وعكست كتب الصلح صور كثيرة لتسامح المسلمين [٢] . وفي الحقيقة كانت معاملة المسلمين لأهل الذمّة تنم عن تسامح وعطف ، فصان الإسلام حقوقهم فقد كانوا لا يدفعون سوى عُشر التجارة والجزية بينما هم مُعفون من الزكاة والصدقات ، وكانت الجزية مقابل ما يدفعه المسلم من صدقة ، وكثيرا ما نقض بعض أهل الذمّة ما شرطه المسلمون عليهم ، فكان المسلمون لا يقتلونهم أو يغنموا أموالهم أو يسبوا ذراريهم بل كانوا يكتفون بطردهم من بلاد المسلمين ، وعاش المسلمون مع أهل الذمّة جنبا إلى جنب ، فقد اشتركوا مع المسلمين في تخطيط المدن الإسلامية الجديدة ، وعاشوا جميعا في سلام [٣]. ولا بد من معرفة معنى " أهل الذمّة " و " أهل الكتاب " والتفريق بينهما فهناك مجموعة من التعريفات لهذين المصطلحين : فأهل الذمّة : تعني العهد الذي يعطى للذين لا يدخلون في الإسلام ، ويؤمّنون على حياتهم وحريتهم وأموالهم [٤] . فهم أهل ذمّة لأنهم دخلوا في عهد المسلمين وأمانهم[٥] ، وجاء في معنى أهل الذمّة من حيث الاصطلاح أيضاً : هم المعاهدون من اليهود والنصارى وغيرهم ممن يقيم بدار الإسلام[٦] . ويرى بعض الباحثين [٧] : " بأن عقد الذمّة : عقد يصير بمقتضاه

١ – أرنولد ، توماس ، الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن وآخرون ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص٧٥ .

٢ – الخربوطلي ، الإسلام وأهل الذمّة ، ص٦٦.

٣ – الخربوطلي ، الإسلام وأهل الذمّة ، ص٦٩ .

٤– الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب (ت : ٤٥٠ هـ /١٠٥٨م) الأحكام السلطانية ، دار الحديث ، القاهرة ، بلا . ت ، ص٢٢٦ .

٥– ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج٢ ، ص٢٢٦ .

٦– عمر ، أحمد مختار عبد الحميد وآخرون ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب (بيروت ، ٢٠٠٨م) ج١ ، ص٦٣١ .

٧– زيدان ، عبد الكريم ، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ، جامعة بغداد (بغداد ، ١٩٦٣م) ص٢٢ .

غير المسلم في ذمّة المسلمين ، أي في عهدهم وأمانهم على وجه التحديد ويقر على دينه بشرط دفع الجزية والالتزام بالأحكام العامة للإسلام بشكل دائم ، وله الإقامة في دار الإسلام على وجه الدوام " .

وفي موضع أخر يرى المستشرق ريسلر[١] : " أن الذمّة : لفظة تطلق على غير المسلمين الذين كانوا يقطنون العالم الإسلامي ، وينتمون إلى الأديان المنزلة " . فالذميون يعدّون من افراد الأمة الإسلامية في دار الإسلام ويرتبطون بها [٢] .

ووردت لفظة أهل الذمّة في الاصطلاح في كتب التفسير والفقه الإسلامي وهناك الفاظ متعددة واستعمالات كثيرة إلا أن القصد منها واحد فتطلق الذمّةُ على :

الذات والنفس : ومنه قولهم ثبت المال في ذمّته ، وبرئت ذمّته لأن النفس والذات محل الذمة [٣] .

العهد : ففي الحديث الشريف يقول الرسول ﷺ [٤] : " المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ، يسعى بذمّتهم أدناهم ، ويجير عليهم أقصاهم ألا لا يقتل

١- جاك ، ريسلر ، الحضارة العربية ، ، ترجمة غنيم عبدون ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (القاهرة ، ١٩٦٦م) ص٧٧ ؛ ينظر : اليوزبكي ، توفيق سلطان ، تاريخ أهل الذمّة في العراق (١٢هـ - ٢٤٧هـ) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جمهورية مصر العربية ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، ١٩٧٢م ، ص٣٦ .

٢- خلاف ، عبد الوهاب ، السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية ، اعتنى به : الدكتور عاصم الكيالي ، دار ناشرون (بيروت ، بلا . ت) ص٦٩ ؛ اليوزبكي ، تاريخ أهل الذمّة ، ص٣٦.

٣- السعدي ، القاموس الفقهي ، ص١٣٨ .

٤- ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت : ٢٤١هـ / ٨٥٥م) ، مسند أحمد بن حنبل ، تحقيق : السيد أبو المعاطي النوري ، عالم الكتب (بيروت ، ١٩٩٨م) ج١ ، ص١٢٢ ، رقم الحديث ٩٩١ ؛ البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت : ٢٥٦هـ / ٨٦٩هـ) صحيح البخاري ، تحقيق : محمد زهير ناصر الناصر ، دار طوق النجاة (بيروت ، ٢٠٠١م) ج٤ ، ص١٦٩ .

مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد في عهده " . ويفسر الطبرسي[1] الآية الكريمة [2] ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ، أي لا يحفظون فيكم قرابة ولا عهدا ، فالذمّة هنا العهد [3]، أي كيف يكون لهؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم أو لمن لا عهد له منهم ، منكم أيها المؤمنون عهد وذمّة [4] .

الأمان : الذي أعطي لأهل الذمّة لدخولهم عهد المسلمين وأمانهم [5] .

عقد الصلح والمهادنة : وهذا العقد يعطى من قبل المسلمين لكل من طلب المهادنة [6] .

الكفالة ، العهد والضمان : وقد يطلق على المعاهدين من أهل الكتاب ومن جرى مجراهم أهل الذمّة ، والذمّي هو المعاهد الذي أعطى عهدا يأمن به على ماله وعرضه ودينه بدفع الجزية [7] .

---

1 – أبو علي الفضل بن حسن (ت : ق٦هـ) مجمع البيان في تفسير القران ، دار المعرفة (بيروت ، ١٩٨٦م) ج ٥ ، ص١٥ .

2 – سورة التوبة ، من الآية : ٨ .

3 – ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، ص٢٢٢ ؛ السعدي ، القاموس الفقهي ، ص١٣٨ .

4 – الطبري ، محمد بن جرير (ت : ٣١٠هـ / ٩٢٢م) جامع البيان عن تأويل آي القران ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة (بيروت ، ٢٠٠٠م) ج١٤ ، ص١٤٥ .

5 –السعدي ، القاموس الفقهي ، ص١٣٨ .

6 – الطبري ، جامع البيان ، ج١٤ ، ص١٤٥ .

7 – جاءت في اللغة من جزى يجزء إذا قضى ، والجزية من الجزاء ومعناه المكافأة على الشيء . وأما اصطلاحا : فهي الأموال المفروضة على رؤوس أهل الذمّة ، وتؤخذ ممن دخل الذمّة من أهل الكتاب والمجوس لقاء الحماية لهم ، ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين ، كما في قوله ﷺ : " احفظوني في ذمّتي " والجزية : إنما هي خراج الرؤوس وقد فرضت في سنة (٩هـ/٦٣١م) وقد أخذها النبي محمد ﷺ ممن بقي على دينه من النصارى والمجوس ولهذا لم يأخذها النبي محمد ﷺ لا من يهود المدينة المنورة ولا من يهود خيبر ؛ لأنه ﷺ صالحهم قبل نزول آية الجزية ، ينظر : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج٢ ، ص٣٤٦ ؛ الفيروز

الحق والحرمة : وتطلق الذمّة على العهد الذي يعطى للذين لا يدخلون الإسلام ، ويؤمنون على حياتهم وحريتهم وأموالهم ، فهم أهل ذمّة [1]، قد دخلوا في عهد المسلمين وأمانهم[2]؛ لأن الرسول محمد ﷺ أعطاهم ذمته وأمانه [3]، وهم اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الملل ممن يقيم في دار الإسلام [4] .

وقد جاء عقد الذمّة استناداً إلى حديث الرسول محمد ﷺ عندما دخل مكة المكرمة في عام الفتح سنة (٨هـ / ٦٢٩م) ، فقد منح اليهود والنصارى من أهل

آبادي ، القاموس المحيط ، ج٤ ، ص١١٥ ؛ الجصاص ، أبو بكر أحمد بن علي (ت :٣٧٠هـ / ٩٨٠م) إحكام القرآن ، تحقيق : عبد السلام محمد شاهين ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٤م) ج٣ ، ص١٣٢ ؛ ابن القيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت :٧٥١هـ /١٣٥٠م) أحكام أهل الذمة ، تحقيق : يوسف بن أحمد البكري وشاكر توفيق العاروري ، رمادي للنشر (الدمام ، ١٩٩٨م) ج١ ، ص٩٠ .

١ – الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٢٢٧ ؛ م . ت . هوتسما – ت . و . أرنولد – ر. باسيت – ر . هارتمان ، موجز دائرة المعارف الإسلامية ، مادة ذمّة ، تحقيق : إبراهيم زكي خورشيد ، أحمد الشنتناوي ، عبد الحميد يونس ، حسن حبشي ، عبد الرحمن الشيخ ، محمد عناني ، مركز الشارقة للإبداع الفكري (الإمارات العربية المتحدة ، ١٩٩٨م) ص٣٩١ .

٢ – أبن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج٢، ص ١٦٨.

٣ – أبو يوسف ، القاضي يعقوب بن إبراهيم ، (ت : ١٨٢ هـ/ ٧٩٨م) الخراج ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد ، المكتبة الأزهرية للتراث (القاهرة ، بلا . ت) ص ٧٧- ٧٨ ؛ العجلاني ، منير ، عبقرية الإسلام في أصول الحكم ، ط٢ (بيروت ، ١٩٨٨م) ص٤١ ؛ ينظر : الجبوري ، بهاء حسين حميد ، أهل الذمّة في صدر الإسلام – دراسة في التعايش السلمي ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة تكريت ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ٢٠١٣م) ص١٢ ، ١٤ .

٤ – السرخسي ، أبو بكر محمد (ت: ٤٩٠هـ / ١٠٩٦م) شرح السير الكبير (الهند ، ١٩٧٥م) ج١، ص١٦٨ ؛ زيدان ، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ، ص٢٢ ؛ خطاب ، محمود شيت ، مكايد يهودية عبر التاريخ الإسلامي ، مجلة فكر الأمة ، العدد السادس ، السنة الأولى (عمان ، ١٩٩٨م) ص٢٠ .

الكتاب العهد والأمان [1] . وأطلق عليهم لقب " أهل الذمّة " مع احتفاظهم بتسمية " أهل الكتاب " كما في قوله ﷻ [2] : ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ .

فعقد الذمّة إذاً هو عقد يصير بمقتضاه أهل الكتاب ومن على قياسهم في ذمّة المسلمين أو في عهدهم وأمانهم على وجه التحديد [3] . ومعنى الذمّة أيضا التزام تقرير " توطين " أهل الكتاب في دار الإسلام [4] ، وحمايتهم مقابل دفع الجزية ففي قوله ﷻ [5] : ﴿ ... حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، وما كان بين النبي محمد ﷺ وبين أهل الكتاب قبل ذلك عهود إلى مدد معينة وليس على أنهم داخلون في ذمة الإسلام وحكمه[6] .

إن الحكمة من عقد الذمّة معهم هو احتمالية دخولهم في دين الإسلام عن طريق مخالطتهم للمسلمين وليس المقصود منها تحصيل المال [7] . كما يدعي ساويرس في في كتابه سير البطاركة الذي يسرد احداثه بالتفصيل المستشرق ترتون في كتابه أهل

1- ابن الأثير ، النهاية ، ج٢ ، ص١٦٨ ؛ الموسوعة الفقهية الكويتية ، ج٢١ ، ص٢٧٤ .

2- سورة البقرة ، الآية : ١٠٥ .

3- زيدان ، أحكام الذميين والمستأمنين ، ص٢٢ .

4- هي الدار أو البلاد التي دخلها الفتح الإسلامي وجرت بها أحكام الإسلام ، ينظر : الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٤٢ ؛ هندي ، إحسان ، أحكام الحرب والسلام في دولة الإسلام ، دار النمير (دمشق ، ١٩٩٣م) ص١١١ .

5- سورة التوبة ، من الآية : ٢٩ .

6- الجصاص ، أحكام القران ، ج١ ، ص١٤٢ ؛ الكاساني ، علاء الدين أبو بكر الملقب بملك العلماء (ت : ٥٨٧هـ / ١١٩١م) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، المطبعة الجمالية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩١٠م ، ج٧ ، ص٧٠٤ .

7- السرخسي ، أبو بكر محمد (ت : ٤٩٠هـ / ١٠٩٦م) المبسوط ، دار المعرفة (بيروت ، ١٩٨٩م) ج١٠ ، ص٧٧ ؛ اليوزبكي ، توفيق سلطان ، دراسات في النظم الإسلامية ، مؤسسة دار الكتب ط٢ (الكويت ، ١٩٧٩م) ص٢٢٣ .

الذمّة في الإسلام [١] . لذا فإن ما يهمنا هنا هو مصطلح " أهل الذمّة " الذي تطور بمرور الوقت فبعد إن كان في صدر الإسلام مصطلحا فقهيا صار في عهود لاحقة تعبيرا عن فئة تمثل المجتمع الذمي ، فضلا عن محتواه الفقهي .

وعقد الذمّة هو ما يعقده المسلمون مع هؤلاء ، وبعبارة أخرى هو العهد الذي يعطى للقوم الذين لم يدخلوا في الإسلام عند فتح المسلمين لبلادهم ، لكي لا يُسترَقّون طيلة عيشهم ويؤمَّنون على حياتهم وحريتهم وأموالهم لذا يُطلق عليهم " أهل الذمة " أو " الذمة " فقط ، ومثل هذا العهد ينطوي على حقوق لهم على المسلمين ، والتزامات يؤديها الذميون للمسلمين [٢] . لذلك التزم المسلمون كثيرا بهذه العهود حتى أن من ينقضها عندهم يستوجب الذم [٣] ، وقد تمتع بهذا الحق الذين دخلوا في ذمّة الإسلام وعهده ، كاليهود ، والنصارى ، والصابئة ، والمجوس [٤]، فعاشوا حياة مستقرة واحتلوا مكانة مرموقة في المجتمع الإسلامي [٥] ، وإذا أراد المسلمون فتح إقليم وجب عليهم أن يطلبوا من أهله اعتناق الإسلام ، فمن استجاب منهم طبقت عليه

---

١ - يُنظر : ساويرس ، ابن المقفع (ت : ق هـ/١٠م) سير البطاركة ، تحقيق : سيبولد ، لوفان (بلا .م ، ١٩٥٤م) ص ١٣٧ ، ١٨٥ ؛ ترتون ، أهل الذمّة في الإسلام ، ترجمة ، حسن حبشي ، دار المعارف ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٦٧م) ص١٣٦ ، ١٤٧ .

٢- د . ب . ماكدونالد ، دائرة المعارف الإسلامية ، الذمة ، ترجمة : احمد الشنتاوي وآخرون ، دار الشعب (القاهرة ، بلا . ت) ج٩ ، ص٣٩٠ .

٣- الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (ت : ٨١٦هـ / ١٤١٣م) التعريفات ، ضبطه وصححه : مجموعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية (بيروت ، بلا. ت) ص١٠٧ .

٤- ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك (ت : ٢١٣هـ / ٨٢٨م) السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٥٥م) ج٤ ، ص١٨٠-١٨١ ؛ الخربوطلي ، الإسلام وأهل الذمّة ، ص٦٥ ؛ ترتون ، أهل الذمة في الإسلام ، ص١ .

٥- ديموبين ، النظم الإسلامية ، ص١٠٧ ؛ الجبوري ، أهل الذمّة ، ص١٤- ١٥ .

احكام المسلمين ، ومن امتنع فرضت عليه الجزية كما في قوله ﷻ [1] : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ .

أما التسمية الثانية : أهل الكتاب فهم اصحاب الكتب المنزلة كاليهود والنصارى وممن لهم شبه كتاب كالصابئة والمجوس ، إذ خضع هؤلاء لسيطرة المسلمين بعد الفتح الإسلامي لديارهم وأصبحوا في ذمّة الإسلام ، لذلك أُطلق عليهم أهل الذمّة [2] ، وقد ورد ذكر " أهل الكتاب " في آيات عديدة من القرآن الكريم وما عدا هؤلاء فلا يعدون أهل كتاب ، كما جاء في قوله ﷻ [3] : ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ . وقوله ﷻ [4] : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

ومن الجدير بالذكر إن مصطلحي " أهل الذمّة " و " أهل الكتاب " ليسا مصطلحين مترادفين كما يُظَن ، لكن من الممكن القول أن مصطلح " أهل الكتاب " هو أشمل وأوسع من مصطلح " أهل الذمّة " ، فالأول يعني كل أتباع الديانات السماوية التي لديها كتب مقدسة عدا الإسلام ، أي اليهودية والنصرانية ، سواء أكانوا داخل حدود الدولة الإسلامية أم خارجها ، بينما يعني " أهل الذمّة " اليهود والنصارى الذين

---

1 - سورة التوبة ، الآية : ٢٩ .

2 - زيدان ، أحكام الذميين ، ص١٣ ، ١٦ .

3 - سورة البقرة ، الآية : ١٠٥ .

4 - سورة آل عمران ، الآية : ١١٠ .

يتعايشون مع المسلمين في ظل الحكم الإسلامي واطلق عليهم هذا اللقب لأن النبي ﷺ أعطاهم ذمّته وأمانه [1] .

اقسام أهــل الذمّــة

أولا: اليهــود:

يعتقد أن كلمة يهود في اللغة مشتقة من الفعل "هاد" أي رجع إلى الحق وتاب [2] كما في قوله ﷻ على لسان نبيه موسى ﵇ [3]: ﴿ ...إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ... ﴾ . أي رجعنا وتضرعنا وتبنا إليك ، وقد لزمهم هذا الاسم وسموا به لتوبتهم عن عبادة العجل [4] . واختلف في اشتقاق اسم اليهود فالتهود بمعنى : التوبة والعمل الصالح [5] . ويقال هاد وتهود : أي صار يهوديا [6] . وورد في التهويد : المشي رويدا مثل الدبيب [7]

1- العجلاني ، عبقرية الإسلام ، ص٤٣٣ ؛ الغلاييني ، مصطفى ، الإسلام روح المدينة (بيروت ، ١٩٦٠م) ص١٤٩ .

2- ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٥ ، ص٤٧٨ ؛ الجوهري ، الصحاح ، ج٣، ص٢٧٦ .

3- سورة الأعراف ، من الآية : ١٥٦.

4- الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت : ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) الملل والنحل ، تحقيق : احمد حجازي السقا ، محمد رضوان مهنا ، مكتبة جزيرة الورد (القاهرة ، ، ٢٠٠٦م) ج٢ ، ص٧٣ ؛ أبو الفدا ، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت : ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية (القاهرة ، بلا . ت) ج١ ، ص١٠٩ ؛ القلقشندي ، أحمد بن علي بن أبي العباس (ت : ١٢١هـ / ٧٣٨م) صبح الأعشى في صناعة الانشا ، دار الكتب العلمية (بيروت ، بلا . ت) ج١٣، ص٢٥٣ ؛ الطبري ، جامع البيان ، ج١٣ ، ص١٥٢ .

5- الأزهري ، أبو منصور محمد بن احمد (ت : ٣٧٠هـ /٩٨٠م) تهذيب اللغة (دار الفكر ، ١٩٩٨م) ج٦ ، ص٢٠٦ .

6- الرازي ، محمد ، مختار الصحاح ، ص٣٢٩.

7- أبو عبيد ، القاسم بن سلام (ت : ٢٢٤هـ / ٨٣٨م) غريب الحديث ، تحقيق : محمد عبد المعين خان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد الدكن ، ١٩٦٤م) ج٤ ، ص٤٣٩

وجاءت اليهودية كديانة ربانية ، فيقول الرسول ﷺ [1] : " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " .

وقيل إنهم ينتسبون إلى يهودا أكبر أولاد النبي يعقوب عليه السلام ، وهناك من يقول سموا يهودا لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة [2] ، في حين يرى البعض إن اشتقاق "اليهود" جاء من لفظة " أهود " وهو مشتق من السكون واللين في الجانب وجاءت اليهود من هذا المعنى[3] .

وقيل إنما سموا بذلك لأنهم هادوا أي مالوا عن الإسلام ودين موسى عليه السلام[4] .

وقد تناول القران الكريم هذه اللفظة بصيغ عديدة ، كلها تشير إلى اليهود وهم أمة موسى عليه السلام كما في قوله ﷻ : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾[5] . وقوله ﷻ: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[6] . وقوله ﷻ : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا

---

1 - البخاري ، صحيح البخاري ، ج٢ ، ص٩٤ ، رقم الحديث : ١٣٥٨ ؛ مسلم ، أبو الحسن بن الحجاج النيسابوري (ت : ٢٦١هـ / ٨٧٤م) صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي (بيروت ، بلا . ت) ج٤ ، ص٢٠٤٧ ، رقم الحديث : ٢٦٥٨ .

2 - ابن كثير ، أبو الفدا اسماعيل بن عمر (ت :٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٨م) ص١٨١.

3 - ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت : ٣٢١هـ /٩٣٣م) الاشتقاق ، القاهرة ، دار الكتب ، ١٩٩٩م ، ج١ ، ص١٧٠ .

4 - الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص٧٣ .

5 - سورة البقرة ، الآية : ١١٣ .

6 - سورة التوبة ، الآية : ٣٠ .

حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾[1]، وفي القرآن الكريم وردت لفظة " يهوديا " كما في قوله ﷻ : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[2] . وجاء أيضا بصيغة هادوا كما في قوله ﷻ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3] . وقوله ﷻ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾[4].

وأطلقت على اليهود تسمية العبرانيين [5] . ولفظة " عبرانيون " جاءت من عبر في اللغة ، وعبر النهر " اجتازه " ، ويقال : عابر سبيل أي المار بطريق ، والعبري بوزن المصري[6] ، والعبرية : هي لغة اليهود[7] ، وأول من نطق بها هو نبي الله إبراهيم الخليل ﷺ عندما عبر نهر الفرات فارا من النمرود [8] .

أما بالنسبة إلى تسمية اليهود ببني إسرائيل ، فهي لفظة أطلقت نسبة إلى إسرائيل ، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ﷺ [9] . ولهذا فإن أمة اليهود

١- سورة البقرة ، الآية :٤٠ .

٢- سورة آل عمران ، الآية : ٦٧ .

٣ - سورة البقرة ، الآية : ٦٢ .

٤ - سورة النساء ، الآية :١٦٠ .

٥- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله (ت : ٦٢٦ هـ /١٢٢٨م) معجم البلدان ، دار صادر ، ط٢ (بيروت ، ١٩٩٥م) ج٤ ، ص٧٨ .

٦- الرازي ، زين الدين ، مختار الصحاح ، ص١٩٨.

٧- ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، ص٥٣٣ .

٨- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٧٨ .

٩- أبو الفدا ، المختصر ، ج١ ، ص٨٦-٨٧ ؛ ابن الوردي ، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد (ت : ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٦م) ج١، ص٧٤.

أعم من بني إسرائيل ، فكثيرا من أجناس العرب والروم والفرس وغيرهم صاروا يهودا ، ولم يكونوا من بني إسرائيل ، وإنما بنو إسرائيل هم الأصل في هذه الملة ، وغيرهم دخيل فيها [1] .

أما كتبهم فهي التوراة المنزلة على النبي موسى عليه السلام [2]، والمشنا [3] الذي يستنبطون منه الشرائع والأحكام [4] ، وعملوا عليه كتابا أسموه " التلمود " أخفوا فيه كثيرا مما كان في المشنا وضمنوه ما هو من رأيهم ، ونسبوه لله عز وجل [5]. ومن كتب الأنبياء عليهم السلام الأخرى التي يعتمدونها كتب يوشع وشمويل ، وكتب الأسفار كسفر أشعيا وأرميا وحزقيل وداود ودانيال وأمثال سليمان وغيرها ، أما لغتهم فهي العبرية

١- أبو الفدا ، المختصر ، ج١ ، ص٨٧ .

٢- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت : ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م) التنبيه والأشراف ، تصحيح : عبد الله إسماعيل الصاوي ، دار الصاوي (القاهرة ، بلا . ت) ص١٥٦ ؛ أبن الأزرق ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن علي (ت : ٨٩٦هـ/١٤٩٠م) بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق : علي سامي النشار (بغداد ، ١٩٧٧م) ج١ ، ص١٠١-١٠٢ ؛ سوسة ، أحمد ، العرب واليهود في التاريخ ، بغداد ، ١٩٧٢م ، ص١٤٨.

٣ – المشنا : كلمة عبرية تعني متن التلمود ، وتطلق على سنة موسى عليه السلام الشفهية وهو ما أوحى به الله عز وجل لموسى عليه السلام خلال الاربعين يوما التي قضاها في طور سيناء وأمره أن لا يكتبها وأن يبلغها شفويا ، الموسوعة الفلسطينية ، القسم الثاني ، الدراسات الخاصة ، ١٩٩٠م ، ج١ ، ص٧٢.

٤- ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت : ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م) الفهرست ، تحقيق : إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ، ط٢ (بيروت ، ١٩٩٧م) ص٢٥ ؛ العقاد ، عباس محمود ، أبو الأنبياء ، بيروت ، ١٩٦٧م ، ص١٤٤ .

٥- المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت : ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) الخطط المقريزية (بيروت ، بلا.ت) ج٢، ص٤٧٥. للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ينظر : العامري ، علي حسين ، أسماء المواضع القديمة في بلاد بابل في فترتي العهد القديم والتلمود ، رسالة ماجستير غير منشورة في اللغات السامية (بغداد، ١٩٩٨م) ص٩.

وبها نزل الوحي على موسى عليه السلام [1] . وهم من أولى الطوائف الدينية لأهل الذمّة لأنهم أقدم الأديان – وهم من الأقوام السامية التي هاجرت من جزيرة العرب [2] . إلا أن طبيعة هذه الديانة غير التبشيرية جعل أتباعها ومعتنقوها قليلي العدد نسبيا إذا ما قورنوا بالنصارى والمسلمين ، وكما هو حال الديانات الأخرى ، فإن أتباعها كانوا فرقا عديدة ، تدعي كل واحدة منها صحة منهجها واعتقادها وأنها اشد تمسكا بأصول الدين اليهودي وروحه من غيرها من الفرق الأخرى ، وجل اختلافهم يدور حول أسفار العهد القديم [3] والاعتراف به ، وأحاديث النبي موسى

1- أبن النديم ، الفهرست ، ص١٧.

2- الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص٧٣ ؛ اليوزبكي ، تاريخ أهل الذمّة ، ص١٤٨ .

3 – يتكون العهد القديم من :

* التوراة التي نزلت على سيدنا موسى عليه السلام وهي خمسة أسفار .
* كتب الأنبياء عليهم السلام التي جاءت على لسان أنبياء بني اسرئيل مثل : أشعيا وأرميا وعاموس .
* الكتب وهي التي تسمى كتوبيم وتحوي أجزاء مختلفة من المزامير وأمثال سليمان عليه السلام ونشيد الإنشاد.

وتتكون التوراة من خمسة أجزاء كل جزء منها يسمى سفر ، وينسب إلى سيدنا موسى عليه السلام ، وتغطي هذه الأسفار فترة من التاريخ تبدأ من بدء الخليقة وتنتهي بوفاة موسى عليه السلام في شرق الأردن حوالي سنة ١٢٥ ق ٠ م ٠

1- **سفر التكوين** : ويقع في خمسين إصحاحا تحكي في خطوطها العريضة قصة آدم ونوح عليهما السلام وأبنائه بعد الطوفان سام وحام ويافث ، ثم يصل إلى الجد الأعلى الذي ينتمي إليه اليهود وهو إبراهيم ثم ابنه اسحق ثم يعقوب عليهم السلام، وأبنائه الأحد عشر، واستقرارهم في ارض الفراعنة .

2- **سفر الخروج** : وفيه أربعين إصحاحا ، تبدأ بالحديث عن اضطهاد الفراعنة لبني إسرائيل بعد أن كثر عددهم وعظم شأنهم خلال الأجيال التي انصرمت بعد وفاة نبي الله يوسف عليه السلام ، بعد أن أصبحوا خطرا يهدد سلامة البلاد ، وفي هذه الفترة يولد نبي الله موسى عليه السلام ، فيحكي هذا السفر قصة نشأته إلى أن يتلقى الوحي الإلهي على جبل الطور بالبدء في تحدي الفرعون ، والعمل على إخراج اليهود من مصر ، وقد تم له ذلك ، فعبر بهم البحر وبدأت رحلتهم

عبر صحراء سيناء " من الإصحاح الخامس عشر " ثم يتلقى موسى الوصايا العشر ، ومجموعة الشرائع التي تسمى " قانون العهد " ثم يصعد إلى الجبل ، وتطول إقامته وحيدا هناك ، وإذا ببني إسرائيل يرتدون عن دينه إلى عبادة العجل ، فيتولى موسى عليه السلام عملية إصلاح عقائدي جديد تستمر أثناء رحلته بهم شرقا .

٣- **سفر اللاويين** : ويسمى أيضا سفر الأحبار ، نظرا لعنايته بالطقوس الكهنوتية التي كانت موكلة إلى سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام وهي القبيلة التي يتنمي إليها موسى وأخوه هارون عليهما السلام ، ويقع في سبع وعشرين إصحاحا ، وفي هذا السفر يتوقف سرد بقية قصة المسيرة التي صحب فيها موسى عليه السلام بني إسرائيل عبر صحراء سيناء ، بحيث يحتوي فقط على الشرائع والفرائض الخاصة بالحياة الدينية ، ونصوص تتكامل مع القسم الأخير من سفر الخروج الذي قبله وجزء كبير من سفر العدد الذي بعده من حيث وحدة الموضوع ، ويسمي علماء الشريعة الإسلامية هذا الكل المتكامل باسم " القانون الكهنوتي " .

٤- **سفر العدد** : ويقع في ستة وثلاثين إصحاحا ، وسمي بهذا الاسم لاشتماله على كثير من التعداد الدقيق في الإصحاح الأول والرابع والسادس والعشرين مثلا ، إذ يرد إحصاء تفصيلي للشعب السائر مع موسى عليه السلام في الصحراء ، كما إن المعلومات المبنية على الأعداد والأرقام حول الذبائح وعدد المدن والقرى ونحو ذلك تكثر فيه كثرة تلفت النظر ، وفي هذا السفر رجوع إلى سرد قصة مسير موسى عليه السلام وقومه عبر الصحراء تتخللها الأحكام الشرعية والفتاوى ، حسب الظروف التي تعن لها ، كذلك يكثر فيه وصف تذمّر العبريين من متابعة السير على خطوات موسى عليه السلام ، وانحرافهم نحو ألوان من الفسوق والعصيان كثيرا ما أثارت غضب موسى عليه السلام نفسه .

٥- **سفر التثنية** : ويسمى كذلك " تثنية الإشتراع " أي إعادة الشريعة على بني إسرائيل مرة ثانية عند خروجهم من سيناء ووصولهم إلى سهول النقب وجنوب الأردن ، وبالطبع كان هناك نسخ لبعض تعاليم الشريعة الأولى عند تثنيتها ، فهنا مثلا تفاجأ بنص يجعل نظام الحكم ملكيا ، بينما لم يرد ذكر لذلك من قبل ، وهذا السفر الذي ينهي التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام يعبر دينيا واجتماعيا اصدق تعبير عن الفكر الإسرائيلي القح ، بل لعله يعبر عنه أوضح من تعبيره عن موسى عليه السلام نفسه ، ويقع هذا السفر في أربعة وثلاثين إصحاحا . ينظر : ظاظا ، حسن ، وعاشور ، السيد محمد ، شريعة الحرب عند اليهود (القاهرة ، ١٩٧٦م) ص١-٤

بما الأخذ ورفض الأصول هذه بعض إنكار أو ·[1]"التلمود" وأسفار عليه السلام

جاء فيها من أحكام وتعاليم [2] .

ومن خلال تواجدهم هذا في جزيرة العرب فقد احتكوا بالمسلمين احتكاكا مباشرا فكان لابد من وجود صيغة معينة للتعامل معهم لاسيما بعد أن أعلن الرسول ﷺ دولة المدينة في يثرب التي كان اليهود جزءا من نسيجها الاجتماعي ، لذلك ثبّت لهم الرسول ﷺ بنودا فيما يعرف بدستور المدينة أو وثيقة المدينة [3] . فقد عد اليهود مكونا من مكونات الدولة الإسلامية ولم تشر هذه الوثيقة إلى أي لفظة تدل على الجزية أو الدخول في ذمّة المسلمين إذ إن الآيات الكريمة المتعلقة بهاتين المفردتين لم تكن قد نزلت بعد فأشارت كتب التفسير إن الآية حين نزلت أمر رسول الله ﷺ بقتال الروم فغزاهم بعد نزولها في غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة[4] ، وبموجب ذلك عُدّ اليهود أهل ذمّة وأمر الرسول ﷺ بأخذ الجزية منهم ·

وينقسم اليهود على خمسة طوائف هي:

- **السامرة** : وهم الطائفة اليهودية التي اصلها من مدينة السامرة وهي

---

[1] – التلمود : مشتق من المصدر العبري " لمد " ومنها " تلميد " العبرية تعني " تلميذ " في العربية ، لأنه يعلم الفقه والدين وتفسير القرآن ، وهو عبارة عن جزأين ، احدهما : المشنا ، والثاني : الجمارا وهو شرح للمشنا ، ويحتوي التلمود عدة أبحاث لأحبار اليهود وربانييهم في شؤون العقيدة والشريعة ، وتقع هذه الأبحاث في ثلاثة وستين سفرا ، والتلمود اثنان : أورشليمي بالنسبة ليهود فلسطين ، وبابلي بالنسبة ليهود العراق ، والأورشليمي أقدم من البابلي . ينظر : قاسم ، عبدة قاسم ، اليهود في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى الغزو العثماني المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت ، ١٩٨٠م) ص٤٥.

[2] – وافي ، علي عبد الواحد ، اليهودية واليهود ، مكتبة غريب (القاهرة ، ١٩٧٠م) ص٨٣ .

[3] – محمد ، حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، بيروت (دار النفائس ، ١٩٨٥م ، ص٥٧-٦٢ .

[4] – البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت : ٥١٦هـ / ١١٢٢م) معالم التنزيل ، تحقيق : محمد عبد الله النمر وآخرون ، الرياض ، ط٤ (دار طيبة ، ١٩٩٧م) ج٤ ، ص٣٣ .

مدينة شمرون "سمرون" أي مدينة نابلس[١] . ويعتقدون بقدسية نابلس ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه ولهم توراة خلافا لتوراة سائر اليهود ، ويبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى ويوشع عليهما السلام[٢].

واستقر هؤلاء بطبرية بفلسطين ولا يستحلون الخروج منها[٣] وبين الفريقين اختلاف في الأحكام والشرائع [٤] . ولهم جبل يقدسونه يقال له " غرزيم " ويقع بين بيت المقدس ونابلس الذي تقول التوراة أن يعقوب عليه السلام قد بنى فيه معبدا مكرسا للرب ، وسماه بيت آيل أي بيت الله ﷻ [٥]. وأنهم لهم امتداد في قيسارية وبيسان إذ عملوا في الزراعة والتجارة والحرف المتنوعة[٦].

وعلى الرغم مما كان بينهم وبين باقي اليهود وعدم اعترافهم بهم كفرقة يهودية ، إلا أن المسلمين عاملوهم كذميين وذلك بعد انحسار نفوذ الرومان في بلاد الشام في القرن الأول الهجري السابع الميلادي بفضل

١- المقريزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت : ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٧م) ج٣ ، ص٥٠٨ .

٢- ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد (ت : ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق : محمد إبراهيم وعبد الرحمن عميرة ، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع (المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٢م) ج١، ص١٧٨.

٣ - المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت : ٣٧٥هـ /٩٨٥م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، (ليدن ، ١٩٦٠م) ص١٩٧ ؛ ابن حزم ، الفصل في الملل ، ج١، ص١٧٨؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج١ ، ص٨٨ .

٤ - الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص٢١٩ ؛ ابن القيم الجوزية ، أحكام أهل الذمّة ، ص٩١ ؛ اليوزبكي ، تاريخ أهل الذمّة في العراق ، ص١٥٧-١٥٨ .

٥ - الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص٢٤ ؛ ظاظا ، حسن ، الفكر الديني الإسرائيلي اطواره ومذاهبه ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ،١٩٧١م ، ص٢٤٨ .

٦ - ينظر : الشريف ، حامد محمد الهادي ، أهل الذمّة في بلاد الشام في الفترة الأموية ، رسالة ماجستير غير منشورة (الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا ، ١٩٩٧م) ص٨٩.

الفتوحات الإسلامية مع مراعاة قلة اعدادهم وانطبقت عليهم شروط أهل الذمّة وأفادوا من روح التسامح الإسلامي[1] . ويذكر ترتون [2] أنه أصبح للسامرة رئيس خاص بهم ابتداءا من سنة ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م .

- **الصدوقية** : ونسبوا إلى رجل يقال له " صدوق " وهي فرقة لا تعترف بالعهد القديم وترفض الأخذ بالأحاديث الشفوية المنسوبة إلى نبي الله موسى عليه السلام [3] . ويدّعون أن العُزير هو أبن الله ﷻ ، فقد ذكرهم الله ﷻ في كتابه الكريم بقوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [4] وهم الذين ذكرهم الله ﷻ في القرآن الكريم بأنهم اكثر فرق اليهود توددا وأمانة لغيرهم بقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [5]. وكانوا قد استقروا في اليمن [6].

---

١ - القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١١ ، ص٣٨٦ ؛ التطيلي ، الرابي بنيامين بن الرابي يونة (ت : ٥٦٩هـ /١١٧٣م) رحلة بنيامين التطيلي ، المجمع الثقافي (أبو ظبي ، ٢٠٠٢م) ملحق رقم١ ، ص١٨٨ ؛ قاسم ، اليهود في مصر ، ص٥١-٥٢ .

٢ - ترتون ، أهل الذمّة ، ص٩٢ ؛ شابو ، اللغات الآرامية وآدابها (القدس ، ١٩٣٠م) ص٢٥ ؛ اليوزبكي ، تاريخ أهل الذمّة في العراق ، ص١٥٨.

٣- وافي ، اليهودية واليهود ، ص٩٤ ؛ الشريف ، أهل الذمّة في بلاد الشام ، ص٨٣.

٤ - سورة التوبة ، الآية : ٣٠ .

٥ - سورة آل عمران ، الآية : ٧٥ .

٦- أبن حزم ، الفصل في الملل ، ج١ ، ص١٧٨.



- **العنانية** : وهم أصحاب عنان بن داود [1] رأس الجالوت ورئيس القرائين كان من مشاهير أحبار اليهود بمعرفة التلمود[2] . وهم يحكّمون نصوص التوراة فقط فلا يتعدون شرائعها وما جاء في كتب الأنبياء ويتبرأون من أقوال الأحبار ، ويكذبونهم ، وهم في العراق وبلاد الشام ومصر [3].
- **الربانية أو الأشعنية** : وهم كتّاب الناموس ومعلموه [4] . ويسميهم ابن حزم[5] : الأشعنية القائلون بأقوال الأحبار ومذاهبهم وهم جمهور اليهود . وهم أكثر الفرق اليهودية عددا وهم شيعة الحاخاحيم أو الفقهاء والذين يزعمون أن الله ﷻ كان يخاطبهم في كل مسألة بالصوت الذي يسموه " بث قول " وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم لأن أولئك الفقهاء والمفترين على الله ﷻ يدّعون إن المأكولات والمشروبات قد شرفهم الله بها دون الأمم [6] .
- **العيسوية** : وهم أتباع أحد يهود أصبهان [7] وأسمه أبو عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني وقيل أسمه عوقيد أ عوبيد ألوهيم أي : " عابد الله

١- ألف عنان كتاب التفسير لأسفار موسى ومصنفات من العربية والعبرية ، ت : ٧٦٥م : غنيمة ، يوسف رزق الله ، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ، مطبعة الفرات (بغداد ، ١٩٢٤م) ص١٠٤ ؛ اليوزبكي ، أهل الذمّة ، ص١٥٨ .

٢- ينظر : اليوزبكي ، أهل الذمّة ، ص١٥٩ .

٣- المقريزي ، الخطط ، ج٢ ، ص٤٧٦ ؛ اليوزبكي ، أهل الذمّة ، ص١٧٨ .

٤-ابن العبري ، أبو الفرج يوحنا بن هارون (ت : ٦٨٥هـ /١٢٨٦م) تاريخ مختصر الدول ، تحقيق : أنطون صالحاني اليسوعي ، دار الشرق ، ط٣ (بيروت ، ١٩٩٢م) ص٦٨ .

٥-الفصل في الملل ، ج١ ، ص٩٩ .

٦- المغربي ، السموأل بن يحيى بن عباس (ت : نحو ٥٧٠هـ / ١١٧٤م) بذل المجهود في افحام اليهود ، تحقيق : محمد عبد الله الشرقاوي ، دار الجيل ، ط٣ (بيروت ، ١٩٩٠م) ص٥٩ ؛ اليوزبكي ، أهل الذمّة ، ص١٦٢ .

٧- اليوزبكي ، أهل الذمّة ، ص١٧٨.

ﷺ " الذي أدعى النبوة هناك [١] وعدّ اليهودية هي الديانة الصحيحة اللازمة لليهود وعلى اليهود أن يتمسكوا بها لأنها ديانة خاصة بهم نزلت فيهم [٢] . وقد اعتقد أتباعه أنه حي لم يمت ، وأنه اختفى في كهف ، وسيظهر ليتم أمر الله ﷺ ورسالته إليه بإنقاذ اليهود واعادتهم من المنفى وقد بقيت منهم بقية في اصبهان ودمشق والعراق إلى القرن العاشر للميلاد ثم انقرضت [٣] .

ويبدو إن هذا الاختلاف والتناقض الذي عليه اليهود من تفرقهم إلى فرق عديدة ناجم عن عدم إيمانهم بما جاء به نبي الله موسى عليه السلام والى عدم استقرار وثبات عقائدهم الدينية التي هم عليها وإنهم ينظرون إلى الدين كوسيلة لتحقيق غاياتهم المادية وغيرها .

ثانياً: النصارى

جاء في اللغة أن معنى النصارى : أنها جمع لنصران أو نصرانه ، وهو الأصل ، وإنما المستعمل في الكلام نصراني أو نصرانية ، ونصره جعله نصرانيا [٤] . وتعود تسمية النصارى إلى قرية في بلاد

١- الخوارزمي ، محمد بن أحمد بن يوسف (ت : ٣٨٧هـ / ٩٩٧م) مفاتيح العلوم ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي ، ط٢ (بيروت ، ١٩٨٨م) ص٢٤ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى، ج١٣، ص٢٥٣.

٢ -ابن حزم ، الفصل ، ج١ ، ص٩٩ ؛ الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الملقب بفخر الدين الرازي (ت : ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، مراجعة : علي سامي النشار ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (بلا . م ، ١٩٣٨م) ص٨٣ .

٣ - اليوزبكي ، أهل الذمّة ، ص١٧٨.

٤ - الجوهري ، الصحاح ، ج٢ ، ص٨٢٩ .

الشام تدعى الناصرة [١] ، نزلها النبي عيسى مع أمه مريم عليهما السلام وفيها مولده[٢].

وقيل أن التسمية مأخوذه من قوله ﷻ على لسان النبي عيسى عليه السلام [٣] : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ . وكان النبي عيسى عليه السلام يسمى بـ "الناصري " لذا سمي أصحابه بالناصريين [٤] . والنصرانية من الألفاظ المعربة التي تطلق على أتباع السيد المسيح عليه السلام وقال بعض المؤرخين إنها جاءت من التسمية العبرانية (Nozerenes) [٥] التي أطلقها اليهود على أتباع النبي عيسى عليه السلام[٦] ، كما سموا بالمسيحيين نسبة إلى تسميته عليه السلام بالمسيح ، ويقال أن سببها يعود إلى أنه عليه السلام ولد ممسوحا بالدهن [٧] [٧] ، والاسم الشائع عنهم هو النصارى . وقد عرّف الشهرستاني [١]

---

١ - وهي مدينة في الجليل بفلسطين تقع قرب بحيرة طبرية على مسافة ثلاثة عشر ميلا : الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٥١ .

٢ - ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت : ٢٧٦هـ / ٨٨٩ م) المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٩٢م) ص ٥٣ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٥١.

٣- سورة آل عمران ، الآية : ٥٢ .

٤ - ابن سعد ، أبو عبد الله محمد (ت : ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) الطبقات الكبرى ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر (بيروت ، ١٩٦٨م) ج١ ، ص٥٤ ؛ العمري ، محمد أمين ، في الرد على النصارى ، مخطوطة مصورة عن نسخة د. محمود الجليلي في المجمع العلمي العراقي برقم ١٥ ، ورقة ٢٧- أ .

٥- الطريحي ، محمد سعيد ، الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها (بيروت ، ١٩٨١م) ص٩ .

٦- علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار الساقي ، ط٤ (بيروت ، ٢٠٠١م) ج١٢ ، ص١٥٨؛ الطريحي ، الديارات والأمكنة ، ص٩ .

٧- العيني ، محمود بن أحمد (ت : ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ، تحقيق : فهيم محمد (القاهرة ، ١٩٦٦م) ص٣٩ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج٢ ، ص٤٨١-

النصارى بقوله : هم أمة نبي الله عيسى بن مريم عليهما السلام .
ووردت لفظة النصارى في مواطن عديدة من القرآن الكريم كما في قوله
ﷻ : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [2] ، وقوله ﷻ : ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [3] ، وقال ﷻ أيضا : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [4] .

وهي الطائفة الثانية من طوائف أهل الذمّة بعد اليهود ، وتعد فلسطين مهدا لها ولم يلبث المسيح عيسى عليه السلام في الدعوة إلى الله ﷻ بين اليهود إلاّ قليلا [5] . وسار على نهجه الحواريون اتباعه الذي استطاع أن يجلبهم إليه ويقنعهم بدعوته وواصلوا الدعوة من أرض فلسطين في ظروف قاسية وعانوا من اضطهاد اليهود الذين قاوموه بعنف بعد أن

. ٤٨٢

1- الملل والنحل ، ج٢ ، ص١٨٢ .

2- سورة البقرة ، الآية : ١١٣ .

3- سورة البقرة ، الآية : ١٢٠ .

4- سورة التوبة ، الآية : ٣٠ .

5- ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص٦٦ ؛ البطاينة ، محمد ضيف الله ، العلاقة بين النصارى العرب وحركة الفتح ، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، العددالحادي والعشرون ، نشر اتحاد المؤرخين العرب (بغداد ، ١٩٨٢م) ص٤ .

أدركوا أنه يدعو إلى ما يخالف اتجاهاتهم الدينية(١)، وتآمروا عليه بعد أن سعوا به إلى عامل القيصر على الشام فقتله وصلبه (٢) . حسب اعتقادهم ، ولكن في الحقيقة إن المسيح عليه السلام ولم يصلب ولم يقتل، ولكن شبّه لهم ذلك كما جاء في قوله ﷻ :﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ (٣).

نتج عن هذا الاضطهاد تباطؤ في عملية انتشار النصرانية في أول الأمر وأحيطت حالات الإيمان الفردية بالسرية والكتمان الشديدين (٤) أما كتابهم فهو الإنجيل، كتبه أربعة أشخاص متبايني الأمكنة واللغة وهم "متي" وكتبه بفلسطين بالعبرانية، و"مرقس" كتبه بالرومية في بلاد الروم، و"لوقا" باليونانية في الإسكندرية، و "يوحنا" باليونانية بأفسيس في أسيا الصغرى(٥)، ثم جمعت هذه الكتب الأربعة وأن اختلفت لفظا واتفقت معنى(٦).

---

١ -ابن البطريق ، سعيد (افتيشيوس) ، (ت : ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) ، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، ويليه تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي ، مطبعة الآباء اليسوعيين (بيروت ، ١٩٠٩م) ص٦ .

٢ - ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت : ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق : خليل شحاذه ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٨٨م) ج٢ ، ص٢٩٣ ؛ اليوزبكي ، أهل الذمّة ، ص١٦٣.

٣ - سورة النساء ، الآية : ١٥٧ .

٤ - اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت : ٢٩٢هـ / ٩٠٤م) تاريخ اليعقوبي ، دار صادر (بيروت ، بلا . ت) ج١ ، ص٧٤ .

٥ - بشير ، شحاده ، موسوعة الكتاب المقدس (بلا . ت ، بلا . م) ص٣٦.

٦- البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت : ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) القانون المسعودي (بلا . ت ، بلا . م) ج١، ص٢٥٢ ؛ البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت :

وسميت بالعهد الجديد[1].

وينقسم النصارى إلى طوائف عدة كانت نتيجة لخلافات كبيرة حدثت منذ القرن الثاني الميلادي حول قضايا أساسية تتعلق بالأصول العقائدية مثل طبيعة السيد المسيح عليه السلام وعلاقة الأم بالابن وبين الاقانيم الثلاثة[2]. فقد عقدت لذلك جملة من المجامع الكنسية للنظر في هذه الآراء والحكم في صحتها وكانت سببا في ظهور هذه الطوائف المختلفة[3] هي:-

١- النساطرة : وينسبون إلى الراهب الأنطاكي نسطوريوس الذي كان بطريركا بالقسطنطينية سنة " ٤٢٨م "[4] . وأصحاب هذا المذهب

٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) المسالك والممالك ، تحقيق : أدريان فان وأندري فيري (الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٢م) ج٢، ص٤٨١ ؛ بشير ، موسوعة الكتاب المقدس ، ص٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٩١ ، ٣٥٤ .

١- أبن النديم ، الفهرست ، ص٢٥-٢٦.

٢- الاقانيم : مفردها اقنوم وهي كلمة يونانية معناها أصل الشيء أي أصول لوجود العالم وأن كل من الاقنيم إله اقنوم الوجود ويعبرون عنه بالأب واقنوم العلم ويعبرون عنه بالابن والكلمة واقنوم الحياة يعبرون عنه بروح القدس ولذا يقولون باسم الأب والابن والروح القدس . الزيات ، حبيب ، خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ، دمشق (مطابع ألف باء للأديب بلا . ت) ص٤٢ .

٣- علي ، المفصل ، ج٦ ، ص٦٢٣ ؛ عطية ، جورج ، الجدل الديني المسيحي في العصر الأموي وأثره في نشوء علم الكلام ، بحث منشور في المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، ١٩٨٧م ، ص٤٠٩ ؛ حجازي ، فايزة عبد الرحمن ، أهل الذمّة في بلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢-٣٣٤هـ / ٧٤٩-٩٤٤م ، اطروحة دكتوراه غير منشورة (الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا ، ٢٠٠٠م) ص١٠٨ ، ١١٠ .

٤- أبن حزم ، الفصل في الملل ، ج١، ص١١١.

يتركزون في العراق وخاصة في الموصل وفي فارس وخراسان [1] . وهم أنشط من بشر بالنصرانية [2].

٢- اليعاقبة : وهم أصحاب الطبيعة الواحدة " Monophysite " اتباع ديسقورس " Dioscorus " ثامن بطاركة كنيسة الإسكندرية في اواسط القرن الخامس الميلادي [3] ، وروي أنهم ينسبون إلى يعقوب السروجي ويسمى بالبرادعي لأنه كان يلبس البرادع [4] ، وهو قس من أهل نصيبين من قرية يقال لها الأجمة [5] ، واحد بطاركة كنيسة إنطاكية الذي كان يطوف البلاد يدعو إلى مذهب ديسقورس ويروج لمعتقداته [6].

٣- الملكانية أو الملكية أو الماركانية : هم الروم الأرثوذكس كما يعرفون في بعض الأحيان ، ففي القرنيين الرابع والخامس الميلاديين نشأ خلاف مذهبي في الإمبراطورية البيزنطية وكان من نتائجه نشوء هذا المذهب [7]. وهو مذهب ملوك النصارى جميعهم عدا ملوك الحبشة

---

[1] - أبن حزم ، الفصل في الملل ، ج١، ص١١١.

[2] - غلوب ، جون باجوت ، الفتوحات العربية الكبرى ، ترجمة : خيري حماد (القاهرة ، ١٩٦٣م) ص٣٦.

[3] - القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١٣ ، ص٢٨١ ؛ قنواتي ، جورج شحاته ، المسيحية والحضارة العربية ، بغداد : المكتبة العالمية ، ط٣ ، بيروت (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٤م) ص٣١.

[4] - البردعة : الحلس نوع من القماش الذي يلقى تحت القدم، وخص بعضهم به الحيوانات. أبن منظور ، لسان العرب ، مادة : حلس ، ج٨ ، ص٨ . ويبدو أن أسرته أشتهرت بصناعة البرادع .

[5] - مؤلف مجهول (ت : ٥ هـ / ٦٢٦م) التاريخ السعردي ، تحقيق : أدي شير (بلا . ط ، بلا . ت) ج٢ ، ص١٤١.

[6] - القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١٣ ، ص٢٨١ .

[7] - القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١١ ، ص٣٨٧ ، ج١٣ ، ص٢٧٩-٢٨٠ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج٢ ، ص٤٨٠ ، ٤٨٣ ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص٣٠-٣١ .

والنوبة ، ومذهب نصارى أفريقية جميعهم ، وصقلية والأندلس وبلاد الشام [1] .

والملاحظ أن كل طائفة مارست شعائرها على حدة ولها كنائسها الخاصة بها فلا يختلطون في أداء مراسيمهم الدينية ، وكل طائفة منهم لا تقر الصلاة في بيعة الطائفة الأخرى [2] .

ثالثاً : الصابئة :

جاءت الصابئة في اللغة من " صبأ الرجل إذا مال وزاغ " [3] . أي أي خرج من دين إلى دين أخر كما تصبأ النجوم ، أي تخرج من مطالعها [4] . وقيل أن كلمة " صابئ " مشتقة من الفعل الآرامي – المندائي "صَبَأ" يعني إصطبغ وتعمد [5] . وقد ذكرت هذه المصادر أنّ قريش قريش كانت تسمي النبي محمد ﷺ صابئا ، والصحابة ﷺ صباة [6] ، أي الخارجين عن دين قومهم .

---

[1]- أبن حزم ، الفصل في الملل ، ج١، ص١١١ ؛ ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج بن علي (ت : ٥٩٧هـ /١٢٠٠م) تلبيس ابليس ، دار الفكر (بيروت ، ٢٠٠١م) ص٧٣-٧٤ .

[2]- ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن(٧٣٩هـ/١٣٣٨م) مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق : علي محمد البجاوي (دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٤م) ج٢، ص٥٦١.

[3] – الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص٢٠٩.

[4] – أبن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ص٧٤ ؛ أبن منظور ، لسان العرب ، مادة : صبا ، ج١، ص١٠٧.

[5] – الليدي دراور ، الصابئة المندائيون ، ترجمة : نعيم بدوي وغضبان رومي ، ط٢ (بغداد ، ١٩٨٧م) ج١ ، ص٩ ؛ نشمي ، علاء كاظم ، تعاليم الصابئة ، ١٩٩٨م ، ص٦.

[6]- أبو عبيد ، غريب الحديث ، ج١ ، ص٣٤٥ ؛ ابن الأثير ، النهاية ، ج٣ ، ص٣ ؛ الزبيدي ، محمد مرتضى (ت : ١٢٠٥هـ /١٧٩٠م) تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الحياة (الكويت ، ١٩٧٠م) ج١ ، ص٣٠٦ .

وقد تعددت الآراء في أصلهم ونسبتهم فذهب بعضهم إلى أنهم يرجعون إلى " صابئ بن ماري " الذي عاصر نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام أو إنهم ينسبون إلى " صابئ بن متوشلخ بن إدريس " وكان على الحنفية الأولى [١]، وقيل أنهم ينتمون إلى " أنوش بن شيت بن أدم عليه السلام " [٢] . أو أنهم من ولد " صابئ بن لامك أخو نبي الله نوح عليه السلام " [٣]. في حين أرجعهم بعض آخر على أنهم " بقايا من ديانة بابل وأشور "، والتي تعد من أقدم الديانات التي أسسها عباد النجوم[٤] . وقال آخرون : أن الصابئة هم فرقة من فرق النصارى . وهناك نص يقول [٥] : " فأما الصابئون على الحقيقة ففرقة من فرق النصارى " . وقال أبو حنيفة [٦] : " إنهم أهل كتاب " . وقال أبو يوسف ومحمد [٧] : " ليسوا من أهل الكتاب ". وقال أبو

---

١ – المسعودي ، التنبيه والأشراف ، ص٨٠ .

٢ – البيروني ، أبو الريحان محمد بن احمد (ت : ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) الآثار الباقية عن القرون الخالية (ليدن ، ١٩٢٣م) ص٣١٨ .

٣ – أبن خلدون ، العبر ، ج٢ ، ص٧.

٤ – الليدي دروار ، الصابئة المندائيون ، ج١ ، ص٩ .

٥ – الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص٥٥ .

٦ – الإمام النعمان بن ثابت الكوفي ، صاحب المذهب الحنفي ولد سنة ٨٠هـ /٦٩٩م ومات في بغداد سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م . قال فيه الشافعي من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة : الشيرازي ، إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق ، طبقات الفقهاء ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الرائد العربي (بيروت ، ١٩٧٠م) ص٦٧ .

٧ – صاحبا أبي حنيفة وأبو يوسف هو يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ولد سنة ١١٣هـ/ ٧٣١م ومات ببغداد سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م وكان من أصحاب الحديث ثم غلب عليه الرأي واخذ الفقه عن ابن أبي ليلى ثم عن أبي حنيفة وولى القضاء لهارون الرشيد . أما محمد فهو الإمام محمد بن الحسن الشيباني صحب أبا حنيفة واخذ عنه الفقه ثم عن أبي يوسف وصنف الكتب ونشر فقه أبي حنيفة ولد سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م وتوفي سنة ١٨٧هـ/٨٠٢م . القرشي ، عبد القادر بن محمد (ت : ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، ط٢ ، دار هجر للطباعة والنشر (بلا . م ، ١٩٩٣م) ج٢ ، ص٣٤٠ ؛ زيدان ، احكام الذميين ، ص١٣ .

الحسن الكرخي [1] : " الصابئون الذين هم عند أبي حنيفة من أهل الكتاب إنما هم قوم ينتحلون دين المسيح ويقرأون الإنجيل ، وأما الصابئون الذين يعبدون الكواكب فإنهم ليسوا بأهل كتاب عندهم جميعا[2].

وروي عن أحمد بن حنبل : " إنهم جنس من النصارى "[3] . كما روي عنه: " إنهم من اليهود ". وروي عن الحسن البصري [4] إنه قال

---

[1] - عبيد الله بن الحسين بن دلال الإمام الحنفي الكبير . القرشي ، الجواهر المضية ، ج٢ ، ص٣٤٠ .

[2] -الجصاص ، احكام القران ، ج٢ ، ص٣٤٠ .

[3] - هو إمام أهل السنة وصاحب المذهب الحنبلي ومن أئمة الحديث ولد سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م ومات سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م : القاضي أبي الحسين ، محمد بن أبي يعلى ، طبقات الحنابلة ، تصحيح : محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية (القاهرة ، بلا . ت) ج١ ، ص٤ وما بعدها .

[4] - الحسن بن يسار البصري من فقهاء التابعين وشيخ أهل البصرة توفي سنة ١١٠هـ/٧٢٨م : سرور ، أمين ، حسن الأثر في التعريف برجال الأثر ، المطبعة الأزهرية (القاهرة ، ١٩٣٩م) ص٥٨ .

فيهم : " إنهم بمنزلة المجوس " . وعن الأوزاعي[1] ومالك[2] : أنهم قوم من المشركين بين اليهود والنصارى ليس لهم كتاب [3].

ويبدو أن الفقهاء اختلفوا في أمر الصابئة بشكل عام لخفاء حقيقتهم وعدم وضوح ديانتهم في المصادر التاريخية ، فقال كل فقيه فيهم بناءً على ما ظهر له من أمرهم أو بناءا على ما ظنه فيهم [4] . وإن اختلاف الفقهاء فيهم بين التشكيك وعدم التحديد لأصولهم ، جعلهم يصدروا أحكاما مشروطة حولهم ، فقال الماوردي[5] : " وتؤخذ الجزية من الصابئين والسامرة إذا وافقوا اليهود والنصارى في أصل معتقدهم " . وقال ابن قدامة [6] : " والصحيح أن ينظر فيهم فإن كانوا يوافقون أحد أهل الكتابين في نبيهم وكتابهم فهم منهم ، وإن خالفوهم في ذلك ، فليس هم من أهل الكتاب " . كما اختلف الفقهاء حول طعامهم والزواج منهم ،

---

[1] – أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الشامي الدمشقي إمام أهل الشام في عصره بلا منازع وكان أهل الشام والمغرب على مذهبه قبل انتقالهم إلى مذهب الإمام مالك ولد سنة ٨٨هـ/٧٠٦م ومات سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٣م في بيروت وكان قد نزل بها مرابطا في أواخر عمره : محمد ، محمد أبو زهو ، الحديث والمحدثون ، دار الفكر العربي (القاهرة ، ١٩٥٨م) ص١٣٢ .

[2] –الإمام مالك بن انس صاحب المذهب المالكي (٩٣هـ/٧١١م -١٧٩هـ/٧٩٥م) ومن كتبه الموطأ وهو كتاب فقه وحديث : ابن فرحون المالكي ، إبراهيم بن علي بن محمد ، برهان الدين اليعمري (ت : ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق وتعليق : محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث للطبع والنشر (القاهرة ، ٢٠١١م) ص١٧ وما بعدها . أبو زهرة ، محمد ، كتاب مالك حياته وعصره آراؤه الفقهية ، دار الفكر العربي ، ط٢ (القاهرة ، ٢٠٠٨م) ص١٤ .

[3] – الجصاص ، احكام القران ، ج٣ ، ص٩١ .

[4] – انظر : زيدان ، احكام الذميين ، ص١٤ .

[5] – الأحكام السلطانية ، ص٢٢٣ .

[6] – أبو محمد موفق الدين عبد الله (ت : ٦٢٠هـ/١٢٢٣م) المغني ، مكتبة القاهرة (القاهرة ، ١٩٦٨م) ج٩ ، ٣٢٩-٣٣٠ .

فمنهم من أباح ذلك ومنهم من حرمة [1] . ويقول ابن قيم الجوزية [2] : " وقد اختلف الناس فيهم كثيراً ، وأشكل أمرهم على الأئمة لعدم الإحاطة بمذهبهم ودينهم " . وعلى أية حال ، فما إن ظهر الإسلام وانتشر حتى أصبح الصابئة من أهل الذمّة ويؤدون الجزية ، ولكن على شرط إن يوافقوا اليهود والنصارى في أصل معتقدهم وإن خالفوهم في الفروع [3] .

وقد أشار القرآن الكريم إلى الصابئة بلفظة الصابئين ، فقال ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [4]، وقال ﷻ أيضا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [5] .

ووردت للصابئة في القرآن الكريم لفظة أخرى ، هي " الصابئون " ، كما جاء في قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [6] .

١- الشافعي ، محمد بن إدريس بن عباس (ت: ٢٠٤هـ / ٨١٩م) الأم ، دار المعرفة ، ط٢ (بيروت ، ١٩٩٠م) ج٤ ، ص٢٨٩ ؛ ابن القيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ج١ ، ص٢٣٤ ؛ المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح بن مفرج (ت :٧٦٣هـ / ١٣٦١م) الفروع ، تحقيق : عبد الله عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة (بيروت ، ٢٠٠٣م) ج١٠ ، ص٢٣١ .

٢- أحكام أهل الذمة ، ج١ ، ص٢٣١ .

٣- أبو يعلى ، القاضي محمد بن الحسين بن خلف (ت : ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) الأحكام السلطانية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، ط٢ (بيروت ، ٢٠٠٠م) ص١٥٤ .

٤- سورة البقرة ، الآية :٦٢ .

٥- سورة الحج ، الآية : ١٧ .

٦- سورة المائدة ، الآية : ٦٩ .

أنّ المتأمل لهذه النصوص القرآنية الكريمة ، يصبح على يقين إن الصابئة ليسوا مشركين فالله ﷻ فرق بينهم وبين الكفار ، ويتضح هذا من عطف الذين أشركوا على ما قبله ومنهم الصابئون والعطف في اللغة يقتضي المغايرة كما أنهم ليسوا يهودا ولا نصارى ولا مجوسا للسبب نفسه[١] . فالصابئة " هم أمة قديمة قبل اليهود والنصارى وهم على نوعين صابئة حنفاء وصابئة مشركون"[٢] . والمشركون منهم يعظمون الكواكب السبعة والبروج الأثني عشر ولها عندهم عبادات ويتخذون لها اصناما تخصها ويقربون لها القرابين ولها صلوات خمس في اليوم والليلة [٣] . أما لغتهم التي وردت بها تعاليمهم الدينية فهي اللغة الآرامية المندائية ، التي سادت في المناطق العربية الشمالية وأطرافها ، واستمرت ما يقرب من عشرة قرون انتهت بظهور الإسلام وتغلب اللغة العربية التي اكتسحت سائر اللهجات الأخرى ، وبذلك اقتصرت المندائية على الكتابات الدينية[٤] .

رابعاً :- المجوس :

كلمة المجوس اشتقت من " مجس " ، " يمجس " ومنها اشتقت " مجسوا " اولادهم ، وتمجس القوم أي : صاروا مجوسا [٥] ، وواحدهم مجوسي [٦] ، وهي

---

١ – عليان ، رشدي ، الصابئون حرانيين ومندائيين (بغداد ، ١٩٧٦م) ص٣٥-٣٦.

٢ – ابن القيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ج١ ، ص٩٣.

٣ – الآلوسي ، محمد شكري البغدادي ، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب ، تحقيق : محمد بهجة الأثري ، ط٣ ، دار الكتاب المصري (القاهرة ، ٢٠١٢م) ج٢ ، ص٢٢٤ .

٤ – مراني ، ناجيه ، مفاهيم صابئية مندائيه ، ط٢ (بغداد ، ١٩٨١م) ص٧٧.

٥ – الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت : ١٧٠ هـ / ٧٨٦م) العين ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد ، ١٩٨٦م) ج١ ، ص٤٦٧ .

٦ – قلعجي ، محمد رواس وحامد صادق قنيبي ، معجم لغة الفقهاء ، دار النفائس ، ط٢ (بيروت ، ١٩٨٨م) ج١ ، ص٤٠٧ .

من الكلمات المعربة عن لفظة مغوس " Majhos " الفارسية والتي تعني : عابد النار[1]، وهم نحلة قائلة بالأصلين النور والظلمة ، الخير والشر، إذ يعتقدون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة [2] ، وهم يعبدون النار والشمس والقمر [3] .

وقد ذكر المجوس في القرآن الكريم مرة واحدة فقط ، في قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [4] .

وقد عرفهم الشهرستاني بقوله [5] : المجوس وأصحاب الاثنين المانوية وسائر فرقهم المجوسية يقال لهم الدين الأكبر والملة العظمى .

وهم الذين عظموا النار وخدموها [6] . واعتقدت المجوسية : " إن في الدنيا عنصرين اثنين مدبرين ، عنصر الخير وعنصر الشر وكانوا يسمون الأول رب الحياة والنور والآخر رب الموت والظلمة " [7] . وقد ذكر العديد من الإخباريين : بأن المجوس هم الفرس[8] .

---

[1] – علي ، المفصل ، ج٦ ، ص٦٩١ – ٦٩٢ .

[2] – أبن الأثير، النهاية ، ج٤ ، ص٢٩٩ ؛ الغريري ، وسن حسين محيميد ، أهل الذمّة في العصر العباسي دراسة في اوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، ٢٠٠٢م) ص١٣٢.

[3] – قلعجي ، وحامد ، معجم لغة الفقهاء ، ج١ ، ص٤٠٧ .

[4] – سورة الحج ، الآية : ١٧ .

[5] – الملل والنحل ، ج٢ ، ص٢٥٧.

[6] – الطبري ، جامع البيان ، ج١٨ ، ص٥٨٤ .

[7] – ابن القيم الجوزية ، أحكام أهل الذمّة ، ج١ ، ص٨٠ ؛ الموسوعة الفقهية الكويتية ، ج١٥ ، ص١٦٨ .

[8] – البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت : ٢٧٩هـ/٨٩٢م) فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال (بيروت ، ١٩٨٨م) ص٨٥ ؛ قدامة بن جعفر ، ابو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد (ت :

وبعد أن عكف المجوس على عبادة النار ، بنو لها معابد ، وانتشرت بيوت النار على طول البلاد وعرضها ، وكانت لهم آداب وشرائع خاصة ، وانقرضت كل عقيدة وديانة غير عبادة النار وتقديس الشمس[1] .

والزرادشتية : هي المجوسية ذاتها ، وهم يعتقدون بإله الخير " أهورامزدا " وإلٰه الشر " أهريمن " ثم أضافوا كل حسن وجميل وفعل حميد إلى الخير وكل قبيح وذميم إلى الشرير الخبيث المضاد له [2] . وبينهما صراع مرير وكفاح مستمر وعداء مستحكم يتبادلان فيه النصر ولكن في النهاية يكون النصر " لأهورامازدا " [3] . وقد اعتنق الفرس الاخمينيون الزرادشتية ، وفرضوا عبادتها على شعوبهم ، وانتشرت في جميع الأقاليم التي حكموها ، وقد عظم زرادشت النار وأمر بأحيائها وعدم إطفائها واتخذها رمزاً[4].

٣٣٧هـ / ٩٤٨م) الخراج وصناعة الكتابة ، دار الرشيد (بغداد ، ١٩٨١م) ص٢٢٥ ؛ ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي (ت : ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، تحقيق : سمير أمين الزهري ، دار أطلس ، الرياض ، ط٣ (المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٠م) ص١٦٦.

[1]– الندوي ، أبو الحسن علي عبد الحي ، السيرة النبوية ، دار ابن كثير ، ط٢ (دمشق ، ٢٠٠٤م) ص٦٣ ؛ السحيم ، محمد عبد الله صالح ، الإسلام أصوله ومبادئه ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٠م) ج٢ ، ص٦٦ .

[2] – الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير(ت : ٣١٠هـ/٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك ، دار التراث ، ط٢ (بيروت ، ١٩٧٦م) ج١ ، ص٥٤٠ ؛ الغريري ، أهل الذمّة في العصر العباسي ، ص١٣٢ .

[3] – ينظر : الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص٨٦ ؛ اليوزبكي ، تاريخ أهل الذمّة ، ص٢٠٠ ، ٢٠٤ .

[4] – ينظر : أمين ، أحمد ، فجر الإسلام ، دار الشروق ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٩٩م) ص١٠٣ ؛ الخربوطلي ، علي حسني ، المجوسية والمجوس (دار الباسل للنشر والتوزيع ، ٢٠١٧م) ص١٥١ ؛ الليثي ، سميرة مختار ، الشعوبية والزندقة وانتصار الإسلام والعروبة عليهما ، مكتبة الانجلو مصرية (القاهرة ، ١٩٦٨م) ص٩٨ .

أما بالنسبة إلى كتابهم فقد اختلف الفقهاء في ذلك ، فمنهم من قال : بأنه ليس لديهم كتاب مستندين إلى ما جاء في قوله ﷻ : ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾[1]، ففي هذه الآية الكريمة بين الله ﷻ إن الكتاب انزل على اليهود والنصارى فقط ومن عداهم فليسوا من أهل الكتاب [2] . في حين قال البعض الآخر : بأن المجوس من الذين لهم شبه كتاب لكنه ليس سماوي[3] . والكتاب المعروف لديهم ، هو ما يعرف بــ " ألابستا " [4] . والذي شرحه زرادشت ، وسماه " الزند " ومعناه التفسير، ثم شرح الزند بكتاب سماه " بازند " ، والذي يعني التفسير [5] . ويطلق على أماكن عبادتهم " بيوت النار " واتخذوها اماكن للتعليم واستخدموا رجال دينهم للتأديب[6] . وانتشرت

---

[1] – سورة الأنعام ، الآية : ١٥٦ .

[2]- الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب (ت : ٤٥٠هـ /١٠٥٨م) الحاوي الكبير ، تحقيق : علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٩م) ج١٤ ، ص٢٩٢ ؛ الجويني ، إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (ت : ٤٧٨ هـ/١٠٨٥م) نهاية المطلب في دراية المذهب ، تحقيق : عبد العظيم محمود الديب ، دار المنهاج (الرياض ، ٢٠٠٧م) ج٨ ، ص١٨ ؛ الدباسي ، عبد الرحمن ، احكام الصلح في الشريعة الإسلامية ، دار الوراق (الرياض ، ٢٠٠٤م) ص١١٧ .

[3]– أبو يعلى ، الأحكام السلطانية ، ص١٥٤ ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص٢٥٩ ؛ ابن قدامة ، المغني ، ج٨ ، ص٤٩٨ .

[4]- المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص٨٠ .

[5]- ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت : ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي (بيروت ، ١٩٩٧م) ج١ ، ص٢٢٦ .

[6] – ابن يعقوب ، ابراهام ، موجز تاريخ يهود بابل من بدايتهم وحتى اليوم ، ترجمة : علي عبد الحمزة لازم الناصري ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد ، كلية اللغات ، ٢٠٠٠م) ص٣٢ ؛ بابو اسحق ، رفائيل ، مدارس العراق قبل الإسلام (بغداد ، ١٩٥٥م) ص٣٠-٣١ ؛ الغريري ، وسن حسين محيميد ، أثر أهل الذمة في الحركة الفكرية في

بيوت النار في مختلف بلاد فارس والمناطق التابعة لها [1] . فكانت لهم في العراق العديد من بيوت النيران التي زاولوا فيها عبادتهم وتعليم ابنائهم في ظل الحرية الدينية التي تمتعوا بها – في ظل الإسلام – [2] .

ويعد معبد النوبهار [3] ببلخ من اشهرها حيث كان برمك[4] جد البرامكة سادنه [5] ، فضلاً عن بيوت نيرانهم بأصطخر واصبهان وارمية وغيرها [6].

العراق وبلاد الشام من القرن الثاني حتى القرن السابع الهجري ، اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، ٢٠٠٧م) ص١٥٦ .

١ – الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص٢٦٠.

٢– المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت : ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : شارل بلا ، منشورات الجامعة اللبنانية ، المطبعة الكاثوليكية (بيروت ، ١٩٦٥م) ج٢، ص١٥٦ ؛ ابن حجة الحموي ، تقي الدين بن علي(ت : ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) ثمرات الأوراق في المحاضرات (القاهرة ، ١٩٤٢م) ص١٤١-١٤٢ .

٣ – ظل هذا المعبد قائما حتى عهد الخليفة هارون الرشيد لما ولي الفضل بن يحيى البرمكي خراسان دخل الى بلخ وكان جدهم خادم ذلك البيت فاراد الفضل هدمه فلم يقدر لإحكام بنائه ، فهدم منه ناحية وبنى فيها مسجدا سنة ١٩٢هـ / ٨٠٧م . اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت : بعد ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) البلدان ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠٢م) ص١١٦-١١٧

٤ – برمك : لفظة ليست اسم لشخص ، إنما تدل على رتبة وراثية خاصة برئيس الكهان بمعبد النوبهار. الدوميلي ، الايطالي ، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي ، ترجمة : عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى ، دار القلم (القاهرة ، ١٩٦٢م) ص١٣٦ ؛ الرفاعي ، احمد فريد ، عصر المأمون (القاهرة ، ١٩٢٧م) ج١ ، ص١٣٥ .

٥ – ابن خلكّان ، شمس الدين احمد (ت : ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : محمد محي الدين (القاهرة ، ١٩٨٤م) ج٣ ، ص٣١١.

٦ – المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص١٤٨ ، ٢٣٨ ؛ البكري ، المسالك والممالك ، ج١ ، ص١٧٦ ؛ ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت : ٣٠٠هـ /٩١٢م) المسالك والممالك (ليدن ، ١٨٨٩م) ص١١٩-١٢٠ .

وعلى أية حال ، فما أن ظهر الإسلام وانتشر حتى ضم المجوس إلى ذمته ، وأخذت الجزية منهم ، فقد ورد إن الرسول ﷺ قد كتب إلى مجوس هجر يدعوهم إلى الإسلام فمن اسلم قبل منه إسلامه ، ومن لم يسلم فرضت عليه الجزية ، وكانت أول جزية يأخذها الرسول ﷺ من المجوس [1]. استنادا إلى ما ورد عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان قد تحير في أمرهم وقال : ما ادري ما اصنع بهم ، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : اشهد إني سمعت رسول الله ﷺ يقول [2] : " سنّوا بهم سنة أهل الكتاب غير آكلي ذبائحهم ولا ناكحي نسائهم " ، فقبل عمر الجزية منهم . وهكذا أصبح مجوس هجر البحرين الأساس في أمر فرض الجزية على المجوس بشكل عام[3] ، وعلى هذا الأساس اتفق الفقهاء على تحريم أكل ذبائحهم والزواج بنسائهم ؛ لأنهم ليسوا من أهل الكتاب[4] ، فأخذت الجزية من اليهود والنصارى بالكتاب ومن المجوس بالسنة [5].

---

[1] – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٧٩ ؛ هجر: مدينة البحرين بينها وبين البصرة مسيرة خمسة عشر يوما على الإبل . ينظر: الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٤٧ .

[2]- ابن مالك ، أنس (ت : ١٧٩هـ / ٧٩٥م) الموطأ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي (بيروت ، ١٩٨٥م) ج١ ، ص٢٧٨ ، رقم الحديث (٤٢) ؛ الشافعي ، محمد بن ادريس (ت: ٢٠٤هـ / ٨١٩ م) كتاب الرسالة ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، المكتبة العلمية (بيروت ، بلا ، ت) ص٤٢٩ .

[3] – عوض ، عثمان صبري ، الجزية في عهد الرسول ﷺ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، فلسطين ، نابلس (جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا ، ٢٠٠٩م) ص٧٧ .

[4]- الشافعي ، الأم ، ج٤ ، ص٢٥٢ ؛ الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٢ ، ص٢٧١ ؛ المقريزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت : ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) إمتاع الإسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، تحقيق : محمد عبد الحميد ألنمسي ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٩م) ج١٤ ، ص١٧٠ .

[5] – الخطابي ، أبي سلمان حمد (ت : ٣٨٨هـ / ٩٨٨م) معالم السنن ، المكتبة العلمية ، ط٢ (بيروت ، ١٩٨١م) ج٣ ، ص٣٩ ؛ الشريف ، عون ، نشأة الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ ، دار الطباعة (السودان ، جامعة الخرطوم ، بلا ، ت) ص١٨٦ .

المبحث الثاني
تسميات أهل الذمّة

لأهل الذمّة في الإسلام تسميات عديدة ، منها ما جاء ذكره في القرآن الكريم ، ومنها ما جاء في السنة النبوية الشريفة من خلال اقوال النبي ﷺ ، أو من خلال التسميات التي أطلقها عليهم بعض علماء المسلمين وفقهائهم ، ومن أبرز تلك التسميات هي :

أولاً : أهل الكتاب :

هم اليهود و النصارى ، وهؤلاء هم ممن لديهم كتب سماوية كالتوراة والإنجيل[١] . مما جعل لأصحاب تلك الكتب مكانة ارفع قياسا بالوثنيين[٢] . وعلى هذا الأساس يخاطبهم القرآن الكريم بأهل الكتاب[٣] . قال ﷻ : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٤]، وممن لهم شبه كتاب كالصابئة والمجوس[٥] . وبعد الفتح الإسلامي لديارهم خضعوا للمسلمين وأصبحوا في في ذمّة الله ﷻ ورسوله ﷺ فأصبحوا أهل ذمّة ، وحملوا هذا الاسم ، ولو لم يكونوا من أصل بني إسرائيل الذين أنزلت على رسلهم التوراة والإنجيل قال ﷻ : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٦].

١- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت : ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) الحيوان ، دار الكتب العلمية ، ط٢ (بيروت ، ٢٠٠٣م) ج١ ، ص٥٩.

٢- الجاحظ ، الحيوان ، ج١ ، ص٥٩ .

٣- الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص١٣ .

٤- سورة آل عمران ، الآية : ٦٥ .

٥ – الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص٣٧ ؛ اليوزبكي ، أهل الذمّة ، ص٣٧ .

٦- سورة آل عمران ، الآية : ٦٥ .

وهذه الآية نزلت بسبب دعوى كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم عليه السلام كان على دينه فأكذبهم الله ﷻ بأن اليهودية والنصرانية إنما كانت من بعده [١] . وقيل : سمي اليهود والنصارى بأهل الكتاب تمييزا لهم عن عبدة الأوثان وذلك لان لهم كتب منزلة هي التوراة والزبور والإنجيل وإن اعترافهم بها يجعل لهم مكانا ممتازا بالنسبة لعبدة الأوثان وغيرهم [٢] .

إن الله ﷻ أرسل الرسول ﷺ إلى العباد كافة ، قال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [٣] ، وقال ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [٤] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ [٥] : " أعطيت خمسا لم يعطهنّ أحد من الأنبياء قبلي : نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، وأيّما رجل من أمّتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلّت لي الغنائم ، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس كافة ، وأعطيت الشفاعة ".

من هذه النصوص يظهر أن أهل الكتاب من ضمن المشمولين بدعوة الإسلام، لذلك دعاهم الرسول ﷺ دعوة عامة شأنهم في ذلك شأن عامة الناس .

١- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت : ٦٧١هـ / ١٢٧٢م) الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٦٤م) ج ٤ ، ص ١٠٧ .

٢ – م . ت . هوتسما – ت . و . أرنولد – ر. باسيت – ر . هارتمان ، موجز دائرة المعارف الإسلامية ، مادة : أهل الكتاب ، ج٣ ، ص١٠٧ .

٣– سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .

٤ – سورة الأعراف ، الآية : ١٥٨ .

٥- البخاري ، صحيح البخاري ، ج١ ، ص ٩٥ ، رقم الحديث (٤٣٨).

وعلى الرغم من أن هذه الكتب " التوراة والإنجيل " قد طالها الكثير من التزييف والتحريف إلا أنها ميزتهم عن الذين يعبدون الأوثان [١] . قال ﷻ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [٢] .

وقد دلت هذه الآية القرآنية الكريمة على أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى لا غير لأن الله ﷻ قرنهم بالتوراة والإنجيل وهي كتب اليهود والنصارى [٣] ، وأهل الكتاب عند الأحناف هم أصحاب الكتب السماوية المنزلة كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وشيت وزبور داود فلا يقتصر أهل الكتاب على اليهود والنصارى فقط بل يشمل غيرهم من أصحاب الكتب السماوية المنزلة [٤] . وقال الحنابلة والشافعية : "هم النصارى واليهود دون غيرهم"، مستندين إلى قوله ﷻ: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴾ [٥] .

١- م . ت . هوتسما – ت . و . أرنولد – ر. باسيت – ر . هارتمان ، موجز دائرة المعارف الإسلامية ، مادة : أهل الكتاب ، ج٣ ، ص١٨٧.

٢- سورة المائدة ، الآية : ٦٨ .

٣- ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت : ٤٦٣هـ /١٠٧٠م) الاستذكار ، تحقيق : سالم محمد عطا و محمد علي معوض ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠٠م) ج٣ ، ص٢٤٣ ؛ العظيم آبادي ، محمد أشرف أمير علي (ت : ١٣٢٩هـ / ١٩١١م) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٤م) ج٨ ، ص٢٠٤.

٤ – الحصكفي ، محمد بن علي بن محمد الحِصْني المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي (ت : ١٠٨٨هـ / ١٦٧٧م) الدر المختار شرح تنوير الأبصار ، تحقيق :عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠٢م) ج٣ ، ص٣٧٠ ؛ الزيلعي ، عثمان بن علي بن محجن البارعي ، فخر الدين الحنفي (ت : ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق :المطبعة الكبرى الأميرية ، بولاق (القاهرة ، ١٨٩٥م) ج٢ ، ص١١٠ ؛ اليوزبكي ، أهل الذمّة ، ص٣٨ .

٥ –سورة الأنعام ، الآية : ١٥٦ .

وهذا يدل على أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى دون غيرهم ولأن تلك الصحف كانت مواعظا وأمثالا لا أحكام فيها فلا يثبت لها حكم الكتب المشتملة على الأحكام [١] ، والقول الثاني هو الأرجح ؛ لأن القرآن الكريم أطلق اسم أهل الكتاب على اليهود والنصارى دون غيرهم فهو خاص بهم [٢] كما أن الآية الكريمة : ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ [٣].

وقد جاءت هذه الآية صريحة في أن أهل الكتاب في عرف القرآن الكريم هم اليهود والنصارى دون غيرهم [٤] . وتسمية أهل الكتاب التي وردت في القرآن الكريم تشمل اليهود والنصارى ، ثم توسعت هذه التسمية لتشمل الصابئة والمجوس كما وردت آيات في القرآن الكريم تطلق عليهم لقب " أهل الذكر" وهم أصحاب الأسفار القديمة والمزامير [٥].

واستندت المذاهب الفقهية في قبول الجزية من المجوس استنادا لقوله ﷺ فيهم [٦] : " سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم " . وقد جاء في

---

١ – ابن قدامة ، المغني ، ج٦ ، ص٥٩٠-٥٩١ ؛ و ج٨ ، ص٤٩٦-٤٩٧ ؛ الشيرازي ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت : ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م) المهذب في فقه الإمام الشافعي ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠١٠م) ج٢ ، ص٤٧ ؛ زيدان ، احكام الذميين ، ص١٢ .

٢ – رضا ، محمد رشيد ، تفسير المنار ، مطبعة المنار (القاهرة ، ١٩١١م) ج٦ ، ص١٩٠ ؛ زيدان ، احكام الذميين ، ص١٢ .

٣ –سورة الأنعام ، الآية : ١٥٦ .

٤ – الجصاص ، أحكام القران ، ج٢ ، ص٣٢٧ و ج٣ ، ص٩١ ؛ الحنفي ، عبد القادر بن محمد أبي الوفاء القرشي المصري (ت : ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م) الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، ط٢ (دار هجر ، ١٩٩٣م) ج١ ، ص٨٤-٨٥.

٥ – اليوزبكي ، أهل الذمّة ، ص٣٨ .

٦ – الشافعي ، أبو عبد الله محمد بن ادريس (ت : ٢٠٤هـ / ٨١٩م) السنن ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٧٩م) ج١٠ ، ص١٢٦ ؛ مالك ، الموطأ ، ج٢ ، ص١٣٩ ؛ اليوزبكي ، أهل الذمّة ، ص٣٩ .

القرآن الكريم الكثير من الآيات الكريمة التي ذكر فيها اليهود والنصارى كما جاء ذكرهم بأسم " أهل الكتاب " [١]، وبهذا اصبح أهل الكتاب الذين عاشوا بين المسلمين لهم حرية العبادة دون الوثنيين مقابل دفعهم الجزية [٢] .

ثانياً : المستأمنون :

المستأمن : بكسر الميم هو الطالب للأمان ، وبالفتح بمعنى أسم المفعول أي : صار آمنا مأمونا [٣] ، وإن الأصل في الأمان جاء استنادا إلى قوله ﷻ[٤] : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

ثم جاءت السنة النبوية المطهرة مؤكدة لهذا الأمر، وذلك من خلال ما روي عن أم هاني[٥] رضي الله عنها ، حين أجارت رجلا من قريش يوم فتح مكة المكرمة سنة

---

١ - البقرة : ١٠٠-١٠٩ ؛ آل عمران : ٦٤ - ٦٥ ، ٦٩ -٧٠- ٧١ - ٧٢ ، ٧٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٩ ؛ النساء : ١٢٣، ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٧١ ، ؛ البينة : ١ ، ٦ ؛ المائدة : ٤ ، ١٥ ، ٤٧ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٧ ؛ العنكبوت : ٤٦ ؛ الحديد : ٢٩ ؛ الحشر : ٢ ، ١١ .

٢- م . ت . هوتسما – ت . و . أرنولد – ر. باسيت – ر . هارتمان ، موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ج٣ ، ص١٠٦-١٠٧ .

٣- ابن عابدين ، محمد أمين بن عمر (ت : ١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م) رد المحتار على الدر المختار ، دار الفكر ، ط٢ (بيروت ، ١٩٩٢م) ج٤ ، ص١٦٦ .

٤- سورة التوبة ، الآية : ٦ .

٥- أم هانئ : فاختة بنت أبي طالب بن عبد المطلب ، أخت علي بن أبي طالب ﷺ لأبويه ، اختلف في اسمها فقيل : فاختة ، وقيل : هند ، والأول أكثر ، وهي بكنيتها أشهر ، وترد في الكنى أكثر من هذا ، ومن حديثها : " أن النبي ﷺ صلى ثماني ركعات غداة الفتح في بيتها " . ينظر : ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت : ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٨٨م) ج٦ ، ص٢١٣ .

سنة " ٨هـ / ٦٢٩م " ، فجاءت إلى النبي محمد ﷺ وذكرت له ذلك ، فقال ﷺ: " قد أجرنا من أجرت ، وأمنا من أمنت "[١] .

وروي عنه ﷺ أنّه قال [٢] : " ذمّة المسلمين واحدة ، فمن أخفر[٣] مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " .

فالمستأمنون : هم الذين يدخلون دار الإسلام بموجب عهد وأمان من قبل المسلمين، فإذا دخلوا دار الإسلام فهم آمنون على أنفسهم وأموالهم ، ولهم أن يقيموا فيها عدا الحرم والحجاز ، والجزيرة العربية في بعض الأقوال مدة معلومة يحددها الإمام فان قلت عن أربعة أشهر كانت بغير جزية ، وإن بلغت السنة وجب أخذ الجزية منهم [٤] .

ثالثاً : المعاهدون :

المعاهدة في اللغة : إحداث العهد بما عاهدته [٥]، وهي : الوصية والتقدم إلى صاحبك بشيء ، ومنه اشتق العهد الذي يكتب للولاة ، وقد عهد إليه يعهد عهدا ، والعهد : الموثق ، وجمعه عهود [٦] . وعهد إليه يعهد عهدا أوصاه وشرط عليه ، وعهد الحرمة : رعاها ، وعهد بالبلد : وجده ، وعهده : عرفه وعاهده : عاقده ، وتعهده وتعاهده : تفقده ، واحتفظ به ، والعهد الأمان وكذلك الذمّة والوفاء والأمان[٧]

١- ابن زنجويه ، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة (ت : ٢٥١هـ / ٨٦٥م) الأموال ، تحقيق : شاكر ذيب فياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (المللكة العربية السعودية ١٩٨٦م) ص١٦٣ ؛ أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت: ٢٧٥ هـ/٨٨٨م) سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية (بيروت ، بلا . ت) ج٣ ، ص٨٤ ، رقم الحديث (٢٧٦٣) .

٢- البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ، ص٢٠ ، رقم الحديث (١٨٧٠) .

٣ - أخفر: نقض العهد . ينظر : ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل احمد بن علي (ت : ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، تخريج وتصحيح ، محب الدين الخطيب ، دار المعرفة (بيروت ، ١٩٥٩م) ج٤ ، ص٨٦ .

٤- الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٤٦.

٥- ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ، ص٣١٣ .

٦ - الفراهيدي ، العين ، ج١ ، ص١٠٢ ؛ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج٣ ، ص٣٢٠ .

والأمان[1] . كما جاء في قوله ﷻ : ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [2] ، وهو حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال ، وسمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً وإنما سمي اليهود والنصارى أهل العهد للذمّة التي أعطوها ، فإذا أسلموا سقط عنهم اسم العهد [3] ، قال ﷻ : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [4] ، وقال ﷻ أيضا: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[5] ، أي لا أجعل عهدي لمن كان ظالما ، وقال ﷻ : ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾[6] ، وعهد فلان إلى فلان بعهد أي ألقى إليه العهد وأوصاه بحفظه [7] ، كما قال ﷻ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾[8]. وقال الزجاج [9] : " قال قال بعضهم : ما أدري ما العهد وقال غيره : والعهد : الموثق واليمين يحلف بها الرجل" .

ويظهر لنا من كل ما سبق أن لفظة العهد تأتي بمعنى الوصية والأمان ، والعقد ، والموثق ، والوفاء . وإن كل ما بين العباد من مواثيق فهو عهد [10]. والعهد هو الميثاق واليمين الذي يستوفي به من عاهدته . والمعاهد : هو من كان بينك وبينه

---

1 - وجدي ، محمد فريد ، دائرة معارف القرن العشرين ، ط3 (بيروت ، ١٩٧١م) ج٦ ، ص٧٧٤ .

2 - سورة البقرة ، من الآية : ١٢٤ .

3 - الزبيدي ، تاج العروس ، ج٧ ، ص٤٤٣ ؛ الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج١ ، ص٩٨ .

4 - سورة الإسراء ، من الآية : ٣٤ .

5 -سورة البقرة ، من الآية : ١٢٤ .

6 -سورة التوبة ، من الآية :١١١ .

7 - الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (ت : ٥٠٢هـ /١١٠٨م) المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية (دمشق ، بيروت ، ١٩٩٢م) ص٥٢٣ .

8- سورة يس ، من الآية : ٦٠

9 - ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ، ص٣١١ .

10- الزبيدي ، تاج العروس ، ج١ ، ص٤٢٢ .

عهدًا ، وأكثر ما يطلق في الحديث عن أهل الذمّة [1] . والمعاهد في الشرع هو كل من يدخل من الكفار في عهد المسلمين ، قال رسول الله ﷺ [2] : " لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده " .

والموادعة هي المعاهدة والصلح على ترك القتال ، والموادعة والأمان ، على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وعقائدهم لأنهم أصحاب عقد يلتزم المسلمون بالمحافظة عليه ، يقال توادع الفريقان ، أي: تعاهدوا على أن لا يغزوا كل منهم صاحبه [3] . فأن كان هؤلاء في دار الإسلام عدّوا من أهل الذمّة وتطبق عليهم أحكام أهل الذمّة ، أما إذا كان المعاهدون الذين سالموا وهادنوا المسلمين بالتوقف عن القتال ، فأن دخلوا في دار الإسلام لم يتعرض لهم أحدا بسوء لأنه آمن بتلك المعاهدة [4].

لذلك فإنّ الحكمة من مشروعية المعاهدة والصلح وعقد الذمّة معهم ، هي أن يتركون القتال مع احتمال دخولهم في الإسلام ، وذلك عن طريق مخالطتهم المسلمين واطلاعهم على شرائع الإسلام ، ولهذا فإنّ عقد المعاهدة مع غير المسلمين والحفاظ عليها ، هي أصل عام مشروع في الإسلام حتى تنظم العلاقات بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى [5] .

1- ابن منظور، لسان العرب ، ج٣ ، ص٣١٣ . :

2- النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت : ٣٠٣هـ /٩١٥م) السنن الكبرى ، تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩١م) ج٤ ، ص٢٢٠ ، رقم الحديث (٣/٦٩٤٧) و(٤/٦٩٤٨) ، الأصبهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص٥٢٣ .

3- ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت : ٣٢١هـ /٩٣٣م) جمهرة اللغة ، مكتبة المثنى (بغداد ، بلا . ت) ج٢ ، ص٢٨٦ ؛ ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج بن علي (ت : ٥٩٧هـ /١٢٠٠م) غريب الحديث ، تحقيق : عبد المعطي أمين القلعجي ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٨٥م) ج٢ ، ص٤٥٩ ؛ الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٧ ، ص١٠٦، ١٠٨ .

4 - الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٧ ، ص١٠٦.

5- الصالح ، صبحي ، النظم الإسلامية ، دار العلم للملايين ، ط١٣ (بيروت ، ٢٠٠١م) ص٥٢٤

وقد أكدت السنة النبوية المطهرة على احترام المعاهدة وحرمة دم المعاهد ، لتشمل بذلك كل من أعطاه المسلمون عهدا وصار آمنا بموجبه [1].

وقد ثبت عن النبي محمد ﷺ أنّه قال [2] : " من قَتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما " .

وهذا إنما هو تحذير وعقوبة شديدة لمن قتل معاهدا [3] . ولا يجوز تغيير الشروط بعد الاتفاق عليها ، إذ نهى الرسول ﷺ عن ذلك بقوله [4] : " لعلكم تقاتلون قوما فتظهرون عليهم فيتقونكم بأموالهم دون أنفسهم وأبنائهم " وفي رواية فيصالحونكم على صلح " فلا تصيبوا منهم فوق ذلك فإنه لا يصلح لكم ". ومن هذا الحديث يستنبط : أن ما يصالح عليه الذميون المعاهدون من الشروط ، لا يجوز زيادته أو نقصانه بأن تؤخذ املاكهم ولا أن تغصب ابنيتهم ولا أن تنفذ عليهم الأحكام الشديدة ولا غير ذلك ، لأجل هذه الأحكام لم يدون الفقهاء المسلمين شيئا من التشريعات للأمم التي تغلب صلحا ، بل اكتفوا بتسجيل القاعدة العامة التي تقضي بأنهم سيعاملون بحسب ما يعقد معهم من شروط الصلح ، يقول أبو يوسف [5] : " يؤخذ منهم ما صولحوا عليه ويوفى لهم ولا يزاد عليهم " .

---

[1]- المحمدي ، أحمد سليمان عيسى ، مقومات التعايش السلمي المتعلقة بسياسة الدولة الخارجية في السنة النبوية ، بحث مقبول للنشر ، مركز صلاح الدين الأيوبي للدراسات التاريخية والحضارية (جامعة تكريت ٢٠١١م) ص٧ .

[2]- البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ، ص١١٥٥ ، رقم الحديث (٢٩٩٥) .

[3]- الشوكاني ، محمد بن علي بن عبد الله (ت : ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) نيل الأوطار ، تحقيق : عصام الدين الصبابطي ، دار الحديث (مصر ، ١٩٩٣م) ج٧ ، ص١٩ .

[4] - أبو داود ، سنن أبو داود ، باب الجهاد ، ج٢ ، ص٧٠١ ، رقم الحديث (٣٠٥١) ؛ المودودي ، أبو الأعلى ، حقوق أهل الذمّة ، رسالة منشورة في مجلة ترجمان القران (بلا مكان ، ١٩٨٤م) ص١٢-١٣ .

[5]- كتاب الخراج ، ص٣٥ ؛ المودودي ، حقوق أهل الذمّة ، ص١٣ .

رابعاً : أهل الذكر :

وهم الذين قرأوا التوراة والإنجيل ، وغير ذلك من الكتب التي انزلها الله ﷻ على عباده[1] ، ومنها الأسفار القديمة والمزامير[2] . ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه التسمية بقوله ﷻ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3] .

خامساً: الجوالي :

الجلاء : جمع جالية وهي أن يجلى قوم عن بلادهم ، يقال : أجليناهم عن بلادهم فجلوا ، أي : تحولوا وتركوها [4] . والجوالي هم أهل الذمّة لأنهم جلوا عن موضعهم[5] ، وأريد بها في الأصل : أهل الذمّة الذين أجلاهم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عن جزيرة العرب ، ثم انتقلت هذه التسمية إلى الجزية التي أخذت منهم فسمتها المصادر بالجوالي أو مال الجوالي[6] ، وقد عدّ ترتون[7] ذلك من التطورات التي حدثت على الجزية . علما إن لفظة الجوالي وردت في مصادر مبكرة[8] ، غير

١- الطبري ، جامع البيان ، ج١٧ ، ص٢٠٨ .

٢- اليوزبكي ، دراسات في النظم الإسلامية ، ص٢٢٥ ؛ المزامير: سفر من أسفار اليهود ، وتنسب إلى النبي داود ﷺ ، وهي عبارة عن مجموعة من الأسفار الملحنة ، غرضها تمجيد الله ﷻ وشكره ، كانت ترنم على أصوات المزمار وغيره من الآلات الموسيقية ، وفي العبرانية يسمى كتاب الحمد . ينظر ، تقي الدين الجعفري ، أبو البقاء ، صالح بن الحسين (ت : ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ، تحقيق : محمود عبد الرحمن قدح ، مكتبة العبيكان (المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٨م) ج١ ، ص٩٤ .

٣- سورة النحل ، الآية : ٤٣.

٤- الفراهيدي ، العين ، ج٨ ، ص١٨١ ؛ الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص٥٩ .

٥- الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم (ت : ٣٢٨ هـ/ ٩٣٩م) الزاهر في معاني كلمات الناس ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة (بيروت ، ١٩٩٢م) ج١ ، ص٤٨٢ .

٦ -الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص٥٩ .

٧ -أهل الذمّة في الإسلام ، ص٢٤٧ .

٨ - انظر : أبو يوسف ، الخراج ، ص٣ .

انها أصبحت فيما بعد تطلق على اليهود والنصارى والصابئة والمجوس ولم يكونوا اجلوا عن أوطانهم [١] . واستعملت في كل جزية أخذت منهم [٢] . يقول ابن الساعي[٣] الساعي[٣] : إن الجوالي "هم أهل الذمّة في بلاد الإسلام ، ويؤدون إلى الخليفة الجزية بمقتضى الشريعة " ، وأصبحت كلمتا الجزية والجوالي تعنيان شيئا واحدا [٤]، ولقد ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم في قوله ﷻ : ﴿ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴾[٥].

يقول الطبري[٦] : "أن هذه الآية الكريمة نزلت في بني النضير ، عندما حاصرهم حاصرهم النبي محمد ﷺ حتى بلغ منهم كل مبلغ ، فأعطوه ما أراد منهم ، فصالحهم ﷺ أن يحقن دماءهم ، وإن يخرجهم من أرضهم وأوطانهم".

سادساً: أهل الأرض :

هم اليهود والنصارى والمجوس والصابئة وغيرهم من أهل الأرض التي فتحها المسلمون[٧] . فقد ذكر البخاري في صحيحه [٨] :

---

١ –الزيات ، حبيب ، الجوالي أو جزية رؤوس النصارى في الإسلام ، بحث منشور في مجلة المشرق ، العدد : الحادي والأربعون ، ١٩٤٧م ، ص١ ؛ حسين ، يحيى احمد عبد الهادي ، أهل الذمّة في العراق في العصر السلجوقي (٤٤٧-٥٩٠هـ / ١٠٥٥-١١٩٣م) اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الدراسات العليا (الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٠م) ص١٠٥-١٠٦ .

٢- أبو يوسف ، الخراج ، ص ٣.

٣ – أبو طالب علي بن أنجب تاج الدين (ت : ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) ، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، تحقيق : مصطفى جواد ، المطبعة السيريانية الكاثوليكية بغداد ، ١٩٣٤م ، ص٢٥٩ .

٤ – سعد ، فهمي عبد الرزاق ، العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين (طبع على نفقة وزارة الثقافة لمشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية ، اتحاد الناشرين العراقيين ، ٢٠١٣م) ص٤٥ .

٥ –سورة الحشر ، الآية :٣ .

٦- جامع البيان ، ج٢٣ ، ص٢٦٨ .

٧ – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٧٣ . أبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص١٥٩ .

٨- ج٢ ، ص٨٥ ، رقم الحديث (١٣١٢) .

"إن سهل بن حنيف [1] ، وقيس بن سعد [2] كانا قاعدين بالقادسية ، فمرت بهما جنازة فقاما ، فقيل لهما إنها من أهل الأرض ، أي من أهل الذمّة " . وقد وردت كلمة أهل الأرض في كتاب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ﷺ حيث قال : بسم الله الرحمن الرحيم لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص ، سلامٌ عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ؛ أما بعد ، فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يستبطئني في الخراج ، ويزعم أنى أعند عن الحق ، وأنكب عن الطريق ؛ وإني والله ما أرغب عن صالح ما تعلم ؛ ولكن " أهل الأرض " استنظروني إلى أن تدرك غلّتهم ؛ فنظرت للمسلمين ، فكان الرفق بهم خيرا من أن يخرق بهم ، فيصيروا إلى بيع ما لا غنى بهم عنه ، والسلام [3] ، وكذلك وردت في كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عامله على الكوفة ، فقال : من عبد الله عمر أمير المؤمنين أما بعد فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله ﷺ وسنّة خبيثة استنها عليهم عمال السوء وإن قوام الدين العدل والإحسان ، فلا يكونن شيء أهم إليك من نفسك فإنه لا قليل من الإثم ولا تحمل خرابا على عامر ولا عامرا على خراب انظر الخراب فخذ منه ما أطاق وأصلحه حتى يعمر

١- سهل بن حنيف : سهل بْن حنيف بن واهب بن العكيم ابن خناس ، ويقال : ابن خنساء ، وقيل : حنش بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وهو أنصاري أوسي ، يكنى أبا سعد ، ، شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وثبت يوم أُحد مع رسول الله ﷺ ، وكان قد بايعه يومئذ على الموت ، وكان يرمي بالنبل عن رسول الله ﷺ ، توفي بالكوفة سنة (٣٨هـ / ٦٥٨م) . ينظر : ابن الأثير ، أُسد الغابة ، ج٢ ، ص٣١٨ .

٢- قيس بن سعد : هو قيس بن سعد بن عبادة بن حارثة الأنصاري الخزرجي أبو الفضل ، كان من كرام أصحاب النبي ﷺ وأسخيائهم ودهاتهم وأحد أهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة والبسالة والكرم وكان شريف قومه ، صحب قيس رسول الله ﷺ ، وكان من النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير ، توفي سنة (٥٩هـ / ٦٧٨م) في خلافة معاوية ﷺ . ينظر : ابن الأثير ، أُسد الغابة ، ج٤ ، ص١٢٤-١٢٦ ؛ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن آيبك (ت : ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الارنؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث (بيروت ، ٢٠٠٠م) ج٢٤ ، ص٢١٢-٢١٣.

٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٧٠ ؛ أبو القاسم المصري ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت : ٢٥٧هـ /٨٧٠ م) فتوح مصر والمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية (بلا . م ، ١٩٩٦م) ص ١٨٨.

ولا يؤخذ من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين" لأهل الأرض " ... ولا خراج على من أسلم من " أهل الأرض " فاتبع في ذلك أمري ... [1] ، ومهما يكن من تعدد التسميات التي أطلقت على أهل الذمّة ، إلا أن التسمية الشائعة عند الفقهاء والمؤرخين العرب والمسلمين هي أهل الذمّة وهم اليهود والنصارى والمجوس ، والصابئة [2] ، والسامرية [3] وتلك الذمّة تلازم الشخص طوال حياته وتنتهي بوفاته ما لم يدخل في الإسلام .

١ – الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٧٠ .

٢ –أبو يوسف ، الخراج ، ص٢٣ ؛ ترتون ، أهل الذمّة في الإسلام ، ص٩ .

٣– السفاريني ، شمس الدين ، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي (ت : ١١٨٨هـ / ١٧٧٥م) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب المؤلف ، مؤسسة قرطبة ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٩٣م) ج٢ ، ص١٢.

المبحث الثالث

أحكام أهل الذمّة في القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهّرة :

حددت الشريعة الإسلامية موقفها من أهل الذمّة منذ وقت مبكر ونظمت حياتهم في المجتمع الإسلامي وبينت حقوقهم وواجباتهم قال ﷻ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [1] .

ويرى بعض المفسرين أن الأمر بقتالهم ناتج عن أنهم وان أمنوا بوحدانية الله ﷻ فقد كفروا بما جاء به محمد ﷺ ومن ثم لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد من الرسل عليهم السلام ، لأن الإيمان بالرسل والأنبياء إيمان بالمرسل وهو الله ﷻ ، وهم بذلك يتبعون اهوائهم وبهذا يجب قتالهم حتى يعطوا الجزية [2] .

فبقاء أهل الذمّة في ديار الإسلام مقرون بدفعهم الجزية وهي شرط أساسي لحماية المسلمين لهم ، قال ﷻ : ﴿...حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ، ويوجد أصل في وجوب الجزية على أهل الذمّة إذ فسرت هذه الآية الكريمة تفسيرين :

الأول : " حتى يدفعوها فعلا "

الثاني : " حتى يضمنوها "

فإذا ضمنوها وجب الكف عن قتالهم ، وجاءت الجزية بمعنى أنهم يدفعونها إما جزاءً على كفرهم وإما جزاءً على تأمينهم في ديار المسلمين وحمايتهم ودفع الأذى عنهم ببذل الجزية التي يدفعونها [3] .

---

[1] -سورة التوبة ، الآية : ٢٩ .

[2] -ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، ص٣٤٦-٣٤٧ .

[3] - الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٣٧ ؛ ابن قيم الجوزية ، احكام أهل الذمّة ، ج١ ، ص٢٢-٢٣ ؛ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت : ٧٣٣ هـ/١٣٣٢م) نهاية الإرب في فنون الأدب ، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة ، ٢٠٠٢م) ج٨ ، ص٢٣٤-٢٣٥ ؛ الخالدي ، بهاء الدين محمد بن لطف الدين الله (٨٦٨هـ / ١٤٦٤م) ،

ولعقد الذمّة شروط وهي على قسمين مستحق ومستحب [1] ، ويختص بعقدها مع أهل الكتاب الإمام أو نائبه فالشروط المستحقة هي التي تفرض عليهم ويجب تطبيقها وإذا نقضوها انتقض العهد بينهم وبين المسلمين وبرئت منهم ذمّة الله ﷻ ورسوله ﷺ وهي [2] :

١-عدم ذكر الإسلام بذم له أو قدح فيه .

٢-عدم ذكر القرآن الكريم بطعن له أو تحريف فيه .

٣-عدم إيذاء الرسول ﷺ بتكذيب له أو ازدراء .

٤-ألا يفتنوا مسلما عن دينه ، أو يتعرضوا لماله ودمه .

٥-ألا يصيبوا مسلمة بزنا .

٦-ألا يعينوا أهل الحرب .

أما المستحب في شروط عقد الذمّة التي لا تلزم لعقدها ولا يكون ارتكابها نقضا للعهد وهي[3] :

١- لبس الغيار " وهو الملابس ذات اللون المخالف للون ملابس المسلمين لتمييزهم عنهم".

٢- ألا تعلوا أبنيتهم فوق أبنية المسلمين .

٣- ألا تعلوا اصوات نواقيسهم وتلاوة كتبهم .

المقصد الرفيع المنشا الهادي إلى صناعة الإنشا ، مخطوط مصور (جامعة القاهرة ، بلا . ت) رقم المخطوط (٤٢٠٤٥) ، ورقة (٣١٧ – ٣١٨) ؛ قاسم ، قاسم عبدة ، أهل الذمّة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك دراسة وثائقية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة ، ٢٠٠٣م) ص٢٤ ، ٢٧.

[1] – الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٣٨-١٣٩ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ج٨ ، ص٢٣٨-٢٣٩.

[2] – ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص٣٤٦ ، ٣٤٨ ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٣٨-١٣٩ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ج٨ ، ص٢٣٨-٢٣٩ ؛ زيدان ، أحكام الذميين ، ص٢٠٨ .

[3] – ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص٣٤٦ ، ٣٤٨ ؛ الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص١٣٨-١٣٩ ؛ قاسم عبدة ، أهل الذمّة في مصر ، ص٢٥ .

٤- ألا يجاهروا بشرب الخمر وإظهار صلبانهم وألا يخرجوا خنازيرهم إلى افنية المسلمين .

٥- أن يخفوا دفن موتاهم ولا يجاهروا عليهم بندب ولا نياحة .

٦- أن يمنعوا من ركوب الخيل .

وإذا صولحوا على ضيافة المارة من المسلمين فيجب أن لا تزيد مدة الضيافة على ثلاثة أيام مثلما صالح عمر بن الخطاب ﷺ نصارى الشام على ضيافة مارة المسلمين مما يأكلون ، ولا يكلفهم ذبح شاة ولا دجاجة ، وتبيت دوابهم من غير شعير وقد اعفي أهل المدن من واجب الضيافة [1] . وقد أوجبت الشريعة الإسلامية الشروط الست المستحقة الأولى في الأساس لحماية المسلمين ، أما الشروط الأخرى فقد جاء وضعها متأخرا إذ إنها من وضع بعض الخلفاء المسلمين وفقهائهم مغالاة منهم في فرض القيود على غير المسلمين فأهل الذمّة لم يلزموا بالغيار في عهد الرسول ﷺ [2] . وتؤلف هذه الشروط بشقيها صورة العهد العمري المنسوب للخليفة عمر بن الخطاب ﷺ [3] . ويذكر أن عهد عمر ﷺ ظل مجهولا بصورته التقليدية طوال القرنين الأوليين للهجرة ، ولم يظهر بشكله النهائي إلا في أواخر القرن الثاني الهجري إذ جاء منسجما مع الشريعة الإسلامية ، ويمكن القول أن شرط تغيير الملابس جاء للتفريق بين أهل الذمة والمسلمين لكثرتهم [4] .

---

١ – قاسم عبدة ، أهل الذمّة في مصر ، ص٢٥ .

٢ – ابن القيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ج١ ، ص٢٣٦ .

٣ – للاطلاع على نص العهدة العمرية ينظر : الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٣٧-١٣٨ ؛ ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن احمد القرشي (ت : ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م) معالم القربة في أحكام الحسبة ، دار الفنون (كمبرج ، بلا . ت) ص٤١-٤٢ ؛ ابن زين القاضي ، أبو محمد عبد الله بن احمد ، شروط النصارى ، مخطوط بدار الكتب ، القاهرة ، رقم المخطوط (٣٩٥٢) ورقة ٣-٥ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٥ ، ص٤١٦-٤١٧ .

٤ – القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١٣ ، ص٣٦٢ ، ٣٦٤ بل إن القلقشندي حدد لون الملابس لكل طائفة ويرى بعض الباحثين انه لا صلة للخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بالعهد العمري المنسوب إليه وإنه ربما يكون أصح لو نسبت إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ﷺ ... ينظر ، ترتون ، أهل الذمّة ، ص١٣ .

أما مقدار الجزية فقد كان الخلاف بين الفقهاء بشأنه بسيطا [1] ، فقد ذهب أبو حنيفة إلى تقسيمها على ثلاثة أقسام : يوضع على الغني ثمانية وأربعون درهما وعلى المتوسط أربعة وعشرون وعلى الفقير اثنا عشر ، وأما ابن حنبل رحمه الله فقد وافق الشافعي في ذلك بينما تركها الإمام مالك لتقدير الإمام واجتهاده ورأى الشافعي إنها مقدرة على الأقل بدينار ، ولا يجوز الاقتصار على أقل منه بينما يرجع في إكثارها إلى اجتهاد الوالي بحيث يكون ما ارتضاه أولوا الأمر من أهل الذمّة ملزما لجميعهم ولأعقابهم ولا يجوز لوالي بعده أن يزيد في قدرها أو ينقص [2] . ولا تجب الجزية على صبي أو امرأة أو مجنون أو خنثى فان زال إشكاله وبان أخذت منه ، ولا تؤخذ ممن هو ليس أهلا للقتال كالشيخ الكبير ، أو من يعجز عن أدائها وفي ذلك خلاف ، وتسقط الجزية عمن اسلم سواء كان إسلامه أثناء العام أو بعد نهايته ، ويجوز تأجيلها عن الفقير المعسر حتى يصبح قادرا على أدائها ، ولا تجب الجزية ألا مرة واحدة في السنة بعد انتهائها بشهور هلالية ، ولا يجوز للإمام تحصيل الجزية قبل ميعادها كما هو الحال في تحصيل أموال الزكاة [3] . ومما تقدم نجد أن الجزية هي ضريبة يدفعها أهل الذمّة لقاء حمايتهم في دار الإسلام وليس ضريبة رأس كتلك التي عرفها العالم القديم والتي كانت تفرض على الشعوب المغلوبة ، فهناك اختلافات كبيرة بين " الجزية " و" ضريبة الرأس " على الرغم من أنها فرضت على الفرد في كلا الحالتين ، ولكن الجزية حملت طابعا إنسانيا يستند إلى الشريعة الإسلامية ووصية النبي ﷺ بأهل الذمّة خيرا ، إذ راعت عدم أخذها من النساء والأطفال والشيوخ فضلا عن غير القادرين . كما أن الرهبان قد أعفوا منها بشرط انقطاعهم إلى أديرتهم [4] . ومن الممكن تأجيل تحصيلها عن المعسر ، وبما

---

[1] – الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٣٧ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ج٨ ، ص٢٣٦ .

[2] – الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٢٧– ١٣٧ ؛ ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمّة ، ج١ ، ص٢ ؛ ابن طلحة ، أبو سالم محمد بن طلحة القرشي النصبي الوزير (ت : ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م) العقد الفريد للملك السعيد (القاهرة ، ١٨٨٨م) ص١٥٩–١٦٠ .

[3] – ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمّة ، ج١ ، ص٩٩ .

[4] – ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمّة ، ج١ ، ص٤٩–٥٠ .

أن اتفاق عقد الذمّة هو التزام متبادل بين الطرفين ، فإن الجزية هي جزء رئيس من هذا الاتفاق ففي التزامهم بهذه الشروط وبضمنها الجزية يكون بالمقابل على المسلمين حمايتهم وحماية اموالهم وتعويضهم عما يتلف منها ، كما يكفل لهم هذا العقد حرية العيش وتنظيم حياتهم الاجتماعية داخليا بجانب حرية العقيدة والدفاع عنهم طالما بقوا داخل المجتمع الإسلامي [١] . ولا يجوز تكليف أهل الذمّة فوق طاقتهم أو إيذائهم بأي شكل من الأشكال بضربهم أو تعذيبهم أو حبسهم على أداء الجزية ، يقول الرسول ﷺ [٢] : " إن الله ﷻ يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس في الدنيا " . وأوصى النبي ﷺ لأهل الذمّة من أهل الكتاب ، وهدد بالوعيد الشديد لمن نقض عهدهم ، حتى إنه توعّد أصحابه ﷺ بأن من قتل معاهدا في غير وقته الذي يجوز قتله فيه حرّم الله ﷻ عليه الجنة ، وهذا من حرصه ﷺ على دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام وترغيبهم فيه . وكان ﷺ لا يرضى أن يمس أهل الكتاب بظلم حتى ولو كان أحدا من أصحابه ، سواء كان هذا الظلم اعتداءاً على أنفسهم أو أموالهم .

كما قال رسول ﷺ [٣] : " أحفظوني في ذمتي " . وقيل إن ذلك كان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ [٤] . ويرى أبو حنيفة [٥] : إن أهل الذمّة إذا امتنعوا عن دفع الجزية لا ينقض بذلك عهدهم وإذا نقض فإن ذلك لا يبيح قتلهم ولا غنم أموالهم ولا سبي ذراريهم ما لم يقاتلوا بل يجب إخراجهم آمنين من ديار الإسلام . وهذا يبين الاختلاف الكبير بين أسلوب الإسلام من غيره في حماية رعايا الدولة . وبعد عقد الذمّة ينصب الإمام على كل فريق من أهل الذمّة عريفا مهمته حصر من اسلم منهم أو مات ومن بلغ من صبيانهم الحلم ومن قدم عليهم أو سافر منهم وإحضارهم لأداء

---

١ – القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١٣ ، ص٣٦٢-٣٦٥ .

٢ –ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمّة ، ج١ ، ص٩٩ .

٣ – الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٣٩

٤ – النويري ، نهاية الإرب ، ج٨ ، ص٢٣٩.

٥ –الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٤٠ ؛ النويري ، نهاية الإرب ، ج٨ ، ص٢٤٠.

الجزية وقد سمي هذا العريف فيما بعد بالحاشر [1] . وبذلك لم تتعرض أموال أهل الذمّة لأي ضريبة شرعية أخرى عدا دفع الجزية [2] .

واجبات أهل الذمّة وحقوقهم :

مما لا يقبل الشك أنه لابد من وجود أقليات غير مسلمة في أرض دولة الإسلام في أي ناحية من نواحيها ولا بد من انسجام هذه الأقليات مع الأغلبية المسلمة بعد أن دخل الإسلام في الأمصار المفتوحة ، وخصوصا في العراق وبلاد الشام ومصر أصبح على المسلمين وضع أسس شرعية جديدة تحدد العلاقة بينهم وبين سكان تلك الأمصار ممن لم يدخلوا الإسلام . وقد سموا " بأهل الذمة " فحددت عليهم واجبات ولهم في مقابلها حقوق تتلاءم مع شريعة الإسلام والإجراءات التي وضعها الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ﷺ بعقد سلسلة من عهود الصلح التي نظمت العلاقة فيما بينهم ، وبما إن أهل الذمّة قد أصبحوا مواطنين تابعين للدولة الإسلامية ، فقد ترتب عليهم واجبات كثيرة ومتعددة منها واجبات مالية كالجزية[3]، وإن أول من فرضت عليهم الجزية في عهد النبي محمد ﷺ هم نصارى نجران[4]، وقد حددها رسول الله ﷺ بدينار واحد في السنة ، أو ما يعادله " اثنا عشر درهما فضيا " ، بشرط أن يكونوا ذوي حرفة ، وقد فرضت على الرجال البالغين والقادرين على حمل السلاح [5] ؛

---

[1] – القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١٣ ، ص٣٦٢-٣٦٥ .

[2] – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢١٦-٢٢٠ .

[3] - الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٢٢٣.

[4] - أبو يوسف ، الخراج ، ص٨٥-٨٦ ؛ الشامي ، محمد بن يوسف الصالحي (ت : ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م) سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٣م) ج٦ ، ص٤٢٠.

[5] - أبو يوسف ، الخراج ، ص٧١ ؛ ابن آدم ، أبو زكريا يحيى (ت : ٢٠٣هـ/٨١٨م) الخراج ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٦٤م) ص٦٦ ؛ عمر ، فاروق وآخرون ، النظم الإسلامية دراسة تاريخية ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٨٧م ، ص ١٠٨ .

لأنها لا تجب على الصبيان والعميان والنساء والمجانين والزمنى [١] والشيوخ والرهبان [٢] ، فهم ليسوا من أهل القتال ، لذلك فهم غير مشمولين بها [٣] . وانها تسقط عن الذمّي في حالة موته أو إسلامه [٤] . فقد روي عن رسول الله ﷺ [٥] : " ليس على مسلم جزية " .

وتسقط أيضا عن أهل الذمّة في حالة عدم مقدرتهم على دفعها أو عجز الدولة عن توفير الحماية لهم أو اشتراكهم في القتال إلى جانب المسلمين [٦]، والواقع إن الجزية لا تعتبر عقوبة في حق أهل الذمّة لبقائهم على دينهم ، بقدر ما هي مساهمة مادية بالدفاع عن بلادهم التي يسكنوها بدلا عن التحاقهم بالجيش .

أما الخراج فقد جاء في القرآن الكريم بمعنى الأجر والرزق[٧] ، قال ﷻ [٨] : ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ، وهو ما يخرج من غلة الأرض ومعناه المال المضروب على الأرض [٩] . والخراج عند الفقهاء ما وضع على

---

١ - الزمنى : أزمن الشيء طال عليه الزمن ، والمقصود به كبير السن والذين لديهم مرض مزمن . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٣ ، ص٢٠٢ .

٢- أبو عبيد ، القاسم بن سلام (ت :٢٢٤هـ/ ٨٣٨م) الأموال ، تصحيح : محمد حامد (القاهرة ، ١٣٥٣هـ) ص٥١ ؛ أبو يوسف ، الخراج ، ص١٢٢ .

٣- الكبيسي ، صبحي فندي ، بعض الوسائل الاقتصادية للتعايش السلمي ، بحث مقبول للنشر ، مركز صلاح الدين الأيوبي للدراسات التاريخية والحضارية (جامعة تكريت ، تكريت ، ٢٠١١م) ص٢٥.

٤- الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٧ ، ص١١٢.

٥- ابن زنجويه ، الأموال ، ص١٧٢ ؛ الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت : ٣٦٠هـ /٩٧٠م) المعجم الأوسط ، تحقيق : طارق عوض محمد وعبد المحسن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين (القاهرة ، ١٩٩٥م) ج٦ ، ص٣٨٣ ، رقم الحديث (٦٦٨٢) .

٦ - الموسوعة الفقهية الكويتية ، ج١٥ ، ص١٩٩.

٧- القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ،ج١١، ص٥٩ .

٨- سورة المؤمنون ، الآية : ٧٢ .

٩ - اليسوعي ، لويس معلوف ، المنجد ، المطبعة الكاثوليكية ، ط٩ (بيروت ، ١٩٣٧م) ص١٦٩

رقاب الأرضين من حقوق تؤدى عنها [١] . و جاءت لفظة الخراج في حديث الرسول محمد ﷺ [٢] : " الخراج بالضمان " . وهي ضريبة مالية تفرضها الدولة على الأرض المفتوحة عنوة ، أو صلحا [٣] . وقد ورد عند الفقهاء إن الخراج بمعنى بمعنى الجزية ، قال أبو حنيفة [٤] : " ولا يترك ذمي بدار الإسلام بغير خراج رأسه " .

وللفقهاء آراء كثيرة في طريقة جباية الخراج ونسبته حسب نوع الأرض [٥] . وعشور التجارة : وهو مقدار الضرائب المفروضة على الأموال التي يستخدمها أهل الذمّة في تجارتهم والمنقولة من دار الحرب إلى دار الإسلام وبالعكس وهذه الضريبة تزيد وتنقص طبقا لقاعدة " المعاملة بالمثل " ، " خذوا منهم ما يأخذون منا " [٦] . وتشمل الأموال الخاضعة لهذه الضريبة جميع عروض التجارة كالحبوب والحيوانات والثياب والأمتعة والأطعمة والذهب والفضة نقدا كانت أو معدنا وغيرها [٧] . وقد حددها عمر بن الخطاب ﷺ بقوله : " خذوا من المسلم ربع العشر ، ومن الذمي نصف العشر ومن الحربي العشر "[٨]، ويشترط في المال الخاضع لضريبة العشور أن يبلغ النصاب وان يكون معدا للتجارة ، ولا تجب ضريبة العشور على المسلم والذمّي إذا انتقل بتجارته من بلد إلى أخر داخل دار الإسلام وتستوفى منهم مرة واحدة في السنة مهما تكررت مرات التجارة[٩] ، ويعفى من ضريبة التجارة كل من دخل بميرة والناس إليها بحاجة ليكثرها على المسلمين[١٠] .

---

١ -الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٤١ ، أبو يعلى ، الأحكام السلطانية ، ص١٤٦ .

٢- ابن حنبل ، المسند ، ج٤٠ ، ص٢٧٢ ، رقم الحديث (٢٤٢٢٤) .

٣- قلعجي ، وحامد ، معجم لغة الفقهاء ، ص١٩٤.

٤ - أبو يوسف ، الخراج ، ص١٣٢ .

٥ - ينظر ، اليوزبكي ، تاريخ أهل الذمّة ، ص٦٥-٦٧ .

٦ - السرخسي ، شرح السير الكبير ، ج٤ ، ص٢٨٣ ؛ اليوزبكي ، تاريخ أهل الذمّة ، ص٦٩ .

٧ -أبو يوسف ، الخراج ، ص١٣٣-١٣٤ .

٨ - أبو عبيد ، الأموال ، ص٥٣٣-٥٣٤ ؛ أبو يوسف ، الخراج ، ص١٣٥ .

٩ -أبو عبيد ، الأموال ، ص٥٣٣-٥٣٤ ؛ أبو يوسف ، الخراج ، ص١٣٣ .

١٠ - ابن القيم الجوزية ، أحكام أهل الذمّة ص١٦٧ .

وهكذا فقد ترك الحكام المسلمين أهل الذمّة على دينهم يمارسون حرياتهم الدينية، على أن يؤدوا الجزية على رؤوسهم والخراج على غلّة أراضيهم ، مقابل حماية المسلمين لهم وعدم إشراكهم في الحروب وأصبحوا في ذمّة المسلمين ينعمون بالحرية والآمان[١] ، ومن واجباتهم ما يهدف إلى مراعاة مشاعر المسلمين عدم إظهار أمور دينهم بين المسلمين من إظهار للشرك والصلبان وأن لا يضربوا نواقيسهم إلا إذا كان ضربا خفيفا داخل كنائسهم، ولا يظهروا شرب الخمور وأكل لحم الخنزير، ولا يسيروا بجنائزهم في أسواق المسلمين، ولا يرفعوا أصواتهم وأن لا يظهروا معها النيران ولا يجاهروا بالندب والنياحة على الميت[٢] ،وأن لا يمنعوا أحدا من أبنائهم أو أقربائهم من دخول الإسلام إن أراد ذلك ، وأن يوقروا أهل الإسلام في مجالسهم[٣] ، وان لا يتعرض أهل الذمّة للمسلمين في أموالهم ودمائهم ، وأن لا يرفعوا منازلهم فوق منازل المسلمين حتى لا يشرفوا على عوراتهم ، وأن تملك ذمّي بيتا وكان أعلى من بيوت المسلمين المحيطة به فملكه صحيح ولكنه يمنع من الإشراف على بيوت المسلمين[٤] ، ولهم أن يتمتعوا بحقهم بحرمة المسكن ، فلا يجوز أن يدخل عليهم أحد إلا بإذنهم ورضاهم لأن مساكنهم فيها موضع أسرارهم وحياتهم الخاصة مع عوائلهم ، وفيها أموالهم فلا بد أن يكون لهذا المحل حرمة ، فلا

١- اليوزبكي ، تاريخ أهل الذمّة ، ص٧٠.

٢ – الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٨٥ ؛ أبو الوفاء ، علي بن عقيل البغدادي الحنبلي (٥١٣هـ / ١١١٩م) الفنون ، تحقيق : جورج المقدسي ، دار المشرق (بيروت ، ١٩٧٠م) ج١ ، ص ٥٩-٦٠ ؛ ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت : ٥٧١هـ /١١٧٥م) تاريخ دمشق ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٩٥م) ج٢ ، ص١٢٠-١٢٢ ؛ ابن قدامة ، المغني، ج٨ ، ص٥٢٤-٥٢٥ ؛ حسين ، أهل الذمة في العراق في العصر السلجوقي ، ص١٨ .

٣- الخلال ، الإمام أبي بكر احمد بن محمد (ت : ٣١٨هـ / ٩٣٠م) أحكام أهل الملل من الجامع لمسائل الإمام احمد بن حنبل ، تحقيق : سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٤م) ص٢٥٧-٢٥٩.

٤-الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٨٤ ، ٣٣٦ ؛ ابن قدامة ، المغني ، ج٨ ، ص٥٢٤، ٥٣٣

يجوز أن يعتدى عليها ، لأن الاعتداء على حرمة سكن الشخص اعتداء على الشخص نفسه [1] ، وقد أكد ذلك الرسول محمد ﷺ بقوله [2] : "إن الله ﷻ لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ، ولا ضرب نسائهم ، ولا أكل ثمارهم ، إذا أعطوكم الذي عليهم " . لذلك هم مشمولون بهذا الحق ، ما داموا ملتزمين بالعهد محافظين عليه .

وان لا يعينوا أهل الحرب وان لا يؤووا لهم جاسوسا [3] . وأن لا يكتموا غشا للمسلمين وأن لا يحملوا سلاحا ولا يتقلدوا سيفا [4] . وبذلك تكون قد فرضت على أهل الذمّة العديد من الواجبات وقد ذكرنا بعضا منها للتعريف بها ، ولهم في الوقت نفسه العديد من الحقوق فقد وجه القرآن الكريم النبي محمد ﷺ إلى عدم اللجوء إلى القوة لإكراه أحد على اعتناق الإسلام[5] ، فقال ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [6] . فمن ضمن حقوقهم هو إقامة طقوسهم الدينية ، وعدم التعرض أو التجاوز عليها من قبل المسلمين ، إذ عقد رسول الله محمد ﷺ عهود الصلح معهم ، كما نصت وثيقة المدينة التي منح الرسول ﷺ بموجبها يهود المدينة حقوقهم الدينية ، فجاء في أحد بنودها : " لليهود دينهم وللمسلمين دينهم " [7] .

١- زيدان ، أحكام الذميين ، ص٩٤ .

٢- أبو داود ، سنن أبي داود ، ج٣ ، ص١٧٠١ ، رقم الحديث (٣٠٥٠)

٣ – الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٨٤ – ١٨٥ ؛ ابن قدامة ، المغني ، ج٨ ، ص٥٢٤.

٤ – ابن قدامة ، المغني ، ج٨ ، ص٥٢٤ ، ٥٣٣ .

٥- عبد اللطيف ، عبد الشافي محمد ، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، دار السلام (القاهرة ، ٢٠٠٧م) ص١٧٢.

٦- سورة البقرة ، الآية :٢٥٦ .

٧- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٥٠٣-٥٠٤ ؛ البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت : ٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، أنساب الأشراف ، تحقيق : سهيل زكار ورياض الزركلي ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٩٦م) ج١ ، ص٢٨٦ ؛ السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت : ٥٨١هـ / ١١٨٥م) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق : عمر عبد

أما النصارى فقد تمتعوا بحريتهم ، واقاموا طقوسهم الدينية (١) . وهذا ما نص عليه عهد النبي محمد ﷺ لنصارى نجران والذي جاء فيه : " أن لهم ما تحت أيديهم من قليل وكثير من بيعهم وصلواتهم ورهبانيتهم وجوار الله ﷻ ورسوله ﷺ ، لا يغير أسقف عن أسقفيته ، ولا راهب عن رهبانيته ، ولا كاهن عن كهانته ، ولا يغير حق من حقوقهم ، ولا سلطانهم ، ... " (٢) . وفي هذا النص دلالة واضحة على الحرية التي منحها رسول الله ﷺ لرهبانهم ورجال دينهم ، فقد ساعد المسلمون النصارى في ترميم دور عبادتهم وكل شؤونهم الاجتماعية (٣) ، أما المجوس ، فقد منحهم الرسول محمد ﷺ حريتهم الدينية مقابل دفع الجزية كما حصل مع مجوس البحرين (٤) .

أما ما يخص مشاكلهم اليومية فمن حقهم الرجوع للقضاء الإسلامي للفصل بينهم كما جاء في قوله ﷻ : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٥) .

ج٤ ، ص١٧٦ ؛ ابن سيد الناس ، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد (ت : ٧٣٤هـ /١٣٣٣م) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، تعليق : إبراهيم محمد رمضان ، دار القلم (بيروت ، ١٩٩٣م) ج١ ، ص٢٢٨.

السلام تدمري ، دار إحياء التراث العربي (بيروت ، ٢٠٠٠م)

١- البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٧٢ .

٢- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٢٦ ؛ المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ج١٤ ، ص٧٠ .

٣- مؤلف مجهول ، التاريخ السعردي ، ج٢ ، ص٦١٥ .

٤- القسطلاني ، أبو العباس شهاب الدين أحمد (ت : ٩٢٣هـ /١٥١٧م) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، المكتبة التوفيقية (القاهرة ، بلا . ت) ج١ ، ص٥٤٧ ؛ الحلبي ، أبو الفرج علي بن إبراهيم (ت : ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م) السيرة الحلبية ، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ، دار الكتب العلمية ، ط٢ (بيروت ، ٢٠٠٠م) ج٣ ، ص٣٥٣.

٥- سورة المائدة ، الآية : ٤٢ .

وقد نزلت الآية في الدية بين بني النضير وبني قريظة [1] . إذ كانت بنو النضير يؤدون نصف الدية ، فتحاكموا إلى رسول الله ﷺ فحكم بينهم بالحق فجعل الدية سواء[2].

وعندما أراد بعض أحبار اليهود فتنة رسول الله ﷺ بدينه واتفقوا فيما بينهم بالذهاب إليه ﷺ فطلبوا منه ﷺ أن يحكم لصالحهم بخصومة بينهم وبين قومهم ، فيؤمنوا به ويصدقوا، ولكنه ﷺ رفض طلبهم وأبى[3] . لأنه ما كان ليحكم بينهم إلا بالعدل . فانزل الله ﷻ : ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[4].

ثم لجأوا إلى رسول الله محمد ﷺ ليحكم بينهم في توزيع المياه بالتساوي ، وذلك حين أتاه بني قريظة ليتحاكموا إليه ، فقد روت الأخبار أن رجلا من قريش كان له سهم في بني قريظة ، فتخاصم إلى رسول الله ﷺ في سيل مهروز ، فقضى بينهم رسول الله ﷺ أن الماء إلى الكعبين لا يحبس الأعلى على الأسفل [5] ، وفي رواية أخرى أنه ﷺ قضى قضى في سيل مهروز ، الأعلى فوق الأسفل [6] .

ومما تقدم ذكره يتضح أن التشريع الإسلامي منح أهل الذمّة حق اللجوء إلى القضاء الإسلامي إذا ما أرادوا هم ذلك ، كما اتضح لنا في الوقت نفسه بأنّ النبي ﷺ كان

1- الطبري ، جامع البيان ، ج١٠ ، ص٣٢٦ ؛ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٣ ، ص١٠٧ ؛ الشوكاني ، محمد بن علي بن عبد الله (ت : ١٢٥٠هـ /١٨٣٤م) فتح القدير ، دار ابن كثير (دمشق ، ١٩٩٤م) ج٢ ، ص٥٢.

2- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٥٦٦ ؛ السهيلي ، الروض الأنف ، ج٤ ، ص٢٦٤.

3- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١، ص٥٦٧.

4- سورة المائدة ، الآيتان : ٤٩ -٥٠.

5- ابن شبة ، أبو زيد عمر (ت : ٢٦٢هـ /٨٧٥م) تاريخ المدينة ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٨٩م) ج١ ، ص١٧١ .

6- البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٠ .

مخيرا من قبل الله ﷻ في القضاء بينهم فإن شاء حكم وإن شاء أعرض ولم يحكم بينهم ، ولهم أيضا حق التمتع بحقهم بالرجوع إلى شرائعهم الخاصة والعمل بموجبها ، فلهم رجال دين يتولون إقامة طقوسهم الدينية والحكم بينهم في امورهم الشخصية من زواج ونفقة وإرث وغير ذلك[1] ، ولهذا كان لديهم حكاما يحكمون بينهم ويقيمون حدودهم عليهم [2] ، فلما قدم النبي محمد ﷺ المدينة المنورة ووضع دستورها الذي حدد فيه الحقوق والواجبات وبين الالتزام به وبين أطرافها وكيفية التعامل فيما بينهم [3] . فأصبحت هناك سلطة قضائية عليا ، متمثلة بالرسول محمد ﷺ يتخاصم إليها الجميع ، بما فيهم اليهود أنفسهم [4] . ولكن اليهود لم يكونوا ملزمين بالرجوع إلى القضاء الإسلامي دائما ، إلا عندما يكون الاختلاف بينهم وبين المسلمين ، أما في قضاياهم الاجتماعية الخاصة فهم يحتكمون إلى التوراة ويقضي بينهم احبارهم [5] . وهم بذلك غير مجبرين إلى التحاكم بقوانين المسلمين ما دام طرفا القضية من اتباعهم ، وقد جاء قوله ﷻ بهذا الصدد واضحا [6] : ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾. يقول الزهري[7] : " ومضت السنّة أن يرد أهل

١- رضا ، محمد رشيد ، المجالس المالية ، بحث منشور في مجلة المنار (القاهرة ، ١٩٢٨م) ج٢٩ ، ص٧١٥ .

٢- علي ، المفصل ، ج١٢ ، ص١١.

٣- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٥٠٣ – ٥٠٤ .

٤- السهيلي ، الروض الأنف ، ج٤ ، ص١٧٦ ؛ أبو الربيع ، سليمان بن موسى بن سالم (ت : ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦م) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٩م) ج١ ، ص٢٩٦ ؛ ابن كثير ، أبو الفدا إسماعيل بن عمر (ت : ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة (بيروت ، ١٩٧٦م) ج٢ ، ص٣٢٢ .

٥- الصلابي ، علي محمد ، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، دار المعرفة ؛ ط٥ (بيروت ، ٢٠٠٦م) ص٣٣٠.

٦- سورة المائدة ، الآية : ٤٣ .

٧ – الزهري : محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، من بني زهرة بن كلاب ، من قريش ، ولد سنة (٥٨هـ / ٦٧٨م) أول من دون الحديث ، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء ،

الكتاب في حقوقهم ومواريثهم إلى أهل دينهم ، ألا أن يأتوا راغبين حكم الله ﷻ ، فيحكم بينهم بكتاب الله ﷻ " . وهذا القول يوافق قول أبي حنيفة [١] : " أن لا يحكم بينهم ما لم يتراضوا بحكمنا ".

ومن ضمن الحقوق المترتبة لهم حقهم في العمل ، فعاشوا حياة آمنة بين المسلمين ، وعملوا في مهنهم بكل حرية ، مثل التجارة والحدادة والصياغة [٢] . واعتبرهم الفقهاء في المعاملات والتجارات والبيوع كالمسلمين[٣] . إلا عقود الربا فإنّها محرمة عليهم وعلى المسلمين [٤] . لأن الرسول ﷺ صالح نصارى نجران على الجزية ، على أن لا يأكلوا الربا[٥] ، ولا يحق لأهل الذمّة وأهل العهد التعامل بالربا ونحوه من المحرمات [٦] ، وإنما لهم الحق في كسب المال الحلال وفق الشريعة الإسلامية ، والسعي في الأرض وفق العهد معهم بغير إضرار بمصالح المسلمين [٧] ، فهم يشكلون مكونا اجتماعيا مهما في الدولة الإسلامية [٨] ، إذ إن الرسول ﷺ قد

١- السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد (ت : ٣٧٣هـ / ٩٨٣م) بحر العلوم ، تحقيق : محمد مطرجي ، دار الفكر (بيروت ، بلا . ت) ج١ ، ص ٤١٦.

٢- القرضاوي ، يوسف ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، دار المعارف (القاهرة ، بلا . ت) ص١٩.

٣- الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٥٨ ؛ أبو يعلى ، الأحكام السلطانية ، ص٣٢ .

٤- القرضاوي ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، ص٢٢.

٥- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٨٨ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٧٢ ؛ ابن كثير ، أبو الفدا اسماعيل بن عمر (ت : ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، دار إحياء التراث العربي (بيروت ، ١٩٨٨م) ج٥ ، ص٦٦ ؛ المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ج١٤ ، ص٧٠ .

٦- الجلعود ، محاسن عبد الله محمد ، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، دار اليقين (المنصورة ، ١٩٨٧م) ج٢ ، ص٧٦٦.

٧- التركي ، عبد الله عبد المحسن عبد الرحمن ، الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام (وزارة الأوقاف السعودية ، بلا . ت) ص٨٧.

٨- خضير ، صلاح الدين حسين ، التعايش السلمي وأثره في المعاملات الاقتصادية والمالية بين المسلمين وأهل الذمّة (جامعة تكريت ، بحث منشور في مركز صلاح الدين الأيوبي بحث مشارك في وقائع المؤتمر الفكري السنوي الخامس / ٢٠١٢م) ص١٠.

تعامل معهم في حياته الاجتماعية ، فرهن درعه عند يهودي ، وأخذ منه شعيرا لأهل بيته [1] ، ومن خلال هذه العهود والمواثيق التي ابرمها معهم الرسول ﷺ نجد أن أهل الذمّة في ديار المسلمين قد تمتعوا بصيانته حرياتهم الأساسية في المجتمع الإسلامي ، فلهم حق الاعتقاد في الدين ، ولهم حق إقامة طقوسهم لكن كل ذلك بشروط متفق عليها مسبقا .

الحياة الاجتماعية لأهل الذمّة :

نص القرآن الكريم على وجوب التعايش مع أهل الذمّة جاء ذلك بقوله ﷻ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [2] .

وحرص الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين على التسامح الديني معهم . فكان رسول الله ﷺ يعود مرضاهم من أجل الاطمئنان عليهم من ناحية ودعوتهم إلى الإسلام من ناحية أخرى ، فقد روي أن غلاما يهوديا كان يخدم النبي ﷺ ولما مرض أتاه النبي ﷺ يعوده فجلس عند رأسه فقال له : " أسلم "، فنظر الغلام إلى أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم ، فأسلم ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول [3] : " الحمد لله الذي انقذه من النار " . وأوصى عمر بن الخطاب ﷺ بأن يتعايش المسلمون مع ابناء الملل الأخرى بوئام إذ أعطى أهل بيت المقدس الأمان على ارواحهم واموالهم ، فاصدر أمرا بألا تسكن الكنائس وألا ينقص منها وألا يكره أحد

١- الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت : ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط٢ (بيروت ، ١٩٩٣م) ج١ ، ص٤٦٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٦ ، ص٥٩ .

٢- سورة العنكبوت ، الآية : ٤٦ .

٣- البخاري ، صحيح البخاري ، ج٢ ، ص٩٤ ، رقم الحديث (١٣٥٦) ؛ البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت : ٥١٦هـ / ١١٢٢م) شرح السنة ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي (دمشق ، ١٩٨٣م) ج١ ، ص١٠٥ ، رقم الحديث (٥٧) .

على دينه ، ولا يضار أحد منهم وبما إن التشريع الإسلامي اباح طعام أهل الكتاب ونكاح نسائهم إلا ما أستثنى منه ما هو محرم على المسلمين من مأكل أو مشرب ، لما فيه من تقريب لأواصر الألفة والتسامح بينهم ، استنادا إلى قوله ﷻ : ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١) ، لهذا نرى أن رسول الله ﷺ تزوج من نساء أهل الكتاب بعد أن اعتنقن الإسلام فتزوج من أم المؤمنين صفية (٢) رضي الله عنها . وتزوج ﷺ من ريحانة بنت زيد رضي الله عنها(٣) ، وتزوج رسول الله ﷺ من ماريا القبطية

١- سورة المائدة : الآية (٥).

٢- أم المؤمنين صفية رضي الله عنها : هي صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بن عامر بن عبيد بن كعب ، كانت زوجة لسلام بن مشكم ثم فارقها وتزوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النظري قتل عنها يوم خيبر سنة (٧هـ / ٦٢٨م) ، سبيت في فتح خيبر ، فوقعت في سهم دحية الكلبي ﷺ ، فاشتراها رسول الله ﷺ منه ، ثم تزوجها ﷺ وجعل عتقها صداقها ، كانت رضي الله عنها شريفة وعاقلة وذات حسب وجمال ودين ، لها عشرة أحاديث عن رسول الله ﷺ في كتب السنة ، منها واحد متفق عليه ، توفيت رضي الله عنها سنة (٥٠ هـ /٦٧٠م) . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص١٢٠-١٢٩ ؛ خليفه بن خياط ، أبو عمرو (ت : ٣٤٠ هـ / ٩٥١م) تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، دار القلم (دمشق ، ١٩٧٦م) ص٨٢-٨٣ ؛ الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت : ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) سير أعلام النبلاء ، دار الحديث (القاهرة ، ٢٠٠١م) ج٢ ، ص٢٣١- ٢٣٨ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٣ ، ص٢٠٦ .

٣- ريحانة بنت زيد : هي ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة بن سمعون بن زيد من بني النضير ، كانت متزوجة من رجل من بني قريظة يقال له الحكم ، فلما وقع السبي على بني قريظة ، سباها رسول الله ﷺ ، فأعتقها وتزوجها وماتت عنده ﷺ بعد مرجعه من حجة الوداع سنة (١٠هـ /٦٣١م) . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص١٢٩-١٣١.

رضي الله عنها [١] ، أم ولده إبراهيم وكانت هدية من مقوقس مصر للرسول ﷺ وأوصى بقومها قائلا : " الله الله في أهل الذمّة ، أهل المدرة [٢] السوداء السحم [٣] الجعاد [٤] ، فإن لهم نسبا وصهرا " [٥] .

ومن الصحابة ﷺ من تزوج من نساء أهل الذمّة كالصحابي الجليل حسان بن ثابت[٦] ﷺ إذ تزوج من سيرين أخت مارية القبطية ، والتي كان المقوقس قد أهداهما للنبي محمد ﷺ [٧] . ومما زاد في ترابط المجتمع زواج العرب بالأعجميات والكتابيات فأصبح لهذه الزيجات إسهام كبير في تغير الوضعية الاجتماعية للمجتمع

١- ماريا القبطية : مولاة رسول الله ﷺ وأم ولده إبراهيم ، وهي مارية بنت شمعون أهداها المقوقس صاحب الإسكندرية ومصر ، لرسول الله ﷺ ، وقد توفيت في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ سنة (١٦هـ / ٦٣٧م) . ينظر : ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت : ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل (بيروت ، ١٩٩٢م) ج٤ ، ص١٩١٢ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٦ ، ص٢٦١.

٢- المدرة : المدينة الضخمة . ينظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ، ص١٦٣ .

٣- السحم : السواد . ينظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٢ ، ص٢٨١ .

٤- الجعاد : هم أصحاب الشعر الغير مبسوط ، لأنّ سبوطة الشعر هي الغالبة على شعور العجم من الروم والفرس ، وجعودة الشعر هي الغالبة على شعور العرب . ينظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ، ص١٢٢.

٥- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٦ ؛ السهيلي ، الروض الأنف ، ج١ ، ص٨٩ .

٦- حسان بن ثابت : هو حسان بن المنذر بن حرام الأنصاري ، شاعر رسول الله محمد ﷺ وصاحبه ، حدّث عنه العديد من الرواة ، وحديثه قليل ، عاش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام لم يشهد مع النبي ﷺ مشهداً ، قيل أنه توفي سنة (٤٠هـ / ٦٦٠م) وقيل توفي سنة (٥٤هـ / ٦٧٣) . ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص٥١٢- ٥١٣ ؛ ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي (ت : ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٤م ، ج٢ ، ص٥٥- ٥٧.

٧- ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ١٨٦ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤ ، ص٣٠٧ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٧ ، ص١٥٩.

وبدا القواد ورجال الجيش بالزواج بالذميات فيذكر الطبري [1] : قول ابن الزبير : " شهدت القادسية مع سعد فتزوجنا نساء من أهل الكتاب ، ونحن لا نجد مسلمات ، فلما قفلنا ، فمنا من طلق ، ومنا من أمسك " . وبمرور الزمن ظهر عندنا جيلٌ جديد يحمل الدم العربي والذمّي معا بل ويحمل خصائص وصفات الأمم المختلفة المتكون منها [2] وأصبح لها من الحقوق ما للزوجة المسلمة فرخص لها البقاء على دينها ، وحرم على زوجها أن يكرهها على ترك دينها أو يمنعها من الذهاب إلى المعبد أو الكنيسة [3] . وبشكل عام سادت بين المسلمين وأهل الذمّة روح التعاون والتسامح . فقد حدث أن عجز أحد المسلمين عن دفع صداق زوجته ، ولم يستطع أهله إعانته ، فدفعه له رجل من أهل الذمّة [4] .

وهذا يدل على أن الجميع كانوا يعيشون في مجتمع واحد متألفين متوادين لا تفرقهم أديانهم .

وكان ﷺ يتقبل دعوة أهل الذمّة وضيافتهم له ويأكل طعامهم ، فقد دعاه ﷺ يهودي إلى خبز شعير وإهالة سنخة [5] ، فأجابه رسول الله ﷺ إلى دعوته تلك ، فكان اليهودي فقيرا ، ألا إن رسول الله ﷺ لم يشأ أن يرده [6] . وكذلك الحال عندما تقبل رسول الله ﷺ من يهودي ، كان قد جلب له حليب ناقة ، فطلب من رسول الله ﷺ أن

---

[1] – تاريخ الطبري ، ج٤ ، ص١٤٧ .

[2] – الراوي ، ثابت إسماعيل ، العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والإدارية والاجتماعية ، مطبعة الإرشاد (بغداد ، ١٩٦٥م) ص١٢٦.

[3] – اليافعي ، عبد الفتاح بن صالح ، التعايش الانساني والتسامح الديني في الإسلام ، مؤسسة الرسالة ناشرون (بلا . م ، بلا . ت) ص٣٧ ؛ الخربوطلي ، الإسلام وأهل الذمّة ، ص١٢١ .

[4] – النويري ، نهاية الأرب ، ج٤ ، ص٥٢ ؛ ترتون ، أهل الذمّة في الإسلام ، ص١٠٧ .

[5] – إهالة سنخة : أي دسمة وذات رائحة متغيرة . ينظر : الغيتابي ، أبو محمد محمود بن احمد بن موسى (ت : ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بلا . ت ، ج١١ ، ص١٨٤.

[6] – ابن حنبل ، المسند ، ج٢٠ ، ص٤٢٤ ، رقم الحديث (٣٢٠١) .

يدعو له ، فقال ﷺ : " اللهم جمّله " ، فأسود شعر اليهودي[1] . وبلغ من رحمة النبي ﷺ ورأفته بهم أن مرت جنازة بالقرب منه ﷺ فقام لها احتراما ، فقيل له : إنها جنازة يهودي ، فرد قائلا : " أليست نفسا"[2] . وكان يتصدق على فقرائهم ، فتصدق على أهل بيت من اليهود وظلت هذه الصدقة تجري عليه [3] . وكذلك فعلت أم المؤمنين صفية رضي الله عنها إذ أوصت بنسيب لها يهودي[4] .

أما اعيادهم فقد احتفل أهل الذمّة بها وشاركهم المسلمون فيها وخاصة اعياد النصارى ، حتى بلغ ببعض الخلفاء العباسيين أن يحضروا اعيادهم ومراكبهم ويزوروا دياراتهم ويتخذوا من زعمائهم ورؤسائهم حاشية لهم [5] . وكثيرا ما حفلت الأديرة بالمسلمين لما كانت تغريهم بما فيها باعتبارها أماكن للهو ، مما شكل فرصة كبيرة للتعايش فتنزهوا في حدائقهم اليانعة[6] ، فتأثر أهل العراق بدير الخنافس لموقعة إذ تربض عند سفحه القرى ويشرف على الأنهار والمروج ، فحببت هذه الأديرة إلى الناس لما فيها من المفاتن التي تجذبهم [7] . ومزج المسلمون بين اعياد

١- ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت : ٢٣٥هـ / ٨٤٩م) مصنف ابن أبي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشيد (الرياض ، ١٩٨٨م) ج٥ ، ص٢٥٥ ، رقم الحديث (٢٥٨٢٣).

٢- البخاري ، صحيح البخاري ، ج٢ ، ٨٥ ، رقم الحديث (١٣١٢) ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج٢ ، ص١٦١ ، رقم الحديث (٩٦١) .

٣- ابن زنجوية ، الأموال ، ج٣ ، ص١٢١١ .

٤- الصنعاني ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت : ٢١١هـ / ٨٢٦م) المصنف ، تحقيق : حبيب عبد الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي (بيروت ، ١٩٨٢م) ج١٠ ، ص٣٥٣ ، رقم الحديث (١٩٣٤٤) ؛ البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي (ت : ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) السنن الكبرى ، تحقيق : محمد بن عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠١م) ج٦ ، ص٤٥٩ ، رقم الحديث (١٢٦٥١) .

٥ - اليوزبكي ، أهل الذمّة ، ص٣٣٤ .

٦ - الشابشتي ، علي بن محمد (ت : ٣٨٨هـ / ٩٩٨م) الديارات ، تحقيق : كوركيس عواد (بغداد ،١٩٥١م) ص٦٠ .

٧ - الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٦٧٨ ؛ ترتون ، أهل الذمّة في الإسلام ، ص١٦٠ .

النصارى والمجوس [1] . وحرص أهل الذمّة على الاحتفال بأعيادهم القديمة فكان اليهود يحتفلون بعيد رأس السنة اليهودية ويسمونه " عيد رأس هيشا " وعيد صوماريا والمظال وعيد الفصح [2] .

واحتفل المجوس بالنيروز والمهرجان [3] ، وكانوا يقدمون لولاتهم المسلمين ، ما جرت عليه عادتهم زمن الدولة الفارسية بعض الهدايا في هذين العيدين [4] . ومما ومما لاشك فيه أن قبول تلك الهدايا فيه نوع من التقارب ، لذا فإن قبول النبي محمد ﷺ لهدايا الملوك حينذاك ، إنما يدل على رغبته وحرصه ﷺ بالعيش بحرية وسلام . وقد وصف ترتون حياة أهل الذمّة الاجتماعية فقال [5] : " وإنا لنسمع عن الحياة التي التي كان الأقباط يحيونها في بيوتهم من حيث الترف والإسراف وتقلبهم في هنية من العيش واتساع الأموال وكثرة النفقات حتى إن الواحد منهم يكون في ديوانه بأدنى اللباس ويأكل أدنى المأكل ويركب الحمار ، حتى إذا صار في بيته انتقل من حال إلى حال وخرج من عدم إلى وجود " . ولم يكن في المدن الإسلامية أحياء مخصصة لليهود والنصارى والمجوس والصابئة ، بحيث لا يتعدونها ولكن آثر أهل كل دين أن يعيشوا متقاربين مع بعضهم وبالقرب من المسلمين ، ولم تكن أحياء المسلمين معزولة عنهم ، وكانت الكنائس والأديرة منتشرة في كل احياء المدن الإسلامية ودفن موتى المسلمين وأهل الذمّة كل على حدة وفق الشعائر الدينية لكل دين [6] . وتجدر الإشارة إلى أن ترتون كان من أكثر المستشرقين إنصافا في الحديث عن طيبة الحياة الاجتماعية لأهل الذمّة في ظل التسامح الإسلامي والروايات التي تدعم هذا الرأي كثيرة في كتابه أهل الذمّة في الإسلام ونذكر منها على سبيل المثال [7] : " والروايات

---

[1] – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٨٢ .

[2] – الآلوسي ، بلوغ الإرب ، ج١ ، ص٣٩١ .

[3] – البيروني ، الآثار الباقية ، ص٢١٥ .

[4] – اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٩٤ .

[5] – أهل الذمّة في الإسلام ، ص١٥٨ .

[6] – الخربوطلي ، الإسلام وأهل الذمّة ، ص١٢٢ .

[7] – ص١٥٥-١٦٢ .

والروايات الواردة عن عمر بن الخطاب ﷺ ورأفته بالذميين كثيرة " ، " وكان العرب يلتزمون جادة الصبر والأناة ، إذ كثيرا ما نقرا عن مدن استسلمت بشروط ثم ثارت وتمردت ثم استسلمت مرة أخرى فأعاد لها العرب عهودها الأولى " ، " وكان بعض الولاة شديدي الحب للنصارى يظهرون لهم المودة البالغة " ، " كانت معاملة الذميين تنطوي على ما يشير إلى مساواتهم التامة بالمسلمين في كافة الحقوق " . ومن اغرب صور التسامح مع أهل الذمّة هو تسامح الخوارج معهم بأن اباحوا لهم الجهر بدينهم [1] ، فالمعروف عن الخوارج أنهم كانوا من المتشددين جدا في احكامهم مع المسلمين من ابناء جلدتهم ، وهذا ما ساعد أهل الذمّة الخوارج في حروبهم ضد الدولة الأموية . ورغم هذه الصور من التسامح إلا أن اليهود لم يتمسكوا بعهودهم مع الرسول ﷺ بل كانوا ينقضونها دائما ، فضلا عن تعرضهم للمسلمين وتدبير المكائد لهم، لذلك عزم الرسول ﷺ على إجلائهم من المدينة تباعا وذلك منذ السنة (٢هـ/٦٢٣م) [2].

١ - أبو يوسف ، الخراج ، ص٣٣ .
٢ - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٤٢٦ .

المبحث الأول

إسهامات أهل الذمّة في العمارة وبناء المدن

هناك روافد خارجية عديدة رفدت الحضارة الإسلامية في مجال العمران ، وقد أخذ المعمار المسلم من الحضارات السابقة آدابا وعلوما وفنونا معمارية لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية ومن أهم هذه الروافد :

- **الرافد العراقي الفارسي " العمارة الساسانية "** : فقد كان لها الأثر الكبير في العمارة الإسلامية في المشرق عامة والعراق خاصة ، وتجلى ذلك بعد انتقال مقر الخلافة الإسلامية إلى العراق على يد العباسيين ، إذ ازداد ظهور العنصر الفارسي سياسيا وثقافيا وفنيا ، وضعفت الروابط الشامية " الهيلينية " [1] المبكرة لتحل محلها تقاليد ساسانية بحتة ويبدو ذلك واضحا في بوابة مدينة الخليفة المنصور (١٣٦-١٥٨هـ / ٧٥٣-٧٧٤م) " بغداد " التي زينت بالمنحوتات الآجرية والتي ظهرت كذلك في قصر الجوسق الذي بناه الخليفة المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ / ٨٣٣-٨٤١م) في سامراء ، حيث الأشكال الآدمية ذات الطابع الشرقي فضلاً عن اشكال الطيور والحيوانات وحوريات البحر والراقصات وغلب عليها اللونين الأحمر والأزرق الزاهي وكانت متاثرة بالتصوير المانوي الايغوري – التركي الشرقي – وكانت سامراء مركزا هاما لهذه الأثار رغم قصر عمرها (٢٢٤ – ٢٧٢هـ / ٨٣٨- ٨٨٥م) [2] .

---

1 – الهيلينية : وهي فرض الثقافة واللغة اليونانية ونشرها في كافة الاراضي التي ملكها العنصر الاغريقي المتمثل في الحكام اليونانيين او المقدونيين او الهلينستيين ، وهو تعريب لمصطلح الماني لاتيني hellenismus صاغه المؤرخ الالماني يوهان كوستاف ليشير الى انتشار اللغة والثقافة والجمهرة اليونانية في اراضي الامبراطورية الفارسية بعد غزو الاسكندر الكبير. وكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، مادة هلينية . www.wikipedia.org . تمت زيارة الموقع بتاريخ ٢٠١٨/٨/٢٨م .

2 – ناجي ، عبد الجبار ، دراسات في المدن العربية الاسلامية ، طبع على نفقة جامعة البصرة (مطبعة الجامعة ، بلا . ت) ص٥٨ ؛ مور، لامونت ، العمارة ، ترجمة : محمد توفيق محمود ، تقديم : كمال الدين سامح ، دار المعارف (مصر ، ١٩٦٩م) ص٧ ؛ السراج ، احمد ، العمارة

الفصل الثاني

إسهامات أهل الذمّة في الجانب العمراني

المبحث الأول: إسهامهم في بناء المدن

المبحث الثاني: إسهامهم في بناء القناطر والجسور

المبحث الثالث: إسهامهم في هندسة مشاريع الإرواء والسدود

- **الرافد الشامي " الهيليني – الروماني "** فقد كان له الأثر الكبير في العمارة الإسلامية في الشام في مراحلها الأولى ، وقد كانت الشام عامرة بالمباني التي ترجع إلى الطراز الهيليني ، فنقل عنها المسلمون بعض اساليب العمارة والزخرفة ، ويتضح ذلك في قبة الصخرة من حيث الشكل والتصميم ، إذ يذكر أنه اسلوب معماري شاع وراج في فلسطين منذ القرن الأول الميلادي ، وقد عُدّت اوراق الأكانتس والعنب واشكال السلال التي تخرج منها فروع نباتية واشكال منحنية وشجرة الحياة اساس الزخرفة والزينة في العمارة الأموية في بلاد الشام [1] .
- **الرافد " القبطي "** وقد كان هذا الفن مزدهرا عندما فتح العرب وادي النيل ، والفن القبطي مقتبس من الفن النصراني المبكر ولمّا حل العرب في مصر ، وظلّوا فيها قرن أو اكثر من الزمان حريصين على الإشتغال بالأمور الحربية والدينية ، تركوا الصناعة والعمارة والتجارة وظلت الفنون والصناعات في ايدي أهل البلاد حتى تدرجت اساليبهم الصناعية شيئا فشيئا اصبحت فنّا اسلاميا إلى حِد كبير [2] .

وكانَ لفن النسيج والحفر في الخشب والعاج والتحف المعدنية أثر كبير في الفن الإسلامي ، وقد أسهم الفن القبطي بدور الوسيط والناقل من الفن الفرعوني ، فحمل نزعته الرمزية الهندسية التجريدية والتي نتجت من ادراكه لعلاقة النيل والأرض ، وكان لضيق مساحة الأرض على جانبي نهر النيل دور لتعلم المصري القديم للمساحة وفن الهندسة ولرتابة العلاقة الموسمية للنيل بمصر من فيضان وغيره دور في ايمان المصري بالخلود ، ومن ثم انشاء عمائر خالدة وفن زخرفي رمزي يقوم على البساطة والتجريد وقيم عالية من الإتزان والإبداع في الرسوم والنقوش الجدارية

الإسلامية خصائص وآثار ، تقديم : احمد عابد (غزة ، ٢٠١٥م) ص٢١ ؛ فرغلي ، أبو الحمد محمود ، التصوير الاسلامي (الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩١م) ص١٣٨ .

١ – ابو دية ، عدنان احمد ، تأثير المدرسة المعمارية المحلية على بناء قبة الصخرة ، بحث منشور في مجلة جامعة القدس المفتوحة ، العدد السادس والعشرين ، ٢٠١٢م ، ص١٦٧ ؛ فرغلي ، التصوير الاسلامي ، ص٣٢ ، ٣٤ .

٢ – سامح ، كمال الدين ، العمارة في صدر الإسلام ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر(القاهرة ، بلا . ت) ص٥ .

، ولم يعتمد فيها على معالجة الخطوط فقط ، وانما اعتمد على توزيع المساحات والقيم الضوئية سابقا بذلك جميع الحضارات ومرتقيا لمستوى فن تشكيلي بحيث يسيطر فيه وبه على كل خط وسطح [١].

وبعد الفتوحات الإسلامية وإنتشار الإسلام انتشارا واسعا في اقاليم عربية وغير عربية ، شهد المشرق الإسلامي حركة عمرانية كبيرة لم يشهد لها مثيل من قبل ، إذ مصّرت في وقت قصير من الزمن مدن إسلامية جديدة ، ونمت نموا سريعا ومميزا مدن أخرى كانت قائمة قبل الإسلام ، وقد بادر هؤلاء العرب المسلمون بمجرد اتمام الفتوح بتخطيط هذه الامصار وتشييد المساجد الجامعة وثكنات الجنود ودور الامارة ومساكن الاهالي ، كما حدث في البصرة والكوفة والفسطاط وغيرها [٢] . وكان من الطبيعي ان اصحاب الحرف والفنون من اهل البلاد الذين كان معظمهم من اصل عربي ، واعتنق الاسلام الكثير منهم ، كل اولئك قد دخلوا في مضمار الحياة التي اصبح يهيمن عليها العرب المسلمون وكان على هؤلاء الصناع والفنانين ان يلبوا مطالب الدين الاسلامي ، ويوفوا بحاجة المسلمين حسب تقاليد ومعتقدات ذلك الدين[٣].

ومن جهة اخرى فأن خضوع تلك الاقطار المختلفة لسيطرة حاكم عربي مسلم واحد كان سببا في امكان نقل الفنانين والصناع من قطر الى اخر ، اذ دعت الحاجة الى الاستعانة بعدد كبير منهم في بناء عمارة ضخمة او عدد من العمائر في وقت واحد ، واذا ما قصر عدد الفنانين المحليين عن القيام به [٤] ، فكان يشترك في العمل الواحد عدة مجموعات منهم من عدة بقاع عربية واسلامية ، ومن ثم فقد اخذت اساليب واذواق مختلفة تتلاقى وتمتزج ببعضها ، وقد حدث هذا التلاقي والتقارب في

---

١ – الالفي ، ابو صالح ، الفن الإسلامي ، دار المعارف ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٦٧م ، ص٣٩-٤٠ ؛ فرغلي ، التصوير الاسلامي ، ص٣٥ .

٢ – شافعي ، فريد ، العمارة العربية في مصر الاسلامية في عصر الولاة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م ، ص٨٧ .

٣ – شافعي ، العمارة العربية ، ص٨٧ .

٤ – شافعي ، العمارة العربية ، ص٨٧ .

الوقت الذي بدأت تتضح فيه معالم الفن العربي الاسلامي ويأخذ مكانه بين الفنون المعروفة انذاك ، ولكن مما يجدر الاشارة إليه إن هذا الفن الجديد الذي جاء مع بداية الدعوة الاسلامية ، لم يتأثر بالعمارة والفنون الاخرى التي كانت سائدة في المدن المفتوحة الا بما وافق طبيعة القيم العربية الاسلامية الجديدة ، فلم يأخذ الفن الاسلامي الا العناصر والوحدات المعمارية والزخرفية التي تصلح لأغراضه ، ولكنه مع ذلك لم يأخذها كما هي الا في احوال قليلة ، اما معظمها فأن الفنانين من المسلمين وأهل الذمّة كانوا يعالجونها اما بطريقة خاصة جعلت لها ملامح عربية اسلامية ، أو يدخلونها مع عناصر ووحدات أخرى ضمن تكوينات صيغت في قالب وذوق عربيين اسلاميين ، ثم اخذت جميع تلك العناصر والوحدات تتطور مع الوقت وتكتسب الطابع الاسلامي النقي الذي أخذ يبعدها عن المصادر الأصلية التي جاءت منها حتى ضاعت الصلة بينها ، ولاسيما بعد أن اندمجت مع العناصر والوحدات التي ابتكرها الفنانون العرب والمسلمون مع مرور الوقت [1] .

ومن الممكن ان نتتبع هذه التفاعلات بتحليل الآثار الباقية من العصر الأموي وقت كانت دمشق حاضرة الدولة العربية الاسلامية ، وتبدأ سلسلتها المعروفة بقبة الصخرة في القدس والجامع الأموي في دمشق ، وتأتي بعد ذلك مجموعة من العمائر المبكرة من القصور والحصون في شمال الشام وفي شرق الاردن وسوريا نذكر منها : قصير عمرة ، وحمام الصرخ ، وقصر هشام بخربة المفجر ، وقصر المشتى ، وقصر الطوبة ، وقصري الحير الشرقي والغربي ، ومسجد حرّان ، الى غير ذلك من الاثار المعمارية ، ويتضح في تلك الاثار مزيج من العناصر والوحدات المعمارية والزخرفية التي ادخلها الفن العربي الاسلامي في نسيج ثوبه الخارجي ، وانتقاها من مصدرين رئيسيين هما الطراز الساساني والطراز البيزنطي اللذين ولدا بدورهما من طرز سابقة كانت قائمة في المشرق ، فكأنهما مدينان أذن بكثير من كيانهما وتفاصيلهما لتلك الطرز السابقة [2] . وقد بقيت الملامح الأصلية لتلك العناصر

---

[1]- شافعي ، العمارة العربية ، ص٨٨ .

[2]- شافعي ، العمارة العربية ، ص٨٨ .

والوحدات والتفاصيل واضحة طوال العصر الأموي ، ومدة قرن من الزمان في العصر العباسي ، وبعد أن انتقلت حاضرة الدولة العربية الإسلامية العظمى من دمشق الى بغداد ، أخذت في التطور التدريجي البطيء منذ اوآخر القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي ، ثم انطلقت عجلة التطور في سرعة فجائية متزايدة تسببت في نقلها الى المرحلة العربية الإسلامية الخالصة في مدة نصف قرن أو اكثر بقليل ، وقد حدث ذلك منذ البدء في انشاء مدينة سامراء الى وقت هجرانها وعودة الخليفة العباسي الى بغداد مرة ثانية بصفة نهائية [١] . علاوة على إصلاح العرب لمسالح الفرس القديمة مثل الخريبة والزابوقة والرزق بالبصرة ، وسيلحون الواقعة على بعد ثلاثة فراسخ من بغداد ، وشحنوها بالمقاتلة ، ونشطت حركة البناء والعمارة في جميع مدن المشرق الإسلامي وغيره ، وبنيت حول المدن الأسوار والحصون ، وأقيمت بها المساجد والدور والقصور والحمامات وخزانات المياه والمستشفيات والمدارس [٢] .

ولم تكن لعرب الجزيرة العربية قبل الإسلام اساليب فنية واضحة إلا في اطرافها ، حيث قامت الممالك والإمارات التي اتصلت بالأمم الأجنبية وتأثرت بأساليبها الفنية تأثيرا كبيرا ، كما حدث في اليمن والحيرة وبلاد النبط ، فكان طبيعياً أن يكون نصيبُ العرب في قيام الفنون الإسلامية روحيا فقط ، وأن يصبح من العسير أن ينسب اليهم أي عنصر فنّي في العمائر والتحف في بداية العصر الإسلامي ، سواء اكان ذلك في الشكل أم في الزخرفة أم في الأساليب الصناعية [٣] .

أما نصيب العرب الفني فصعب تحديده ، ولكنه ظاهر في جمعهم شتى الأساليب الفنية القديمة ، وطبعها بطابع دينهم الجديد ، وإنشاء فن إسلامي يتميّز عن غيره من الفنون ، وقد ظهرت حكمة العرب وحسن استعدادهم في اقبالهم على

---

١ - شافعي ، العمارة العربية ، ص٨٩ .

٢- فكري ، احمد ، التأثيرات الفنية الاسلامية العربية على الفنون الاوربية ، سومر ، ١٩٦٧م ، ص٦٧ ؛ العميد ، طاهر مظفر ، الفنون المعمارية في العراق ، بحث منشور في كتاب العراق في موكب الحضارة الاصالة والتأثير (بغداد ، ١٩٨٨م) ج٤ ، ص١٩٢ .

٣ -حسن ، زكي محمد ، فنون الاسلام ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، ١٩٤٨م) ص٥ .

استخدام الفنيين في البلاد المفتوحة ، وارتاح الفنيون من أهل الذمّة إلى تسامح العرب واعترافهم بمهارتهم الفنية ، فنشأ الفن الإسلامي على أسس من الفنون النصرانية الشرقية في مصر والشام ، ومن الفنون الايرانية القديمة في بلاد الجزيرة وهضبة ايران [1] ، وفضلا عن هذا وذاك فأن سنّة الحضارة واحدة ، كل منها يأخذ من الفنون التي سبقته ، ولا يمنعه هذا من أن تكون له ذاتيته المستنبطة [2] .

ويقترن عصر الفتوحات العربية الإسلامية بأنشاء المدن والمراكز العمرانية الإسلامية ، وهذا امر طبيعي ، بعد أن اتسعت رقعة الدولة بفتوحات العراق وبلاد الشام ومصر وغيرها من الأمصار ، وبعد أن اتصل العرب المسلمون في هذه الأمصار المفتوحة ببيئات حضارية متطورة [3] ، اضطروا إلى إنشاء مراكز حضارية عربية إسلامية فيها لتعريبها ، ولمجاراة أهل البلاد المفتوحة في حياتهم المتحضرة ، وقد تجلى في هذه الحركة العمرانية ميل العرب إلى الفن الأصيل ، إذ احاطوا انفسهم بكل مظاهر الترف والأبهة والاستمتاع بالحياة ، فأقبلوا على الترف وحرصوا على التزيين ، واستخدموا ملكاتهم الفكرية الحية في خدمة الفن الإسلامي ، وعلى هذا الأساس تم تشكيل العناصر المعمارية الإسلامية الجديدة وابتكار التعبيرات الفنية في الدولة العربية الإسلامية [4] . وأولى هذه المدن التي انشأها العرب المسلمون بعد فتح العراق هي مدينة البصرة التي اختطها المسلمون على عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ (١٣-٢٣هـ / ٦٣٣-٦٤٣م) ومصرها عتبة بن غزوان ﷺ سنة (١٤هـ / ٦٣٦م) [5] ومدينة الكوفة التي اختطها سعد بن أبي وقاص ﷺ بأمر

---

[1] – حسن ، فنون الاسلام ، ص٦ .

[2] – حسن ، فنون الاسلام ، ص٦ .

[3] – ابن خلدون ، ج١ ، العبر ، ص٨٣٠ .

[4] – فكري ، احمد ، المدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها (الاسكندرية ، ١٩٦١م) ص٣١ ؛ سالم ، السيد عبد العزيز ، القيم الجمالية في فن العمارة الاسلامية (بيروت ، ١٩٦٣م) ص٥٦ .

[5] – ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي (ت : بعد ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) صورة الأرض ، دار صادر ، أفست ليدن (بيروت ، ١٩٣٨م) ص٢١٢ ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١١٧ ؛

الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ سنة (١٧هـ / ٦٣٨م) [١] ، ومدينة الفسطاط في مصر بعد أن وصلتها الفتوحات الإسلامية وأسسها عمرو بن العاص ﷺ سنة (٢١هـ / ٦٤٢م) بدلا من مدينة الإسكندرية العاصمة القديمة [٢] . وهكذا تميز عصر الفتوحات بأنشاء المدن الإسلامية ، ما عدا بلاد الشام ، فلم تنشأ فيه مدن إسلامية ، لأنها كانت تزخر بالدور التي هجرها اصحابها فرارا من جيوش العرب المسلمين ، فأستولوا عليها وصارت لهم ، واغنتهم عن بناء دور جديدة [٣] . ومع ذلك فقد اقيمت مدينةٌ إسلامية واحدة في بلاد الشام هي مدينة الرملة التي احدثها ومصرها الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ / ٧١٤-٧١٧م) وكان ذلك سنة (٩٨هـ / ٧١٦م) وكان أول ما بنى منها قصره والدار التي تعرف بدار الصباغين ، وجعل في الدار صهريجا متوسطا لها ثم اختط للمسجد خطة وبناه ، فولى الخلافة قبل استتمامه ثم بنى فيه بعد في خلافته ، ثم أتمه عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ / ٧١٧-٧١٩م) ونقص من الخطة ، وقال : أهل الرملة يكتفون بهذا المقدار الّذي اقتصرت بهم عليه ، ولما بنى سليمان لنفسه أذن للناس في البناء فبنوا ، واحتفر لأهل الرملة قناتهم التي تدعى بردة واحتفر آبارا ، وولى النفقة على بنائها بالرملة ومسجد الجماعة كاتبا له نصرانيا من أهل لد يقال له البطريق بن النكا ، وكان بنو أمية ينفقون على آبار الرملة وقناتها بعد سليمان بن عبد الملك فلما استخلف بنو العباس (١٣٢هـ/٧٤٩م) أنفقوا عليها ، وكان الأمر في تلك النفقة يخرج في كل سنة من خليفة بعد خليفة ، فلما استخلف المعتصم بالله سجل بتلك النفقة سجلا فانقطع الاستئمار وصارت جارية يحتسب بها العمال فيحسب لهم قالوا : وبفلسطين

سركيس ، يعقوب ، مقال عن البصرة ، مجلة سومر ، المجلد الرابع (بغداد ، ١٩٤٨م) ج١ ، ص٧٢ .

١- ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٢١٥ ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١١٦-١١٧ .

٢- سالم ، السيد عبد العزيز ، الفسطاط ، مقال بدائرة معارف الشعب ، كتاب الشعب رقم ٧٩ (القاهرة ، ١٩٦٠م) ص٤١، ٥٧ .

٣ - سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي (الاسكندرية ، ١٩٦١م) ص٣٩ .

فروز بسجلات من الخلفاء مفردة من خراج العامة ، وبها التخفيف والردود ، وذاك إن ضياعا هجرت في خلافة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ / ٧٨٦-٨٠٩م) وتركها أهلها فوجه أمير المؤمنين الرشيد هرثمة بن أعين لعمارتها ، فدعا قوما من مزارعيها وأكرتها إلى الرجوع إليها على أن يخفف عنهم من خراجهم ولين معاملتهم فرجعوا [١].

وقد عمد بناة المدن الإسلامية على أن يتوسطها المسجد الجامع ، كما راعوا أن تكون شوارعها الرئيسية مخططة بحيث تتلاقى في ساحة الجامع ، وعلى هذا النحو كان المسجد الجامع هو أساس العمران في المدن الإسلامية ، وحتى في المدن المفتوحة التي استولى عليها العرب المسلمون فطبعوها بطابعهم ، وذلك ببناء المساجد الجامعة ، حتى أصبح المسجد الجامع بمرور الزمن مركز المدينة وقلبها ، فمنه تتفرع الطرق الكبرى المؤدية إلى ابواب المدينة ، وحول ساحته تقام الأسواق والحمامات وغيرها من المرافق ، وفيه تعقد الإجتماعات السياسية وتوزع الوية الجيش وتدرس العلوم الدينية ، فليس غريبا إذاً أن يسيطر الجامع على الحياة الإجتماعية والسياسية والإقتصادية في المدينة ويصبغها بالصبغة الإسلامية ، وليس عجيباً أن تتحول هذه المدن التي فتحها العرب إلى مدن إسلامية لا تختلف عن المدن التي أنشأها العرب المسلمون ، إلا بكثرة ابنيتها القديمة الدالة على الحضارات السابقة للفتوحات الإسلامية كالجسور والقناطر والحمامات ودور الصناعة والأسوار[٢] ، وتتفق المدن الإسلامية جميعا في المشرق أو في المغرب ، سواء كانت مدنا مفتوحة أو أسست في عهد الإسلام في مظهرها العمراني العام ، ونعني به طريقة تخطيطها وتوزيع مراكزها العمرانية ، وضيق شوارعها وتعرجها كما تتفق في ابنيتها عامة بأستثناء تفاصيلها الزخرفية ، وما اضطرت إلى التماسه بتأثير المناخ أو الموقع أو طبيعة المكان وتتمثل هذه الظاهرة في العراق وبلاد الشام ومصر ويمكن تفسيرها بأن المسجد الجامع الذي لا يختلف كثيرا في نظام بنائه في

---

١ -البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص١٤٥ .

٢ - سالم ، السيد عبد العزيز ، تخطيط مدينة الاسكندرية وعمرانها في العصر الاسلامي ، دار المعارف (لبنان ، بلا . ت) ص١٤ .

سائر انحاء البلاد الإسلامية كان يعد أساسا للتنظيم العمراني للمدينة والمركز الديني الذي تلتف حوله بقية مراكزها العمرانية ، وكان تشييد المساجد الجامعة في الإسلام أساس العمران في المدن الإسلامية البحتة والمفتوحة التي يراد طبعها بطابع إسلامي ، فقد كانوا يبدأون ببناء الجامع قبل أي بناء آخر عند تأسيسهم المدن الإسلامية ، فعندما عزم سعد بن أبي وقاص ﷺ على تأسيس مدينة الكوفة بدأ بتأسيس المسجد الجامع وأقام فيما يلي جدار القبلة دارا للإمارة ملاصقة له ، واختطت كل قبيلة خطة حول الجامع وأقيمت الأسواق في ساحته ، وكذلك مدينة الفسطاط التي أسسها عمرو بن العاص فقد أقام مسجده الموسوم بأسمه وهو أول جامع أقيم في مصر فسمي بجامع الفتح أو تاج الجوامع ، واقام شرقي المسجد ملاسقا له دار كبيرة ، وتوزعت حول الجامع الخطط والدور [1] .

إقبال إهل الذمّة على الحضارة الإسلامية :

ترتبط الحضارة البشرية بالدين ، بل هي من خلقه ومن نتائجه ، وكان ظهور الاسلام ايذانا بظهور حضارة إسلامية عريقة ، اذ انتشرت مراكز الحضارة في العالم الإسلامي فكان هناك العراق وبلاد الشام ومصر وغيرها من الأمصار الإسلامية [2]، وكانت الحضارات زمن الفتح العربي الإسلامي متقاربة في مختلف المواطن ، فالحضارة الإغريقية غلبت الحضارة الرومانية ، وهذه أخذت الكثير من الحضارة الفارسية لإتصالهما السياسي والحربي كما أخذ الفرس عن اليونان من قبل[3] .

وكان الطريق ممهدا أمام امتزاج الحضارات ، ولما كان العرب المسلمون وقت الفتوحات ليس لهم دراية في شؤون الادارة ، فقد اعتمدوا على أهل الذمّة في الإدارة والكتابة والشؤون المالية مما أدى إلى احتكاك واتصال أهل الذمّة بالحضارة العربية الإسلامية[4] . واستبشر أهل الذمّة خيرا بالفتوحات الإسلامية وعاشوا جنبا الى جنب

---

١ – سالم، تخطيط مدينة الاسكندرية ، ص١٤ .

٢ – الخربوطلي ، الإسلام وأهل الذمّة ، ص١١٧ .

٣ – سالم، تخطيط مدينة الأسكندرية ، ص١٦ .

٤ – الخربوطلي ، الإسلام وأهل الذمّة ، ص١١٨ .

فروز بسجلات من الخلفاء مفردة من خراج العامة ، وبها التخفيف والردود ، وذاك إن ضياعا هجرت في خلافة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ / ٧٨٦-٨٠٩م) وتركها أهلها فوجه أمير المؤمنين الرشيد هرثمة بن أعين لعمارتها ، فدعا قوما من مزارعيها وأكرتها إلى الرجوع إليها على أن يخفف عنهم من خراجهم ولين معاملتهم فرجعوا [١].

وقد عمد بناة المدن الإسلامية على أن يتوسطها المسجد الجامع ، كما راعوا أن تكون شوارعها الرئيسية مخططة بحيث تتلاقى في ساحة الجامع ، وعلى هذا النحو كان المسجد الجامع هو أساس العمران في المدن الإسلامية ، وحتى في المدن المفتوحة التي استولى عليها العرب المسلمون فطبعوها بطابعهم ، وذلك ببناء المساجد الجامعة ، حتى أصبح المسجد الجامع بمرور الزمن مركز المدينة وقلبها ، فمنه تتفرع الطرق الكبرى المؤدية إلى ابواب المدينة ، وحول ساحته تقام الأسواق والحمامات وغيرها من المرافق ، وفيه تعقد الإجتماعات السياسية وتوزع الوية الجيش وتدرس العلوم الدينية ، فليس غريبا إذاً أن يسيطر الجامع على الحياة الإجتماعية والسياسية والإقتصادية في المدينة ويصبغها بالصبغة الإسلامية ، وليس عجيباً أن تتحول هذه المدن التي فتحها العرب إلى مدن إسلامية لا تختلف عن المدن التي انشأها العرب المسلمون ، إلا بكثرة ابنيتها القديمة الدالة على الحضارات السابقة للفتوحات الإسلامية كالجسور والقناطر والحمامات ودور الصناعة والأسوار[٢] ، وتتفق المدن الإسلامية جميعا في المشرق أو في المغرب ، سواء كانت مدنا مفتوحة أو أسست في عهد الإسلام في مظهرها العمراني العام ، ونعني به طريقة تخطيطها وتوزيع مراكزها العمرانية ، وضيق شوارعها وتعرجها كما تتفق في ابنيتها عامة بأستثناء تفاصيلها الزخرفية ، وما اضطرت إلى التماسه بتأثير المناخ أو الموقع أو طبيعة المكان وتتمثل هذه الظاهرة في العراق وبلاد الشام ومصر ويمكن تفسيرها بأن المسجد الجامع الذي لا يختلف كثيرا في نظام بنائه في

---

١ -البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص١٤٥ .

٢ - سالم ، السيد عبد العزيز ، تخطيط مدينة الاسكندرية وعمرانها في العصر الاسلامي ، دار المعارف (لبنان ، بلا . ت) ص١٤ .

سائر انحاء البلاد الإسلامية كان يعد أساسا للتنظيم العمراني للمدينة والمركز الديني الذي تلتف حوله بقية مراكزها العمرانية ، وكان تشييد المساجد الجامعة في الإسلام أساس العمران في المدن الإسلامية البحتة والمفتوحة التي يراد طبعها بطابع إسلامي ، فقد كانوا يبدأون ببناء الجامع قبل أي بناء آخر عند تأسيسهم المدن الإسلامية ، فعندما عزم سعد بن أبي وقاص ﷺ على تأسيس مدينة الكوفة بدأ بتأسيس المسجد الجامع وأقام فيما يلي جدار القبلة دارا للإمارة ملاصقة له ، واختطت كل قبيلة خطة حول الجامع وأقيمت الأسواق في ساحته ، وكذلك مدينة الفسطاط التي أسسها عمرو بن العاص فقد أقام مسجده الموسوم بأسمه وهو أول جامع أقيم في مصر فسمي بجامع الفتح أو تاج الجوامع ، واقام شرقي المسجد ملاسقا له دار كبيرة ، وتوزعت حول الجامع الخطط والدور [1] .

إقبال إهل الذمّة على الحضارة الإسلامية :

" ترتبط الحضارة البشرية بالدين ، بل هي من خلقه ومن نتائجه "، وكان ظهور الاسلام ايذانا بظهور حضارة إسلامية عريقة ، اذ انتشرت مراكز الحضارة في العالم الإسلامي فكان هناك العراق وبلاد الشام ومصر وغيرها من الأمصار الإسلامية [2]، وكانت الحضارات زمن الفتح العربي الإسلامي متقاربة في مختلف المواطن ، فالحضارة الإغريقية غلبت الحضارة الرومانية ، وهذه أخذت الكثير من الحضارة الفارسية لإتصالهما السياسي والحربي كما أخذ الفرس عن اليونان من قبل[3] .

وكان الطريق ممهدا أمام امتزاج الحضارات ، ولما كان العرب المسلمون وقت الفتوحات ليس لهم دراية في شؤون الادارة ، فقد اعتمدوا على أهل الذمّة في الإدارة والكتابة والشؤون المالية مما أدى إلى احتكاك واتصال أهل الذمّة بالحضارة العربية الإسلامية[4] . واستبشر أهل الذمّة خيرا بالفتوحات الإسلامية وعاشوا جنبا الى جنب

---

١ – سالم ، تخطيط مدينة الاسكندرية ، ص١٤ .

٢ – الخربوطلي ، الإسلام وأهل الذمّة ، ص١١٧ .

٣ – سالم، تخطيط مدينة الأسكندرية ، ص١٦ .

٤ – الخربوطلي ، الإسلام وأهل الذمّة ، ص١١٨ .

مع المسلمين في أمان واطمئنان ورغد عيش[1] ، فسمح لهم المسلمون بالإسهام في الحياة الإقتصادية والعمرانية والصناعية وغيرها من المجالات الأخرى ، فأشركهم الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ﷺ في تخطيط وبناء مدينة الكوفة ، وسمح لهم السكنى فيها بأمان[2]، وتميزت الفتوحات العربية بطابع خاص لا نجد مثله لدى الفاتحين من قبلهم ، فالبرابرة الذين استولوا على العالم الروماني والترك وغيرهم ، وإن استطاعوا أن يقيموا دولة عظيمة ، إلا إنهم لم يؤسسوا حضارة ، وكانت غاية جهودهم أن يستفيدوا بمشقة من حضارات الأمم التي قهروها ، على عكس العرب فقد انشأوا بسرعة حضارة جديدة كثيرة الإختلاف عن الحضارات التي ظهرت قبلها ، وتمكنوا من حمل العناصر المختلفة الموجودة في الأمصار على اعتناق دينهم وتعلم لغتهم فضلا عن حضارتهم الجديدة ، ولذلك ظل نفوذ العرب بها ثابتا [3] .

وكانت حضارة العرب بعد الفتوحات العربية الإسلامية حضارة عظيمة ويرجع ذلك الى عاملين :

اولهما : بيئة العرب الحديثة التي تتيح لهم فرصة التحضر والتمدن ، فشتان بين العراق وبلاد الشام ومصر وبين صحراء شبه الجزيرة العربية .

ثانيهما : ذكاء العرب وحضارتهم الإسلامية وثقافتهم الأولى فقد استطاعوا أن يتعاملوا مع الحضارات التي وجدوها في الأمصار المفتوحة في حين فشل غيرهم من الفاتحين ، كالبرابرة مثلا في استيعاب ما بقى من الحضارة اللاتينية [4] . وقد كان اختلاط العرب المسلمون وغيرهم ببعضهم سريعا ، ونشأت عن هذا الإختلاط حضارة جديدة هي الحضارة الإسلامية ، وبث فيها العرب روحا جديدة فازدهرت وأينعت ، والفّوا بين عناصرها بالعبقرية العربية والروح الإسلامي ، مما ادى إلى

---

[1] - الخربوطلي ، علي حسني ، تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي ، دار المعارف (مصر ، ١٩٥٩م) ص٢٦٦ .

[2] - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص١٨٩ ؛ اليوزبكي ، أهل الذمة ، ص١٠٠ .

[3] - لوبون ، حضارة العرب ، ص١٧١-١٧٢ .

[4] - لوبون ، حضارة العرب ، ص ١٧٢ .

اتحادها وتماسكها ، وقد سارت الممالك الإسلامية في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة أحسن سير ، فكانت أكثر مناطق العالم تحضراً ورقيا وتقدما وعمرانا [١] .

هندسة بناء المدن :

إن مفهوم الهندسة في العصور الإسلامية الأولى لم يكن معروفا بالعلم المتداول لدينا في الوقت الحاضر ، فكانت كلمة الهندسة تعني على الغالب علم العمارة والفلك والتنجيم [٢] . وإن الحاجة إلى علوم الهندسة كانت تتزامن وتتطور وظيفيا وزمانيا مع تقدم الحضارة العربية الإسلامية ، فالمهندس هو المعمار والمخطط للمدن والمسؤول عن تقسيم الأراضي وفرزها وتوزيعها حسب الشريعة الإسلامية [٣] . وكذلك هندسة الري وإن المهندس في بعض الأحيان يعني المنجم والفلكي اثناء تنفيذ تخطيط المدن إذ إن اغلب المؤرخين امثال اليعقوبي في كتابه البلدان والطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك والمسعودي في كتابه مروج الذهب كانوا على الغالب يعدّون هذه الإختصاصات من ضمن اختصاص المهندس ، ومن الجدير بالذكر إن اغلب الخلفاء والأمراء كانت في رحاب بلاطهم العديد من المهندسين والأطباء والشعراء ومن المقربين إليهم ، لهذا نلاحظ إن المعمار والمهندس هو الذي يخطط ويفسر افكار الخليفة من تخيلات وتطلعات فنية مستقبلية للدولة ، فهو اللولب الفعال والعملي الناطق بالإنشاء والتعمير والتخطيط للدولة والخليفة لتلك المدة وبالأخص في عملية تمصير المدن وتخطيط المجمعات الجديدة داخل المدن المفتوحة [٤] .

وبهذا نستنتج أن افكار المهندس هي التي تترجم عظمة وفكر الدولة العمراني ، لذلك فأن هندسة مشاريع الري وعمارة المدن هما من جوانب الفكر الهندسي للدولة . وإن أهل الذمّة شكلوا جزءا كبيرا من المساهمين في إقامة المشاريع العمرانية بفعل

---

١ – الخربوطلي ، الاسلام واهل الذمة ، ص١١٩ .

٢ – كتانة ، جنين عبد اللطيف ، هندسة الري وتخطيط المدن في العراق ، بحث منشور في كتاب العراق في موطن الحضارة الأصالة والتاثير (بغداد ، ١٩٨٨م) ج٤ ، ص٦٢ .

٣ – كتانة ، هندسة الري ، ج٤ ، ص٦٢ .

٤ – كتانة ، هندسة الري ، ج٤ ، ص٦٢ .

خبرتهم في مجال البناء [1] ، وإن الحاجة إلى تمصير المدن العربية الإسلامية الجديدة كان من الخصائص المهمة في عملية إظهار الدولة بالمظهر القوي والخصوصية الفذة التي تمتعت بها المدن الإسلامية ، وقد تطورت علوم هندسة التخطيط والري عند العرب وأثّرت تأثيرا مباشرا في عملية استقرارهم في المدن والأمصار التي خضعت لسلطة الإسلام [2] .

وإن مفهوم تخطيط المدن ومن الوجه التاريخي قد بدأ وترعرع في العراق ، وإن العديد من المصادر التاريخية تشير إلى إن مفهوم هندسة تخطيط المدن قد نشأ في العراق وقبل ظهور الإسلام ، وبالأخص في القرون الهجرية الأولى فإن العرب المسلمين الفاتحين والناشرين لدين الإسلام قد اوجدوا بناء المدن الجديدة ، ولكن برؤية إسلامية بحته معتمدين في ذلك على العمالة المحلية التي امتاز بها أهل تلك الأمصار وهم في الغالب من أهل الذمّة ، وإن الأنماط العامة للمدن العربية الإسلامية وتخطيطها هي بالحقيقة عبارة عن نتاج مادي وفلسفي لحضارة الأمة التي سكن وترعرع فيها الكثير من الشعوب والقوميات التي استقرت في فلسفة حضارة تلك المدن ، ولاشك أن مخططات المدن الإسلامية قد تنوعت في سعتها ونوعية ساكنيها وبيئتها وانماطها المعمارية ، ولكن هذا التنوع لا يعني الإختلاف وإنما الخصوصية البيئية لتلك المدينة [3] .

اختيار موقع المدينة الإسلامية :

كان الإسلام ومنذ البداية دين حضارة أو دين مدن [4] ، وغالبا ما يقتضي الدين الإسلامي نشاطات جماعية تؤدى في مراكز المدن ، ولهذا كان العامل الديني أحد

---

[1] – البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٣٣٩ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٤٨ ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١١٩ ؛ كتانة ، هندسة الري ، ج٤ ، ص٦٢ .

[2] – الموسوي ، مصطفى عباس ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ، دار الرشيد (بغداد ، ١٩٨٢م) ص١٥٧ ؛ كتانة ، هندسة الري ، ج٤ ، ص٦٢ .

[3] – الموسوي ، العوامل التاريخية ، ص١٥٨ ؛ كتانة ، هندسة الري ، ص٦٨ .

[4] – وهذا لا يعني ان انتشار الاسلام او تقبله او اعتناقه كان مقصورا على أهل المدن دون غيرهم ، ولكن المقصود هو أن الحضارة الاسلامية كانت دائما حضارة مدن . منيمنة ، سارة ، التكوين

الدوافع الأساسية لنشأة الكثير من المدن وتحديد تركيبها الداخلي [١] . وقد روعيت الشروط الصحية والبيئية وغيرها في اختيار المدن الإسلامية في صدر الإسلام [٢] . يقول البلاذري [٣] : " إن عمر بن الخطاب ﷺ كتب إلى سعد بن أبي وقاص ﷺيأمره أن يتخذ للمسلمين دار هجرة ..... فأتى الأنبار وأراد أن يتخذها منزلا فكثر على الناس الذباب " . مما جعله يفكر بتغيير المكان لعدم ملائمته لجنده ، فأختار المدائن بعد أن فتحها ، إلا إن جنده " اصابهم البعوض فكتب سعد ﷺ إلى عمر بن الخطّاب ﷺ يعلمه أن الناس قد بُعضوا وتأذوا " [٤] . فضلا عن إنهم " استوخموها واستوبؤها " [٥] . فكان ذلك سببا في أن يغير مكانه ، واختار الكوفة لأنها " ارض انحدرت عن الغلات وارتفعت عن المباق " [٦] ، كما إن إختيار مدينة واسط جاء بفعل ما تمتاز به من " خفوف الريح وأنف البرية " [٧] . وكان لأهل الذمّة من أهل العراق دور كبير في اختيار مواقع المدن الإسلامية ، فعند اختيار الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور لمدينة بغداد " سأل عن شتائها وصيفها والأمطار والبق والهواء"[٨] . فدعا صاحب الدير واحضر البطريق صاحب رحا البطريق [٩]

الوظيفي للمدينة الاسلامية ، بحث منشور في مجلة الفكر العربي (بيروت ، ١٩٨٢م) العدد التاسع والعشرون ، ص١٣٤ .

١ – الموسوي ، العوامل التاريخية ، ص١٥٧ .

٢ – الموسوي ، العوامل التاريخية ، ص١٥٧ ؛ كاطع ، مؤيد عيدان ، الخدمات الصحية في العراق خلال العصر العباسي ١٣٢هـ – ٦٥٦هـ / ٧٤٩م – ١٢٥٨م ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الموصل ، ١٩٨٥م) ص٢١ .

٣ – فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٣٣٨ ؛ العميد ، طاهر مظفر ، العمارة العباسية في سامراء (بغداد ، ١٩٧٦م) ص٧٠ .

٤ – البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٣٣٨ .

٥ – البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٣٤٠ .

٦ – البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ، ص٣٣٩ .

٧ – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٤٨ .

٨ – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١١٩ .

٩ – وهي منطقة ببغداد على الصراة ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٦١ .

بعض الدراسات الأثارية على إن الأساليب الفسيفسائية بجامع دمشق " الجامع الأموي " تعكس بوضوح التأثير البيزنطي ، وقد اكتشف العالم جب نصا يثبت أن المواد والحرفيين قد أُحضروا من بيزنطة إلى كل من دمشق والمدينة المنورة ، وهذا ما لايدع مجال للشك في صدق ما اورده المؤرخون المسلمون وميل الأمويين لإتخاذ التقاليد الفنية البيزنطية [١] ، وكذلك وجدت التأثيرات الساسانية والرومانية على قصر الطوبة الذي يقع على بعد ستين ميلا جنوب شرقي عمان ، وينسب للخليفة الأموي الوليد بن يزيد [٢] ، وكذلك تشكل لنا الزخارف التي تزين جدران قصر الخليفة هشام بن عبد الملك " خربة المفجّر " رسما هندسيا جميلا يبدو أنه مستوحى من الفن البابلي القديم الذي كان مستخدما في بلاد الشام قبل الاسلام [٣] .

وبانتقال الخلافة من بلاد الشام إلى العراق ظهرت الملامح الفنية العراقية ، وهو استخدام اللبن والآجر " الطوب " بدلا من الحجارة حيث يوجد طاق كسرى في طيسفون [٤] ، وكذلك استخدام الدعامات المبنية بالآجر من مربعة أو مستطيلة أو صليبية الشكل بدلا من الأعمدة الحجرية ، واستخدام العقود المدببة التي سمحت بزيادة ارتفاع السقف وظهور الإيوان نقلا عن طاق كسرى أيضا [٥] ، وفي الزخارف فإن أهم عملية إحياء للعمارة تتلخص في استخدام كسوة الجص ولوحاته المأخوذة عن الخشب المنقوش نقشا خفيفا أو المحفور حفرا عميقا مائلا أو مصبوباً في اشكال توريقية وتوشيحية مختلفة ، مما يعطيها رقة وجمال [٦] .

---

١ –فرغلي ، التصوير الاسلامي ، ص٥١-٥٢ .

٢ – سامح ، العمارة في صدر الاسلام ، ص٥٠ .

٣ –هادي ، تاريخ الفن العربي الاسلامي ، ص٨١ .

٤ – الالفي ، الفن الاسلامي ، ص١٥٧ ؛ عبد الحميد ، سعد زغلول ، العمارة والفنون في دولة الاسلام (منشأة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٨٦م) ص٦٦ .

٥ – عبد الحميد ، العمارة والفنون في دولة الاسلام ، ص٦٧ .

٦ – الالفي ، الفن الاسلامي ، ص١٥٨ ؛ عبد الحميد ، العمارة والفنون ، ص٦٦ ؛ السراج ، العمارة الاسلامية ، ص١٠٧ .

وقد اختلفت عمارة القصور الأموية عن العباسية ، وذلك إن الأمويين كانوا مايزالون قريبين من صدر الأسلام ومن البداوة وتحكمهم فكرة المساواة بين الأفراد وبين الحاكم والمحكوم ، أما العباسيون فقد أتسعت قاعات العرش في قصورهم وكانت في الغالب مغطاة بقبّة مسبوقة بأيوان للزوار العاديين [١] ، وبلغ هذا الطراز أوج عظمته في مدينة سامراء [٢] .

كما يجدر بنا الإشارة إلى أن الأمراء المسلمين كانوا ينقلون الفنيين من بعض انحاء العالم الإسلامي إلى بعض اقاليمه الأخرى ، وكان التجار ينقلون الأثار الفنية بين ارجاء الدولة الإسلامية وكان لهذا كله اكبر الأثر في التقريب بين الطرز الفنية المختلفة ، ويشهد مؤرخوا الفنون الإسلامية بأن ابسط هذه الطرز واقلها تعقيدا واعظمها اتزانا وارفعها ذوقا وابعدها عن الإفراط هي الطرز التي ازدهرت في بلاد الشام ومصر [٣] .

وقد تاثر العباسيون عند بناء منازلهم بالأساليب الفارسية خاصة ، فلا غرابة لتلك الميول إذ نجد أن العباسيين اسندوا اليهم مناصب الدولة واقتبسوا عنهم نظام الحكم ، واقتدوا بهم في مظاهر البلاط وفي الاحتفال والاعياد والمراسيم وغير ذلك[٤] . كما أخذ العباسيون عن الفرس العمل على تخفيف حرارة الشمس صيفا

---

١ – السراج ، العمارة الاسلامية ، ص١٠٧ .

٢ – حسن ، فنون الاسلام ، ص١٢ .

٣ – حسن ، فنون الاسلام ، ص٢٠ .

٤ –حسن ، ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط١٠ (القاهرة ، ١٩٨٣م) ج٢ ، ص٤١٩–٤٢٠ ؛ الفهيد ، ثريا بنت سعود بن عبد العزيز ، الاثار السياسية والحضارية لامراء البيت العباسي في العراق خلال العصر العباسي الاول (١٣٢ –٢٣٢هـ / ٧٥٠ – ٨٤٧م) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القصيم (المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٢م) ص١٩٧ .

فكانوا يغطون بيوتهم بطبقة من الطين تجدد في كل موسم ، يقضي فيه أهل المنزل وقت الظهيرة ويرصف حول البيت كميات كبيرة من القصب لهذا الغرض [١] .

وكانت قصور الخلفاء والأمراء على أهمية كبرى تدار وتباشر من قبل متصرفين من كتّاب واطبّاء وعمّال وخدم وكان بعضهم من أهل الذمّة ، فقد جعل الخليفة المتوكل دليل بن يعقوب النصراني سنة (٢٤٥هـ / ٨٥٩م) قيّما على قصره اللؤلؤة وصيّر اليه نفقته وجعله مسؤولا على دخله وخرجه [٢] . والحسين بن عمر النصراني الذي علت مكانته عند الخليفة العباسي المكتفي (٢٨٩- ٢٩٥هـ / ٩٠١- ٩٠٧م) وكاد أن يصير وزيرا حيث كان المتصرف في شؤون الخليفة لتقلده كاتب الضياع والحريم والنفقات [٣] . وقد كان للمنجمين من أهل الذمّة دور كبير في اختيار الوقت الذي وضع فيه الخليفة المنصور اساس مدينة بغداد ، فقد وضع اساسها في مكان اختاره له منجميه سهل بن نوبخت وابن اثري اليهودي (ت : ٢٢٠هـ /٨٣٥م) [٤] ، قال ابو سهل بن نوبخت : "أمرني المنصور لمّا أراد بناء مدينة بغداد بأخذ الطالع ففعلت ، فإذا الطالع في الشمس وهي في القوس ، فخبرته بما تدل النجوم عليه من طول بقائها وكثرة عمارتها وفقر الناس الى مافيها ، ثم قلت : واخبرك خلّة اخرى اسرك بها يا أمير المؤمنين قال : وما هي ؟ قلت : نجد في أدلّة النجوم أنه لايموت فيها خليفة أبدا حتف أنفه ، فتبسم وقال : الحمد لله على ذلك ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [٥] "[٦] .

---

١ - علي ، امير ، مختصر تاريخ العرب ، ترجمة : عفيف البعلبكي ، دار العلم للملايين، ط٢ (بيروت ،١٩٦٧م) ص٣٧٨ ؛ الدخيل ، سليمان ، الفوز بالمراد من تاريخ بغداد ، تعليق : محمد عزب ، دار الافاق العربية (بلا . م ، ٢٠٠٣م) ص٨٣ .

٢ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٢٨ .

٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٦٤٥ .

٤ - الملقب بماشاء الله المنجم اليهودي البغدادي كان ماهرا في صناعة التنجيم زمن المنصور وله مصنفات عدة . حاجي خليفة ، ج٦ ، ص٤٨٦ ؛ ابن النديم ، الفهرست ، ص٥٥١ .

٥ - سورة الجمعة ، الآية : ٤ .

٦ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص٢٤١ .

ويُعد الخليفة المنصور أول خليفة عباسي قرّب المنجمين إلى بلاط الخلافة وعمل بأحكام النجوم [١] . ويذكر أن مائة الف عامل شاركوا في بناء مدينة بغداد بأشراف خمسة مهندسين [٢] . ووضعت خارطة المدينة بمعرفة سهل بن نوبخت الفلكي الفارسي وماشاء الله اليهودي [٣] . وروى الطبري أنه عند تأسيس مدينة بغداد على يد الخليفة المنصور جمع لها العمال من سوريا وبلاد فارس والموصل والكوفة وواسط والبصرة [٤] . ويدل تعدد اساليب الزخرفة في المدن الإسلامية على كثرة الإتجاهات الفنية التي سادت في العصور الإسلامية الأولى [٥] .

وفي هذا دلالة واضحة على استقدام الخلفاء للمهرة والصنّاع من شتى الأمصار . عندما شرع الخليفة المنصور ببناء بغداد كتب إلى البلدان المختلفة لترسل له حذّاق الفنانين فوصله منها مائة الف من اصحاب المهن والصناعات [٦] .

وكانت اعداد كبيرة منهم من فناني مصر [٧] ، ولا شك إنه اتيح لهم بتلك المشاركة في إنشاء مدينة بغداد اكتساب خبرات فنية عديدة من جرّاء احتكاكهم بطوائف الفنانين الذين وفدوا من سائر البقاع للمساهمة في هذا العمل ، ومن الطبيعي أن تنعكس تلك الخبرات التي اكتسبوها على منتجاتهم الفنية في مصر أثر عودة من عاد منهم إلى موطنه الأصلي . كما شهدت مصر في العصر العباسي وفود اعداد من مسيحيي (نصارى) العراق الذين وفدوا اليها من مدينة تكريت " عاصمة السريان " وكونوا بها مقاطعة مهمة وناجحة بين عامي (٢١٥-٢٤٦هـ / ٨٣٠-٨٦٠م) واعطوا

---

١ – ابن العبري ، مختصر تاريخ الدول ، ص١٣٦ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٣٦٤ .

٢ – سامح ، العمارة في صدر الاسلام ، ص٥٣ .

٣ – ارنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ص٥٦٨

٤– ديماند ، الفنون الاسلامية ، ص٢٤ .

٥–ديماند ، الفنون الاسلامية ، ص٩٤ .

٦ – ياسين ، الفنون الزخرفية الاسلامية في مصر ، ص٨٣ .

٧ –العلي ، صالح احمد ، بغداد تأسيسها ونموها (بغداد ، ١٩٨٣م) ص٣٧٥ ، ٣٧٩ .

اسمهم الى كنيسة بالفسطاط وامتلكوا بوادي النطرون ديرا قبطيا قاموا بإصلاحه واطلق عليه دير السريان [1] .

أما في مدينة سامراء التي بناها المعتصم فهناك صلة حضارية بين العراق ومصر نقلت التاثيرات الفنية بين الدولتين إذ أمر الخليفة المعتصم بإحضار الفعلة والصنّاع وأهل المهن من سائر الأقطار للمساهمة في تشييد هذه المدينة [2] ، فحمل إليه من مصر من يعمل القراطيس ، ومن البصرة من يصنع الزجاج والخزف والحصير ، وحمل من الكوفة من يعمل الأدهان ومن سائر البلدان من أهل كل مهنة وصناعة فأنزلوا بعيالهم بهذه المواضع وأقطعوا فيها وجعل هناك أسواقا لأهل المهن بالمدينة [3] ، وتؤكد الشواهد الأثرية التي عثر عليها في هذه المدينة تعدد جنسيات الصنّاع الذين شاركوا في تشييدها إذ عثر على توقيعات لهم باللغات العربية والآرامية " السورية " والإغريقية [4] ، كما يظهر بإحدى دعامات جامع سامراء مايشير إلى إسلوب معماري بيزنطي ، وهو ما يؤكد صحة الروايات التي تفيد بأن البنائين ومواد بناء هذه الدعامات قد استقدموا من انطاكيا واللاذقية[5] .

---

[1] – ياسين ، الفنون الزخرفية الاسلامية ، ص٨٣ .

[2] –المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص٤٧٦ ؛ الباشا ، حسن ، دراسات في الحضارة الاسلامية ، ص٢١٦ ؛ مرزوق ، محمد عبد العزيز ، العراق مهد الفن الاسلامي ، مديرية الثقافة العامة (بلا . م ، ١٩٧١م) ص٢١ ؛ الجار ، خالد ، لمحات عن الفن العراقي (بغداد ، بلا . ت) ص٤٢ ؛ ياسين ، الفنون الزخرفية الاسلامية ، ص٨٣ .

[3] –اليعقوبي ، البلدان ، ص٦٥ ؛ مرزوق ، العراق مهد الفن الاسلامي ، ص٢١ .

[4] – ياسين ، الفنون الزخرفية الاسلامية ، ص٨٣ .

[5] –اسس المعتصم جامع سامراء الاول في عام (٢٢١هـ / ٨٣٦م) وبقي هذا الجامع الى ايام الخليفة المتوكل ، وبسبب صغره امر الخليفة المتوكل سنة (٢٣٢هـ / ٨٤٩م) بانشاء جامع ضخم في موضع واسع عوضا عن المسجد الاول ، وقد فرغ من بنائه في عام (٢٣٧هـ / ٨٥٢م) . اليعقوبي ، البلدان ، ج١ ، ص٦٦ ؛ العميد ، طاهر مظفر ، عمارة سامراء العباسية في عهد المتوكل ، بحث منشور في مجلة سومر ، المجلد الثاني والثلاثين (العراق ، ١٩٧٢م) ص١٩٣.

أما بالنسبة لمشاركة مصر وفنانيها في إنشاء مدينة سامراء ، فإن الأدلة الأثرية في هذه المدينة تؤكد على التواجد المصري بها ، إذ عثر بها على جزء مرمري عليه زخارف قبطية ، استدل منه على إن هذا الجزء قبطيا مستوردا [١] ، كما عثر بمحراب جامع سامراء على زخارف نباتية " هو اصلا زخرف قبطي " وهو مايشير إلى وجود علاقة بين زخارف سامراء والزخرفة القبطية في مصر [٢] ، وقد كشفت الحفائر الأثرية في مدينة سامراء عن كميات كبيرة من زجاج الألف زهرة ، وهو مشابه لما كان يصنع من هذا النوع في الإسكندرية في العصر الروماني ، واستمرت صناعته بعد الإسلام في نفس المدينة ، ومن المرجح إنّ ما عثر عليه من هذا الزجاج في سامراء كان من صناعة فنانين مصريين رحلوا إلى العراق واستخدموا هذا الأسلوب بها [٣] ، ونشروا تلك الصناعة التي اقبل عليها أهل العراق واصبحت رائجة عندهم ، أو ربما نقل عن طريق صنّاع من العراق وفدوا إلى الإسكندرية ، فتعلموا بها تلك الصناعة ونقلوها إلى العراق [٤] .

وإذا كانت تلك الصلة بين العراق ومصر قد اسهمت بوجود تأثيرات فنية مصرية في سامراء ، فمن الطبيعي أيضا أن يكون لها صداها على الفن المصري ، وربما لم يقف هذا التأثير عند حد نقل تأثيرات فنية من العراق فحسب ، بل من الجائز أن تقوم سامراء بدور غير مباشر في نقل بعض ما وصلها من تأثيرات فنية إلى مصر ، وذلك عن طريق الصنّاع المصريين الذين اسهموا باعمالهم في هذه المدينة ، فاتيح لهم هناك إكتساب خبرات فنية جديدة بإحتكاكهم بالصنّاع والفنانين الذين جلبهم الخليفة المعتصم من امصار اخرى مختلفة لبناء عاصمته ، أو عن طريق وسائل الإتصالات الحضارية الأخرى [٥].

---

١ – هرتسفيلد ، تنقيبات سامراء ، ج١ ، ص٤٧ .

٢ –هرتسفيلد ، تنقيبات سامراء ، ج١ ، ص٥٠ ، ٥٩ .

٣ –عبد الخالق ، هناء ، الزجاج الاسلامي في مخازن ومتاحف الاثار في العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الدائرة العلمية للتاريخ والاثار (بغداد ، ١٩٦٩م) ص٤٠-٤١ .

٤ – مرزوق ، العراق مهد الفن الاسلامي ، ص٢٤؛ ياسين ، الفنون الزخرفية الاسلامية ، ص٨٦.

٥ – ياسين ، الفنون الزخرفية الاسلامية ، ص٨٣ .

ومما يؤكد أهمية مدينة سامراء بالنسبة لمصر والعالم الإسلامي اجمع ، إنه كوّن بهذه المدينة طرازا فنيا جديدا ، شكّل وحدات فنية انتشرت في كل البلاد الإسلامية ، وطبع الفن الإسلامي في كل البلاد الإسلامية بطابع فني جديد نشأ فيها وتطور بها وذاع منها ، ومعه تخلص الفن الإسلامي من المقومات الفنية القديمة ذات التأثيرات الهلينستية والساسانية ، وأصبح الفن الإسلامي منذ تأسيس هذه المدينة فنا إسلاميا دوليا له شخصيته المميزة في مجال الفنون الزخرفية (١) .

وعلى الرغم من إن نقل الخلافة من دمشق إلى بغداد كان ايذانا بإزدياد نفوذ التأثيرات الفارسية في الفن الإسلامي على حساب المؤثرات البيزنطية ، فأن التأثير البيزنطي كان متواجدا منذ بداية العصر العباسي ، بدليل مشاركة فنانين ومهندسين وبنائين من الروم في تشييد مدينة بغداد (٢) ، أما بالنسبة للفنون في سامراء فعلى الرغم من سيادة التأثير الساساني في رسومها الجدارية إلا إن ذلك لا ينفي وجود تأثير بيزنطي فيها ، وقد دلل ذلك ما ذكره ياقوت الحموي (٣) عن قصر المختار في سامراء من أنه " كان فيه صور عجيبة من جملتها صورة بيعة فيها رهبان " . وربما يؤيد وجود التأثيرات البيزنطية في هذه المدينة ما عثر عليه في اطلالها من إمضاءات إغريقية ، مما يرجح معه أن يكون بعض الفنانين الذين رسموا هذه الصور من النقاشين الإغريق (٤) ، وهو أمر ليس بغريب إذ كان من الشائع استخدام فنانين للمشاركة في مثل هذه الأعمال من مناطق مختلفة ومنها الإمبراطورية البيزنطية (٥) ، وعلى أية حال يبدو إنه كان هناك تواصل فني بين العراق والدولة البيزنطية ، بدليل أنه عثر على قطع معمارية بيزنطية في الإكروبول بمدينة اثينا متأثرة بطراز سامراء على الجص (٦) .

---

١ – ياسين ، الفنون الزخرفية الاسلامية ، ص٨٤ .

٢ – مرزوق ، العراق مهد الفن الاسلامي ، ص٢٧ .

٣ – معجم البلدان ، ج٥ ، ص٧٠ .

٤ –حسن ، الفن الاسلامي ، ص٣٣ .

٥ – ياسين ، الفنون الزخرفية الاسلامية ، ص٨٦ .

٦ –ياسين ، الفنون الزخرفية الاسلامية ، ج١ ، ص١١٢ . .

ولم تكن العمارة المدنية في العصور الإسلامية الأولى اقل نصيبا من مشاركة أهل الذمّة في انشائاتها وخصوصا الأقباط فتلك الصناعات في ذلك الوقت كانت مرتبطة بمصر [1] ، وكان جل اعتماد العرب في هذا العصر عليهم [2] ، فقد اعتمد المسلمون عليهم في اقامة مبانيهم المختلفة من القصور والدور والحمامات والأسواق[3] ، ونظرا لمهارتهم الكبيرة في صناعة البناء وفن العمارة فلا شك أنهم قاموا بدور كبير في هذا الميدان في مصر الإسلامية فضلا عن مساهمتهم الإنشائية الضخمة في بقية الأمصار [4] ، وانشائهم الجسور في مصر [5] ، كذلك كان مشهورا مشهورا عنهم بناء مقاييس النيل [6] ، وقد ساهموا بقسط وافر في بناء وتعمير مدينة حلوان للوالي الأموي عبد العزيز بن مروان الذي كان يعطف عليهم كثيرا بل كان يقرب اليه كبارهم ومقدميهم [7] ، وكذلك امرهم عبد العزيز بن مروان ببناء الدار

---

١ -البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٢٧ .

٢ -كاشف ، عبد العزيز بن مروان ، ص١٧٣ ؛ حسني ، نادية ، سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه أهل الذمّة ، مكتبة الملك فهد الوطنية (الرياض ، ١٩٨٤م) ص١١٦ . ويعلق احد الاساتذة على ذلك ان العرب الفاتحين كانوا جنودا فلم ينصرفوا الى الصناعة ومشاركة القبط في هذا الميدان ، انما اكتفوا بشؤون السايسة والحكم والحرب يضاف الى ذلك ان القبط كانوا هم سكان البلاد الاصليين فهم اعلم الناس بما يوجد فيها من مواد خام تقوم عليها الصناعات المختلفة ، كما انهم كانوا اكثر دراية وخبرة في الفنون المختلفة التي اشتهرت بها بلادهم وعليه فقد اشتهروا بالصناعات المختلفة . ينظر : حسن ، علي حسن ، اهل الذمة في مصر الاسلامية ، ص٤٥ . وكذلك يعلل بتلر : أنه قد خلت اعمال كثيرة اذ تفرق عمالها من الروم الذين لم يرضوا بان يكونوا رعايا للمسلمين ، فجعل العرب مكانهم عمالا من القبط ، فما مر غير زمن قليل حتى كاد عمال الدولة ان يكونوا جميعهم من المسيحيين الذميين . الفرد ، فتح العرب لمصر ، ترجمة : محمد فريد ابو حديد بك ، مكتبة مدبولي ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٩٦م) ص٣٩١ .

٣ – كاشف ، مصر في عصر الولاة ، ص١٥٢ ؛ عامر ، تاريخ أهل الذمّة ، ج١ ، ص ١٠٨ .

٤ – عامر ، تاريخ أهل الذمّة ، ج١ ، ص١٠٨ .

٥ – عامر ، تاريخ أهل الذمّة ، ج١ ، ص٧٣ .

٦ – رمضان ، هويدا ، المجتمع في مصر الاسلامية ، ج١ ، ص١٥٤ .

٧ – عامر ، تاريخ أهل الذمّة ، ج١ ، ص١٠٨ ؛ كاشف ، عبد العزيز بن مروان ، ص١٨٧ .

المذهبة سنة (٦٧هـ / ٦٨٦م) غربي المسجد الجامع والتي كانت تدعى المدينة [١] . ولم يكن اعتماده عليهم في تلك العمارة المدنية شيئا جديدا ، وذلك لأن الخليفة الأموي مروان بن الحكم (٦٤-٦٥ه / ٦٨٤-٦٨٥م) كان قد زار مصر شهرين فأمر ببناء دار له عرفت بالدار البيضاء ، ليسكنها قائلا إنه لا ينبغي للخليفة أن يكون ببلد ليس له فيها دار [٢] . يقول بتلر [٣] : " ان الذين اختطوا مدينة الفسطاط وبنوها كانوا من القبط ، اذ لم يكن عند ذلك في العرب من له علم بذلك الفن ولا دراية " . لكن إغلب المؤرخين المحدثين لا يتفقون مع راي بتلر بل ياخذون بآراء المؤرخين العرب القدامى التي تعهد بتخطيط المدينة لأربعة اشخاص من العرب ، فكانوا هم الذين انزلو الناس وفصلوا بين القبائل وذلك في سنة (٢١هـ / ٦٤٢م) [٤] .

ومن الطبيعي أن تشيد الفسطاط على الطراز العربي لأن معظم جيش عمرو بن العاص الذين فتحوا مصر كانوا من القبائل اليمنية العربية .

الأسواق :

السوق هو احدى المراكز الأساسية للحياة العامة إلى جانب الجامع ودار الإمارة في المدن الإسلامية ، وهو مركز اقتصادي وتجاري [٥] ، تلتقي فيه القوافل التجارية ، كما انه مركزا للنشاط الإجتماعي من الطراز الأول [٦] ، وغالبا ما كانت المساجد تقع في وسط السوق أو بدايته أو نهايته ، فمثلا كانت جوامع البصرة الثلاث

---

١ – كاشف ، عبد العزيز بن مروان ، ص١٧٥ .

٢ – كاشف ، عبد العزيز بن مروان ، ص١٧٤ .

٣ – فتح العرب لمصر ، ص٣٦١ ؛ الشيال ، جمال الدين ، تاريخ مصر الاسلامية ، دار المعارف (بلا . م ، بلا . ت) ج١ ، ص٣٨ .

٤ – للمزيد ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٣ ، ص٣٠٧ ؛ الشيال ، تاريخ مصر الاسلامية ، ج١ ، ص٣٧ .

٥ – الدوري ، عبد العزيز ، نشوء الاصناف والحرف في لاسلام ، بحث منشور في مجلة كلية الاداب (بغداد ، ١٩٥٩م) العدد الاول ، ص١٣٤-١٣٥ .

٦ – عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية ، بحث منشور في مجلة عالم الفكر (الكويت ، ١٩٨٠م) مج١١ ، العدد الاول ، ص٨٩ .

في وسط السوق [١] ، وكانت الأسواق في البصرة منظمة إلى درجة أن اصحاب المهنة الواحدة – وغالبا ما كانوا من أهل الذمّة – كانوا يجتمعون في محل واحد مكونين سوقا فرعية خاصة ، داخل السوق الرئيسي ، كسوق " السقاطين " [٢] وسوق " البزازين " [٣] .

وعند تمصير الكوفة حددت مساحة من الأرض لم يجز للناس البناء فيها ، وشملت فيما بعد دار الإمارة والمسجد والسوق ، وقد وضع لكل حرفة سوق خاص بها [٤] ، وقد وصلت اسواق واسط إلى مستوى عالي من الترتيب والنظام جعلها ذات ذات تنظيم خاص ، فقد اورد بحشل [٥] وصفا لسوقها جاء فيه أن الحجاج : " أنزل اصحاب الطعام والبزازين والصيارفة والعطارين عن يمين السوق إلى درب الخرازين ، وأنزل الخرازين والروزجاريين [٦] والصنّاع من درب الخرازين ، وعن وعن يسار السوق إلى دجلة ، واقطع لأهل كل تجارة قطعة لايخالطهم غيرهم ، وامر أن يكون مع أهل كل قطعة صيرفي " .

ولما بنيت بغداد ظهر التخصص اكثر وضوحاً[٧] . فكان لها اسواق رئيسية وأخرى فرعية " فلكل تجارة وتجارها شوارع معلومة وصفوف في تلك الشوارع وحوانيت وليس يختلط قوم بقوم ولا تجارة بتجارة ولا يباع صنف مع غير صنفه

---

١ – المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١١٧ .

٢ – السقاطون هم : بائعوا البقول والفواكه المجففة ، العلي ، صالح احمد ، التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الاول الهجري ، دار الطليعة ، ط٢ (بيروت ، ١٩٦٩م) ص٢٦٧ .

٣ – العلي ، التنظيمات الاجتماعية ، ص٢٦٧ .

٤ – الدوري ، نشوء الاصناف والحرف ، ص١٣٥ .

٥ – الواسطي ، اسلم بن سهل الرزاز ، تاريخ واسط ، تحقيق : كوركيس عواد (بغداد ، ١٩٦٧م) ص٤٤ .

٦ – الروزجاريين : هم عمال الطين الذين يعملون بالمجرفة ونحوها . النووي ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت : ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) بستان العارفين ، دار الريان للتراث (بلا . م ، بلا . ت) ص٩٠.

٧ – الشيخلي ، صباح ابراهيم ، الاصناف في العصر العباسي نشأتها وتطورها (بغداد ، ١٩٧٦م) ص٧٤.

ولا يختلط اصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم ، وكل سوق مفردة ، وكل أهل حرفة وصنعة منفردون بتجارتهم ومنعزلون عن غير طبقتهم " [١] .

وقد بلغت العناية بالأسواق درجة أن تكون مرتفعة ومتسعة وأن يكون في جانبها افريزان يكون طريقا للناس يمشون عليه وقت الشتاء ، تخلصا من الأطيان والأوحال ، إذا لم يكن السوق مبلطا [٢] ، كذلك نجد أن الخليفة المعتصم جعل قطائع الجنُد بعيدة عن الأسواق وعن محلات أصحاب المهن [٣] ، ومن الأسواق المهمة في في سامراء ، أسواق الشارع الأعظم فيها مواضع الرطابين [٤] والمقصود بالرطابين بالرطابين بائعو الرطب وهو ماترعاه الدواب [٥] ، وسوق الرقيق في مربعة فيها طرق متشعبة حيث يوجد فيها الحجر والغرف والحوانيت [٦] . ويوجد في هذا الشارع السوق الأعظم ، ولا تختلط به المنازل ، وكل تجارة منفردة ، وكل أهل مهنة لا يختلطون بغيرهم ، وكذلك يوجد فيه أسواق أصحاب البياعات الدنية ، مثل أصحاب الفقاع والهرائس والشراب [٧] . وأسواق شوارع الحير حيث جعل الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٧-٨٦١م) في كل صف حوانيت بها أصناف التجارات والصناعات والبياعات ، وعرض كل صف مئة ذراع لئلا يضيق عليه الدخول إلى المسجد [٨] .

---

١ - اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٤٦ .

٢ - اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٤٧ .

٣ - الحسين ، قصي ، من معالم الحضارة العربية الإسلامية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (بيروت ، ١٩٩٣م) ص٢٣ .

٤ -اليعقوبي ، البلدان ، ص٦١ .

٥ -المطرزي ، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم ، المغرب في ترتيب المعرب ، دار الكتاب العربي (بلا . م ، بلا . ت) ج١ ، ص١٩٠ .

٦ - اليعقوبي ، البلدان ، ص٦١.

٧ - اليعقوبي ، البلدان ، ص ٦١ .

٨ - اليعقوبي ، البلدان ، ص٦٦ .

المبحث الثاني

إسهامات أهل الذمّة في هندسة مشاريع الإرواء والسدود

الري لغة : الري اسم بالكسر (1) ، وفعلها روى من الماء واللبن كرضى ، ريا وريا وروى وتروى وارتوى ، أي شرب وشبع كله بمعنى واحد (2) . ويقال رويت على أهلي : أي أتيتهم بالماء (3) ، ويقال رويت القوم أرويهم ، إذا أسقيت لهم ، أي جلبت لهم الماء (4) ، ويقال أيضا ورويت على البعير ريا : أسقيت عليه : أي جلبت عليه الماء (5) . إذ إن روى فعل لأسم ري وصفة الري : ريان ضد عطشان ، ويقال للرجل للرجل ريان ، وللمرأة ريا ، وللقوم رواء ، أي كثيروا الماء (6) ، ويقال للماء العذب ، ، وانشد ابن بري (7) في ذلك وقال(8) :

---

1 – الجوهري ، الصحاح ، ج١ ، ص٥٢٣ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٤ ، ص٣٤٥ ؛ الزاوي ، طاهر احمد ، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير ، مطبعة عيسى البابي الحلبي (القاهرة ، ١٩٧٢م) ج٢ ، ص٤١٨ .

2 – ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٤ ، ص٣٤٥ ؛ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج٤ ، ص٣٣٧.

3 – الجوهري ، الصحاح ، ج١ ، ص٥٢٣ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٤ ، ص٣٤٧ .

4 – ابن دريد ، جمهرة اللغة ، ج١ ، ص١٧٦ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٤ ، ص٣٤٦.

5 – الصاحب بن عباد ، إسماعيل (ت : ٣٨٥هـ / ٩٩٥م) المحيط في اللغة ، تحقيق : محمد آل ياسين ، عالم الكتب (بيروت ، بلا . ت) ج١ ، ص٣٠١ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٤ ، ص٣٤٧ .

6 – ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٤ ، ص٣٤٥ .

7 – أبو محمد عبد الله المقدسي ، النحوي ، الشافعي ، ولد سنة (٤٧٩هـ / ١٠٨٦م) كان عالما بكتاب سيبويه وعلله ، ومن علماء العربية النابهين واليه كان التصفح في ديوان الإنشاء ، لا يصدر كتاب إلى الملوك إلا بعد تصفحه ، وكان ثقة ودينا مات سنة (٥٨٢هـ / ١١٨٦م) ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٥ ، ص٣٥٢ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٤ ، ص٧٣ .

8 – ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٤ ، ص٣٤٦ .

من يك ذا شك ، فهذا فلج   ماء رواء وطريق نهج

ويقال للرجل الذي تكون صنعته إسقاء القوم ، رجل رواء ، فيقال : جاء رواء القوم ، أي ساقيهم الماء [١] ، ويقال للوعاء الذي يحمل فيه الماء راويه [٢] ، وأخيرا تسمى شربة الماء حتى تروي منها رية [٣] .

الري اصطلاحا : مصطلح يطلق مجازا على جميع طرائق شرب الماء ، بما فيها الإنسان والحيوان والأرض والنبات [٤] . ولكن خص استخدام هذا المصطلح في ري الأراضي الزراعية ، أو يطلق عادة على جميع المشاريع التي تقع ضمن إطار سقي الأراضي الزراعية ، ومنها حفر الأنهار ، والآبار ، واستخراج العيون ، وكذلك يشمل إقامة السدود ، والقناطر ، والنواظم وحتى كري الأنهار [٥] . وقد ورد ذكر الماء في مواطن كثيرة من القران الكريم كما في قوله ﷻ: ﴿ ...وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٦]. وقوله ﷻ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾ [٧]، وفي هذه الآيات وغيرها اشارة إلى أهمية الماء لديمومة الحياة ، وقد تناولت الأحاديث النبوية الشريفة هذه الأهمية إذ قال ﷺ [٨] : " من منع فضل الماء ليمنع به فضل الكلأ

---

١ – ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٤ ، ص٣٤٦ .

٢ – ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٤ ، ص٣٤٦ .

٣ – ابن دريد ، جمهرة اللغة ، ج١ ، ص١٧٧ ؛ العيثاوي ، يحيى محمد علي ، مشاريع الري في العراق خلال عهدي الراشدين والأمويين ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد ، ٢٠٠١م) ص١٢.

٤ – ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٤ ، ص٣٤٥ ، ٣٥٠ .

٥ – العيثاوي ، مشاريع الري ، ص١٣ .

٦ – سورة الأنبياء ، من الآية : ٣٠ .

٧ – سورة الفرقان ، الآية : ٤٨-٤٩ .

٨ – أبو يوسف ، الخراج ، ص٩٦ ؛ أبو عبيد ، الأموال ، ص٣٧٤ ؛ الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت : ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) سنن الترمذي ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة ، ١٩٧٦م) ج٣ ، ص٥٦٣ ؛ المنذري ، زكي

منعه الله فضله يوم القيامة " . وقد حث الرسول الكريم محمد ﷺ على إنشاء وإقامة مصادر الري العديدة كشق الأنهار والترع واستخراج الماء من باطن الأرض بحفر الآبار ، ووعد الفاعلين بالخير الكثير كما في قوله ﷺ عن عثمان بن عفان ﷺ أنه قال [1] : " من حفر بئر رومة [2] له الجنة ، فحفرتها " . وعلى وفق قوله ﷻ : ﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴾[3] . فقد وضع الرسول ﷺ حقوقا لأصحاب مصادر الزي وحدد منهجا خاصا بين فيه من أحق بالسقي ، وكمية الماء المسقى به [4] . وقد اهتم العرب المسلمون بالري اهتماما كبيرا وذلك لأن الزراعة مورد الدولة الاقتصادي الاول وهي مهنتهم الرئيسية ، والتي يشتغل فيها عدد كبير من الناس ولاسيما في البلاد المفتوحة [5] . لذلك حرص الخلفاء والولاة على إقامة المشاريع الاروائية وإدامة القديم منها ، فحفروا العديد منها وبشكل كبير فشقوا الأنهار واستخرجوا العيون وجازوا كل من يعثر على ينابيع جديدة [6] ، وكذلك عملوا الخزانات والسدود ، لخزن المياه وتجميعها للاستفادة منها في وقت الشحة [7] . كل ذلك الحرص جاء من أجل توسيع الزراعة التي هي أساس الحياة ومن اجل دفع

الدين عبد العظيم بن عبد القوي (ت : ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) مختصر صحيح مسلم ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، دار إحياء التراث الإسلامي (الكويت ، بلا . ت) ج٢ ، ص١٨ ؛ العسقلاني ، فتح الباري ، ج٥ ، ص٤٠ .

١ – البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص١٥ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٥ ، ص٥٨٤ .

٢ – رومة : ارض بالمدينة المنورة بين الجرف وزغابة نزلها المشركون عام الخندق وفيها بئر رومة ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٠٤ .

٣ – سورة القمر ، الآية : ٢٨ .

٤ – أبو يوسف ، الخراج ، ص١٠٢ ؛ أبو عبيد الأموال ، ص٣٧٠ .

٥ – الكروي ، إبراهيم سليمان ، وشرف الدين ، عبد التواب ، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية ، مطبعة ذات السلاسل (الكويت ، ١٩٨٧م) ص١٣٧ .

٦ – كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ، ص٢٢٩ .

٧ – الكروي وشرف الدين ، المراجع في الحضارة العربية ، ص١٣٨ .

المسلمين لذلك ، فقد وضع الرسول ﷺ أساسا شرعيا له فقال [١] : " من أحيا أرضا ميتة فهي له " . أي أن شرط امتلاك الأرض التي ليست لأحد والتي هي من الموات أي جعلها صالحة للزراعة والإنتاج . وان أصل الإحياء إنما هو بالماء ، وذلك يتم بشق الأنهار أو حفر الآبار واستخراج العيون إن كانت الأرض يبسا لا يصلها الماء [٢] . أما إذا كانت الأرض مغمورة بالمياه فهذا يتطلب جهدا أخر وهو إقامة المسناة [٣] لحبس الماء عنها [٤] . وقد حث الشرع الإسلامي المسلمين على إقامة مشاريع الري ، فأعطى لمن يقوم بإنشاء مشروع ري كحفر بئر أو استخراج عين ، مساحة من الأرض يطلق عليها الحريم [٥] . يحق لصاحبها أن يحدث فيها ما يشاء من زرع وبناء وبناء وغير ذلك ، ولا يحق لأحد أن ينازعه عليها[٦] . وربما جاء هذا للتشجيع على استصلاح وإحياء مساحات واسعة من الأراضي الزراعية . وفيما يخص كري الأنهار ، فان كانت من الأنهار العظام التي تأخذ من دجلة والفرات تكون نفقة الكري على

---

١ – المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الحنبلي (ت : ٥٦٧هـ /١١٧١مـ) الأحاديث المختارة ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة (مكة المكرمة ، ١٤١٠هـ) ج٣ ، ص٢٩٨ ؛ الشافعي ، الأم ، ج٤ ، ص٤١ .

٢ – ابن آدم ، الخراج ، ص٩٠ ؛ أبو عبيد ، الأموال ، ص٣٦٩ ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٢١٠ .

٣ – هو السد الذي يقام بوجه الماء لاعتراض مجراه بوضع الأحجار الكبيرة ، أبو يوسف ، الخراج ، ص١١٠ ؛ الرحبي ، عبد العزيز بن محمد الحنفي البغدادي (ت : ٧٧٠هـ / ١١٨٤م) فقه الملوك ومفتاح الرتاج ، تحقيق : أحمد عبيد الكبيسي ، مطبعة الإرشاد (بغداد ، ١٩٧٥م) ج٢ ، ص٢٦.

٤ – الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٧١ ؛ السمرقندي ، علاء الدين (ت : ٥٣٩هـ / ١١٤٤م) تحفة الفقهاء ، تحقيق : محمد زكي عبد البر ، مطبعة جامعة دمشق (دمشق ، ١٩٥٩م) ج٣ ، ص٥٥٣ .

٥ – الحريم : مساحة معينة من الأرض محيطة للمصدر المائي كالبئر ، والعين تكون من حق صاحب المصدر المائي ولا يحق للآخرين أن يعملوا أو يحدثوا فيها شيئا وان حدث ذلك يحق لصاحب الحريم أن يمنعهم ، أبو يوسف ، الخراج ، ص١٠١ .

٦ – أبو يوسف ، الخراج ، ص١٠١ .

بيت المال وليس على المزارعين شيء ، وكذلك الحال في إصلاح التشققات أو البثوق[1] التي تحدث في هذه الأنهار ، وإصلاح السدود ، والقناطر ، فأن نفقة ذلك تكون على بيت المال أيضا [2] . أما نفقة كري الأنهار الصغيرة التي يشقها المزارعون إلى أراضيهم ومزارعهم ، فتكون على نفقتهم الخاصة وليس على بيت المال من ذلك شيء [3] . فقد أورد أبو يوسف في كتابه الخراج رأيين لطريقة كري هذه الأنهار وقال[4] : " فأنهم يجتمعون جميعا فيكرونه من أعلاه إلى أسفله ، فكلما جازوا ارض رجل رفع عنه الكرى ، وكرى بقيتهم كذلك حتى ينتهي إلى أسفله " . وقال في الرأي الثاني [5] : " يكرى النهر من أعلاه إلى أسفله فإذا فرغ من ذلك حسب أجر جميع حفر ذلك النهر على جميع ما يشرب منه من الأرض فلزم كل إنسان من أهله بقدر ماله " . أما ما يخص تحصين الأنهار بإصلاح التشققات التي تحصل على ضفتيه ، فإذا كانت هذه التشققات والبثوق تسبب ضررا عاما ، يشترك الجميع بإصلاحه وتحصينه ، ويجبر من امتنع على ذلك ، ولكن إذا كانت التشققات تسبب الضرر العام فبذلك يكون كل شخص مسؤول عن إصلاح نصيبه من النهر [6] . وإذا كانت هناك أراضي تحتاج إلى شق انهار جديدة يقوم ولي الأمر بإرسال أهل الخبرة والأمانة في هذا المجال ، فأن أكدوا حاجة هذه الأراضي إلى شق قنوات مياه لإيصاله إليها وإن في ذلك ما يوفر فائدة كبيرة على الناس ، ومن ثم زيادة في الإنتاج الزراعي الذي يصب في النهاية بصالح الدولة ، أمر بحفرها وأن تكون النفقة على بيت المال [7] . وقد كان لرأي الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بترك تقسيم ارض السواد بين الفاتحين وابقائها بيد

---

١ - البثوق : وهو ما يخرقه الماء في جانب النهر ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٠ ، ص١٣.

٢ - أبو يوسف ، الخراج ، ص١١٠ ؛ السمرقندي ، تحفة الفقهاء ، ج٣ ، ص٥٤٦ .

٣ - أبو يوسف ، الخراج ، ص١١٠ ؛ الرحبي ، الرتاج ، ج٢ ، ص٢٦ .

٤ - ص٩٥ .

٥ - أبو يوسف ، الخراج ، ص٩٤-٩٥ .

٦ - أبو يوسف ، الخراج ، ص٩٥ .

٧ - أبو يوسف ، الخراج ، ص١٠٩-١١٠ ؛ الرحبي ، الرتاج ، ج٢ ، ص٢٤ .

أهلها واخذ الخراج منهم بعد أن دخل المجوس في ذمّة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الدور الكبير الذي سيمكن الدولة من القيام بواجباتها في إدارة تلك الأراضي ، والعناية بمشاريع الري ، ولاسيما الكبيرة منها ، إذ لا يستطيع الأفراد انجازها لوحدهم [1] . وقد أمر الخليفة عمر بن الخطاب بمسح أرض السواد [2] . إذ إنه بموجب هذا المسح تمت عمليه التعرف على طبيعة الأراضي وما تحتاج إليه من إصلاح وإقامة المسنيات وشق الأنهار وحفر الآبار الجديدة للأراضي التي لا تصل إليها المياه ، ومعرفة ما يمكن إصلاحه من المشاريع ككري الأنهار وإصلاح القنوات وغيرها . وبذلك فقد بعث الخليفة عمر بن الخطاب من لهم دراية وخبرة في هذا المجال لكي يضع الأراضي مواضعها ويحدد أنواعها[3] . فقال : " فمن له جزالة عقل يضع الأرض مواضعها " [4] . فبعث عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان ، فمسحا أرض السواد فبلغت ستة وثلاثين ألف ألف جريب [5] [6] .

وقد جرى بعد عملية المسح هذه حفر نهر الأُبلّة [7] في البصرة بأمر الخليفة عمر

---

[1] – السامرائي ، عبد الجبار محسن عباس ، إحياء الأراضي واستصلاحها في شبه الجزيرة العربية والعراق حتى نهاية العصر العباسي ، اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ٢٠٠٠م) ص١٠٩ ؛ العيثاوي ، مشاريع الري ، ص٤٥ .

[2] – أبو يوسف ، الخراج ، ص٢٦ .

[3] – الكبيسي ، حمدان عبد المجيد ، الخراج أحكامه ومقاديره ، دار الحكمة للطباعة والنشر (بغداد ، ١٩٩١م) ص١٤٢ .

[4] – أبو يوسف ، الخراج ، ص٢٦ .

[5] – الجريب : وحدة القياس المعمول بها لقياس الأراضي الزراعية وتحديد الأملاك ، الخوارزمي ، مفتاح العلوم ، ص٤٤ ، والجريب يساوي ١٥٩٢م^{2} ، هانتز ، فالتر ، المكاييل والأوزان الإسلامية (عمان ، ١٩٧٠م) ص٩٦ .

[6] – أبو يوسف ، الخراج ، ص٣٦ ؛ أبو عبيد ، الأموال ، ص٨٨ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٢٩ ؛ ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٣٣.

[7] – سمي بنهر الأُبلّة نسبة إلى بلدة الأُبلّة القديمة التي تقع على شاطئ دجلة العظمى . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٧٧ .

بن الخطاب ﷺ [١] ، ويبدو إنه ابهض النفقة عليه لعلمه بأهميته الكبيرة عليه والفائدة التي تدر منه [٢] . ثم أمر بحفر نهر معقل [٣] . ولم يقف الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عند حد إنشاء مشاريع الري بل حدد على عاتقه صيانة هذه المشاريع سواء أكانت ذات نفع خاص أو عام ، فقد أورد أبو يوسف [٤] قوله " وعلى الإمام كري هذا النهر الأعظم الذي لعامة المسلمين إن احتاج إلى كري " . ومن أولى مشاريع الري المقامة على نهر الفرات خلال العصرين الراشدي والأموي ، نهر سعد بن عمرو بن حرام ، حيث أورد البلاذري [٥] رواية مفادها : " إن دهاقنة الأنبار طلبوا من سعد بن أبي وقاص ﷺ أن يحفر نهرا لهم وكانوا قبل ذلك قد سألوا كسرى حفره لكنه عجز عن ذلك ، فوافق سعد بن أبي وقاص ﷺ على طلبهم ، فكتب بذلك إلى سعد بن عمرو بن حرام يأمره بحفره لهم ، عندئذ جمع ابن حرام الرجال وبدأوا بالحفر حتى وصلوا إلى جبل منعهم من الاستمرار في الحفر " . ولكن تم إكمال هذا النهر وحفره في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي الذي أصر على إكماله على الرغم من صعوبة المهمة إذ قال : " انظروا إلى قيمة ما يأكل الرجل من الحفارين في اليوم ، فأن كان وزنه مثل وزن ما يقلع لا تمنعوا من الحفر ، فأنفقوا عليه حتى استتموه ، فنسب ذلك الجبل إلى

---

١ - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٣٧ ؛ ابن الفقيه ، أبو بكر احمد بن محمد الهمذاني (ت : ٢٩٠هـ / ٩٠٢م) مختصر كتاب البلدان ، بريل (ليدن ، ١٨٨٤م) ص١٩٠ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣١٦ .

٢ - العلي ، التنظيمات الاجتماعية ، ص١٧١ .

٣ - نهر بالبصرة منسوب إلى الصحابي الجليل معقل بن يسار المازني ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٣٩ ؛ ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٣ ، ص١٤٦ .

٤ - الخراج ، ص٩٧ .

٥ - فتوح البلدان ، ص٣٣٦ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٢١ .

الحجاج ، ونسب إلى سعد بن عمرو بن حرام "[1] . ولهذا النهر أهمية كبيرة أدت إلى إحياء الأراضي المحيطة به وانتعاش الزراعة هناك [2] .

ومنذ أن فتح الله ﷻ على المسلمين العراق وبلاد الشام ومصر كانت اهداف الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ تنشيط الزراعة في البلاد المفتوحة ، حتى تجني البلاد الإسلامية من جميع الخيرات ، فعلى سبيل المثال خصص ثلث إيرادات مصر المالية لعمل الجسور والترع وإصلاح طرق الري ، كما كان يشترط على أهل الذمّة إصلاحها أيضا [3] .

وقد اعتنى الخلفاء والولاة الأمويون في الأقاليم بإصلاح وسائل الري ، وإقامة السدود والقناطر وتطهير الترع وردم المستنقعات وحفر النهيرات والجداول والعناية بالطرق [4] . وكان يصرف من بيت المال في عهدهم مبالغ حسنة لتحسين هذه الوسائل ، كما كان بيت المال مسؤولا عن حفر الترع للزراعة وغيرها من المصالح [5] .

وكانت هناك العديد من مشاريع الإرواء التي انجزت في العراق في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ، ويعود الفضل في ذلك إلى الوالي عبد الله بن عامر بن كريز فقد كان دوره بارزا في إقامة مشاريع الري المختلفة ومنها حفر الأنهار [6] .

روى اليعقوبي [7] : " إن عبد الله بن عامر حفر الأنهار وشيد الدور ، وبنى القصور ، واتخذ الضياع والأموال والأجنة بالبصرة " . واهتم أيضا ببناء الصهاريج[8]

---

[1] – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٣٦ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٢١ .

[2] – عرفة ، ثريا حافظ ، الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الاموي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة (المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة ، ١٩٨٩م) ص١٦٧ .

[3] – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٧٨ ؛ عرفة ، الحياة الاقتصادية ، ص١٦٧ .

[4] – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٤٩ .

[5] – ابو النصر ، عمر ، الحضارة الاموية العربية في دمشق (بيروت ، ١٩٤٨م) ص٢٤٨ .

[6] – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٤٠-٤٤١-٤٤٢ .

[7] – أحمد بن إسحاق بن جعفر (ت : بعد ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق : وليم ملورد ، دار الكتاب الجديد (بيروت ، ١٩٦٢م) ص١٦-١٧ .

الصهاريج[1] لخزن المياه [2] ، وكذلك فقد شجع الخليفة علي ﷺ على حفر الآبار ، وكان يأمر بالحفاظ على حقوق اصحاب مصادر الري [3] ، فقد نشطت الزراعة قرب الكوفة على اثر قيام تلك المشاريع مختلفة ، فزرعت بساتين النخيل والحنطة والشعير والفاكهة وغيرها من المزروعات [4] .

وهكذا بذل الخلفاء الراشدون وولاتهم جهودا كبيرة في استصلاح الأراضي الزراعية وذلك بإقامة مشاريع الري العديدة ، مستخدمين بذلك الآلاف من المهندسين والعمال للإشراف عليها وحفرها وكريها ، ولاشك أنهم استخدموا أهل الذمّة من البلاد المفتوحة للمساهمة معهم كونهم هم أهل البلاد الأصليين ولهم دراية وخبرة كاملة بأرضهم ومصادر المياه التي استثمروها في الزراعة .

أما في العصر الأموي (٤١هـ - ١٣٢هـ / ٦٦٢م - ٧٥٠م) فقد أولى الخلفاء الأمويون اهتماما بالغاً بمشاريع الري ، وانفقوا عليها الأموال الكثيرة ، فاستصلحت بموجبها الكثير من الأراضي الزراعية ، وحفرت الكثير من الأنهار والآبار ، ونصبوا الوسائل الإروائية المنظمة لري الأراضي الواسعة [5] . إذ تشير الكثير من النصوص التاريخية إنه تم حفر العديد من الأنهار في خلافة معاوية بن أبي سفيان كنهر دبيس [6] ونهر مرة [7] ونهر البنات [1]

---

١ - وهي حياض يجمع فيها الماء ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، ص٣١٢ .

٢ - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٥٥ .

٣ - ابن ابي الحديد ، عبد الحميد هبة الله بن محمد (ت : ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) شرح نهج البلاغة ، تحقيق : لجنة احياء الذخائر ، دار مكتبة الحياة (بيروت ، ١٩٨٣م) ج٤ ، ص٥٧٤ .

٤ - العيثاوي ، مشاريع الري ، ص٥٥ .

٥ - العيثاوي ، مشاريع الري ، ص٥٧ .

٦ - نهر دبيس وهو بالبصرة ينسب الى رجل يقال له دبيس مولى زياد بن ابي سفيان كان يقصر الثياب ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٤٠ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٢٠ .

٧ - نهر مرة بالبصرة ينسب الى مرة بن أبي عثمان مولى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٤٣ .

ونهر إنسان [٢] ونهر شيطان [٣] ونهر سلم [٤] ونهر أبي شداد [٥] ، وتجديد نهر شيلي في الأنبار [٦] ، ونهر حسان النبطي صاحب خراج العراق في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه [٧] .

أما في خلافة عبد الملك بن مروان فقد أمر بحفر العديد من الأنهار وأولاها اهتماما كبيرا ، فحفر نهر الصين [٨] والنيل [٩] والزابي [١٠] ونهر بشار [١١] ، وأمر بحفر الآبار في المناطق قليلة المياه [١٢] .

واهتم الأمويون كثيرا بطرق الري الزراعية ، سواء كان القديم منها أو الحديث ، وفي ذلك يقول عبد القادر عياش [١٣] : " إن الأمويين اعتنوا بالري في وادي الفرات في سوريا ، واخرجوا من الفرات الجداول والترع العديدة التي روى التاريخ الإسلامي أسمائها وأوصافها ، وذكرها بعض الشعراء " .

---

١ – ينسب الى بنات زياد بن أبي سفيان ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٤٧ .

٢ – ينسب الى انس بن مالك في قطيعة من زياد ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٤٣ .

٣ – يقع في البصرة منسوب الى مولى زياد . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٢١ .

٤ – ينسب إلى سلم بن زياد ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٤٢ .

٥ – ينسب إلى أبي شداد مولى زياد ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٤٩ .

٦ – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٢١ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٥١ .

٧ – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٤٨–٤٤٩ .

٨ – الصين بليدة أسفل واسط ينسب إليها جماعة من أهل العلم . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤٤٤ .

٩ – سمي بذلك نسبة الى نيل مصر ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٥٥ .

١٠ – سمي بذلك لأخذه من الزاب القديم ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٥٥ .

١١ – وينسب الى بشار بن مسلم بن عمرو الباهلي ، اخو قتيبة بن مسلم ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٤٣ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣١٨ .

١٢ – الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت : ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) عيون الأخبار ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٧م) ج١ ، ص١٤٤ .

١٣ –مشاركة مدن الفرات في سورية ، بحث منشور في المؤتمر الدولي الاول لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الاردنية ، عمان ، الدار المتحدة للنشر (بيروت ، ١٩٧٤م) ص٢٦٢ .

وظهرت عناية الخلفاء الأمويين بمنشآت الري الزراعية ومياه الشرب في العديد من مدن بلاد الشام ، سواء كانت هذه المنشآت تخدم الخاصة أو العامة ، فعلى سبيل المثال نذكر قصر الحلابات وهو أحد القصور التي أنشأها الأمويون في بلاد الشام " شرق مدينة الزرقاء بالأردن " أنشأت إلى الشمال الشرقي منه بركة كبيرة ووجد عندها بعض المنشآت المهدمة الآن تماما ، ولا يستبعد بأن الماء كان يجلب إليها من الأزرق أو من وادي الضليل ، بالإضافة إلى ما يجتمع فيه من مياه الأمطار ، إذ ثبت بالاستصلاح الزراعي أن هذه المنطقة وهي على تخوم البادية كانت ولا تزال أرضا زراعية [١] .

ويقول عبد العزيز الدوري [٢] : " وتجدر الإشارة إلى إن قصور الأمراء الصحراوية لم تكن للنزهة فقط ، بل مراكز للاستثمار الزراعي " ، ويقول أيضا [٣] : " وكانت منشآت الري حولها من قنوات وصهاريج ومجاري لإرواء حقول ومشاريع زراعية في المنطقة بين الصحراء والأرض المزروعة على الحد الشرقي جهة بادية الشام ، وهي إن كانت على أثار مشاريع اروائية سابقة ، إلا أنها تدل على تقدير الأمويين لقيمة الأراضي الزراعية ، وعلى إحياء ارض خالية بعد الفتح " . ومن الإنشاءات التي انشأها في بلاد الشام الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ من أجل العناية بالزراعة ، حفر الآبار وإقامة السدود للانتفاع بالمياه ، وإنشاء المصانع على الطرقات [٤] .

---

١ - طوقان ، فواز ، الحائر في العمارة الأموية ، بحث منشور في المؤتمر الدولي الاول لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الدار المتحدة للنشر (بيروت ، ١٩٧٤م) ص١١٠.

٢ - الدوري ، عبد العزيز ، اوراق في التاريخ والحضارة اوراق في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي (مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٩م) ص٣٣ .

٣ - الدوري ، اوراق في التاريخ والحضارة ، ص٣٥ .

٤ - العش ، يوسف ، الدولة الاموية والاحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءا من فتنة عثمان ، دار الفكر ، ط٢ (دمشق ، ١٩٨٥م) ص١٥٨ ؛ كرد علي ، محمد ، الإدارة الإسلامية في

واقبل عمرو بن العاص ﷺ بعد أن فتح مصر واختط مدينة الفسطاط على عمل كبير وهو حفر خليج تراجان ، وكان ذلك الخليج يخرج من النيل إلى شمال بابليون بقليل ويمر بمدينة عين شمس ، ثم يسير في وادي الطميلات إلى موضع القنطرة حتى يتصل بالبحر الأحمر عند القلزم [١] . وقد أهمل الروم أمره حتى سده الطين ، وكان أقدم عهد من حكم تراجان ، وإنما سمي بأسمه لأنه أعاد كريه وأصلحه ، كما عزم عمرو بن العاص أن يفعل به عند ذلك ، وقيل أنها كانت في ذلك الوقت خفية الأثر حتى احتاج عمرو إلى من يدله على موضعها من القبط فأجازه برفع الجزية عنه [٢] ، ولكن سرعة حفرها وإعادة إصلاحها تدلنا على إن بعض مجراها الذي طوله تسعون ميلا كان لا يزال صالحا . على أن مثل ذلك الإسراع لم يكن عجيبا إذ كان يعمل فيها عدد عظيم من أهل البلاد يساقون إلى ذلك كأنهم أرقاء يسوقهم من ورائهم مقدّمون وهي سنّة جرى عليها أهل مصر منذ أقدم الأزمان ، يقول بتلر [٣] : " إن العرب لجأوا إلى هذه السخرة بشدة لم تعهد من قبل " . ولكن هذه الشدّة جاءت فقط في وقت الفتح ولم تكن صفة ثابتة للمسلمين في مصر . وقيل إن عمرو بن العاص كان ينوي حفر خليج بين بحيرة التمساح والبحر الأبيض ، فيكون بذلك قد قطع البرزخ بالبحر كما هو اليوم ، ولكن الخليفة عمر بن الخطاب أبى عليه ذلك وأنكره قائلا : إنه يمكن للروم من السير إلى البحر الأحمر وقطع السبيل على الحجاج [٤] ، ويذكر أن عمرو بن العاص استخدم آلاف العمال المصريين في إصلاح طرق الري في مصر صيفا وشتاءا[٥] ،

عز العرب ، مطبعة مصر (القاهرة ، ١٩٢٤م) ص٨٠ . المصانع : وهي الأحواض التي تجمع فيها مياه الأمطار .

[١] – ينظر : بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص٣٦٧ .

[٢] – بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص٣٦٧ .

[٣] – بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص٣٦٨ .

[٤] – بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص٣٦٩ .

[٥] – العبادي ، احمد مختار ، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، دار المعرفة الجامعية (الاسكندرية ، ١٩٩٩م) ص١٨٧ ؛ شافع ، راوية عبد الحميد حسانين ، معاملة الفاتحين

وربما لجأ عمرو إلى استخدام المصريين في تلك الأعمال بصفة خاصة لخبرتهم الواسعة في هذا المجال ، علاوة على إدماجهم تحت لواءه وفتح باب الرزق أمامهم من جهة أخرى ، ولم تكن العمالة تخضع لأي نوع من أنواع السخرة كما تذكر كتب التاريخ ذلك في عصور لاحقة .

ومن الأعمال الجليلة التي خلدها التاريخ للخليفة يزيد بن معاوية هو حفره لنهر سمي بأسمه في سفح جبل قاسيون [1] ، وذكر ياقوت الحموي [2] : " أنه يسقي ما لا يصل إليه ماء بردى ولا ماء ثورى " ، وقد ذكر ابن عساكر عن أسباب إنشائه : " إنه كان نهرا صغيرا ببناطيا يجري فيه شيء من الماء يسقي ضيعتين في الغوطة لقوم يقال لهم : بنو فوقا ولم يكن لأحد غيرهم فيه شيء ، فماتوا في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ ، ولم يبق لهم وارث ، فأخذ الخليفة معاوية ﷺ ضياعهم وأموالهم ، فلم يزل كذلك حتى مات الخليفة معاوية ﷺ وولي ابنه يزيد ، فنظر إلى اراضي واسعة ليس لها ماء – وكان مهندسا [3] – فنظر إلى النهر فإذا هو صغير فأمر بحفره فمنعه من ذلك أهل الغوطة ودافعوه ، فلطف بهم على أن ضمن لهم خراج سنتهم من ماله فأجابوه إلى ذلك فأحتفر نهرا سعة عرضه ستة أشبار في عمق ستة أشبار [4] .

ولاشك ان الامويون قد استخدموا أهل الذمّة في اقامة هذه المشاريع الاروائية الكبيرة ، لأنها تخص سقي الاراضي التابعة لهم والتي اقرهم عليها المسلمون مقابل دفع الخراج ، وكذلك فإن مصلحتهم الشخصية تقتضي ذلك .

المسلمين لأقباط مصر (جمهورية مصر العربية ، جامعة حلوان ، كلية الآداب ، بلا . ت) ص٢٧ .

١ – العش ، ابو الفرج ، اثارنا في الاقليم السوري ، المطبعة الجديدة (دمشق ، ١٩٦٠م) ص٢٨.

٢ – معجم البلدان ، ج٥ ، ص٤٠٦ .

٣ –حسب وصف ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١ ، ص٢٤٥ .

٤ – ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١ ، ص٢٤٥-٢٤٦ ؛ ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ص١٣ .

أما عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك فقلّ أن نجد مصدرا من أمهات الكتب لم يتحدث عن المنشأت في عهده ، فقد كان مهتما بالعمران والبناء وقلده في ذلك رعاياه ، فأقام الجوامع والمصانع وحرص الناس في أيامه على التشييد والتأسيس [١] ، ويقول الثعالبي[٢] في ذلك : " كان الأغلب على الخليفة الوليد بن عبد الملك حب البناء واتخاذ المصانع واعتقاد [٣] الضياع " ، كما ذكر الطبري إرساله الكتب إلى عمال الولايات بإصلاح طرق الري [٤] ، وقد اهتم الخليفة الوليد بالعناية بطرق وصول الماء إلى المسجد الأموي عن طريق قنوات من جميع أبوابه وإنشاء نافورات الماء بداخله [٥] ، وكان الخليفة الوليد قد اشترى الماء من نهر السكون يقال له الوقية فجعله في القناة إلى المسجد [٦] ، وكذلك ففي عهد الخليفة الوليد قام أخيه مسلمة بن عبد الملك بإنشاء خزان خزان مائي كبير وعد من أعظم المشاريع الاروائية في الجزيرة الفراتية في العصر الأموي[٧] ، ولشدة اهتمامه بالمشاريع الإروائية ، يذكر أنه لما توجه ذات يوم لغزو الروم عبر الثغور الجزرية ، عسكر بجنده ببالس فأتاه أهلها وأهل القرى المجاورة ، وكانوا في الغالب من أهل الذمّة : " فسألوه جميعا أن يحفر لهم نهرا من الفرات يسقي ارضهم ، على أن يجعلوا لهم الثلث من غلاتهم بعد عشر السلطان الذي كان يأخذه ، ففعل وحفر لهم النهر المعروف بنهر مسلمة ، ووفوا له بالشرط " [٨] ، ولما بنى الخليفة سليمان بن عبد الملك مدينة الرملة في الشام شكى إليه أهلها قلة الماء لديهم [٩]

---

١ –كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، ج٢ ، ص١٧٠ .

٢ – عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت: ٤٢٩هـ /١٠٣٦م) لطائف المعارف ، تحقيق : ابراهيم الأبياري ، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة ، بلا . ت) ص١١٦.

٣ – اعتقد الشيء : حازه لنفسه .

٤ – الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٣٧ .

٥ –المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٥٩ .

٦ –ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، ص١٧ .

٧ – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٦٥ ؛ الأعظمي ، عواد مجيد ، الأمير مسلمة بن عبد الملك ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب (بغداد ، ١٩٨٠م) ص١٢٦ .

٨ – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٧٨ ؛ قدامة ، الخراج ، ص٣٠٥ .

٩ –ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١ ، ص٢٤٦ .

. وقد ذكر القلقشندي [١] : " إنه كانت لديهم قناة ضعيفة أجراها لهم الخليفة عبد الملك بن مروان " ، ويبدو إن هذه الرواية غير صحيحة لأن المدينة بناها الخليفة سليمان بن عبد الملك ، فربما إن القلقشندي ذكره خطأ ، أو إن القناة التي حفرها هي خارج المدينة . وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك قد احتفر لأهل الرملة قناة بردة ، واحتفر لهم أبارا أخرى ، وولى النفقة على بنائها بالرملة ومسجد الجماعة كاتبا نصرانيا – من أهل الذمّة – يقال له البطريق بن النكا [٢] ، وفي هذا النص التاريخي دلالة واضحة على إسهام أهل الذمّة في مجال الري وشق القنوات والترع سواء بالعمل بإيديهم أو بالاشراف على العمل . ويذكر أنه في خلافة سليمان بن عبد الملك قل الماء ولم يبق في بردة إلا شيء يسير ، فشكا الناس ذلك إلى الخليفة سليمان ، فأمر بكراء الماء من أصل ماء العين وضل العمل بهذا الكراء طوال خلافته [٣] .

وذكر أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كانت له عين ماء بالسويداء تروي ضياعا له [٤] ، وفي عهده حفرت العديد من الأنهار منها نهر عدي في البصرة الذي حفره واليه عليها عدي بن ارطأة [٥] .

واهتم الخليفة هشام بن عبد الملك بالإنشاء والتعمير والعناية بالزراعة وطرق الري [٦] . فقد قال المسعودي عنه [٧] : " كان يجمع الأموال ويعمر الضياع ٠٠٠٠ واتخذ القنى والبرك بطريق مكة المكرمة " ، ولما بنى قصر الحائر في بادية الشام أجرى به قناة تمتد حوالي " أربعين كيلو مترا " [٨] ، وكذلك أمر بحفر نهيرات صغيرة

---

١ – صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٠٠ .

٢ –البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٤٩ .

٣ – ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١ ، ص٢٤٦

٤– الدوري ، اوراق في التاريخ والحضارة ، ص٣٨ .

٥– البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٥٤ ؛ ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج٣ ، ص١٤٠.

٦– حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ، ج١ ، ص٣٣٣ .

٧– مروج الذهب ، ج٢ ، ص١٦١ .

٨ – عرفة ، الحياة الاقتصادية ، ص١٧٢ .

صغيرة في دمشق لتزويد أهلها بالمياه اللازمة للري والشرب [١] . وأمر بكري ترع دمشق لما شكى إليه الناس قلة الماء [٢] . وأمر ولاته على الأمصار بشق الأنهار والاهتمام بطرق الري الزراعية [٣] . وقد شكى الناس من أهل حرستا إلى الخليفة هشام وسألوه شرب سقائهم وماء لمسجدهم ، من ماء نهر يزيد ، فكلم الخليفة هشام فاطمة بنت يزيد في ذلك فأجابته على أن يحتفر نهرا صغيرا يجري إلى مسجدهم للشرب لا غير ، وفتح الحجر الذي يمر منه الماء بقرية حرستا فترا [٤] في فتر مستدير ، يجري لهم من الأرض على مقدار شبر من ارتفاع بطن الأرض ، وسأله عبد العزيز مولى الخليفة هشام أن يجري لهم شيئا يسقي ضيعته ، فأجابه بعد أن سأل في أمره يوم الأربعاء ، وصيرت لهم ماصّية [٥] فتحتها شبر في اصغر من شبر ، ثم سأله خالد على أن يسقي ضيعته فأجابه إلى يوم الخميس ، فهيئت عليه ماصّية كحكايته [٦] . كما أحيا الخليفة هشام أراضي واسعة بالرصافة وحفرت نهرين لإروائها [٧] .

وقد كانت طرق الري بقصر الحائر الغربي " رصافة هشام " عبارة عن أبنية تتواجد معها أعمال مائية ضخمة للسقاية والري التي كانت تستمد من سد حريقة " ويبعد ستة عشر كيلو متر تقريبا " جنوبي القصر ، وكان هذا السد قد بني في عهد الرومان ، وإن وراء هذا السد تتجمع المياه في بحيرة صناعية ، وإن وصول المياه إلى هذا السد كان من السيول التي كونت مع الزمن رواسب طينية داكنة ، أصبحت

---

١ – طوقان ، الحائر في العمارة الاموية ، ص٦٩ ؛ عرفة ، الحياة الاقتصادية ، ص١٧٣.

٢ –ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ص١٥ وما يليها .

٣ –أمر الخليفة هشام والي الموصل بحفر نهر إلى داخل البلدة بلغت تكلفته ثمانية الاف درهم . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٢٤١ ؛ كما حفر خالد القسري نهر الجامع ونهر المبارك في الكوفة ، كما اقام قنطرة على نهر دجلة . البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٨٤ .

٤ –الفتر ما بين طرف السبابة وطرف الابهام اذا ما فتحتهما . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ، ص٤٦ .

٥ –الممص الة ماصة ، ومص الماء حركه بطرف لسانه . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ، ص٥٥ .

٦ – شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ص١٤-١٥ .

٧ – الدوري ، اوراق في التاريخ ، ص٢٩ .

بمرور الوقت أراضي خصبة صالحة للزراعة ، ما زالت تستخدم حتى اليوم ، وكانت طريقة وصول مياه السد إلى القصر في منتهى الدقة والإتقان والحذق الهندسي ، فالقناة التي كانت توصل مياه السد إلى القصر ، كانت تتفرع منها عدة اقنية لري المزروعات وغيرها [1] . ومن المشاريع الاروائية المهمة التي أقيمت على نهر دجلة هو نهر المكشوف وسبب حفره أن والي الموصل الحر بن يوسف (١٠٦هـ - ١١٢هـ / ٧٢٤-٧٣٠م) بينما كان جالسا في شرفة داره أبصر امرأة تحمل على رأسها جرة فيها ماء ، كانت قد جلبتها من نهر دجلة ، تحملها ساعة وتضعها أخرى ، فسأل عنها ؟ فقيل له : امرأة حامل جاءت بماء من دجلة وقد اجهدها ما تحمل فأستعظم ذلك [2] ، عندها نوى حفر نهر لأهل المدينة فأستأذن في حفره الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، فأذن له ، فجمع الصنّاع وأهل الهندسة المختصين في هذا المجال ، وهيأ الآلات اللازمة لذلك وبدأ بحفره لكن المنية عاجلته سنة (١١٢هـ / ٧٣٠م) ولم يستطع ابنه يحيى انجازه ، فجاء الوالي الجديد الوليد بن تليد العبسي الذي أتم انجازه سنة (١٢١هـ /٧٣٨م) وبلغت تكاليفه ما يقارب ثمانية آلاف ألف درهم "، أي ما يعادل ثمانية ملايين درهم " [3] . فقد بلغ عدد العمال الذين ساهموا بإنجازه خمسة آلاف رجل [4] . وقد نصبت على هذا النهر الكثير من الطواحين فبلغت ثمانية عشر حجرا لطحن الحبوب ، أوقفها الخليفة هشام بن عبد الملك جميعها على نفقة هذا النهر [5] .

وعلى الرغم من عدم وجود إشارة واضحة في هذه الرواية إلى دور أهل الذمّة في المساهمة بإنجاز هذا المشروع الإروائي الكبير ، إلا أنه يمكن أن نستنتج وجودهم بين

---

[1] - طوقان ، الحائر في العمارة الاموية ، ص٧٧ .

[2] - الازدي ، تاريخ الموصل ، ص٢٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص١٣٣.

[3] - الازدي ، تاريخ الموصل ، ص٣٥ ، ٤٣ .

[4] - الازدي ، تاريخ الموصل ، ص٣٢ .

[5] - الازدي ، تاريخ الموصل ، ص٣٦ ؛ ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٢١٩ ؛ القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت : ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) آثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر (بيروت ، بلا . ت) ص٤٦٢ .

هذا العدد الهائل من المهندسين والعمال والمهرة الذين شاركوا بشقه ، والذين بلغ عددهم الخمسة آلاف رجل كما في الرواية ، لأن الموصل كانت فيها أعداد من المدن والقرى التي بقت على نصرانيتها ودفعت الجزية للدولة ، وقد امتهنت هذه القرى الزراعة التي تحتاج بدورها إلى إيصال المياه إلى الأراضي . وفي خلافة هشام بن عبد الملك لوحظ انتشار مشاريع الإرواء بشكل كبير وربما يرجع ذلك لطول مدة خلافته ، فضلا عن إن ولاة العراق كانوا من الأكفاء كخالد بن عبد الله القسري الذي اهتم اهتماما كبيرا بالري والزراعة فحفر العديد من الأنهار التي بغلت غلة بعضها مبالغ كبيرة [١] ، ولاهتمامه بحفر الأنهار بلغت تكاليف حفره لنهر المبارك على سبيل المثال [٢] اثني عشر مليون درهم [٣] .

ومن مشاريع الري المهمة التي أنجزت في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، حفر والي الموصل الحر بن يوسف الثقفي نهر المكشوف [٤] ، ولم تتوقف الإنشاءات الخاصة بالري وطرق الزراعة بعد عهد الخليفة هشام بن عبد الملك فقد حفر نهر الأردن في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك [٥] .

هذا ولم يقتصر بناء المنشآت الخاصة بالري على خلفاء بني أمية ، فقد قام الأمراء وكبار رجال الدولة الأموية أيضا بهذا الدور الهام ، ومما يذكر في هذا الشأن أن مسلمة بن عبد الملك حفر نهرا من الفرات لسقي أراضي أهل بالس [٦] والقرى

---

١ – فلهاوزن تاريخ الدولة العربية ، ص٣٢٠ ؛ العيثاوي ، مشاريع الري ، ص٦٤ .

٢ – نهر قديم قرب النعمانية . اليعقوبي ، البلدان ، ج١ ، ص١٥٨ .

٣ – المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد (ت : ٢٨٥هـ / ٨٩٨م) الكامل في اللغة والادب ، تحقيق : تغاريد بيضون ، نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٨٩م) ج٢ ، ص٤٠٢ ؛ الكبيسي ، عبد المجيد محمد صالح ، عصر هشام بن عبد الملك ، مطبعة سلمان الاعظمي (بغداد ، ١٩٧٥م) ص١٢٥ .

٤ – الازدي ، تاريخ الموصل ، ص٢٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص١٣٣ .

٥– الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ض٢٤٧ .

٦ – بلدة بالشام بين حلب والرقة سميت فيما ذكر ببالس بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح عليه السلام وكانت على ضفة الفرات الغربية فلم يزل الفرات يشرق عنها قليلا قليلا حتى صار بينهما

القريبة منها ، بعد أن سأله أهلها أن يحفر لهم النهر على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد تسديد العشر فحفر لهم النهر الذي عرف بأسمه [1] . أما الغوطة فقد نالت نصيبا من الإهتمام في العهد الأموي ، إذ نزلها رجال بني أمية وعمروا فيها القصور وانشأوا فيها المزارع ، وشقوا الجداول وعنوا باستثمارها واستنباتها [2] ، وكانت بيوت دمشق تصل إليها مياه الشرب ومع إن نهر بردى يمد المدينة بما تحتاجه من الماء ، فأن الأمويين اظهروا مهارة منقطعة النظير في تجهيز بيوت المدينة بما تحتاجه من الماء وذلك بإقامة أحواض تنبثق منها المياه الصافية ، كما أقاموا سبع جداول تجري في أنحاء المدينة ، بالإضافة إلى المجاري العديدة التي كانت تربط كل منزل بالمجرى الرئيسي [3] .

وتشير كثرة الأنهار إلى اهتمام الأمويين بمشاريع الري التي كانوا ينفقون عليها بسخاء كما أشارت بذلك النصوص التي أوردناها سابقا . وبسبب أهمية تلك الأراضي التي تشكل المورد الرئيس لبيت المال ، برزت وبشكل جلي أهمية مشاريع الري والسدود والتي بسببها تقوم الزراعة .

أما في العصر العباسي فقد نشطت في المدن الإسلامية حركة مد القنوات واعتماد الماء في إقامة البحيرات الاصطناعية والنافورات والتراتيب التزيينية والترفيهية ، إذ أشار الخطيب البغدادي [4] إلى أن الخليفة المنصور مد قناة من نهر الدجيل الآخذ من دجلة ، وقناة من نهر كرخايا الآخذ من الفرات ، وجرهما إلى مدينته في عقود وثيقة

في في زمن ياقوت الحموي أربعة أميال قال المنجمون طول بالس خمس وستون درجة وعرضها ست وثلاثون درجة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٢٨ .

[1] - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٥٥-١٥٦

[2] -كرد علي ، محمد ، غوطة دمشق ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٨٤م) ص٢٨ ؛ عرفة ، الحياة الاقتصادية في بلاد الشام ، ص١٧٤ .

[3] - عبد الرؤوف ، عصام الدين ، الحواضر الإسلامية الكبرى ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٧٦م) ص٩٧ ؛ عرفة ، الحياة الاقتصادية ، ص١٧٤ .

[4] - تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٧٩ ؛ خليل ، عماد الدين ، صفحات من حضارة الإسلام (جامعة الموصل ، بلا . ت) ص١٦١ .

من أسفلها ، محكمة بالصاروج والآجر من أعلاها ، وكانت كل قناة منهما تدخل المدينة وتنفذ في الشوارع والدروب والأرباض ، وتجري صيفا وشتاءا ولا ينقطع ماؤها في وقت. وقد أصلح العرب المسلمون وسائل الري في الأقاليم التي خضعت لسلطانهم فبنوا السدود ، وشقوا القنوات والأنهار واقاموا عليها الجسور والقناطر ، وبذلوا في سبيل ذلك أموالا طائلة ، واستخدموا لها عددا كبيرا من العمال ، وقد زاد اهتمام العباسيين بذلك ، ففي صدر دولتهم جددوا حفر القنوات القديمة ، واستحدثوا قنوات جديدة ولاسيما في العراق ، حتى أصبح ما بين النهرين : دجلة والفرات أشبه بشبكة من القنوات والأنهار ، وأطلقوا عليها اسم " النواظم " لأنها نظمت توزيع المياه ، " وبذلك أعاد العباسيون إلى العراق شهرته القديمة في الخصب والنماء ولاسيما الجزء الجنوبي المعروف بالسواد " وكان للري تشريعات دقيقة ومعقدة ، وكان من واجبات الدولة في العراق أن تسهر على صيانة السدود والمسنيات والبثوق ، وكان لهذا الغرض طائفة قائمة بذاتها من العمال يسمون بالمهندسين [١] .

وبموجب اهتمامهم بقنوات الري زرعوا كل نوع من أنواع النباتات في التربة الصالحة واستغلوا الأرض أحسن استغلال ، واعتنوا بتسميدها فزاد محصولها تبعا لذلك زيادة واضحة ، وعرفوا التلقيح فلقح أهل فلسطين كرومهم وعرفوا تطعيم بعض الأشجار ببعض واستخرجوا أصنافا جديدة ، وجلبوا إلى بلادهم أنواعا كثيرة من الأشجار وبرعوا في تنسيق الحدائق وعنوا عناية كبيرة بالأزهار ، فزرعوها في مزارع واسعة ، وصدروا عطورها وادهانها ومياهها ، وراجت في المشرق الإسلامي وخصوصا في بلاد الشام صناعة استخراج الادهان العطرية من الورد والبنفسج وغيره [٢] .

ومن المشاريع الاروائية في العصر العباسي نهر الاسحاقي وهو نهر قديم يعود إلى عصور سحيقة ، وهو يروي القسم الأعظم من أراضي الجزيرة الممتدة بين دجلة والفرات شمالي مدينة سامراء ، وعندما شعر الخليفة المعتصم حاجة الجانب الغربي

---

[١] –متز ، الحضارة الإسلامية ، ج٢ ، ص٣٢٩-٣٣٠ ؛ شلبي ، أبو زيد ، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، مكتبة وهبة (القاهرة ، ٢٠١٢م) ص٢٦١-٢٦٢ .

[٢] – شلبي ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص٢٦٣ .

من سامراء إلى المزيد من المياه لري البساتين والمزارع الواسعة أشير عليه بإحياء النهر المندرس المذكور ، فكلف رئيس شرطته إسحاق بن إبراهيم الخزاعي بان يتولى الإشراف على المشروع فانفق عليه كثيرا من المال حتى عادت إليه الحياة.وعادت المياه تجري فيه ولذا سمي النهر الجديد بإسمه ، وبعد أن هجرت سامراء وامتد إليها الخراب استمر نهر الاسحاقي يروي المناطق المذكورة في الجانب الغربي من دجلة [1] . وكذلك قناة سامراء أو قناة المتوكل على الله (٢٣٢- ٢٤٧هـ / ٨٤٧م – ٨٦١م) إذ صرف المتوكل همته إلى توسيع المدينة في الجانب الشرقي منها ورأى بأن يبدأ بتوفير المياه اللازمة لها قبل كل شيء ، ولهذا كان أول مشاريعه الاروائية حفر قناة تؤمن الماء إلى هذا الجانب من المدينة [2] ، وهو من أعظم المشاريع الاروائية التي انشأت على عهد العباسيين في سامراء إن لم يكن أعظمها [3] . وورد ذكر النهر الجعفري عند المؤرخين المسلمين ، وقد ذكر أحد المؤرخين أن الخليفة المتوكل عند بناء الماحوزة " المتوكلية " سنة (٢٤٥هـ / ٨٦٤م) أمر بحفر نهر وقدر للنهر من النفقة مائتي ألف دينار ، وصير النفقة إلى دليل يعقوب النصراني كاتب بغا ، وألقى في حفر النهر اثني عشر ألف رجل يعملون فيه ، فلم يزل دليلاً يعتمل فيه ، ويحمل المال بعد المال ويقسم عامته في الكتاب ، حتى قتل الخليفة المتوكل ، فبطل النهر ، وخربت الجعفرية ، ونقضت ولم يتم أمر النهر [4] ، وروى آخر عنه أن " النهر لم يتم أمره ، ولم يجر الماء فيه إلا جريانا ضعيفا لم يكن له اتصال ولا استقامة ، على أنه قد

---

١ -اللهيبي ، نجوى محمد رجاء ، المنشأت العامة في سامراء في الفترة من ٢٢١ – ٢٧٩هـ / ٨٣٦ – ٨٩٢م ، رسالة ماجستير غير منشورة (السعودية ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة ، ١٤٣٦هـ) ص١٢٢ .

٢ -عبد الباقي ، احمد ، عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين سامراء ، الدار العربية للموسوعات (لبنان ، ٢٠٠٧م) ج١ ، ص١٠٩-١١٠ .

٣ -السامرائي ، يونس ابراهيم ، تاريخ مدينة سامراء ، المجمع العلمي العراقي (بغداد ، بلا . ت) ج١ ، ص ٢٢٥ .

٤ -الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص٢١٢ .

أنفق عليه شبيها بألف ألف دينار، ولكن كان حفره صعبا جدا "[١] ، وقد قام الخليفة المتوكل بإسناد مهمة حفر النهر إلى أحمد بن كثير الفرغاني [٢] الذي عمل المقياس الجديد بمصر " فغلط في فوهة النهر المعروف بالجعفري وجعلها أخفض من سائره فصار ما يغمر الفوهة لا يغمر سائر النهر"[٣] ، ويظهر من هذا أن النهر الجعفري قد تم حفره ، وجرت فيه المياه في موسم الفيضان ، وذلك قبيل مقتل الخليفة المتوكل على الله . وأن الخطأ الذي وقع فيه المهندسون ، هو عدم التأكد من مناسيب المياه في نهر دجلة في مختلف أيام السنة ، لكي يحفر مستوى النهر وفق ذلك ، حتى إن صدر النهر جاء أعلى من مستوى المياه في دجلة في الظروف الاعتيادية فلا تجري فيه ، وأن الماء الذي جرى فيه إنما كان في موسم الفيضان إذا ارتفع فيه منسوبه ، فسهل انسيابه إلى الجعفري ولكن لأمد قصير ، ولا ينكر أن مجهودات عظيمة قد بذلت وأموالا طائلة قد أنفقت على النهر ، إذ استغرق العمل فيه قرابة سنة ونصف ؛ وذلك لصلابة الأرض التي يمر فيها ، مما لا يساعد على الحفر العميق [٤] .

اساليب الري :

تميزت أساليب ووسائل الري في الدولة الإسلامية عامة وفي المشرق العربي الإسلامي خاصة بالتنوع والتعدد ويمكن أجمالها بنوعين رئيسين :

الأول : الري الذي لا يحتاج لكلفة ماليه ومجهود كبير كالسيح وغيره[٥] .

الثاني : الري الذي يحتاج إلى كلفة مالية وجهد كبير .

---

١ – اليعقوبي ، البلدان ، ص٦٨ ؛ اللهيبي ، المنشأت العامة في سامراء ، ص١٣٢ .

٢ – أحد منجمي المأمون وصاحب المدخل إلى علم هيئة الأفلاك وحركات النجوم وهو كتاب لطيف الجرم عظيم الفائدة (لم أجد معلومات وافية عنه) القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت : ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) أخبار العلماء باخيار الحكماء ، تحقيق :إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠٥م) ص٦٥ .

٣ –ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص ٢٨٦.

٤ – السامرائي ، تاريخ مدينة سامراء ، ج١ ، ص٢٢٦ .

٥ – قدامة ، الخراج ، ص٢١٩ ؛ العيثاوي ، مشاريع الري ، ص٢٩ .

فقد استخدمت الآلات والوسائل العديدة لزراعة الأرض ، نظرا لقدم الزراعة ، وقد تطورت هذه الآلات على مر السنين لكثرة حاجة الناس إليها لري مزروعاتهم ، وكانت مسألة توفير المياه من الأمور المهمة بالنسبة للمدينة الإسلامية ، بل وكثيرا ما كانت من بين الشروط التي من خلالها تنشأ هذه المدن [1] ، وإن انهار بغداد القديمة كانت الأساس الذي شيدت عليه المدينة في مختلف أدوارها التاريخية لأن العمران اقتفى اثر الأنهار في كل خطوة من خطوات حياة المدينة [2] ، " وكان أكثر شرب أهل بغداد من ماء دجلة ، يأخذه السقاؤون أما من ماء النهر مباشرة ويحملونه إلى الدور ، أو من مواضع تقوم مقام الخزانات وتغذيها نهيرات صغيرة " [3] . ونقل أهل بغداد مياههم بواسطة الروايا [4] . وقد فكر البغداديون بطريقة يمرروا فيها المياه ضمن قنوات مغلقة للتقليل من تلوثه [5] . ومن الإشارات الأولى في هذا المجال إن الخليفة العباسي المنصور (١٣٦هـ - ١٥٨هـ / ٧٦٢م - ٧٧٤م) أمر بمنع " بغال الروايا " [6] من المرور إلى رحاب بغداد ، وأمر كذلك بعمل قنوات من الساج [7] تمتد من باب خراسان حتى القصر [8] ، ونتيجة لذلك مدت القناة التي تأخذ من نهر كرخايا الآخذ من

---

١ - التكريتي ، ناجي ، الفلسفة السياسية عند ابن ابي الربيع ، ط٢ (بيروت ، ١٩٨٠م) ص١٩٠ .

٢ - جواد ، مصطفى واحمد ، سوسة ، دليل خارطة بغداد (بغداد ، ١٩٥٨م) ص٢ .

٣ - متز ، الحضارة الإسلامية ، ج٢ ، ص٢٧٦ ؛ رؤوف ، عماد عبد السلام ، تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد ، بحث منشور في مجلة المورد (بغداد ، ١٩٧٩م) مج٨ ، ع٤ ، ص١٧٢ .

٤ - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٧٨ ؛ رؤوف ، تاريخ مياه الشرب ، ص١٦٧ .

٥ - لسترينج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ص٣٦ .

٦ - " اذ قال المنصور للربيع : اربيع ابغال الروايا تمر رحابي ؟ فقال : نعم يا امير المؤمنين ، فقال : تتخذ الساعة قنى بالساج من باب خراسان حتى تجيء الى قصري ففعل " الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٧٨ ؛ ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج بن علي (ت : ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) مناقب بغداد تحقيق : محمد بهجة الاثري (بغداد ، ١٩٢٣م) ص١١ .

٧ -نوع من انواع الخشب الصلب .الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، ج١ ، ص١٩٤ .

٨ - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٧٨ .

من الفرات في عقود وثيقة ، من أسفلها محكمة بالصاروج والآجر من أعلاها معقودة عقدا وثيقا فتدخل المدينة وتدخل في أكثر شوارع الارباض تجري صيفا وشتاءا ، قد هندست هندسة لا ينقطع لها ماء في وقت ، وقناة أخرى من دجلة على هذا المثال وسماها دجيل ، وجر لأهل الكرخ نهرا يقال له نهر الدجاج [1] ، فالماء لا ينقطع ولهم الآبار التي يدخلها الماء من هذه القنوات فهي عذبة شرب القوم جميعهم منها [2] .

ولذلك ما من محلة شيدت إلا وامتد لها مشروع إروائي يقوم بسقي أهلها وسد حاجة حدائقهم وبساتينهم [3] ، والى جانب العناية بتوفير الماء النقي للمدن ، فقد اهتم أهل العراق اهتماما بالغا بإيجاد وسائل لتصريف المياه القذرة ، وتغلبوا على هذه المشكلة بحفر القنوات ومسارب المياه [4] .

واقاموا الميازيب الأرضية لتصريف المياه المستعملة إلى الخارج [5] . واوجدوا " البلاليع " التي تقوم بتصريف المياه القذرة ، وكثيرا ما كانت تمتد مجاري المياه الملوثة إلى الأنهار وبخاصة منها مجاري الحمامات [6] .

ومن كل ذلك يتبين أن الخليفة لابد أنه استخدم أهل الذمّة في عمل هذه المشاريع كونهم أصحاب مهن ويسكنون في هذه الأرض على عكس الفاتحين الذين جاءوا من الجزيرة العربية وهم لا يفقهون شيئا في العمران بسبب طبيعتهم البيئية قبل مجيئهم إلى الأمصار المفتوحة كالعراق وغيره أو أنهم انشغلوا بأمور الجهاد والحرب .

---

[1] – سمي بذلك لأن اصحاب الدجاج يقفون عنده ، اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٥٠ .

[2] – اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٥٠–٢٥١ ؛ الحديثي ، عطا ، سقايا بغداد ، بحث منشور في مجلة سومر (بغداد ، ١٩٧٣م) مج٢٩ ، ص١٩٩ .

[3] – جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص٢ .

[4] – كوك ، ريجارد ، بغداد مدينة السلام ، ترجمة : فؤاد جميل (بغداد ، ١٩٦٢م) ج١ ، ص٧٣–٧٤ ؛ كتار ، ماريوس ، بغداد في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، بحث منشور في مجلة المورد (بغداد ، ١٩٧٣م) ترجمة : اكرم فاضل ، العدد الثاني ، ص٢١ .

[5] – فهد ، العامة ، ص١٧١ .

[6] – ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية (بيروت ،١٩٩٢م) ج٧ ، ص٨٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص٣٣٢ ؛ متز ، الحضارة الاسلامية ج٢ ، ص٢١٠ .

مشاريع الري والسدود وأثرها في استقرار السكان :

تستمد أهمية مشاريع الري من أهمية الماء نفسه إذ أنها تستمر وتدوم بوجوده ودوامه ، وتنقطع وتندثر بانعدامه ، فلا يمكن الاستغناء عنه في حياة الناس ، إذ إن إنشاء أي مشروع إروائي في أي مكان من شأنه أن يبعث الحياة هناك ، ولأهمية أراضي السواد وخصوبتها وكثرة إنتاجها وقلة الأمطار فيها نسبيا جعل اغلب الخلفاء والولاة يهتمون بإقامة هذه المشاريع ، مما جعلها تشكل المصدر الأساس والمهم في بيت المال [١] . وهناك إشارات واضحة إلى اهتمامهم بهذا الجانب ، فاهتموا بتعزيز إيرادات الدولة من خلال إقامتها ، وخصوصا أن الزراعة هي مهنة الناس الرئيسة وغالبهم من اهل الذمة ، وتطوير كل ما يدخل ضمن إقامة المشاريع الاروائية من سدود وقناطر وغيرها [٢] ، لذلك استصلحت أراضي السواد وبشكل واسع عبر إقامة مشاريع كبيرة وكثيرة ، وتمثل هذا الاستصلاح بشق العديد من الأنهار وتجفيف البطائح وإقامة المسنيات وغيرها [٣] ، وكذلك اوجدوا حياض لخزن مياه الأمطار سميت بالصهاريج [٤] .

---

١ – عبد الستار ، لبيب ، الحضارات ، دار المشرق (بيروت ، ١٩٨٦م) ص٤٠ ؛ السامرائي ، حسام قوام ، المؤسسات الادارية في الدولة العباسية ، مكتبة دار الفتح (دمشق ، ١٩٧١م) ص٢٢٠ ؛ جودت ، جمال محمد داود ، العرب والارض في العراق في صدر الاسلام ، جمعية المطابع التعاونية (عمان ، ١٩٧٧م) ص١٢ ؛ العلي ، صالح احمد ، الخراج ، بحث منشور في مجلة الامام الاعظم ، العدد الثاني (بغداد ، ١٩٧٤م) ص٢٦٥ .

٢ – العلي ، الخراج ، ص٢٦٦ ؛ سرور ، محمد جمال ، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ، دار الثقافة العربية للطباعة (القاهرة ، ١٩٦٥م) ص٥-٦ ؛ الكبيسي ، حمدان واخرون ، الحضارة العربية الاسلامية ، مطبعة التعليم العالي (بغداد ، ١٩٨٨م) ص١٥٢ .

٣– البلاذري ، فتوح ، ص٤٣٧ ، ٤٥٥ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣١٥ ، ٣٢٤ .

٤ – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٥٥ .

وبموجب هذه المشاريع تحقق استقرار الناس في الأماكن التي تتوفر فيها أسباب الحياة والطمأنينة ، وتجمع شتات القبائل المتناثرة حول مصادر المياه بعد أن تفرقت بحثا عنه . فالماء أساس الاستقرار واجتماع الناس والعمران[1] .

قال ابن خلدون [2] : " الاجتماع ضروري للنوع الإنساني ، وإلا لم يكمل وجودهم وما أراده الله ﷻ من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم " ، ثم قال أيضا [3] : " إن الله ﷻ خلق الإنسان وركبه على صورة لا تصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء ، وهداه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله إلا أن قدرة الواحدة من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء " ، وهذا الاستقرار يجعل الإنسان ينعم ببهجة الحياة وسرورها ، ومن ثم يبحث عن الترف في المطعم والملبس والفرش والآنية والركوب [4] ، وكل هذا يقع في التطور الحضاري الذي من شأنه أن يجعل الإنسان يتفنن في الترف وأحكام الصنائع المستخدمة في حياته اليومية [5] ، واقترنت الحضارة بشكل عام بهذه المشاريع فأينما وجدت هذه المشاريع ازدهرت الحضارة [6] ، فالعرب كانوا يتحرون الماء قبل النزول في أي مكان وأنهم أقاموا مدنهم بقرب الماء ، واختاروا الأراضي الخصبة للسكن فيها وزراعتها ، كي تصبح مصدرا لرزقهم ، وهذا ما أكدته الرواية التاريخية التي وردت عن البلاذري [7] إذ يقول : " كتب الخليفة عمر بن

---

[1] –محفوظ ، حسين علي ، القنوات في التراث ، بحث منشور في وقائع ندوة الري عند العرب ، مركز احياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩م ، ص١٨٤ ؛ عبد الستار ، البيت ، الحضارات ، دار المشرق (بيروت ، ١٩٨٦م) ص٣٤ .

[2] – العبر، ج١ ، ص٤٣ .

[3] – ابن خلدون ، العبر ، ج١ ، ص٤١-٤٢ .

[4] – ابن خلدون ، العبر ، ج١ ، ص١٦٧ .

[5] –ابن خلدون ، العبر، ج١ ، ص١٧٢ ؛ العيثاوي ، مشاريع الري ، ص١٣٩ .

[6] – سوسة ، احمد ، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور ، مطبعة وزارة الاعلام (بغداد ، ١٩٧٩م) ص١٦ .

[7] – فتوح البلدان ، ص٤٢٥ .

الخطاب إلى عتبة بن غزوان بعد فتح العراق ، أن اجمع أصحابك في موضع واحد ، وليكن قريبا من الماء والمرعى ... " .

وبذلك نزل عتبة ومن معه في موضع تتوفر فيه مقومات العيش والاستقرار ، وبهذا فإن الأمصار التي تكونت في العراق وغيره كانت لها أهمية كبيرة من النواحي الاقتصادية والاجتماعية لما تميزت به من المقومات الرئيسية لإنشائها ونموها وتطورها .

وكان للإنتاج الزراعي الذي أسهمت مشاريع الري بكثرته دور كبير في قيام الصناعات التي تعتمد على الزراعة في توفير المواد الأولية ، لذلك نجد أن الخلفاء والولاة اهتموا اهتماما كبيرا بالصناعات ، فأنشئت المصانع في المدن الإسلامية بعدد كبير [1] .

مشاريع الري وأثرها في النقل النهري :

حرص الخلفاء والولاة على إزالة كل ما من شأنه إعاقة النقل النهري ، فكانوا يعملون على كري الأنهار التي تمخر عبابها السفن التجارية وغيرها ، وتطهيرها من الرواسب باستمرار وذلك بغية تسهيل سير السفن والقوارب فيها بحمولتهن ، وغالبا ما كانت النفقة على بيت المال ، ومن مسؤوليات ولي الأمر ، وبخصوص هذا الجانب يذكر أبو يوسف [2] قولا لعمر بن الخطاب جاء فيه : " وعلى الإمام كري هذا النهر الأعظم الذي لعامة المسلمين إن احتاج إلى كري " ، ولم يقتصر هذا الأمر على الأنهار الرئيسية فقط بل شمل الأنهار الفرعية التي تخرج منها [3] .

---

١ – اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٦٤ ؛ الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت : ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)

التبصر بالتجارة ، تحقيق : حسن حسني عبد الوهاب ، مطبعة الرحمانية (القاهرة ، ١٩٣٥م) ص٤٠ ؛ سرور ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص٥٠ .

٢ – الخراج ، ص٩٧ .

٣ – ابو يوسف ، الخراج ، ص١١٠ ؛ السمرقندي ، تحفة الفقهاء ، ج٣ ، ص٥٤٦ ؛ الرحبي ، الرتاج ، ج٢ ، ص٢٥ .

وكان الولاة والمسؤولون على الأنهار حريصين على إقامة المسنيات ليحافظوا على مستوى المياه من الانخفاض إلى الدرجة التي تعيق سير السفن [1] ، كما عملوا على خزن المياه في أماكن معينة ، ليستفادوا منها في مواسم شحة المياه بإرجاعها إلى النهر لرفع منسوبه لتسيير السفن ، فضلا عن الاستفادة منه في ري المزروعات [2] .

وتعد انهار العراق الرئيسة من الأنهار الصالحة للملاحة ، لأن مستوى نهر الفرات أعلى بقليل من مستوى نهر دجلة [3] ، وهذا يجعل سير السفن في الأنهر المتفرعة من الفرات إلى الشرق سهلا ، وعودتها إلى الغرب سهلة أيضا [4] ، وهناك انهار لها أهميتها الكبيرة في مجال النقل النهري كنهري الأُبلّة ومعقل وما تفرع منهما ونهر النيل الذي كان يشكل طريقا نهريا مهما إذ كانت تنقل فيه ميرة دجلة [5] ، وكانت ترسل البضائع على متن السفن عبر هذه الأنهار إلى الأمصار المجاورة ، ولأهمية هذه الطرق النهرية ودورها في نقل البضائع ، فقد وضعت الدولة حمايتها تحت مسؤوليتها ، فأقامت بيوتات من القصب في الأماكن اليابسة الموجودة بين الممرات المائية في منطقة البطائح ووضع فيها الحراس لضمان سلامة البضائع التجارية [6] .

مشاريع الري واثرها على زيادة الموارد المالية :

لإقامة مشاريع الإرواء في عموم المشرق الإسلامي دور كبير في زيادة الموارد المالية لبيت المال ، ولعامة الناس المشتغلين فيها ، وهذا ما لوحظ من خلال رواية اليعقوبي الذي قال [7] : " حمل خراج السواد في أول سنة ثمانون ألف ألف درهم ،

---

[1] – ابو يوسف ، الخراج ، ص٩٧ .

[2] – الاعظمي ، تاريخ الري ، ص٥٥ ؛ الكبيسي ، حمدان ، الاعظمي ، عواد ، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الاسلامي ، مطبعة التعليم العالي (بغداد ، ١٩٨٩م) ص٤٥ .

[3] – متز ، الحضارة الاسلامية ، ص٣٩٤ ؛ جودت ، العرب والارض ، ص٣٩٤ .

[4] – متز ، الحضارة الاسلامية ، ص٣٩٤ .

[5] – اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٢٢ ؛ العيثاوي ، مشاريع الري ، ص١٥٦ .

[6] – ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص١٥٨ ؛ متز ، الحضارة الاسلامية ، ص١٨٥ ؛ عبد الرؤوف ، الحواضر الاسلامية الكبرى ، ص٥٣ .

[7] – تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٣٠ .

وحمل في قابل عشرون ومائة ألف ألف درهم " ، وهذا يعني إن بداية خلافة عمر بن الخطاب كانت واردات الخراج قليلة نسبيا ، إذ إن مشاريع الإرواء التي أقامها الساسانيون قد أصابها الخراب [١] ، ولكن عندما شجع الخليفة عمر بن الخطاب على حفر وكري الأنهار وإدامتها وإقامة المسنيات ، أدى بالنتيجة إلى زيادة نسبة الخراج بسبب إحياء الأراضي الموات حتى أنه بلغ مائة ألف ألف وثمانية وعشرين ألف ألف درهم [٢] .

أما في العصر الأموي فقد أوليت مشاريع الري اهتماما بالغا إذ شقت العديد من الأنهار التي بدورها أحيت الكثير من الأراضي البوار [٣] ، ولا شك إن كثرة مثل هذه المشاريع تؤدي إلى زيادة ملحوظة في واردات بيت المال ، وبالنتيجة انفق من هذه الأموال على المنشآت العمرانية وصيانتها وتهيئة كافة الخدمات الخاصة بإقامة المدن وغيرها .

وإذا أردنا أن نعرف الكلف المالية لإقامة مثل هذه المشاريع ، فقد وردت عند البلاذري[٤] الكثير من الروايات التي تشير إلى ذلك ، إذ بلغت كلفة حفر نهر ابن عمر ثلاثة مئة ألف درهم أو أكثر . ولا غرابة في مثل ورود هذه الأرقام في روايات المؤرخين ، لما في مثل هذه المشاريع من إيرادات طائلة تدر في بيت المال . لذلك نجد أن ولاة الأمور كانوا ينفقون الأموال لإقامتها[٥] ، ومن المؤكد أن العراق يمكن له أن يستفاد من تلك المشاريع في الوقت الحاضر ، إذ أشار وليم ويلكوكس فقال [٦] :

---

١ – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٥٨ ؛ القزويني ، اثار البلاد ، ص٤٤٦ .

٢ – ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١٤ ؛ ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٢٣٤ ؛ المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١٣٣ .

٣ – العيثاوي ، مشاريع الري ، ص١٦٨ .

٤ – فتوح البلدان ، ص٤٥٥ .

٥ – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٤٩ .

٦ – سوسة ، احمد ، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية ، مطبعة المعارف (بغداد ، ١٩٤٨م) ص١٤٧ ؛ عباس ، وصفي عبد الامير ، النهروان مشروع الري الرئيسي في العهد العباسي ، وقائع ندوة نظام الري في العصر العباسي ، دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية

" إن العراق في غنى عن تخطيط جديد لشق الترع ، فإن في الآثار الباقية من الدور العباسي كفاية لتنظيم أمر الزراعة والري في العراق " .

وقد توحدت الأمصار الإسلامية في هندسة توزيع المياه وطرق توزيعه إذ كانت الشريعة الإسلامية هي الحل الأمثل لطرق التوزيع المتكافئة ، وأن مفهوم هندسة الري وتخطيط المدن بدأت طروحاته العلمية وتطبيقاته في العراق وبالأخص في العهد العباسي هو أن مقر الخلافة والحكم كان في العراق وما عرف عن العباسيين اهتمامهم بالعلوم النظرية والتطبيقية وتشجيعهم للثقافة والعلوم [(١)] ، وقد ركزت الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على استعمال المياه في طرق وأساليب العيش فحفزت المسلمين على استنباط المياه العذبة داخل الأمصار والقرى والمدن والقصور والدور السكنية للدولة العربية الإسلامية ، وهناك الكثير من الفلسفات المعمارية والفنية قد تداخلت في تكوينات الهياكل والمرتسمات التطبيقية لهندسة الري [(٢)] ، حيث نلاحظ إن فكر هندسة الري قد أثر في عملية تصاميم الدور السكنية والشوارع والأبنية العامة والمساجد والجوامع والمدن ، وإن موارد المياه واستعمالاتها المختلفة كان العامل الرئيس المسيطر على أفكار تخطيط المدن وعمارتها [(٣)] . وإن مصادر المياه وهندسة استنباطها كانت متزامنة في عملية إفراز وتوقيع المدن جغرافيا وتخطيطيا إذ كانت علوم المسح وهندسة الري هي العامل الرئيس والمهيمن في اختيار الموقع الملائم والوظيفي للمدن الممصرة الجديدة .

ومن الملاحظ أن الوسائل التي طبقت في علوم هندسة الري متعددة لهذا نجد أن مواقع المدن الجديدة قد كانت طرق استعمال واستنباط المياه مهمة في طريقة اختيار

(مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٩٩م) ص٣٨-٣٩ ؛ العيثاوي ، مشاريع الري ، ص١٦٩ .

[١]- كتانة ، هندسة الري ، ص٦٣ .

[٢]- كتانة ، هندسة الري ، ص٦٤ .

[٣]- كتانة ، هندسة الري ، ص٦٤ .

المدينة وموقعها وكذلك طرق استخدام الوسائل الطبيعية والميكانيكية مثل القنوات التحتية والفوقية والسدود والعيون والجداول الاصطناعية [١] .

أما من ناحية هندسة ري المدن فقد تعددت الأنواع والكيفيات في تقنيات توزيع المياه لها ، فهناك عدة أساليب في تجهيزها بالمياه منها العيون والأنهر والجداول والقنوات التحتية والفوقية والأمطار الدائمة والأحواض [٢] .

وساهمت حركة الفتوح هذه بما جاءت به من الأسرى في تنفيذ مشاريع إستصلاح الأرضين [٣] ، وقد ساهم بناء المدن في الداخل ، وإقامة الرباطات في الثغور في تنشيط الحركة الزراعية ، ذلك إن مثل بغداد وضواحيها ثم سر من رأى من المدن التي جذبت الناس للإقامة والسكنى فيها ، مما شجع المزارعين في الارياف والقرى الى زيادة الطاقة الانتاجية لتلبية حاجات السوق التموينية والحصول على دخل مالي أفضل ومثل ذلك حدث في مدن الثغور والرباطات التي شجع نزول الجند فيها قيام زراعة نشطة لتأمين حاجاتهم من المواد الغذائية ، يقول اليعقوبي [٤] في اثناء حديثه عن بناء مدينة سر من رأى: " إن بغداد لم تخرب ببناء مدينة سر من رأى ، ولا نقصت اسواقها ، واتصلت العمارة والمنازل بينهما في البر وعلى ضفاف دجلة ، وكانت الأرض مستريحة الوف السنين ، فزكى كل ما غرس فيها وزرع بها حتى بلغت غلة العمارة والبساتين في السنة اربع مائة الف دينار " .

ومما يلاحظ إن هذه المشروعات التي تساعد في تنمية الزراعة كانت في الأغلب من عمل الدولة ، وذلك إن أهل الذمّة وغيرهم من الفلاحين لا يستطيعون القيام بأعباء هذه المشاريع الكبيرة ، بسبب أوضاعهم الإقتصادية البسيطة ، إذ إن هذه المشروعات

---

١ – كتانة ، هندسة الري ، ص٦٧ .

٢ – كتانة ، هندسة الري ، ص٧٩ .

٣ – الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٣٠٦ ؛ بليايبف ، ي . أ ، العرب والاسلام والخلافة العربية ، ترجمة : انيس فريحة ، الدار المتحدة للنشر (بيروت ، ١٩٧٢م) ص٢١١ ؛ البطاينة ، محمد ضيف الله ، الحياة الاقتصادية في العصور الاسلامية الاولى ، دار طارق ، (بلا . م ، بلا . ت) ص٢٠٠ .

٤ – البلدان ، ص٢٥٤ ، ٣٦٤ .

مثل حفر الأنهار وتجفيف المستنقعات تحتاج إلى زمن طويل وجهود كبيرة ونفقة باهظة لا يصبر على مثلها الأفراد ، ولذلك قل أن كانت المشروعات الكبيرة فردية ، وإن حدث ذلك فلا بد أن يكون الفرد ممن يتصل بالدولة بسبب ما مثلما روي عن الخيزران أم الخلفاء [1] .

ولكن ربما تستخدم الدولة أهل الذمّة من بين الأيدي العاملة التي تقوم بمثل هكذا مشاريع ، لحاجتها لأعداد كبيرة من العمال والصناع والمهرة . وقد ناقش أبو يوسف[2] هذه المسألة وبين مسؤولية الدولة ومسؤولية الفرد ، فأوجب على الدولة أن تنفق على البثوق والمسنيات والبريدات بمعنى مفاتيح التي تكون في دجلة والفرات وغيرهما من الأنهار العظام ، وجعل على أهل الخراج أن ينفقوا على الأنهار التي يجرونها إلى ارضهم ومزارعهم وكرومهم . وفي هذا النص دلالة واضحة على مساهماتهم في قطاع الزراعة في مجال شق الأنهار . وفي حال عجز هؤلاء المزارعين سواءا كانوا مسلمين أم من أهل الذمّة عن الزراعة ، كانت الدولة تساعدهم أو تتولى زراعة ما عجزوا عنه من الأرضين وتلحقه بضياع الخلافة [3] .

ومما ساهم به خلفاء بنو أمية في مجال الزراعة قيام يزيد بن معاوية بحفر نهر لسقي ضيعتين في الغوطة وعندما تولى الخلافة أمر بتوسيع هذا النهر ، وعندما اعترض أهلها ضمن لهم خراج سنتهم وأعفاهم منها [4] .

وعندما بنيت الرملة في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك حفر فيها قناة لري المزروعات وتدعى قناة بردة [5] . وقد انفرد الأقباط - في غالب الظن - بالمشاركة في الزراعة ، وأسهم اليهود والمسيح في أعمال صيانة الأنهر كحفر الترع والخلجان ،

---

[1] - البطاينة ، الحياة الاقتصادية ، ص٣٠٢ .

[2] - الخراج ، ص١١٠ ؛ قدامة ، الخراج ، ص٢٤٨ .

[3] - البطانية ، الحياة الاقتصادية ، ص٣٠٣ .

[4] - ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢ ، ص١٥٢ .

[5] -البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٤٩ .

وذلك في مساهمة منهم لتوفير المياه لسقي المزروعات ، ويتم ذلك برغبة منهم أحيانا ، أو رغما عنهم وذلك بتسخيرهم مثل غيرهم من المسلمين[1] .

المبحث الثالث

إسهامات أهل الذمّة في القناطر والجسور

كان لأهل الذمّة اسهام واضح في عمل القناطر والجسور في الدولة الاسلامية وذلك لخبرتهم الواسعة في هذا المجال فهم اهل البلاد المفتوحة ، وهم اعرف بتضاريس مناطقهم ، وبالتالي اثرت هذه المعرفة على اتقانهم لاماكن وضع الجسور والقناطر بأماكنها الصحيحة.

وبعد أن أمر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان ﷺ بمسح أرض السواد ، قام الأخير بإصلاح القناطر التي نزل عندها ونسبت إليه [2] . كما إن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وضع نفقة إصلاح السدود في الأنهار العظام على بيت المال[3].

أما الخليفة عثمان بن عفان ﷺ (٢٣- ٣٥هـ / ٦٤٥- ٦٥٦م) فقد استثمر ثروات الفرس والروم التي آلت للدولة الإسلامية في البناء العمراني ، على أساس أن العمران مظهر حضاري يلائم ويعبر عن واقع الدولة التي صارت إليه ، وحتى لا

---

١ – المقريزي ، الخطط ، ج٢ ، ص١٦٧ ؛ قاسم ، أهل الذمّة ، ص١٣٩ .

٢ – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٣٣ ؛ ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله (ت : ٦٢٦ هـ /٨٧٥م) المشترك وضعا والمفترق صقعا ، بريل (ليدن ، ١٨٤٦م) ص٣٥٩.

٣ – أبو يوسف ، الخراج ، ص٩٧ .

تظل صفة البداوة عالقة بها ولكي تحظى بالاحترام بين الدول المجاورة لها [١] . فقد جرى في عهده إقامة جسر منبج[٢] في بلاد الشام [٣] ، وذكر الشعبي : إن أهل أليس بنو الجسور على نهر الفرات ليعبر عليه المقاتلة [٤] ، وإلى جانب بناء الجسور وإصلاح الطرق كان على الفلاحين بناء القناطر على الأنهار ، وهذا يدل على اهتمام المسلمين بالقيام ببعض الإصلاحات قبل وبعد الاستقرار ففرض على أهل دمشق " بناء القناطر على الأنهار من أموالهم الخاصة " [٥] ، وفرضت تكاليف إضافية على أهل الذمّة غير الجزية والخراج إذ إن معظمها ارتبط بالأعمال الزراعية ولاسيما أن الحرفة الأساسية في المشرق هي الزراعة ، فمن الأعمال التي فرضت على الفلاحين إقامة الجسور والقناطر وحفر القنوات وغيرها [٦] .

ويتضح ذلك من خلال بنود الصلح مع أهل البلاد المفتوحة ففي مصر اشترط عمرو بن العاص على أهل الإسكندرية إصلاح الطرق وإقامة الجسور مابين

---

١ – الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٢٤٠ ؛ الريس ، محمد ضياء الدين ، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، دار المعارف ، ط٣ (القاهرة ، ١٩٦٩م) ص١٥٦-١٥٧ .

٢ – مدينة واسعة ذات خيرات كثيرة ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٠٦ .

٣ – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٧٨ .

٤ – أبو يوسف ، الخراج ، ص٣٠ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص٥٨٤ ؛ بثينة ، عبد الرحمن عيسى ، التكاليف والضرائب الإضافية في صدر الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة (الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا ، ١٩٩٧م) ص٥٧ .

٥ – أبو يوسف ، ص١٤٣ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص١٢٤ ؛ الرحبي ، الرتاج ، ج٢ ، ص١٩٠؛ بثينة ، الضرائب الإضافية ، ص٥٧ .

٦ – ابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت : ٢٥٧هـ / ٨٧١م) فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق : محمد الحجيري ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٩٦م) ص١٥١ ؛ ابن البطريق ، التاريخ المجموع ، ص٢٤ ؛ بثينة ، الضرائب الإضافية ، ص٥٧ .

الفسطاط إلى الإسكندرية [1] ، الأمر الذي يسهل على المسلمين المرور وهذا ما حدث حقاً إذ " أصلحوا لهم الطريق واقاموا لهم الأسواق والجسور [2] ، ويبدو أن المسلمين استخدموا السخرة في حفر خليج أمير المؤمنين ، إذ استخدموا عددا من أهل البلاد المفتوحة وذلك لأن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أعاد حفرها مرة أخرى [3] ، وأن المسلمين فرضوا على المصريين أعادة حفر قناة تراجان من بابليون إلى البحر الأحمر [4] .

ووضحت عناية الولاة بالأرض والترع والجسور منذ قدوم عمرو بن العاص إلى مصر واستقرار الأمر له فيها فقد قام بحفر خليج أمير المؤمنين ، كما قام بعمل أكثر من مقياس للنيل بأسوان ودندرة ونصتان [5] ، واهتم عبد العزيز بن مروان والي مصر بالترع والجسور أيضا وقام بإنشاء مقياس للنيل بحلوان التي اتخذها مقرا له[6] له[6] . وفي العصر الأموي أيضا اهتموا ببناء القناطر والجسور ، واقاموا الخزانات لخزن مياه الأمطار [7] . وقام زياد بن أبي سفيان ببناء قنطرة الكوفة على نهر الفرات ، وهو أول من بناها في الإسلام ، ذكر ذلك البلاذري بقوله [8] : " كان أول من بناها رجل من العباد من جعفى في الجاهلية ، ثم سقطت فاتخذ في موضعها

---

1 – ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص٧٢-٧٣ ؛ ابن البطريق ، التاريخ المجموع ، ص٢٢ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٢٩٣ ؛ بثينة ، الضرائب الإضافية ، ص٥٨.

2 – ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص١٥١ ؛ بثينة ، الضرائب الإضافية ، ص٥٨ .

3 – كاشف ، سيدة إسماعيل ، مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي الى قيام الدولة الطولونية (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م) ص٣٠٥ ؛ بثينة ، الضرائب الإضافية ، ص٥٨

4 – المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٢٩٨ ؛ بثينة ، الضرائب الإضافية ، ص٥٩ .

5 – ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص١٦٢ ، ١٦٦ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٥٦-٥٧.

6 – ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص١٨٥ .

7 – العيثاوي ، مشاريع الري ، ص٥٧ .

8 – فتوح البلدان ، ص٣٥١ .

جسرا ، ثم بناها في الإسلام زياد بن أبي سفيان، ثم ابن هبيرة ، ثم خالد بن عبد الله ، ثم يزيد بن عمر بن هبيرة ، ثم أصلحت بعد بني أمية مرات " .

ويبدو أن زياد قد بناها لتنظيم عملية ري الأراضي الزراعية القريبة منها والتخفيف من أثر الفيضانات التي تحصل وتؤثر على الزراعة بشكل كبير . وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان أمر واليه على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي بإقامة الجسور على الأنهار [١] ، ولم يستثن مياه الأمطار من اهتماماته ، فقد بنى لها الصهاريج لخزنها وتجميعها ، وقد تميزت إحدى هذه الصهاريج بالضخامة والسعة[٢] والسعة[٢] . وكان يقصد ببناء هذه الصهاريج توفير مياه الشرب لأهل المواسم والقوافل [٣] . وقد اهتم الخليفة الأموي ببناء القناطر إذ إن واليه على العراق خالد بن بن عبد الله القسري أصلح القنطرة التي بنيت على نهر الفرات قبل الإسلام [٤] . وكذلك فأنه استأذن الخليفة هشام بن عبد الملك في عمل قنطرة على نهر دجلة فأذن له في عملها بعد رفضه في بداية الأمر [٥] ، ويتضح أن عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك كان زاخرا بأعمال المشاريع الإروائية المختلفة سواء قامت الدولة بحفرها أو بعض الأفراد من عامة الناس ، فقد قام بعض الأفراد من استثمار رؤوس أموالهم في حفر الأنهار وإقامة السدود والقناطر [٦] .

ويبدو أن مستثمري هذه الأموال في هذا المجال هم أهل الذمّة من اليهود وغيرهم لأنهم أصحاب الصيرفة ورؤوس الأموال عندهم وان كبار رجال الدولة كانوا يودعون أموالهم عندهم لتشغيلها بالتجارة وغيرها .

---

١ – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٥١ . طه ، عبد الواحد ذنون ، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، مطابع جامعة الموصل (الموصل ، ١٩٨٥م) ص١٥١ .

٢ – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٥٥ .

٣ – طه ، العراق في عهد الحجاج ، ص١٥٢ .

٤ – الريس ، الخراج ، ص٣٥١ ؛ العيثاوي ، مشاريع الري ، ص٦٥ .

٥ – الريس ، الخراج ، ص٣٥٦ ؛ ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص٩٦ .

٦ – الأعظمي ، عواد مجيد ، الزراعة والإصلاح الزراعي في عصر صدر الإسلام والخلافة الأموية ، مطبعة الجامعة (بغداد ، ١٩٨٧م) ص١٤٩ .

وفي عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك نعم أهل الذمّة بمعاملة حسنة وطيبة ، واستخدمهم في وظائف الدولة ، فقد كتب للخليفة سليمان بن عبد الملك كاتب نصراني يدعى البطريق بن النقا ، فضلاً كونه ناظرا له على ممتلكاته في الرملة من أعمال فلسطين ، وأوكل له مراقبة القنوات والآبار والمسجد الموجود بها [1] .

وأشار المقدسي [2] إلى براعتهم في البناء بقوله : " هناك جسر ليس بجميع خراسان أعجب عملاً منه بناه رجل مجوسي وكتب عليه اسمه ..." . وفضلا عن ذلك فأن أهالي البلاد المفتوحة كان عليهم أن يحافظوا على القنوات والسدود والجسور ، وإن عليهم أن يعرضوا خدماتهم في هذا المجال وفي الشؤون الأخرى [3] .

ولما دخل العرب المسلمون بلاد الشام كانت المنشآت الخاصة بالزراعة في المدن القديمة قد صممت منذ العصر الروماني ، ومنها مدينة دمشق التي اجروا فيها القنوات لتوصيل المياه إلى داخل المدينة حتى ضلت لقرون عدة " وصلت إلى القرن العشرين الميلادي " [4] . ومن هذه المنشآت الرومانية التي حفظتها لنا أمهات الكتب الإسلامية ، ما ذكره المقدسي [5] عن مدينة صور : إن لها قناة معلقة يدخل منها الماء إلى المدينة . وذكر القزويني [6] إنها إحدى عجائب الدنيا وهي من احد الطرفي الطرفي إلى الآخر على قوس واحد ، وليس في جميع البلاد قنطرة أعظم منها . كما

---

1 – البلاذري، فتوح البلدان ، ص١٤٩ ؛ الهمذاني ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٠٢.

2 – أحسن التقاسيم ، ص٣٣٠.

3 – كريمر ، فون ، الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الاجنبية ، ترجمة : مصطفى طه بدر ، دار الفكر العربي (القاهرة ، ١٩٤٧م) ص٨٤ .

4 – سبانو ، أحمد غسان ، دمشق في دوائر المعارف العربية والعالمية ، سلسلة دراسات ووثائق دمشق الشام ، رقم ٦ ، دار الكتاب العربي (بيروت ، بلا . ت) ص١٦٧ .

5 – أحسن التقاسيم ، ص١٦٤ .

6 –أثار البلاد وأخبار العباد ، ص٢١٧ .

ذكر عن قناة أخرى لمدينة حلب : إن هذه القناة كما قيل هي عين إبراهيم الخليل " وتأتي من حيلان شمال حلب " وقيل إن الملك الذي بنى حلب وزن ماءها إلي وسط المدينة وبنى عليها ، وقد وصف تركيب هذه القناة وصفا دقيقا ، كما ذكر أن هذه القناة قد جددت في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، ويؤكد أن هذه القناة ليست إسلامية كما ذكرت بعض المصادر ، وإنما هي في الأصل من المنشآت الرومانية القديمة[١].

وقد تعددت في المدن التي تخللتها القنوات المائية والأنهار والقناطر والجسور التي تربط بين أجزائها ، فربطت بين أحيائها ربطا عضويا سهل الاتصال ويسره واستفاد من جمالية الماء في هذه القنوات المائية بالمشاهدة ، وزادت القيمة الجمالية بتلك التكوينات المعمارية رائعة التخطيط والتنفيذ ، فكانت هذه القناطر بمثابة عناصر ربط بين الطرق البرية في ارباض المدينة المتصلة في مجاوراتها من المدن ، ومكنت من الاستمتاع بالمشاهدة الجمالية للقناة أو النهر أثناء المرور عليها ، إلا أنها كانت في حد ذاتها تحفة معمارية يتوق المرء إلى رؤيتها والمرور عليها . ومن أشهر المدن التي تضمنت أمثلة عديدة لهذه القناطر مدينة بغداد [٢] .

ومن اشهر هذه القناطر قنطرة أو عبارة الرصاصي وقد كانت العبارة التي أنشئت على قنطرة الرصاصي لعبور فرع النهر الجعفري ، تستعمل في نفس الوقت جسرا لعبور الناس والدواب أيضا . ويرجح أن الجعفري كان يجري وسط العبارة ، وعلى جانبيه ممران للسابلة والحيوانات ، ويبدو أن العبارة بقيت تستخدم جسرا للعبور بعد أن أهمل النهر الجعفري ، وكانت العبارة الشمالية ، أصغر وتقتصر على عبور فرع الجعفري عليها . ويلاحظ من الآثار المتبقية لقنطرة الرصاصي الأصلية أنها كانت تتألف من ثلاث دعامات ، وأن مجرى النهر كان يمر

---

١ – ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ص١٤٣-١٤٤ ؛ مراش ، عبد الله ، مختصر تاريخ حلب ، دار الكتب (القاهرة ، ١٩٥٦م) ص٨٣-٨٤ .

٢ – عثمان ، محمد عبد الستار ، المدينة الإسلامية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت ، ١٩٨٩م) ص١٧٨ .

من تحت القنطرة بفتحتين [1] . ومما يجدر الإشارة إليه أن العبارة بنيت بالآجر ومونة النور والرماد ، والأرجح أن حوض النهر الذي يمتد فوق العبارة كسي بطبقة من الرصاص للحيلولة دون نفوذ المياه إلى داخل البناء ، وتدل آثار الدعامات على أن البناء الإضافي في الجانب الغربي يتألف من ثلاث فتحات وأربع دعامات منها دعامة واحدة ملاصقة للدعامة الغربية للقنطرة الأصلية لحمل الطوق فوق الفتحات الجديدة ، وإن البناء في الجانب الشرقي يتكون من فتحتين وثلاث دعامات ؛ منها دعامة واحدة ملاصقة للدعامة الشرقية للقنطرة الأصلية على نفس الترتيب في الجانب الغربي [2] .

الطرقات :

عني أهل العراق بالطرق من حيث تخطيطها وتنظيمها وصيانتها وذلك لأهميتها ولإظهارها بالشكل الذي ينسجم مع التشريعات الإسلامية الخاصة بالنظافة ، فقد نبه الفقهاء على عدم تضييق الطرق ، ومنع بناء ما يضيقه ، ولذلك ألزموا بهدمه ، حتى وإن كان مسجدا ، لأن الطرق لمسير العامة لا للأبنية [3] . كما منعوا ربط الدواب في الطريق كي لا يضيقها ويخل بنظافة المدينة [4] . وقد حددوا معالجة آثار الأمطار والوحول والثلوج ، وكلفوا من يقوم بإزالتها إذا كان أثرها على الطريق بشكل عام ، وجعلوا ذلك مسؤولية جماعية ، وإذا كانت بسبب ميازيب الدور فعلى صاحب الدار يقع العمل الفردي ، وإن كانت من المطر والثلج فيقع أمر معالجتها على عاتق الدولة والناس معا [5] . لذلك أولى أهل بغداد خاصة وعامة عناية كبيرة

---

١ – عبد الباقي : عاصمة الدولة العربية ، ج١ ، ١٦٠ .

٢ – سوسة ، ري سامراء ، ج٢ ، ص٣٣٤-٣٣٥ .

٣ – أبو يعلى ، الأحكام السلطانية ، ص٣٠٦ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٢ ، ص٧٤٦ .

٤ – الغزالي ، الإمام أبو حامد محمد بن محمد (٥٠٥هـ / ١١١١م) إحياء علوم الدين (مؤسسة الحلبي ، ١٩٦٧م) ج٢ ، ص٤٣٢ ؛ ابن الإخوة ، معالم القربة ، ص٧٩ .

٥ – الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج٢ ، ص٤٣٣ .

لتنظيم المدينة ونظافة شوارعها وطرقها ، إذ عينوا عمالا دائمين يقومون بتنظيفها [١] . وتطلق الطرقات على الشوارع الرئيسة في المدينة وقد خططت بشكل مستقيم يضمن لها كفاءة نقل جيدة ، كما أنها توصل مركز المدينة وقلبها النابض ممثلاً بمركزها السياسي بالمركز الإداري والديني وأقيمت الطرق الفرعية لربط الطرق الرئيسية في مدينة سامراء [٢] مثل الشارع الأعظم المعروف بالسريجة يقع شرق شارع الخليج وهو الشارع الرئيسي للمدينة فكان يعرف في أول الأمر باسم شارع السريجة ثم سمي الشارع الأعظم وكان يمتد هذا الشارع في عهد الخليفة المعتصم مسافة " تسعة عشر كيلومترا تقريبا " من آخر البناء في المطيرة جنوبا إلى آخر البناء في قطيعة أشناس ودور عربيا شمالا [٣] . وهو من الشوارع المهمة في المدينة ؛ لأن أكثر الاستعمالات الإدارية والدينية والصناعية والتجارية تقع عليه ، مثل دار الخلافة ، والجامع القديم ، ودار الشرطة ، وديوان الخراج ، وسوق الرقيق ، والحبس الكبير وبعض القطائع كقطائع قواد خراسان ، وقطيعة الإسطبلات لدواب الخليفة الخاصة والعامة ، والخزائن الخاصة والعامة ويوجد في هذا الشارع سائر الخدم الكبار [٤] ، وشارع أبي أحمد يعرف الشارع الثاني بأبي أحمد ، وهو أبو أحمد بن الرشيد [٥] أول هذا الشارع من المشرق دار بختشيوع المتطبب التي بناها أيام المتوكل ويقع هذا الشارع إلى الشرق من الشارع الأعظم وقد قامت عليه بعض

١ – إخوان الصفا ، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا (ق٤هـ / ١٠م) دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧م ، ج١ ، ص٢٨٨ ؛ فهد ، العامة ، ص٦٠-٦١ .

٢ - السامرائي ، حسين علوان إبراهيم وسحاب خليفة ، العوامل الجغرافية وأثرها في اختيار موضع وموقع سامراء العباسية " ، بحث منشور في مجلة سر من رأى ، المجلد الرابع ، العدد العاشر ، السنة الرابعة (جامعة تكريت ، كلية التربية / سامراء ٢٠٠٨م) ص٨.

٣ – اليعقوبي ، البلدان ، ص ٦ ؛ سوسة : ري سامراء ،ج١ ، ص٦١ .

٤ – اليعقوبي ، البلدان ، ص ٦٠؛ السامرائي وسحاب ، العوامل الجغرافية ، ص ٨ .

٥ – أحمد بن الرشيد : هو محمد بن هارون الرشيد أبو أحمد أخو العباس أمه أم ولد يُقال لها كتمان كان ظريفاً أديباً معاشراً للفضلاء منادماً للخلفاء (ت : ٢٥٤هـ / ٨٦٨م) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج٥ ، ص٩٦.

القطائع مثل قطائع الوزراء والقضاة والكتاب وسائر الناس ، وهو مخصص لسكن القضاة والكتاب والوزراء [1] . وهناك شوارع أخرى في مدينة سامراء كشارع الحير الأول وشارع برغامش التركي وشارع الخليج وشارع الأسكر " العسكر " [2].

---

[1] - السامرائي وسحاب ، العوامل الجغرافية ، ص٩ .

[2] - ينظر: اللهيبي ، المنشآت العمرانية ، ص١١٩-١٢٠ .

الفصل الثالث

إسهامات أهل الذمّة في الجانب الاقتصادي

المبحث الأول: إسهاماتهم الزراعية

المبحث الثاني: إسهاماتهم الصناعية

المبحث الثالث: إسهاماتهم التجارية

المبحث الأول
إسهامات أهل الذمّة في الزراعة

قبل الدخول في الحديث عن إسهام أهل الذمّة في الزراعة ، لابد من أن نصف الأراضي التي فتحها المسلمون ليتسنى دراستها وتسليط الضوء عليها من خلال نوعها وهي على ثلاثة اصناف :—

- **الأراضي الخراجية** : وهي الأراضي التي فتحها المسلمون عنوة أو صلحاً ، ولكنهم تركوها بيد اهلها ويدفعون عنها الخراج كبدل إيجار عنها [1] ، وبما أن الخراج لم يرد فيه نص قرآني كالجزية لذلك كان أمره موقوفا على الإجتهاد في الرأي من قبل الفقهاء [2] ، قال ﷻ: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[3] ، واستقر رأي الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أنه فيء [4] للمسلمين وقد تقرر مقدار الخراج فيها وفقا للضوابط التي حددها ﷺ وهي المساحة والخصوبة ونوع الري ونوع المحصول وقرب الأرض من الأسواق وغالبا ما تجبى هذه الضريبة نقدا أو بالتقسيط [5] ، وظلت كذلك في العصر الأموي ، وكانت اراضي أهل الذمّة خراجية كلها [6] .

وهنا التزمت إدارة الدولة بسياستها في الرفق بأهل الذمّة وعدم تحميلهم فوق طاقتهم ، ويظهر هذا واضحا في سياسة الخلفاء الراشدين

---

[1] – ابو يوسف ، الخراج ، ص٧٥ ؛ خليل ، محسن ، في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي (بغداد ، ١٩٨٢م) ص٢٤٧ .

[2] –الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٢٣١ .

[3] – سورة المؤمنون ، الآية : ٧٢ .

[4] –الفيء : هو كل مال وصل من المشركين عفوا من غير قتال ولا بإيجاف خيل ولا ركاب ، ابو يوسف ، الخراج ، ص٢٧ ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٢٦ .

[5] – الريس ، الخراج ، ص٤٠٣ .

[6] – ابو يوسف ، الخراج ، ص٨٢ ؛ الشريف ، أهل الذمة ، ص١١٢.

ﷺ تجاههم [1] . إذ أكدوا عدم إرهاقهم في دفع الخراج [2] . وكان جل اهتمامهم التخفيف عنهم حتى لو كان في ذلك أضرار بمصلحة بيت المال [3] .

- **اراضي الصوافي** : وهي ما كانت ملكا لكسرى وأهل بيته والنبلاء ومن قتل في الحرب وهرب اثناء الفتح واوقاف البريد واوقاف بيوت النار والآجام وغيرها وتشمل البطائح وكل أرض ليس لها مالك يملكها ، والأراضي الموات التي تحتاج إلى جهد ونفقة لإحيائها إذ اصطفاها الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وعدّت ملكا وفيئا مشتركا للفاتحين الأولين [4] . وبما أنها لم تكن بيد أحد فقد عولج أمرها بعدة طرق : : إما أن يعمرها الوالي ويؤدي عنها إلى بيت المال ، أو أن ينفق عليها ويستأجر من يقوم بأمرها أو أن يقطعها أحد المسلمين [5] .
- **الأراضي العشرية** : وهي الأراضي التي استصلحها المسلمون والتي فرض عليها العشر حسب طريقة السقي فإذا كانت تروى بصورة طبيعية بالأمطار أو سيحاً توجب عليها دفع العشر ، أما إذا كانت تروى بالواسطة وينفق عليها فعليها نصف العشر [6] .

---

1 - أبو يوسف ، الخراج ، ص٥٢٥ ؛ أبن آدم ، الخراج ، ص٢٣ ؛ المنبجي ، أغابيوس ، المنتخب من تاريخ المنبجي ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (لبنان ، ١٩٨٦م) ص٥٣ .

2 - أبن أبي الحديد ، نهج البلاغة ، ج٣ ، ص٨١ ؛ أبن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمّة ، ج١ ، ص١٢٣.

3 - الكبيسي ، الخراج ، ص٢٠١ ؛ الغريري ، وسن ، أهل الذمّة ، ص٣٢ .

4 - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٧٢ ؛ ابو يوسف ، الخراج ، ص٥٧ ؛ ابن آدم ، الخراج ، ج٣ ، ص٦٣ ؛ الدوري ، عبد العزيز ، النظم الإسلامية (مركز دراسات الوحدة العربية ، بلا . ت) ص٨٠-٨٣ .

5 - ابن آدم ، الخراج ، ج٣ ، ص٦٣ ؛ عوادات ، أحمد عبدالله ، الحياة الإقتصادية في العراق في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، ١٩٨٨م) العدد : ٣٤ ، ص٢١٨ .

6 - الدوري ، النظم الاسلامية ، ص٨٠ .

فالحياة الإقتصادية تقوم بشكل عام على أساس الزراعة ، إذ تعد المورد الرئيس لمعيشة السكان ، ومصدرا مهما من مصادر الثروة الإقتصادية في البلاد ، لذلك أهتم سكان المشرق العربي الإسلامي اهتماما كبيرا ومنذ عصور قديمة بالزراعة ، وقد أولى اكاسرة الفرس اهتمامهم وعنايتهم بالزراعة في العراق ، حتى إن تعاليم الديانة الزرادشتية التي أنتشرت في العراق في عهد الفرس ، كانت الزراعة وتربية الماشية تعد من أشرف الأعمال للإنسان ، ولذا فقد حبب زرادشت إلى الناس أن يزرعوا ويعيشُوا مع ماشيتهم وأن يعملوا[1] .

وقد عدّت التنظيمات والنتائج الإصلاحية لدولة الرسول ﷺ ذات سوابق هامة للخلفاء الراشدين ﷺ إذ اخذوا واسترشدوا بها حرفيا وكانت تلك المهمة للخلفاء شاقة لأن الفتوحات شملت أراضي ذات أهمية كبيرة لها نظامها وتقاليدها الزراعية والمالية [2] ، وزاد استمرار الخلفاء الراشدين ﷺ وعنايتهم بالإصلاح الزراعي وذلك على أثر الفتوحات الإسلامية التي شملت اقاليم زراعية واسعة في المشرق وغيره من المناطق التي كانت خاضعة للإمبراطورية الفارسية أو البيزنطية ، إذ كانت هذه الفتوحات صريحة في تأليف القلوب والحفاظ على الزرع والنخل والثمر والبهائم ، وكان من أهم النتائج التي ترتبت على أثر هذه الحركة الواسعة من الفتوح إجتهادات إصلاحية جديدة منها الإهتمام بالزراعة والري ومعاملة سكان البلاد من اهل الذمة ومالكي الارض بالحسنى [3] . واستصلاح الأراضي ومساعدة الفلاحين بعدم اثقالهم بالضرائب ، لأنها كانت تدرك تماما مدى العلاقة بين الإزدهار الزراعي وبين ازدياد الموارد من خراج الأرض الذي يعد من الموارد الرئيسية لبيت المال إذ إنه يحقق

---

١ – أمين ، فجر الإسلام ، ص١٢١ .

٢ – فرجاني ، مراد ، الإصلاح الزراعي والمالي في العصر العباسي الأول وانعكاساته على بلاد المغرب ١٣٢-٢٣٢هـ / ٧٤٩- ٨٤٧م ، رسالة ماجستير غير منشورة (الجمهورية الجزائرية ، جامعة العقيد لحاج لخضر ، باتنة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ٢٠١٥م) ص٢٦ .

٣ – يقول الماوردي : فاما المزارع فهي اصول المواد التي يقوم بها الملك وتنتظم بها احوال الرعايا ، فصلاحها خصب وثراء ، وفسادها جدب وبلاء . الاحكام السلطانية ، ص٢٢٩-٢٣٠.



الجزء الأكبر من ثروتها " الخراج "[١] . فالخليفة أبو بكر الصديق (١١- ١٣هـ / ٦٣٢-٦٣٤م) ﷺ عندما وجه خالد بن الوليد ﷺ إلى فتح العراق سنة (١٢هـ / ٦٣٣م) اوصاه بأن لا يتعرض للفلاحين والزراع بسوء ، بل يقر الذين لم يحاربوا منهم ويتكفل بحمايتهم وحماية أرضهم [٢] ، وكذلك فقد اتبع الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ سياسة اصلاحية رشيدة تجاه الأراضي الجديدة إذ قرر أن تبقى أراضي البلاد المفتوحة بدون تقسيم وأن يستمر اهلها في زراعتها كما كانوا يفعلون[٣] ، فأرسل عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان ﷺ لمسح الأراضي الزراعية وقياسها وراعى في كل أرض ما تحتمله لتقدير خراجها [٤] ، ولتنظيم ملكيتها وزراعتها من جهة أخرى كما الزم أهلها بمواصلة العناية بالقنوات والسدود والجسور ، وقد الغى عن فلاحيها ضريبتي النخل والكروم وكل شيء من ناتج الأرض الزراعية ، عونا للفلاحين وعدم تحميلهم مالا يطيقون [٥] ، وبهذا وفر للفرد في البلدان المفتوحة حق الأقامة والإستقرار والإستمرار في الزراعة ، مما وفر ايرادات مالية كبيرة ومستقرة للدولة.

استقى الخلفاء الراشدون ﷺ اصلاحاتهم الزراعية من أسس الشريعة الإسلامية كما استفادوا من نظم وحضارات الأمم السابقة على ظهور الاسلام فأخذت منها ما يتوافق مع مفاهيمها وقيمها الاسلامية [٦] ، وقد أداروا البلاد المفتوحة إدارة شبه عسكرية في الغالب لنظامها الزراعي والمالي والتي بدورها انعكست على طبيعة الإصلاحات حيث ابقوا الأمور على ما وجدوها لاسيما في القرى والأرياف

---

١ – محمد ، فتحي عثمان ، المدخل الى التاريخ الاسلامي ، دار النفائس (بيروت ، ١٩٩٢م) ص٤٩٤.

٢ – الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص١٤٨ .

٣ – العبادي ، تاريخ الحضارة ، ص١٨٦ ؛ الريس ، الخراج ، ص١٠٥-١٠٦ ؛ فرجاني ، الإصلاح الزراعي ، ص٢٧ .

٤ – ابو عبيد ، الأموال ، ص٤٨ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٧-٢٨ .

٥ –ابو يوسف ، الخراج ، ص٣٨ ؛ الريس ، الخراج ، ص١٠٨-١٠٩ .

٦ – الريس ، الخراج ، ص٨٨-٨٩ ؛ الصالح ، النظم الإسلامية ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ؛ فرجاني ، الإصلاح الزراعي ، ص٣١ .

واستخدموا الموظفين من أهل البلاد المفتوحة من المجوس والنصارى من الذميين في الإدارة وجمع الضرائب [١] ، فكان سرجون الرومي على خراج دمشق ، وابن آثال النصراني على خراج حمص [٢] ، كما استعمل الدهاقنة في جباية الخراج لاسيما في العراق لخبرتهم ومعرفتهم بالأمور المالية ، إذ لم يكن للعرب والمسلمين بعد خبرة ودراية بأحوال البلاد المفتوحة [٣] .

ولما فتح المسلمون العراق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أولى الخليفة عناية كبيرة في الأرض ، وذلك بالتخفيف عن الفلاحين وتحريرهم من عبودية الإقطاعيين والدهاقنة بإعادة الأرض اليهم وتخليصهم من نيرهم [٤] ، وإن اجراءاته في إبقاء الأرض المفتوحة في العراق بيد اصحابها كانت تتسم بالروح الإنسانية والعدالة الإجتماعية كما تنم عن عبقرية فذة في علاج المشاكل الإقتصادية فقد رفض الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أن يقسم أرض السواد على الفاتحين بوصفها جزء من الغنائم التي حازوها بإنتصاراتهم على الفرس ، فأبقى هذه الأرض لأصحابها مقابل دفعهم الخراج [٥] ، وإذا اسلم الذمّي سقطت عنه الجزية وبقي الخراج على أرضه[٦].

---

١ – المقريزي ، الخطط ، ج٢ ، ص١٢٢ ؛ فرجاني ، الإصلاح الزراعي ، ص٣٢ .

٢ – الجهشياري ، ابو عبد الله محمد بن عبدوس (ت : ٣٣١هـ / ٩٤٢م) الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا ، وابراهيم الابياري وآخرون ، شركة الامل للطباعة والنشر (القاهرة ، ٢٠٠٤م) ص٢٧ ؛ النبراوي ، فتحية ، تاريخ النظم والحضارة الاسلامية ، دار المعارف (القاهرة ، ٢٠٠٨م) ص١٨٦ ؛ الريس ، الخراج ، ص١٩١ ؛ فرجاني ، الإصلاح الزراعي ، ص٤٥ .

٣– الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص٢٧ ؛ ابو عبيد ، الاموال ، ص٦٢ ؛ اليعقوبي ، البلدان ، ص١١٥ ؛ الريس ، الخراج ، ص١٩١ ؛ فرجاني ، الإصلاح الزراعي ، ص٣٥ .

٤ – الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص١٨٣ .

٥ – الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص١٨٣ .

٦ – ابن عبد الحكم ، أبي محمد عبد الله (ت : ٢١٤هـ / ٨٢٩م) سيرة سيدنا عمر بن عبد العزيز ، المطبعة الرحمانية (القاهرة ، ١٩٢٧م) ص٩٥ .

وقد أدت هذه السياسة الإقتصادية إلى زيادة الروابط بين المسلمين وأهل الذمّة ، لأن الشريعة الإسلامية ضمنت لأهل الذمّة حرمة ممتلكاتهم واموالهم وحرية نشاطهم الإقتصادي[١] ، فشاركوا المسلمين في الحياة الإقتصادية بالإضافة إلى مساهمتهم في الحياة الإجتماعية والعلمية ، فمنهم من كان طبيبا وفيلسوفا ومهندسا وتاجرا وصرافا وبزازا [٢] . وكل هذه المهن ادت بالنتيجة إلى إسهامهم وبشكل واضح في الجانب الإقتصادي بشكل عام .

وهناك دلائل واضحة على إن الزراعة كانت زاهرة ونشطة في مناطق واسعة من أرض السواد واكثر من ذلك ، إذ ذكر بأن مدينة عانة لا يوجد مكان في العالم اكثر رونقا وجمالا منها ، وقد احاطت بها الحدائق والبساتين الزاخرة بالأشجار والرياحين ، وذلك بطول فرسخ ، إذ إن ضوء الشمس لا يقع من جوانبها على الأرض ، وهناك انشأوا الجواسق [٣] والأبنية العالية المنحوتة من الرخام وقد شيدوا بناءها من اعماق الأرض وفتحوا في جوانبها النوافذ التي تطل على الفرات والحدائق الشبيهة بالجنات وهكذا فأن بهجة تلك البساتين ونظرتها ومزارع النخيل لما يفوق حد الوصف وعلى هذا النمط الذي ذكر تمتد العمارات توابع الفرات إلى مسافة تسعين فرسخا إبتداءً من سكر الفلوجة [٤] الواقعة على حدود الأنبار حتى نهاية سرداج [٥]

---

١ – ابن عبد الحكم ، سيرة سيدنا عمر بن عبد العزيز ، ص٩٦ .

٢ – ابو يوسف ، الخراج ، ص١٢٣ .

٣ – الجواسق : مفردها جوسق وهو القصر وقيل الحصن وهي لفظة معربة عن الفارسية وقيل اصلها كوشك ، الفراهيدي ، العين ، ج٥ ، ص٢٤٣ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٠ ، ص٣٥ .

٤ – الفلوجة : قيل فلاليج السواد أي قراها ، واحداها الفلوجة هي الفلوجة الكبرى والفلوجة الصغرى هما قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة ويقال ايضا العليا والسفلى وفي الصحاح الفلوجة الأرض الصالحة للزراعة ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج٤ ، ص٢٧٥ .

٥ – سرِدج : وهي بلدة قريبة من حران من ديار ربيعة وبينها وبين حران مسيرة يوم ، وهي كثيرة المياه والبساتين وبها الرمان المفضل والكمثري والخوخ والسفرجل . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢١٦ .

وحران [1] ، وهذه العمارات يتصل بعضها ببعض على امتداد طول النهر المذكور على شاطئ نهر الفرات حتى لا تنحسر قطعا ظلال الأشجار عن أي بقعة وتظل السدود قائمة على الدوام ودواليب السواقي تدور بالمياه على الجانبين ليلا نهارا والجواسق والأبنية العالية متلاسقة [2] .

وفي هذه المناطق يسكن اليهود بشكل خاص ، فضلا عن وجود أعداد كبيرة من النصارى اليعاقبة والنساطرة على حد سواء [3] ، الأمر الذي من شأنه أن يبين النشاط الإقتصادي لأهل الذمّة في تلك الحقبة وأنهم كانوا يمارسون مهنة الزراعة أسوة ببقية سكان المناطق الأخرى ، ولا يستبعد أن تكون حالتهم المعيشية قد تحسنت لذلك الحال الذي هم فيه . أما المناطق التي تكون في جنوب العراق ، فقد ذكرها إبن بطوطة [4] في رحلته : إذ ابتدأ بواسط التي أشار بأنها كثيرة البساتين ، وأشار كذلك إلى عمارة مدينة الحلة وأن بساتين النخيل منتظمة بها وإن كربلاء تحاط بالنخيل من كل جانب بينما أشار إلى خرائب الكوفة إلا أن اسواقها حسان وأكثر ما يباع فيها التمر والسمك ، وقد مر في رحلته " ببئر ملاحة " وهي موقع في أرض بابل وهي بلدة حسنة بين حدائق نخل ونزلت بخارجها ، والتي انتشرت فيها المراقد والمزارات اليهودية بكثرة [5] .

---

1 – حران : مدينة قديمة وهي قصبة ديار مضر بينها وبين الرها يوم وبينها وبين الرقة يومان . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جج2 ، ص235 .

2 –ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، 389 ؛ ابو الفدا ، اسماعيل بن علي عماد الدين (ت : 732هـ / 1331م) تقويم البلدان ، تصحيح : رينودو (باريس ، ب . م ، 1840م) ص277 .

3 – ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج1 ، ص390 .

4 – ابن بطوطة ، ابو عبد الله محمد اللواتي (ت : 779هـ / 1377م) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأبصار ، بيروت ، دار صادر ، بلا . ت ، ص220-221 .

5 – ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ص220 .

ومن المؤكد انها من الأماكن التي يكثر فيها اليهود لذلك فقد ذكر ابن بطوطة[1]: " انها بلدة حسنة بين بساتين النخيل " ، ومن الجائز أن اليهود امتلكوا بعضها والتي قد تكون انعشت حالهم المعيشي .

أما في بغداد فقد توفرت أساليب زراعية قديمة تأكدت أهميتها بعد ظهور عاملي الحرفة والتجارة إذ اشتركت هذه النشاطات في زيادة مصادر الثروة وتحديد طبيعة نمو المدينة السريع إذ قامت هناك علاقة وثيقة بين السواد وبغداد فكان رخاء احدهما عاملا في رخاء الأخر ، فالمنتجات الزراعية التي كانت تسد الحاجات التموينية لسكان المدينة كانت تسهم أيضا في تنمية العائدات الضريبية وفي زيادة ثراء السكان وملاكي الأراضي [2] .

وهذا الواقع ناتج عن وجود بغداد من ضمن أرض السواد الخضراء ، إذ أهتم العباسيون بخراج أرضها إهتماما كبيرا وهذا مايفسره خراج بادوريا لسنة (٢٠٤هـ / ٨١٩م) والذي بلغ مليون درهم [3] ، لذا كان أي اختلال في السياسة الزراعية يؤدي إلى خلل في الموازنة العامة[4].

وبما إن الأرض هي مركز النشاط الزراعي الأهم ، فقد اقتضى توفير حاجتين اساسيتين وهما : قيام نظام متماسك للري ، ثم استتباب الأمن ، وكان أي تقصير في خدمات الري أو أي اساءة لأهل الخراج - دافعي الضرائب - يؤدي إلى تراجع الإنتاج وبذلك يخف إسهامهم في رفع الإنتاج الزراعي ، وبذلك فقد أوجد العباسيون سلسلة من الإجراءات التي ترمي لحماية الفلاحين وتساعد في رفع مستوى الإنتاج .

ولعل أبرز وثيقة عالجت هذه المسألة هي تلك التي نسبت إلى عبد الله بن المقفع وعرفت بأسم " رسالة الصحابة " [5] فقد سجلت اضطراب في جمع الخراج في مطلع مطلع العهد العباسي ، كما أنها سجلت عسف الجباة ومغالاتهم ، وتتوجه الرسالة إلى

---

١ - تحفة النظار ، ص٢٢٠ .

٢ - سعد ، العامة في بغداد ، ص٩٧ .

٣- سعد ، العامة في بغداد ، ص٩٨.

٤ - قدامة ، الخراج ، ص٢٣٧ .

٥ - مكتبة البيان ، ط٤ (بيروت ، ١٩٧٠م) ج٨ ، ص٧٠ .

الخليفة بالنصيحة في فرض " وظائف معلومة " وتدوين الدواوين ، رجاء صلاح الرعية وعمارة الأرض ، وتدل الرسالة على شروع العباسيين في الإهتمام بشؤون الزراعة والأخذ بسياسية الإصلاح الضريبي ، ويقترن ذلك بما ورد من إن الخليفة العباسي المنصور كان شغله النظر في الخراج ، وإنه أمر بتعديل السواد وقلد ذلك " حماد التركي " [١].

ومن المعروف أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ فصل ولاية الخراج عن الولاية العامة لاسيما فيما يتعلق بالعراق حتى يضمن أن يصله خراج الإقليم كاملا [٢] ، وقد جاءت زيادة الموارد المالية لبيت المال في العصر الأموي اساسا من زيادة موارد الخراج نتيجة زيادة معدلات التنمية الزراعية بالإستصلاح والإستزراع للمزيد من تلك الأراضي ، إلى جانب مناطق جديدة دخلت ضمن سلطان الدولة وإلى الفتوحات الواسعة [٣].

وقد أيقن العباسيون أهمية الزراعة بوصفها دعامة الإنتاج الرئيسية والمجال الذي يشغل العديد من الأيدي العاملة ، لأن فروضها من زكاة وخراج تشكل الجزء الرئيسي من موارد الدولة المالية ، فقد عبر عنها الخليفة العباسي المعتصم عند وصفه لأهمية الزراعة بالنسبة للدولة العباسية بقوله : " إن فيها امورا محمودة ، فأولها عمران الأرض التي يحيا بها الناس ، وعليها يزكوا الخراج ، وتكثر الأموال ، وتعيش البهائم ، وترخص الأسعار ، ويكثر الكسب ، ويتسع المعاش " [٤].

ومن خلال كل ذلك يمكن القول بأن مختلف انواع الإصلاحات الزراعية التي احدثها الخلفاء كبيرها وصغيرها سواءً كانت على مستوى مؤسسات الدولة وافرادها أو على مستوى عامة الناس افرادا وجماعات في مختلف الأقاليم كان لها الدور

---

١ – الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص١٣٤ .

٢– النبراوي ، تاريخ النظم والحضارة الاسلامية ، ص١٨٦ ؛ الريس ، الخراج ، ص١٨٥-١٨٦ .

٣– النبراوي ، تاريخ النظم ، ص٧٦ ؛ فرجاني ، الإصلاح الزراعي ، ص٣٨ .

٤– المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص٥٦ ؛ حسين ، الحاج حسن ، حضارة العرب في العصر العباسي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (بيروت ، ، ١٩٩٤م) ص٢٠٢.

الرئيس والمحرك للنشاط الإقتصادي في مختلف مجالاته بأعتمادها بشكل رئيسي على زيادة وعاء موارد الخراج [1] .

كما إن نجاح أي إصلاح زراعي واسع وجاد تقوم به الدولة يصل إلى تشجيع المبادرات الفردية والجماعية والتكامل مع العلماء وعامة الناس المهتمين بتطوير الميدان الفلاحي لابد أن يتطلب أولا وقبل كل شيء من التشجيع والدعم بمختلف اشكاله من سلطة الدولة وخاصة من خلال توفير الإستقرار والحماية وانشاء المرافق العامة للري وتخفيض الضرائب [2] .

ومن هنا كان إهتمام أولي الأمر بالزراعة من خلال سلطة الدولة وبالتعاون مع المهتمين بهذا المجال من الناس بالزراعة .

ويعد هذا بطبيعة الحال إسهاما كبيرا من أهل الذمّة في زيادة واردات بيت المال . ولما استقر المسلمون في هذه البلاد صار تنظيم الحقوق والواجبات المالية المترتبة على هذه البلاد المفتوحة حاجة لازمة وضرورة قائمة .

أما بخصوص أهل الذمّة من الناس ، فقد حببت إليهم الدولة البقاء وعدم الجلاء من الأراضي المفتوحة ، وعقدت لهم الذمّة والعهد ، وتركت الأرض بأيديهم يزرعونها ، ويؤدون عنها الفريضة المالية المقررة ، وقد فرضت الدولة عند تقدير الضرائب بأن لا يظلم أحد ، وأن لا يكلف أحد فوق ما يطيق [3] .

وجعلت إدارة هذه المصلحة مركزية ، والإشراف عليها مباشرا والغت الإمتيازات القديمة وحررت الفلاحين من سيطرة الدهاقين وامثالهم ، وحولت هؤلاء

---

[1] -ابو يوسف ، الخراج ، ص١٢٢ ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٢٢٧-٢٢٨ ؛ الدوري ، عبد العزيز ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري (مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٦م) ص١٧٨ ؛ الريس ، الخراج ، ص١٠٤ ؛ فرجاني ، الإصلاح الزراعي ، ص٧١ .

[2] - الريس ، الخراج ، ص٤٢٢-٤٢٣ ؛ الدوري ، عبد العزيز ، العصر العباسي الاول دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي (مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٨م) ص٢٠٣-٢٠٤ ؛ فرجاني ، الإصلاح الزراعي ، ص٧١ .

[3] - ابو يوسف ، الخراج ، ص٣٧ ؛ ابو عبيد ، الأموال ، ص٥٦-٥٧ .

أي – الدهاقين – إلى جباة لهذه الضرائب وصار الفلاح مسؤولا عن خراج أرضه وجزية رأسه (١) ، وقيل لعامر الشعبي أحد فقهاء العراق واعلامه العلماء : إن أناسا يزعمون أن أهل السواد عبيد ؟ فقال الشعبي : فعلام تؤخذ الجزية من العبيد (٢) . وهي اشارة واضحة على أنهم احرارا وليسوا عبيدا . وكان إذا حضر مال الجباية الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، خرج جماعة من اهل المصر الذي تمت جباية خراجه وادوا اربع شهادات بالله ﷻ أنه من طيب ما فيه ظلم مسلم ولا معاهد (٣) . وفي هذا النص الجميل نجد مدى دقة الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في جمع الضرائب وإنه كان حريصا كل الحرص أن لا يدخل المال الحرام في بيت مال المسلمين .

وروي عن الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ إنه أستعمل رجلا على عكبرا " على بعد عشرة فراسخ غرب بغداد " فقال له على رؤوس الناس ، لا تدعن لهم درهما من الخراج ، ثم قال له القني عند انتصاف النهار ، فلما حضر قال له : لا تبيعن لهم في خراج حمارا ولا بقرة ولا كسوة شتاء ولا صيف وأرفق بهم ، فإن عصيتني نزعتك ، وكان من الرفق بهم في هذا الوجه أن يؤخذ منهم مما يسهل الأداء فيه عليهم (٤) .

وفضلاً عن فتح باب الزراعة امام أهل الذمّة ، فقد فتحت لهم ابواب الصناعة والتجارة وغيرها من المجالات الإقتصادية الأخرى ، ووفرت لهم الدولة بجيشها الأمن على الأموال والنفوس ، واتاحت لهم الكسب والإنتاج ، وكانت المعاملات الإقتصادية من البيوع والشركة وغيرها تجري بحق المسلمين وأهل الذمّة على حد سواء ، واحيطت حالات التحول إلى الأسلام بالرضا والسرور ، ورفعت الجزية عن رأس كل من يسلم منهم (٥) ، وكانت وصية الخلفاء بهم : " أوصي الخليفة من بعدي

---

١ – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص٥٩ ؛ الدوري ، عبد العزيز ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي (مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٧م) ص٢٩ .

٢ – الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص٥٨٧ .

٣ – ابو يوسف ، الخراج ، ص١١٤ .

٤ –أبو عبيد ، الأموال ، ص٦٢-٦٣ .

٥ – ابن آدم ، الخراج ، ص٢٢ .

، بأهل الذمّة خيرا أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من وراءهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم " [١] .

ولما كانت الدولة لا تصرف الرواتب إلا للمقاتلة ولا تجعل الإستحقاقات للجند إلا بعلّة الجهاد والدفاع عن البلاد ، ولم تقسم الأرض بين الجند الفاتحين ، وجعلتها وقفا على المصلحة العامة للمسلمين ، وكان بأستطاعة أهل الذمّة أن يتحولوا إلى الإسلام ، وينظموا للجيش ويحصلوا على الرواتب لسد حاجياتهم وكان الجميع بفضل الجيش ومرابطته يتفيؤون ظلال الأمن والطمأنينة ويباشرون ما احبوا من المهن والصنائع ومنها الزراعة ، صار القول بأن العلاقة بين الدولة وأهل الذمّة اقرب إلى العلاقة بين الراعي ورعيته منها إلى شعب يعيش على حساب شعب آخر، وشعب يحصد ما يزرع غيره [٢] .

وقد إمتازت اراضي العراق بالخصوبة وصلاحيتها للزراعة ، وذلك لوجود نهري دجلة والفرات الذين كان لهم الأثر الكبير في تنمية الزراعة وكثافتها لوفرة المياه للمزروعات[٣] ، وقد ساهم عدد كبير من سكان العراق بالعمل الزراعي ، وبرز من الذميين من النصارى الذين كان لهما الدور الكبير في هذا المجال [٤] ، فغلبت عليهم سمة الفلاحة ويعود ذلك لسببين :

الأول : توطنهم وإقامتهم في مناطق الأرياف التي دفعتهم للعمل في مجال الزراعة .

الثاني : كان للرهبان دور مؤثر في اختيارهم للنواحي الصالحة لإنشاء الأديرة والكنائس ، إذ اختاروا مناطق الأنهار والمزارع والبساتين ، وذلك لتوفير مستلزماتهم

---

١ - أبو يوسف ، الخراج ، ص١٢٥ .

٢ - كريمر ، تاريخ الحضارة ، ج١ ، ص١٧١ ؛ البطاينة ، الحياة الإقتصادية ، ص١٣٢ .

٣ - المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٠٥ ، ١١٤ .

٤ - بارتولد ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٥٦ ؛ الغزاوي ، ايمان سليمان ، أهل الذمّة في العصر البويهي ٣٣٤-٤٤٧هـ / ٩٤٥-١٠٥٥م ، رسالة ماجستير غير منشورة (المملكة الاردنية الهاشمية ، جامعة اليرموك ، ٢٠٠١م) ص١١٤ .

التي يحتاجونها في حياتهم الدينية والدنيوية [١] ، ولهذا كان تجمعهم في الغالب حول ضفتي نهري دجلة والفرات[٢] ، وقد كان لهذه الأديرة الدور الهام في مجال الزراعة ، وكذلك وفرة الأيدي العاملة مما زاد في تطور هذا القطاع .

ولهذا حرص النصارى على التوطن في الأراضي الزراعية الخصبة في الإنتاج لكي يؤمنوا مصدر رزقهم وعيشهم [٣] . كما كان النصارى يبيعون ما ينتجونه من المزروعات سيما النخيل والزيتون ، ومثال ذلك ما كانوا يبيعونه من الغلّة في دير قنى [٤] . فيربحون مائتي دينار من الغلّة الواحدة [٥] ، واشهر المدن التي عملوا فيها هي مدينة ميسان [٦] التي مارسوا فيها النشاط الزراعي مما أدى إلى وجود حركة تجارية في المنطقة فأسهموا في دعم اقتصادها [٧] .

أما اليهود فلم تكن لهم انشطة زراعية كغيرهم من النصارى نظرا لإتجاههم نحو أعمال الصيرفة والتجارة [٨] ، على الرغم من كونهم استوطنوا حول ضفاف نهري دجلة والفرات والمناطق السفلى من العراق كالنصارى تماما [٩] .

---

١ – الشابشتي ، الديارات ، ص١٧٥-١٧٦ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٩٨ ، ٢٢٨ ؛ الاصفهاني ، الديارات ، ص٢٠ ، ص٥٥ ، ٥٩ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٠٢ ، ٥١١ ، ٥١٦ ، ٥٣٣ .

٢ – القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت : ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، المكتبة الأموية (بلا . م ، بلا . ت) ص١٦٣ -١٦٥ .

٣ – الشابشتي ، الديارات ، ص٢٦٥ .

٤ – دير قنى : بضم اوله وتشديد ثانيه ويعرف بدير مر ماري السليح ، قال الشابشتي : هو على ستة عشر فرسخا من بغداد منحدرا الى النعمانية ، وهو في الجانب الشرقي معدود في اعمال النهروان وبينه وبين دجلة ميل . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٢٨ ؛ الشابشتي ، الديارات ، ص٢٦٥.

٥ – الشابشتي ، الديارات ، ص٢٦٥ .

٦ – ميسان : بالفتح ثم السكون ، اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخيل بين البصرة وواسط ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٤٢ .

٧ – الغزاوي ، أهل الذمّة ، ص١١٦ .

٨ – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٠٩ ؛ متز ، الحضارة الإسلامية ، ص٦١ .

٩ – الغزاوي ، أهل الذمّة ، ص١١٦ .

وقد كان للدهاقين أهمية كبيرة بالنسبة للفاتحين ، نتجت من معرفتهم بالنواحي التي يسكنونها ومعرفتهم كذلك بأهلها وبالتالي اصبحت لهم حقوق السيادة على الفلاحين واصبحوا بذلك حلقة الوصل بين السلطة المركزية وبين الفلاحين [١] ، وقد استعانت الإدارة العربية الإسلامية بالدهاقين بعد الفتح ، ومن الجدير بالذكر هنا إنه لم يكن جميع الدهاقين من الفرس ، بل كان بعضهم من العرب ، كدهقان عين التمر زمن الفتح [٢] ، ذلك أن اغلب قبائل جنوب العراق هي من القبائل العربية كبني لخم وبني شيبان البكريين وقبيلة إياد .

وهذه هي أبرز المعلومات التي سجلت واقع الحال الزراعي لأهل الذمّة في العراق والتي يبدو من خلالها أن الجانب الزراعي هو الغالب على هذه المدن وكذلك فأن ندرة المعلومات تجعل من الصعوبة على الباحث أن يعطي صورة مفصلة عن اوضاعهم لذلك فقد اعتمد على روايات إبن بطوطة المتأخرة في هذا المجال .

وقد شهد العصر الأموي اهتماما واضحا بالزراعة تمثل بمسح الأرضي ونقل المزارعين إلى العراق ، وحفر الأنهار وشق الترع وتجفيف المستنقعات وإقامة القناطر والسدود ، وكان هذا موضع اهتمام الخلفاء [٣] ، مما يوفر خبرات وتجارب تساهم في زيادة الإنتاج وتطوير طرق استغلال الأرض مما يعود بالخبرة والخير على المزارع وعلى الدولة بصفة عامة ، واختلفت حالات نقل المزارعين فمنها ما كان عن رغبة واختيار وهو ما حدث في بداية الفتح الإسلامي عندما هرب فلاحو السواد من الأعاجم إلى الأمصار ، وأثر ذلك في وضع البلاد تأثيرا بليغا بصورة عامة ، وبالأراضي الزراعية بصورة خاصة حيث حرمت من الأيدي العاملة فقل انتاجها [٤] ، وهذا أدى إلى انخفاض في مستوى الخراج الذي يؤدي بدوره إلى انخفاض نسبه إسهامهم في المجال الزراعي .

---

[١] - بثينة ، الضرائب الإضافية ، ص٢٨

[٢] - بثينة ، الضرائب الإضافية ، ص٢٨ .

[٣] - بليايف ، العرب والإسلام ، ص٢١١ .

[٤] - العلي ، التنظيمات الإجتماعية ، ص٨٤ ؛ طه ، العراق في عهد الحجاج ، ص١٨٩ .

والواقع أن هجرة بعض اهالي السواد عن قراهم الأصلية بدأت منذ الفتح الإسلامي ، ثم ما لبثوا أن عادوا بعد أن دعوا لذلك [1] ، ثم ما لبثت أن ازدادات في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وفي عهد واليه على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي وذلك نتيجة للتحول الحضاري وللإستفادة من مزايا العيش في المدن [2] ، لذلك فقد ارتأى الحجاج أن يخرج الفلاحين من الأمصار ويلحقهم بقراهم الأصلية ، حلا للمشاكل التي سببها وجودهم في المدن [3] ، وكذلك ما حدث لمن اسلموا بعد معركة القادسية ، عندما طلب منهم النزول إلى الكوفة والبصرة كالديالمة [4] الذين نزلوا الكوفة [5] . ومنها ما كان نقلا بالقوة كما حدث للسيابجة [6] والزط [7] الذين أتى بهم والي البصرة أبو موسى الأشعري ﷺ وانزلهم البصرة [8] ، ومن نقلهم الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ والخليفة الوليد بن عبد الملك من الزط والسيابجة إلى سواحل بلاد الشام وانطاكية ، ومن الزمهم عبيد الله بن زياد من أهل بخارى على الإقامة في البصرة والذين نقلهم الحجاج بن يوسف الثقفي فيما بعد [9] .

---

[1] -الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج١ ، ص٢٠٣ .

[2] - العلي ، التنظيمات الاجتماعية ، ص٨٤ ؛ طه ، العراق في عهد الحجاج ، ص١٨٩ ؛ دنيت ، الجزية والاسلام ، ص٧٤-٧٥ .

[3] - طه ، العراق في عهد الحجاج ، ص١٨٩.

[4] - ينسب الديالمة الى بلاد الديلم التي فتحت في العصر الراشدي وخضع اهلها للحكم الاسلامي مع بقائهم على وثنيتهم . حسن ، تاريخ الاسلام ، ج٣ ، ص٣٧ .

[5] -البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٤٩ .

[6] - قوم من الهند والسند كانوا بالبصرة ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، ص٢٩٤ .

[7] -جنس من السودان والهنود ، وقيل انهم من بلاد السند ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٣ ، ص٣٠٨.

[8] - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٥٢٢ .

[9] - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٥٢٤ .

ولتوفير الحيوانات والأيدي العاملة لإعمار سواد العراق فقد جاءوا بأقوام من الزط مع اسرهم وجواميسهم [١] التي بلغت بالألوف إلى العراق واسكنوهم في اطراف كسكر[٢] . وبغية توفير الأبقار للقيام بعملية حراثة الأرض وزراعتها وتعمير البلاد منع ذبحها في العصر الأموي [٣] . وقد اتبع الأمويون طريقة أخرى لإحياء الأرضين وذلك بإقطاعهم القطائع [٤] في أرض العراق لإحيائها واستغلالها لتعمير البلاد وزيادة الجباية [٥] ، كما اهتموا بحالة الفلاحين والأرض وتتبع كميات المطر الساقطة ، إذ كان القائمين على أمر الزراعة منهم يسألون الرسل والوفود القادمة عليهم من مختلف الجهات ، عن المطر وتباشيره وكيفية نزوله وكمياته [٦] ، ثم يكتبون إلى الخليفة ويعلمونه بذلك وحصل هذا في خلافة عبد الملك بن مروان [٧] [٧] ، كما اهتموا بالفلاحين كثيرا ، لأنهم من مصادر الجباية المهمة فأقرضهم الحجاج بن يوسف الثقفي مليوني درهم [٨] ، وذلك في اعقاب ثورة إبن الأشعث (٨٢هـ / ٧٠١م) ، حيث انشغل كثير من أهل السواد والفلاحين بهذه الثورة ،

---

١ – من الجدير بالذكر ان الجواميس كانت موجودة في العراق قبل هذا العهد ، فمثلا نجد صور الجاموس على الاختام الاسطوانية من عصر سرجون الاكدي (نحو ٢٣٥٠ ق . م) أنظر : طه ، العراق في عهد الحجاج ، ص١٩٥ .

٢ – بلدة على نهر دجلة بسواد العراق . البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٩٨ .

٣–الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص١٥ ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ج١١ ، ص٣٧ ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٥ ، ص٩٤ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٧٨ .

٤ – القطائع من ارض العراق هي كل ما كان ملكا لكسرى ومرازبته واهل بيته مالم يكن في يد احد وتدعى هذه الارض التي اصبحت ملكا للدولة بالصوافي ، ابو يوسف ، الخراج ، ص٥٧ ، ٦٠ .

٥– ابو يوسف ، الخراج ، ص٦٠ –٦١ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٥٩ ، ٤٤٣ .

٦ – ابن عبد ربه الأندلسي ، أبو عمر ، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت : ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) العقد الفريد ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٤٠٤هـ) ج٥ ، ص٣٣-٣٥ ؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٢ ، ص٤٧ .

٧ – الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت : ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) البيان والتبيين ، تحقيق : فوزي عطوي ، دار صعب (بيروت ، ١٩٦٨م) ج٢ ، ص٣٨٦-٣٨٧ .

٨ – الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص١٥ ؛ ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص١٠٥ .

وتركوا أرضهم فقلّت فيها الزراعة ، لذلك اسلفهم هذا المال ليستطيعوا الإستمرار بالزراعة ، بعد أن هدأت الأحوال وعاد الإستقرار إلى البلاد . ولكننا لا نعلم شيئا عن الطريقة التي تم بموجبها هذا الإقراض ولا كيفية استرداده منهم [1] .

وعلى أي حال فالقرض يلقي الضوء على سياسة بني أمية ورغبتهم في إصلاح أرض السواد وإعادة الأحوال الطبيعية إليه ولزيادة مساحة الأراضي المزروعة أيضا . وما كانت الزراعة لتصيب ما اصابته من تقدم وازدهار لولا الخطوات الإيجابية التي اتبعتها الحكومة في مجال تشجيع المزارعين واستغلال موارد الإنتاج وتحسين اوضاعهم إذ أعفت كثيرا من المحاصيل الزراعية كالأعلاف والبقول والخضراوات والقطن والكتان من الزكاة [2] ، كما رفعت الخراج عن الأراضي التي لا تصلها المياه والتي تصاب محاصيلها بالآفات والأمراض [3] ، ووضعت الخراج والعشر عن عن ثمار الأودية والجبال [4] ، ولم تؤخذ الصدقة عن الحيوانات التي لها دور في الزراعة كالبقر والأبل وغيرها والغت السخرة في اعمال الارض [5] ، وهذا ما شجع الفلاحين من أهل الذمّة وغيرهم على الإقبال على العمل الزراعي وتوفير الغذاء للناس والمواد الاولية الزراعية اللازمة للصناعة مما ترتب عليه هبوط الأسعار وزيادة الإنتاج الزراعي ، وهكذا فقد تضافرت جميع هذه العوامل وساعدت على نمو الثروة الزراعية فزادت مساحة الأراضي حتى اصبحت خلال العهد الأموي مائة وخمسة وعشرين مليون جريب [6] .

---

١ – العلي ، التنظيمات الاجتماعية ، ص٢٥٤ ؛ طه ، العراق في عهد الحجاج ، ص١٩٦ .

٢ – الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص١١٨ .

٣ – اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٥٢ .

٤ – ابو يوسف ، الخراج ، ص٧٦ ؛ الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص١١٨.

٥ – الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص١٤٩ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص٣٠٦ .

٦ –الجريب : مكيال قدره اربعة اقفزة ويستعمل في المساحة وقدره من الارض ثلاث الاف وستمائة ذراع وقيل عشرة الاف ذراع وقيل مقدار معلوم من الارض وهو مايحصل من ضرب ستين ذراع في نفسه ، الشرباصي ، أحمد ، المعجم الإقتصادي ، دار الجيل (بلا مكان ، بلا . ت)ص٩٣-٩٤ .

وهكذا نرى أن العراق قد أولى الزراعة اهتماما كبيرا على مر العصور وإن ما كان ينتجه العراق من محاصيل مختلفة جعله قبلة للمتصارعين للسيطرة عليه . ويذكر أن أهل الذمّة في العصر الأموي وضعوا أراضيهم بحماية الأمراء ورجال الدولة الكبار للحصول على الخدمات كالري والأمن وقد سمي هذا بالإلجاء والذي طالما عاد بالنفع إلى الحامي الجديد في نهاية الأمر [١] . إذ إن قلة من هؤلاء الملاك حاولوا استغلال الأرض مباشرة أو عبر الوكلاء وكان أكثر أساليب الإستغلال شيوعا هو الأعتماد على أهل الذمّة للفلاحة وزراعة الأرض بالمزارعة أو المساقاة أو المغارسة أو الكراء – الايجار– [٢] . وبذلك أقبل البعض من أهل الذمّة الذين امتهنوا الفلاحة على الزراعة حتى غلب ذلك على أهل الشام وقد أطلقت عليهم المصادر أسم النبط وهم أحفاد الأراميين [٣] ، وكانوا يدفعون الخراج على المحاصيل على ما تحت أيديهم من أرض [٤] ، واتسمت الحياة في الريف في بلاد الشام في مجال الزراعة بالطابع النصراني وقدرت المواسم والفصول بأعياد النصارى التي تعارفها المسلمون وقدروا بها الفصول فعيد الفصح [٥] وقت النيروز [٦] والعنصرة [٧]

---

١ – الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٤٨ ؛ الدوري ، عبد العزيز ، نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية (مجلة المجمع العلمي العراقي ، العدد : ٢٠ ، ١٩٧٠م) ص٨ .

٢ – السبكي ، علي عبد الكافي ، فتاوى السبكي ، نشر مكتبة القدسي (القاهرة ، ١٩٣٧م) ج١ ، ص٣٩٩ .

٣ – سموا انباطا لإستباطهم ما يخرج من الارض ، ابن منظور ، مادة نبط ، ج٧ ، ص٤٤ .

٤ – حسين ، فالح ، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي (نشر بدعم من الجامعة الأردنية ، ١٩٧٨م) ص٣٧-٤٣ .

٥– عيد الفصح : عيد القيامة وهو اكبر اعياد النصارى إذ يزعمون أن المسيح قام فيه بعد صلبه بثلاثة أيام وأقام في الأرض أربعين يوما ثم صعد الى السماء ، ويعملونه يوم الفطر من صومهم الأكبر ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٢ ، ص٤٥٤ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٧٣٣-٧٣٤ .

٦ – النيروز : وهو اليوم الجديد وأهل الشام يحتفلون به في أول سنتهم ويصادف في اليوم الأول من كانون الثاني ، ويسمونه القلنداس ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٣٨٨ ؛ البيروني ، الآثار الباقية ، ص٢٩٣ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ج٢ ، ص٤٥٨ .

[1] وقت الحر والميلاد وقت البرد وعيد بربارة [2] وقت الأمطار [3] . وقد سرت عادة الناس وامثالهم في حينها فقالوا إذا جاء عيد بربارة فليتخذ البناء زماره ، وإذا جاء القلندس تدفئ واحتبس وعيد صليب [4] وقت قطاف العنب " [5] . وعيد لُد وقت الزرع وشهورهم رومية [6] .

ومن امثالهم أيضا : غطستم [7] صيفتم ونورزتم شتيتم ، لأنه بعد الغطاس يكون الجو حار وبعد النيروز يدخل فصل الشتاء [8] . كما كان لهم غلبة واضحة على الريف إذ كانت غالبية سكان بعض القرى والنواحي من النصارى [9] .

الأديرة والكنائس ودورها في الزراعة :

١- عيد العنصرة : ويسمى عيد الخميس ويصادف في العشرين من نيسان . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٢ ، ص٤٥٥ .

عيد الميلاد : وهو يوم ولادة السيد المسيح عليه السلام ويصادف الرابع والعشرون من شهر كانون الاول ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٢ ، ص٤٥٥.

٢- بربارة : وينتسب إلى القديسة بربارة ويصادف عيدها في أول الشتاء في الرابع من شهر كانون الأول ، صالح بن يحيى ، صالح بن الحسين (ت : ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) تاريخ بيروت ، تحقيق : فرنسيس هورس اليسوعي ، وكمال الصليبي ، دار المشرق (بيروت ، ١٩٦٧م) ص٩ .

٣ – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٨٢ .

٤ – عيد الصليب : يعملونه احتفالا باكتشاف الصليب على يد هيلانة زوجة قسطنطين ويصادف في السابع من ايلول . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٢ ، ص٤٥٧ ؛ الحميري ، محمد بن عبدوس (ت: ٩٠٠هـ / ١٤٩٩م) الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط٢ (بيروت ، ١٩٨٤م) ص٤٨٣ .

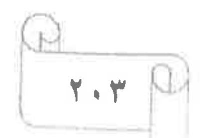
٥ – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٨٣ .

٦ – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٨٣ .

٧ – غطستم : وتعني عيد الغطاس وهو اليوم الذي عَمّدَ فيه يوحنا المعمدان المسيح عليه السلام أي غسله في نهر الأردن ويصادف في السابع من كانون الثاني . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٢ ، ص٤٥٥ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٧٣٥ .

٨ –القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٢ ، ص٤٥٥.

٩ – حجازي ، أهل الذمّة ، ص١٧٨ .



يمكن القول بأن المناطق التي تتواجد فيها الأديرة والكنائس وملحقاتها في الجزيرة اشتهرت بإنتاج بعض المحاصيل الزراعية الأخرى ، إذ تكثر فيها البساتين والأشجار والكروم والثمار والبقول والرياحين ، لاسيما الكروم والتي كانت من أوفر تلك المحاصيل انتشارا فضلا عن الزيتون واشجار البندق والفستق واللوز ، فقد عرفت مناطق دير الزعفران ودير احوشيا بتنوع هذه اشجارها وخصوبة ارضها[1].

ارضها[1].

وقد امتازت أديرة العراق بأشجارها اليانعة وازهارها المتنوعة وغلالها الوفيرة وبساتينها التي تجري فيها المياه والأنهار [2] .

وهناك إشارة واضحة للرحالة والجغرافيين في كتبهم بكثرة البساتين والأراضي الصالحة للزراعة والتي كانت بحوزة الكنائس والأديرة ، كما في دير الطور وهو بين طبرية واللجون مشرف على الغور ومرج اللجون وفيه عين ماء تنبع بماء غزير وفيها من الكروم الكثير يعتصرونها ويشربونها[3] ، كذلك أشتهر دير مران بالقرب من دمشق على تل مشرف بمزارع الزعفران والرياض الحسنة [4] ، ودير فطرس ودير بولس بظاهر دمشق في ناحية الغوطة ولهما البساتين الكثيرة والأشجار والمياه [5] ، ودير سمعان بنواحي دمشق أشتهر بالبساتين المحدقة به [6] ، ودير الزعفران على الجبل المحاذي لنصيبين إذ اكتنفته العيون والبساتين والكروم الزاهية والزعفران [7] ، ودير المصلبة بظاهر مدينة دمشق وهو دير رومي قديم محكم

---

1 – الشابشتي ، الديارات ، ص١١٦ ؛ العمري ، مسالك الأبصار ، ص٢٥٤ ، ٣٠٥ .

2 – الشابستي ، الديارات ، ص١٧١ ؛ عودات ، الحياة الإقتصادية ، ص٢٢٢ .

3 – الشابشتي ، الديارات ، ص٢٠٧ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥١٩ ؛ العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص٣٣٧ .

4 – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٣٣ ؛ ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، ج٢ ، ص٢٨٢ .

5 – الشابشتي ، الديارات ، ص١٢٧ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٢٥ .

6 – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥١٧.

7 – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥١١ ؛ الشابشتي ، الديارات ، ص٣٨١ .

الصنعة مونق البقعة في بحيرة من اشجار الزيتون والكروم وشجر التين[1] ، ودير العذارى بظاهر حلب على نهر قويق فيه اكثر بساتينها[2] ، ودير كفتون ببلاد طرابلس مبني على جبل فكان به ماء جار وله حوض كبير مملوء من اشجار النارنج [3] يباع بطرابلس ويرتفق بثمنه الرهبان [4] ، ودير مارت ماروثا وهو دير صغير بظاهر حلب على سفح جبل جوشن وله بساتين جليلة ومباقل وفيه نرجس وبنفسج وزعفران [5] ودير ميماس وهو بين دمشق وحمص على نهر ميماس وإليه نسب وهو في رياض حسنة وعليه طواحين رومية [6] ، ودير إسحق بين حمص وسليمة في موقع نزه وحسن على نهر جار وحوله كروم ومزارع [7] ، ودير بونا وهو بجانب غوطة دمشق ليس بكبير ولا رهبانه بكثير ولكنه في رياض مشرفة وأنهار متدفقة وأشجار كثيرة ويقع فيه أنزه مكان [8] ، ودير بلودان بنواحي دمشق ، بناؤه قديم ، بديع الحسن ، وافر الغلة ، كثير الكروم والفواكه والماء الجاري [9] ، ودير زكي ويقع في الرقة على نهر الفرات وقد تميز بموقعه وعد من أحسن الديارات وانزهها موضعا وفيه من الغزلان والأرانب وأصناف الطير والحباري فهو

---

١ -العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص٣٣٩ .

٢ – ياقوت الحموي ، المشترك ، ص١٩١ .

٣ – النارنج : نبات هندي يزرع في المناطق الدافئة وهو من فصيلة الحمضيات شبيه بالاترج ، ابن وحشية ، أبو بكر احمد بن علي بن قيس الكسداني (ق٤هـ / ١٠م) الفلاحة النبطية ، تحقيق : توفيق مهند (دمشق ، ١٩٩٥م) ج١ ، ص١٧٧ .

٤ – العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص٣٣٥ .

٥ -العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص٣٥٨ .

٦ – العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص٣٣٠ .

٧ – العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص٣٢٨ .

٨ – العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص٣٥١ ؛ آل تقي الدين ، محمد اديب ، كتاب منتخبات التواريخ لدمشق ، تقديم : كمال الصليبي ، دار الافاق الحديثة (بيروت ، ١٩٧٩م) ج٣ ، ص١٠٥٥ .

٩ – العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص٣٥٨ .

جامع لكل ما تريده الملوك والسوقة [١] ، ودير طور سيناء وهو الجبل الذي تجلى فيه فيه رب العزة لنبيه موسى عليه السلام وفيه عين ماء بداخله وأخرى بخارجه وله مطابخ وأفران وطاحونتان ومعصرة للزيتون ومعمل للخمر من البلح والكروم وآبار تختلف في العمق والقدم وخارج سوره حديقة منسقة فيها أنواع الشجر والفواكه [٢] ، وكان دير صليبا بدمشق والمطل على الغوطة كثير البساتين والمياه [٣] .

وقد أشار المؤرخون والجغرافيون إلى كثرة الأراضي الزراعية والبساتين التي كانت حول الأديرة والكنائس والتي كان غالب مزارعيها من النصارى " أهل الذمّة " ، فقد ذكر الشابشتي كروم دير الطور بين طبريا واللجون والتي تسقى من عين هناك[٤] ، وفي طرابلس كانت هناك بساتين وفيرة في دير كنتون ، وعلى سفح جبل جوشن في دير مارون بظاهر حلب أيضا [٥] ، وفي دمشق كثرت البساتين والمياه حول ديري صليبا المطل على الغوطة ودير صيدنايا في شمال دمشق وكانت لهن غلات واسعة [٦] .

ومن الجدير بالذكر إن بعض المصادر أوردت أسماء عدد كبير من الأديرة المنبثة في أنحاء الجزيرة الفراتية ، حيث كانت تؤلف مساحات واسعة من الأراضي المزروعة بالمحاصيل والأشجار والبساتين التي ضمت أنواعا من أشجار الفواكه والثمار ، ومن الأديرة التي كانت تدر موارد متعددة من الأصناف دير احويشا الذي يقع بالقرب من حيزان ، إذ تنتشر حوله بساتين الكروم ويمتاز بكثرة الفواكه [٧] . ودير الكلب بالقرب من معلثايا ويشتهر بزراعة الزيتون والرمان والآس والكروم

---

١ – الشابشتي ، الديارات ، ص٢١٨ .

٢ –الشابشتي ، الديارات ، ص٣٠٠ ؛ ياقوت الحموي ، ج٢ ، ص٥٢٠ .

٣ – ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، ج٢ ، ص٢٧٧ ؛ العمري ، مسالك الأبصار ج١ ، ص٣٤٩.

٤ –الشابشتي ، الديارات ، ص١٣٢ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٢ .

٥ – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٣١ ؛ العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص٣٣٦.

٦ –العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ص٣٤٩ .

٧ – الشابشتي ، الديارات ، ص١٢٦-١٢٧ ؛ العمري ، مسالك الابصار ، ج١ ، ص٣١٠ .

والزعفران والنرجس وتمتد مزارع هذا الدير في السهول القريبة منه [1] ، وأديرة باسهرا والزرنوق واكمن والباعوث وجرجيس والزعفران وجميعها تقع بالقرب من الموصل ، حيث امتدت فيها البساتين والمزارع الواسعة وغطتها اشجار الفواكه والأثمار ، بالأضافة إلى المحاصيل والحبوب كالحنطة والشعير ، كما إن هناك مساحات من الأرض تركت لتكون حقولا لرعي الماشية والدواجن [2] .

قرى أهل الذمّة الزراعية :

أشار بعض المؤرخين والجغرافيين أيضا وفضلاً عن أملاك الكنائس والأديرة بأن هناك قرى ونواحي كثيرة كان غالبية سكانها من النصارى واليهود كبلدة الشوبك فهي بلدة صغيرة كثيرة البساتين وغالبية أهلها من النصارى [3] ، والكرك وهي قلعة حصينة في ضواحي الشام كانت ديرا يتديره الرهبان ثم كثروا وكبروا بناءه وأوى إليهم من يجاورهم من النصارى فقامت لهم اسواق ودرت لهم معايش [4] ، وعلى بعد أربعين ميلا من دمشق تقع قرية أسمها ساردان " ساردناك " وهي صيدنايا يكثر فيها النصارى ولا يسكنها المسلمون حولها بساتين من الكروم [5] ، وقد اطلق عليها الشيخ عبد الغني النابلسي [6] : " أرض الراهب " ، في إشارة إلى نصرانية القرية .

---

[1] الشابشتي ، الديارات ، ص٢٦٢ ؛ سوادي ، عبد محمد ، الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ، وزارة الثقافة والاعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة – افاق عربية (بغداد ، ١٩٨٩م) ص٢٢٩ .

[2] – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٦١ ، ج٢ ، ص٦٤٤ ، ٦٦٣ ؛ ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج١ ، ص٤٢٤ ؛ العمري ، مسالك الابصار ، ج١ ، ص٢٥٥ ؛ سوادي ، الأحوال الاجتماعية ، ص٢٣٠ .

[3] – ابو الفداء ، اسماعيل بن علي عماد الدين (ت : ٧٣٢هـ /١٣٣١م) تقويم البلدان ، تحقيق : م . رينود وماك كوكين دي سيلان ، دار الطباعة السلطانية (باريس ، ١٨٤٠م) ص٢٤٧ .

[44] – ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، ج٢ ، ص٦٩ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٤ ، ص١٦١ .

[5] – حجازي ، أهل الذمّة ، ص٩٥ .

[6] – ابن النابلسي ، عبد الغني بن اسماعيل (ت: ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م) الحقيقة والمجاز في رحلة رحلة بلاد الشام والحجاز ، تحقيق : رياض مراد ، دار المعرفة (دمشق ، ١٩٨٩م) ص٩٨ ؛

وكفر دبين وهي قلعة على نهر العاصي والمرزبان قرية كبيرة من قرى حلب وأهل هذه النواحي وفلاحوها كلهم من الأرمن [١] ، كما كثر الأرمن على جبل اللكام وهو من أعمر جبال الشام وأكبرها وأكثرها ثمارا [٢] ، فقد أشارت بعض المصادر إلى قرى ونواحي كثيرة في بلاد الشام كان غالبية أهلها نصارى وكانت الزراعة عمادهم ، إذ اورد أبو الفداء [٣] عن الشوبك إنها بلد صغيرة كثيرة البساتين وغالب سكانها من النصارى . وفي قلعة كفر دبين الواقعة على نهر العاصي والمرزبان وهي من كبرى قرى حلب فلاحون من الأرمن يقومنون بزراعة الأرض والعناية بها [٤] . وفي جبال اللكام كما يذكر الأدريسي [٥] : مزارع عظيمة تمتاز بكثرة ثمارها . وذكر ياقوت الحموي [٦] : أن هناك قرية أسمها كم بين حلب وانطاكية غناء ذات عيون جارية وأشجار متدانية وكل من فيها نصارى . ويذكر أيضا أن قرية بيت ماما هي إحدى قرى مدينة نابلس فيها مزارع وسكانها من اليهود السامرة [٧] ، وأما بالقرب من دمشق فقد كانت هناك قرية أسمها يبرد أشتهرت بكنائسها وبساتينها

الزيات ، حبيب ، خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ، مطابع الف باء للأديب (دمشق ، ١٩٨٢م) ج٢، ص١٠١ .

١ - ابن الشحنة ، محمد بن محمود بن الشهاب الحلبي (ت : ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، تقديم عبد الله الدرويش ، دار الكتاب العربي (دمشق ، ١٩٨٤م) ص١٦٧.

٢ - المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٧٣ .

٣ - تقويم البلدان ، ص٢٤٧ .

٤ - ابن الشحنة ، الدر المنتخب ، ص١٦٧ .

٥ - ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبدالله (ت :٥٦٠هـ / ١١٦٤م) نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، تحقيق : مجموعة من العلماء ، نشر ايطاليا نابولي (روما ، ١٩٧٠ -١٩٧٧م) ج٥ ، ص١٧٣.

٦ -معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٥٧ .

٧ - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٥٢٢ .

الكثيرة وفواكهها الوفيرة ومياهها الجارية [1] ، أما قرية قارة الواقعة بين حمص ودمشق ففيها عيون جارية ويزرع أهلها الثمار وكلهم نصارى [2] .

وكانت خبرات أهل الذمّة الزراعية وخبرات الأمم التي سبقتهم أساسا لمن أتى بعدهم فألفوا كتبا في الفلاحة وضمنوها التجارب التي قاموا بها ومن أشهر الأمثلة على ذلك كتاب الفلاحة اليونانية للفيلسوف والحكيم قسطوس البعلبكي وهو من النصارى الملكيين من أهل لبنان عاش في زمن الخليفة العباسي المقتدر (٢٩٥هـ - ٣٢٠هـ) [3] .

وقد كانت أهم المصادر التي اعتمدها في كتابه هي خبراته وتجاربه العلمية وخبرات الذين سبقوه من العلماء ، وقد تضمن كتابه هذا أمثله كثيرة على ذلك منها قوله [4] : " فوجدت أفضل اوقات الغرس كله في شهر تشرين الثاني في فصل الخريف ولا سيما في البلاد التي في مياهها قلة حتى يستقبل انداء الشتاء وأمطاره كلها فترسخ " . ويقول أيضا [5] : " ولست أرى أن يكون عمق حفرة أصول الكرم في الأرض الجافة الجلدة غير الندية دون ذراعين وفي الأرض الندية دون ذراع " . ويقول كذلك [6] : " حفظنا عمن كان من قلبنا من العلماء أنهم كانوا يستحبون غرس غرس الكرم لأربع ليال تمضي من الشهر القمري " . ويبدو من ذلك إن الفلاحين من أهل الذمّة في الجزيرة الفراتية مرتبطين بالأرض ارتباطا وثيقا وكان الطابع الزراعي يغلب على هذه المجتمعات كونها قد أستوطنت على ضفاف الأنهار أو السهول الجبلية أو مناطق العيون والآبار والقنوات أو السهل الرسوبي ، لذلك نجد هذه الأراضي غنية في المحاصيل الزراعية التي تدر ارباحا وفيرة لهم وتصب هذه

---

١ -ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ص٦٠ .

٢ - ابن العبري ، مختصر الدول ، ص١٤٩ .

٣ -ابن ابي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ص٣٢٩ ؛ ابن العبري ، مختصر الدول ، ص١٤٩ .

٤ -قسطوس بن لوقا الرومي ، (ت : في حدود ٣٠٠هـ /٩١٢م) الفلاحة الرومية ، ترجمة : سرجس ابن هليا الرومي (بلا. م ، بلا . ت) ص٣٥ .

٥- قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص٣٦ .

٦- قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص٣٦ .

الأرباح بالتالي في بيت المال لترفع الوضع الإقتصادي للدولة مما يساعد في ازدهارها وتطورها في شتى الميادين . فالتقويم الزراعي المتبع هو ما يتعلق ببذر البذور ومواعيد زراعتها وحصادها كل ذلك كان له ارتباط بالتقويم القبطي الشمسي الذي ورثوه من عصور سابقة تعود إلى أيام الفراعنة [1] .

ويرجح أن بقاء إستخدام هذا التقويم من قبل المسلمين بعد فتحهم لمصر وسيرهم عليه كونه مرتبط بدوران الشمس ، أي إنه يتماشى مع معتقدات المسلمين ، ولا توجد روايات تذكر أن أحدا حاول إيجاد بديل عن هذا التقويم القبطي للسير عليه في النظام الزراعي . وفي مصر كان للنصارى الأقباط أثر كبير ولا يستهان به في المجال الزراعي كونهم سكان البلاد الأصليين ومن ثم كانوا أعلم بحال أرضهم وما تتطلبه هذه الأراضي من العمارة والعناية بها إلى جانب معرفتهم بما يوافقها من انواع المحاصيل الزراعية [2] .

ومن ضمن وظائفهم الادارية والمالية فيما يخص الزراعة فقد عمِل بعضهم في مسح الأرض وجباية ضريبة الخراج من تلك الأراضي برفقة بعض الأمراء والموظفين التابعين لهم[3].

وهكذا كان يستعان بالكتاب من القبط في القيام بعملية مسح الأراضي وإعادة تقديرها حسب حالة فيضان الأنهار وبذلك ارتبط تقدير الخراج والضرائب بالفيضان[4] .

المحاصيل الزراعية التي برع في زراعتها اهل الذمة :.

---

[1] – القلقشندي ، صبح الاغشى ، ج٢ ، ص٤١٠-٤١٦ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٢٦٩-٢٧٣.

[2] – عامر ، أهل الذمّة ، ج٢ ، ٢٦ ؛ البراوي ، راشد ، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، ١٩٤٨م) ص١٣ .

[3] –المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٨٦-٨٨ .

[4] – المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٨٦ .

اشتهر أهل الذمّة في المشرق الإسلامي بإنتاج الكثير من المحاصيل الزراعية التي تسهم بزيادة واردات بيت المال من جهة ، وتساعد في توفير الأطعمة والأشربة لخاصة الناس وعامتهم وتساعد ايضا في زيادة دخل الفرد الذمي ومن أهمها :-

- **الحبوب** : كانت الحبوب من قمح وشعير تشكل الغلّة الزراعية الرئيسية في أغلب البلاد نظرا لإعتماد الناس في الأغلب عليها في غذائهم . ومن الحبوب التي زرعها أهل الذمّة القمح وهو في مقدمتها والشعير والشوفان والحمص والفول والذرة والسمسم والأرز والعدس والدخن ، وأنتشرت زراعتها في معظم أنجاء بلاد الشام ، كعمّان ، وحوران والبثينة[1] ، وشيزر وحماة وسهل البقاع وسهول حلب وتحْت أشجار الزيتون بين حلب وانطاكية ، ومدينة بالس على نهر الفرات التي أشتهرت بكثرة غلاتها من الحنطة والشعير ، وكانت أكثر زراعة معرة النعمان من القمح [2] ، واشتهرت البلقاء بزراعة الحبوب ، إذ يذكر المقدسي [3] : أن عمّان على سيف البادية ذات قرى ومزارع ورستاقها البلقاء معدن الحبوب والأغنام . أما ما ذكره ياقوت الحموي[4] عنها فقال : البلقاء كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمّان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة وبجودة حنطتها يضرب المثل .

---

[1] -البثينة ومدينتها اذرعات واهلها قوم من يمن ومن قيس ، اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٣١ ؛ المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١٧٠ .

[2] -اليعقوبي ، البلدان ، ص٣٢٤-٣٢٥ ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٦٠-١٨٠ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١٦٣-١٦٥ ؛ لومبارد ، موريس ، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى ، ترجمة : عبد الرحمن حميده ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٧٩) ص٤٤ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٦٦-٢٦٧ ؛ خسرو ، سفرنامة ، ص١١ .

[3] – أحسن التقاسيم ، ص١٧٥ .

[4] – معجم البلدان ، ج١ ص٤٨٩ .

كما أشتهرت الجزيرة الفراتية بوفرة الغلال والحبوب حتى غصت أهراؤها بالحنطة [1] ، وقد بنى أهل الشام مخازن كبيرة للطعام تسمى بالأهراء [2] ، ويذكر عنها قسطوس [3] : ينبغي للأهراء أن تكون شاسعة عن مرابط الدواب لحرها ، وينبغي أن تكون لها كوى من قبل المشرق والمغرب والشمال لتصيبها رياح هذه النواحي فتذهب الحر عما فيها من الطعام ولا يفتح لها إلى الجنوب شيء لشدة حر هذه الجهة . وكانت الحبوب من صادرات بلاد الشام في العصر الأموي إلى الحجاز ، وللنبط دور كبير في نقلها إلى هناك [4] ، كما كانت الحبوب تنقل على شكل دقيق على ظهور الأبل حتى نهر الفرات وبالمراكب النهرية عبره إلى بغداد وغيرها [5] ، وحرصت الأديرة أن يكون من بين منشأتها طواحين لطحن الحبوب ، فذكر القزويني [6] : أن الموصل فيها الطواحين على نهر دجلة ، وإن من بين أهل الموصل الكثير من النصارى النسطوريين واليعاقبة ، وكان لدير طور سيناء مطابخ وأفران وطاحونتان[7] ، ودير مار يعقوب غربي قاره فيه نهر ماء يدور به طاحون وكامل القرى حوله يطحنون به حبوبهم [8] ، ودير ميماس على نهر ميماس بين دمشق وحمص وعليه طواحين رومية [9] .

وأتبع الفلاح الشامي طريقتين في زراعة الحبوب وفق المواسم المطرية النوع الأول سمي بالوسمي ويقع في فصل الخريف وعند وقوعه يخد شق الأراضي المحروثة بالسكك ثم يبذر الحب فيها ويعاد شق الأرض ليخفي البذور عن الطيور

---

[1] – التلمحري ، ديونيسيوس (ت :٢٣١هـ /٨٤٥م) التاريخ المنحول ، ترجمة يوسف بن اسحق (بيروت ، الجامعة الأمريكية ، ١٩٧٩م) ص١٧٣ .

[2] – الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٦٥ .

[3] – قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص٣٠ .

[4] – اليعقوبي ، البلدان ، ص٣٥٠ .

[5] – اليعقوبي ، البلدان ، ص٣٥٠ .

[6] – آثار البلاد ، ص٣١٠ .

[7] –الشابشتي ، الديارات ، ص٣٠٠ .

[8] – حجازي ، أهل الذمّة ، ص١٨٥ .

[9] – العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص٣٣٠ .

خشية التقاطها ، فإذا نزل عليه المطر مرة أخرى سينبت الزرع بوجه الأرض ويسمى حينها بالأحوى " الضارب إلى السواد من شدة خضرته " ثم يصير غثاءا " يسمن قليلا " لكثرة سقيه بالأمطار ثم يقع عليه المطر الفاطم وهو غالبا ما يكون بشهر نيسان ثم يعقد الحب بعد ذلك [1] .

ومن اراضي الشام مايفوتها الوسمي فيزرع أهلها الحب عفيرا أي قبل سقوط الأمطار وينتظرون هطولها لسقي مزروعاتهم [2] ، وكان لأهل الذمّة تجارب في حصد الحبوب وطحنها ومن ثم خبزها ، وتكون الحبوب طيبة الطعم عندما يتم حصدها مبكرا ، وأفضل أوقات الحصاد التي تبدأ من اواخر الليل حتى ثلث النهار الأول أو نحوه ويترك إذا انتصف النهار واشتد الحر كي لا تتأثر الحبوب في الحرارة مما يتسبب بجفافها [3] .

وأجدر أن تخزن الحبوب في بيادر مرتفعة عن الأرض ، ليست قريبة من المساكن والكروم والأشجار ، وأن تكون الريح شمالية في عملية التذرية فأنه أفلح وأجمع للحبوب ، ولابد أن ترض الأرض وترش بالماء ويدحرج عليها بالاثقال حتى تسلم الحبوب من اضرار النمل وغيره [4] ، وبعد عملية التذرية ينصح أن يبقى في مكانه لعشرة أيام ويقلّب لتصبيه الشمس ليحافظ عليه أثناء جمعه بالأهراءات ومن ثم يحفظ في أماكن جافة ودائمة التهوية[5] . وهناك طرق لحفظ الدقيق وخبزه منها إن أهل الذمّة يضعون داخل الطحين قطعة من خشب السرو بعد رضها رضا بالغا فأن ذلك يحفظه من الفساد [6] ، وإذا عمد إلى الجيد المنقى وغسل ثم نشف وطحن وعجن وعجن وخبز خبزا نضيجا لم ينتقص البتة بل يزيد ... لأن ما يشربه من الماء

---

1 – النويري ، نهاية الأرب ، ج٨ ، ص٢٥٥-٢٥٦ .

2 – النويري ، نهاية الأرب ، ج٨ ، ص٢٥٦ .

3 –قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص٣٠ ؛ ابن وحشية ، الفلاحة النبطية ، ج١ ، ص٤٢٥ .

4 – قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص٢٩ ؛ ابن وحشية ، الفلاحة النبطية ، ج١ ، ص٢٢٧ .

5 – قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص٢٩ ؛ ابن وحشية ، الفلاحة النبطية ، ج١ ، ص٤٢٨ .

6 – قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص٣٢ .

اثناء العجن أكثر مما يخرج من النخالة ، وإذا كان البر دون الوسط كان خبزه ينقص عن وزن بره [1] .

وقد عمل أهل الذمّة في مطاحن طحن الحبوب وبيعه للمسلمين فضلا عن إستخدامهم لبعض العمال المسلمين للعمل معهم في مطاحنهم [2] ، واستخدموا الحيوانات كوسيلة " ميكانيكية " في تشغيل المطاحن ، وإنها اتخذت لغير الركوب [3] ، واستغلت الدولة بشكل محدود مجاري الأنهار في توليد الطاقة لإدارة الطواحين وطحن الحبوب ، فكان بالموصل مطاحن يطحن الحجر منها في اليوم والليلة خمسين وقرا [4] .

وهناك رحا البطريق وعددها مائة حجر ، قيل إنها انشئت بمعرفة مهندس بيزنطي وإليه نسبت ، وبلغت غلتها في كل سنة مع أسواق بغداد أثني عشر مليون درهم منها مليون درهم مقدار غلّة رحا البطريق [5] ، هذا إلى غير ذلك من الطواحين والأرحية الأخرى [6] .

أما في مصر فقد كان القمح من المحاصيل الرئيسية وكانت مصر تمير الحرمين الشريفين [7] ، ولهذا السبب أمر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عمرو بن العاص ﷺ أن يحفر خليج أمير المؤمنين ، وقد كثرت زراعته في الصعيد ، وكانت منطقة منفلوط بالصعيد من المناطق التي تنتج قمحا ممتازا لطيبه ورزانه حبه [8] ،

---

١ – قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص٣٣ ؛ حجازي ، أهل الذمّة ، ص١٨٦ .

٢ – ابن الحاج ، ابو عبد الله محمد بن محمد العبدري (ت : ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م) المدخل إلى الشرع الشريف ، المطبعة المصرية بالأزهر (القاهرة ، ١٩٢٩م) ج٤ ، ص١٦٤ .

٣ – الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت : ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) رسائل الجاحظ ، دار النهضة الحديثة (بيروت ١٩٧٢م) ج٢ ، ٢٣٦ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٣٧ .

٤ – ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١٩٨ .

٥ –اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٤٣ ، ٢٥٤ .

٦ –ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٣٧٣ .

٧ – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٩٥ .

٨ – ابن جبير ، ابو الحسين محمد بن احمد (ت: ٦١٤هـ / ١٢١٧م) رحلة ابن جبير ، دار صادر للطباعة ودار بيروت للطباعة والنشر (بيروت ، ١٩٦٤م) ص٣١ .

وكذلك اشتهرت مصر بزراعة الشعير والذي كان يستخدم كعلف للحيوانات وخاصة الخيول [1] . والفول الذي يلي القمح من حيث الأهمية ويسمى بالبقول وإن المساحة التي يشغلها كبيرة وكانت أهميته تعود إلى إنه غذاء أساسي للسكان بالإضافة إلى إنه يستخدم كعلف للحيوانات ، وقد ورد ذكره كثيرا في اوراق البردي العربية وكان يزرع في الضياع الواسعة [2] .

ولم يقتصر الإنتاج في العراق على عهد الأمويين على ما ذكرنا فقط وإنما كان للحنطة والشعير والعدس والجاروس [3] نصيب كبير من الزراعة والإهتمام [4] . ومثلما اشتهرت البصرة وبغداد بزراعة الرز الذي كان مصدرا رئيسيا لخبز سكانها [5] .

- **الأعناب (الكروم)** : وهي من المحاصيل التي أهتم بزراعتها أهل الذمّة على وجه الخصوص لأن المسلمين كانوا لا يهتمون بزراعتها كثيرا [6] ، ومع ذلك فكان بعض المسلمين الذين يعيشون بالقرب من النصارى يزرعونه لكي يستفيدوا ببيعه لهم [7] . واشتهر العراق بأصناف متعددة من الكروم مثل عنب دير العاقول وسروج

---

١ – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٩٨ .

٢ – جروهمان ، ادولف ، اوراق البردي العربية ، ترجمة : حسن ابراهيم حسن ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة ، ١٩٥٥م) ج٢ ، ص١٠٢ .

٣– حبة الدخن ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٣ ، ص١٤٩ .

٤– ابن خرداذبه ،المسالك والممالك ، ص١٣-١٤ ؛ ابو يوسف ، الخراج ، ص٥٦ .

٥– الدينوري ، عيون الاخبار ، ج١ ، ص٢٢١ ؛ ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٨٧ ؛ الثعالبي ، ابو منصور عبد الله بن محدبة (ت: ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) لطائف المعارف ، تحقيق : إبراهيم الإبياري وحسن الصيرفي ، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة ، ١٩٦٠م) ص٢٣٧ .

٦ – ليونهارت ، راوولف ، رحلة المشرق إلى العراق وسوريا وفلسطين ، تاريخ الرحلة سنة (٩٨١هـ / ١٥٧٣م) ترجمة : سليم التكريتي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون (العراق ، ١٩٧٨م) ص٨٣.

٧ – السيد ، علي ، القدس في العصر المملوكي ، القاهرة ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٨٦م) ص١٩٤.

وحلوان ، فكانت هناك مساحات شاسعة من الأراضي التي يمتلكها أهل الذمّة من النصارى واليهود قد زرعت بالكروم ، فقد اشتهرت بغداد بعنبها وكانت تزرع في منطقة الزندورد وهي من أجود الأعناب التي تزرع في العاصمة بغداد والموصل والجزيرة ، وكذلك المنطقة الممتدة بين بيروت ودمشق على سفوح الجبال وعلى جانبي السهل كانت مليئة بمزارع الكروم (١) ، أشتهرت منطقة الجزيرة الفراتية بزراعة الكروم فكانت بهية المنظر كثيفة بالزروع وبضمنها الكروم وشتى انواع الأشجار المثمرة(٢) .

وهناك مناطق كثيرة في بلاد الشام لها شهرة واسعة في زراعة الكروم كدمشق ، وبيروت ، وعسقلان ، وطرابلس ، وفلسطين ، وبيسان ، وصرخد ، وبعلبك التي فيها مزارع وعجائب وهي معدن الأعناب (٣) ، وبيت رأس ، واذرعات ، وصيدا ، وزغر ، واندرين بالقرب من حلب ، وجبل بصرى (٤) الذي تحدث عنه المقدسي في في كتابه أحسن التقاسيم (٥) : " أما جبل بصرى فكرومه لا تنسى " .
وقد حملت أعناب مدينة جبرين بالقرب من القدس التي أشتهرت بها إلى مصر (٦) .

وعرف أهل الشام طريقة لخزن الأعناب إذ يذكر قسطوس (٧) بأنهم : " أي أهل أهل الشام " كانوا يغمسون عناقيد العنب في ماء مخلوط بالشب فهي لا تتلف طوال السنة ، وبذلك يتم تحويلها إلى زبيب . وقد أفرد أبوابا في ذكر الأرض الصالحة لزراعة الكروم وأوقات غرسه وتقليمه وحفظه من الحشرات والطرق التي تساعد

---

١ – المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١٢٢-١٢٥ .

٢ – التلمحري ، التاريخ المنحول ،ص٧٤ ؛ الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص٢٣٧ .

٣ – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٦٠ ؛ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١ ، ص٢٧٢ .

٤ – ياقوت الحموي ، البلدان ، ص٢٦٦-٢٦٧ ؛ ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص٢٠ ؛ ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت:٢٧٦هـ / ٨٨٩م) الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها ، تحقيق : محمد كرد علي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي (دمشق ، ١٩٤٧م) ص٣٠ ، ص٢٠٦ ؛ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١ ، ص٣٦٩ .

٥ – ص١٦٠ .

٦ –المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٧٢ .

٧ –الفلاحة الرومية ، ص٣٥ .

على بقائه غضّا على الشجرة لمدة طويلة فقال : فينبغي أن لا يزرع إلا بالأرض الطيبة العذبة ويستحب غرسه في شهر شباط في الأيام التي يكون فيها القمر زائد النور وظاهر القوة وذلك من الليلة الرابعة من الشهر القمري إلى ما يصير منتصفا في الضوء الإنتصاف الأول [١] ، وأحسن أوان التقليم من منتصف شهر شباط إلى العشر الأخير من شهر اذار ، ويجب أن تكون مناجل التقليم مشحوذة ، وإذا غرس في وسط الكرم الجرجير فإنه يسلم من الديدان[٢] ، وصيدنايا بلد من أعمال دمشق أشتهرت بكثرة أعنابها [٣] ، كما أشتهر سكان القرى على قمم جبال لبنان وهم من النصارى بزراعة اشجار الكروم وصنعوا منها الخمرة [٤] ، وعلى جانبي الطريق بين بيروت ودمشق وعلى قمم الجبال وفي السهول قرى مليئة بمزارع العنب [٥] ، وبخارج حماة سهل بسيط فسيح عريض قد أنتظم أكثره شجر العنب وفيه المزارع والمحارث [٦] ومعرة النعمان فيها الكثير من أشجار الكروم ، وبمنبج من الكروم الأفضل على وجه الأرض في سائر ضياعها ما يزيد على الكثرة ويحمل أزبتهم إلى حلب وغيرها [٧] ، وبظاهر مدينة الخليل كروم محيطة بها من كل جانب وفيها انواع الفواكه وأعظمها العنب [٨] ، وسمي جبل القدس وهو طور زيتا بجبل الخمر لكثرة ما يزرع فيه من الكروم [٩] .

---

١ – قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص٣٥-٣٦ .

٢ – قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص٤١-٤٣ .

٣ – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤٣٨ .

٤ –ليونهارت ، رحلة المشرق ، ص٥٠ ؛ حجازي ، أهل الذمّة ، ص١٨١ .

٥ – ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص٢٣١ .

٦ – ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص٢٣١ .

٧ –ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١٦٤-١٦٦ .

٨ – العليمي الحنبلي ، ابو اليمن القاضي مجير الدين المقدسي (ت : ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م) الأنس الجليل بتاريخ القدس والجليل ، مكتبة المحتسب (عمان ١٩٧٣م) ج٢ ، ص٨١ .

٩ –ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٠٢ ؛ العليمي الحنبلي ، الأنس الجليل ، ج٢ ، ص٦٢.

واشتد اعجاب المقدسي بأعناب القدس فقال [١] : " عنبها خطير وليس لمعتقها نظير" ، وعدد انواعا من كرومها كالعينوني والدوري والعاصمي [٢] ، وبالقرب من الرملة قرية شهيرة بأعنابها تسمى قرية العنب [٣] ، والفراذية وهي من القرى الكبيرة الكبيرة في اللجون وبها معدن الكروم[٤]، وبيت جالا اهلها من أصحاب الزنار ويزرعون الكروم [٥] . وأشتهرت غزة وساحلها ببساتينها الوافرة وجل فاكهتها العنب العنب والتين [٦].

كذلك كانت مدن الثغور غنية بزراعة الكروم فمثلا مدينة سميساط أشتهرت بزراعة الجوز والكروم وسائر الثمار الشتوية والصيفية [٧] ، وقد حرص الرهبان أيضا على زراعة الكروم في البساتين التابعة لأديرتهم فلا يكاد بستان يخلو من أشجار الكروم ، لما في ذلك من سد لحاجاتهم اليومية من الأكل والزبيب والخمر [٨]. [٨].

وقد كان المزارعون يلقحون كرومهم كما تلقح النخل بالطلع الذكر مما يدل على أنهم اكتسبوا خبرة زراعية من خلال بيئتهم التي عاشوا بها حتى أصبحت قواعد ثابتة ومتطورة ، وقد أشار لذلك إبن حوقل [٩] عندما قال : " مدينة زغر حارة حارة وأهلها يلقحون كرومهم وكروم فلسطين كما تلقح النخل بالطلع الذكر " ، وقد

---

١ – أحسن التقاسيم ، ص١٦٦ .

٢ – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٨١ .

٣ – ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص٥٥ .

٤ – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٦٢ .

٥ – زايد ، رحلة دي لابوركير ، ص٣٠٨ ؛ فايزة حجازي ، أهل الذمة ، ص١٨١ .

٦ – القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٤ ، ص١٠٢ .

٧ – الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج٢ ، ص٦٥١ .

٨ – الزيات ، حبيب ، الديارات النصرانية في الاسلام ، ط٤ ، دار المشرق (بلا . م ، ٢٠١م) ص٣٢٠ .

٩ – صورة الأرض ، ص١٦٩ .

استخرج المزارعون من البحر الميت مادة يسمونها " قفر اليهود " أو " الحمر " [١] ويحلون تلك المادة في الزيت فإذا هم قلموا كرومهم عندما تبرز عيونها أخذوا هذا المحلول بحيث يرسمون دائرة على ساق الغصن لمنع الدود من الرقي إلى عيون الكرم [٢] ، وظلت عادة تحمير الكروم جارية إلى الأن وهي ما تسمى بالتشييد [٣] .

- **النخيل :** وانتشرت في العراق انواع كثيرة من الفواكه كان من أشهرها التمور الذي فخر بكثرة زراعته أهل العراق على أهل الشام فتميز العراق بكثرة انواعه المميزة [٤] وكان أول نبات زرع في البصرة عند تمصيرها [٥] . وكثير من الزراع ومنهم أهل الذمّة عرفوا انواع المزروعات وأصبحت لديهم خبرة كبيرة بها فأهل البصرة كانوا أحذق من غيرهم في غراسة النخل ، وإصلاح علله ، واعرفهم بأحواله حين الغرس إلى أن تكتمل وتستوي ، وابصرهم بالتمر وخرصه وتمييزه وخزنه ، وكان النخل تجارتهم العظمى وقيل إن في البصرة اصناف النخيل ماليس في بلد من بلدان الدنيا [٦] .

وأولى الخليفة العباسي المنصور الزراعة في بغداد عناية فائقة وكلف " كعيوبة " بغرس النخل في بغداد فغرسها في محلتي ربض القس وبراثا ، وكان ذلك تدشينا لحركة زراعة النخيل ، وأقبل البغداديون على إنشاء البساتين والأجنة في ارباض مدينتهم ، وكان في دير درتا من النخل أكثر من مائة وعشرين الف رأس ، ومن

---

١ – قفر اليهود او الحمر : وتسمى كذلك كفر اليهود نسبة الى موضع بغور اريحا كان يقال له في القديم كفر يهوذا ، عباس احسان ، الحياة الثقافية والعمرانية في فلسطين خلال القرنين الرابع والخامس ، بحث منشور في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين ، ١٩٨٣م) مج٢ ، ص٣٥١ .

٢ –المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص٨١ ؛ الإصطخري ، المسالك والممالك ، ص٦٤ .

٣ – حجازي ، أهل الذمّة في بلاد الشام ، ص١٨١ .

٤ –ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج١ ، ص٢٢١ .

٥ – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٣٢ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٦١٣ .

٦ – الحميري ، الروض المعطار ، ص١٠٧ .

الشجر المختلف الجربان العظيمة ، وكان النخل والشجر والرياحين في محلة باب الحديد ، وكانت بغداد تنتج تمورا من النوع الجيد [١] .

وذكر إبن الفقيه [٢] : " إن في بغداد اصنافا كثيرة من النخيل " .

وكذلك فقد أشتهرت البصرة بتمورها إذ بلغت انواعه فيها ثلاثمائة وستين ضربا [٣] ، واشتهرت بيروت بزراعة النخيل [٤] ، وكانت اشجار النخيل تغطي مساحات واسعة من أراضي مصر وخاصة في الصعيد الذي أشتهر بنخيله وبساتينه الكثيرة وكانت بأسوان حدائق للنخيل تروى بالسواقي [٥] ، وقد زرع بكثرة واحيطت به المدن والقرى ، وكانت اطيب ثماره في الصعيد وخاصة في كورة قوص التي تمتاز برطب من أحسن الرطب ، مذاقه طيب وكثير السكر وليس من انواع التمر في العراق إلا ومثله في صعيد مصر [٦] .

- **التين** : تعد زراعة التين من أقدم المزروعات المعروفة ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم بقوله ﷻ : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [٧] ، وقد أشتهرت به بلاد الشام الشام وشواطئ البحر المتوسط منذ القدم ومن أهم المدن التي قام أهلها بزراعته الرملة وقيسارية ومعرة النعمان ومناطق كثيرة كالقدس والخليل وبيت لحم ومدينة غزة [٨] ، ودير المصلبة فيه من أشجار التين الكثير[١].

---

١ – اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٤٤-٢٤٧ ؛ ابن الفقيه الهمداني ، بغداد مدينة السلام ، ص٧٥ .

٢ – بغداد مدينة السلام ، ص٧٠ .

٣ – الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص٩٠ ، ٩٣ ، ١١٠ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٣ ؛ ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٣٢ ، ١٣٥ ، ٢٠٥ ؛ ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٧٠ .

٤ – ابن حوقل ، صورة الارض ، ص١٦٢ .

٥ – ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص٧١ .

٦ – الأدفوي ، كمال الدين أبو الفضل ، الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ، مطبعة الإعتماد (القاهرة ، ١٩١٤م) ص٢٩ .

٧ – سورة التين ، الآية ١:

٨ – الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص١٥٦ ؛ ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص١٨-٣٢ .

• **التفاح** : أنتشرت بساتين التفاح في بغداد ، وقيل إن مضحك الخليفة العباسي هارون الرشيد اهدى سيده عشرة الآف ثمرة تفاح ، وكان " شعر الزنج [٢] " يعمل ناطورا يحفظ البساتين فقصد بساتين التفاح في بغداد وجمع منها الوانا [٣] .

وفي رواية مبالغ فيها ذكر إبن الفقيه [٤] : " إنه يعرف بمدينة السلام نيف وسبعون نوعا من التفاح " . واشتهرت بلاد الشام بزراعة التفاح إذ تركزت مناطق زراعته في معرة النعمان [٥] ، ولبنان وخاصة في منطقة البقاع وبيت المقدس وبقية مناطق فلسطين [٦] ، وقد ضرب المثل بالتفاح الشامي بحسنه وطيبه ، فيقول الثعالبي [٧] : إنه كان يحمل منه إلى الخلفاء كل سنة ثلاثون ألف تفاحة في القرابات " اكياس الجلد " .

• **الزيتون** : أشتهرت بغداد في زراعة الزيتون وكان يزرع بنواحي دقوقا [٨] ، فقد أهتم النصارى واليهود بزراعة الزيتون [٩] ، وكذلك فقد أشتهرت بلاد الشام بزراعته منذ القدم ، وشملت معظم القرى وأنحاء البلاد الشامية في الجبال والأودية

---

١ - الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١ ، ص٣٦٤ ؛ العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص٣٣٩ .

٢ - ابو الجعد المعروف بشعر الزنج ، كان وقادا بحمام ببغداد . ابن شاكر الكتبي ، الوافي بالوفيات ، ج١ ، ص٢٨٠ .

٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٣٥١ ؛ ابن شاكر الكتبي ، محمد ، فوات الوفيات ، بعناية احسان عباس ، دار صادر (بيروت ، ١٩٧٣م) ج١ ، ص٢٨١ .

٤ - بغداد مدينة السلام ، ص٧٠ .

٥ - شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص٢٠٠ .

٦ - الثعالبي ، اللطائف ، ص٢٠٨-٢٠٩ ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٨١ .

٧ - اللطائف ، ص١٥٦ .

٨ - الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص٢٣٧ ؛ الشابشتي ، الديارات ، ص٢٨ .

٩ - العارف ، عارف ، المفصل في تاريخ القدس ، مطبعة المعارف ، القدس الشريف ، ١٩٦١م ، ج١ ، ص٤٦٢ .

والسواحل ، حتى قيل عن الشام بأنه بلد الزيتون والزيت [١] ، وإنه أكثر بلاد الله زيتونا [٢] ، وريف الدنيا من الزيتون من فلسطين إلى قنسرين وكثرت في مدن الساحل منها [٣] ، ونابلس التي كانوا يسمونها دمشق الصغرى لكثرة أشجار الزيتون فيها [٤] ، وقال عنها إبن بطوطة [٥] : " بأنها كثر بلاد الشام زيتونا ومنها يحمل الزيت إلى مصر ودمشق " .

وفي بيت لحم أشجار كثيفة من الزيتون تعلوا جبالها وطرابلس فيها من شجر الزيتون وضرب الغلات الشيء الكثير [٦] ، ولها من الضياع المشهورة كالشفيقية والزيتونية والراعبية والحدث واميون وفيهن من الزيتون وأنواع الفواكه أكثر مما في غيرهن [٧] ، ودير المصلبة بظاهر مدينة دمشق في بحيرة من أشجار الزيتون [٨] .

وأهتم أهل الذمّة وحرصوا كغيرهم من المزارعين بشجرة الزيتون اهتمام خاص ، واقبلوا على زراعتها في أراضيهم ، والإعتناء بها لما فيها من الفائدة والخير الكثير ، إذ شجع قسطوس على زراعته والعناية به والإكثار منه وحسن تعهده ، لأن ما اعتنى به أحد إلا كثر ماله وأتسع حاله إلى جانب مافيه من الشفاء للكثير من الأمراض [٩] .

---

١ – ابن الفقيه ، ابو عبد الله احمد بن محمد (ت : ٢٦٠هـ / ٩٠٣م) مختصر كتاب البلدان ، تحقيق : يوسف الهادي ، عالم الكتب (بيروت ، ١٩٩٦م) ص١١٧ ؛ متز ، ادم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة : محمد عبد الهادي ابو ريدة ، دار الكتاب ، ط٤ (القاهرة ، ١٩٦٧م) ص٣١٠ .

٢ – الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص١٥٧ .

٣ – ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ص١١٥ .

٤ – الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج٢ ، ص٣٧٤ ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ج٤ ، ص٣٦٤ .

٥ – الرحلة ، ص٥٦ .

٦ – الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١ ، ص٣٦٤ .

٧ – الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١ ، ص٣٧٣ .

٨ – العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص٣٣٩ .

٩ – الفلاحة الرومية ، ص٩٩ ؛ ابن وحشية ،الفلاحة النبطية ، ج١ ، ص٣٧ .

واشتهرت مدينة السليمانية على بعد اربعة عشر ميلا من دمشق بكثافة زراعتها للزيتون كما يذكر الطبري [1] ، مما يجعل دمشق مركزا تجاريا هاما لزراعته ، وكان لأقصى جنوب الأردن دور كبير في زراعة الزيتون وفي منطقة الحميمة تحديدا ، فيذكر البلاذري [2] : " إنه كان بها خمسمائة شجرة زيتون تعود للداعية العباسي محمد بن علي بن عبدالله بن العباس " . ويذكر ياقوت الحموي [3] : " إن المسافة بين حلب وانطاكية كانت مليئة بأشجار الزيتون " . وفي الرصافة كان للخليفة هشام بن عبد الملك بستانا مغروسا بأشجار الزيتون [4] ، وإن رساتيق بيت المقدس زرعت بالزيتون أيضا [5] ، وأجود ما يختار من الأرض لزراعة الزيتون البقعة الجرداء البيضاء الخوارة الجافة غير المتعفنة من كثرة الرطوبة ، ولا ينبغي أن يزرع في الأراضي السبخة ولا في الحمراء ولا المتطامنة ذات العمق التي تدوم بها شدة الحر ولا في الأرض ذات الشقوق [6] ، وأول أوان غرسه النصف من شهر شهر تشرين الثاني وأخره في العشرين من شهر كانون الأول وقد يزرع في فصل الربيع في شهر نيسان [7] .

- **قصب السكر** : وهو من السلع التجارية الهامة التي تدر المال الوفير لخزانة الدولة ، وكان لأهل الذمّة أهتمام واسع بزراعته في أراضيهم وخاصة المناطق التي فيها اليهود والنصارى ، وقد زرع في العراق وبلاد الشام ومصر ، ومن أشهر المدن التي أختصت بزراعته الموصل وبيروت وسواحلها وطرابلس ونواحيها كانت تشتهر بوفرة غلالها وكثرة بساتينها التي تحف بالمنطقة كالسياج وكان قصب

---

[1] – تاريخ الرسل والملوك ، ج٧ ، ص٢٦٤ .

[2] – انساب الأشراف ، ج٣ ، ص٨٧ .

[3] – البلدان ، ص٢٦٦-٢٦٧ .

[4] –الجاحظ ، البخلاء ، ص٣١ .

[5] – ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص٢٠ .

[6] –قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص١٠٠ .

[7] – قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص١٠٠ .

السكر من أشهر المزروعات في هذه البساتين [1] ، ومن قصب السكر كان يصنع السكر الطرابلسي الذي أشتهر في العصور الوسطى [2] .

يقول النويري [3] : " وأكثر ما كان يوجد قصب السكر بالسواحل العكاوية " . كما كثرت زراعته في طبريا ، إذ قال فيهم المقدسي [4] : " إن أهلهم عراة من شدة الحر ويمصون قصب السكر " . وكان لأريحا دور كبير في زراعة قصب السكر أيضا [5] . وبالإجمال فإن زراعته كثرت بوجه خاص في منطقة الأغوار في المنطقة المنطقة الممتدة من بحيرة طبريا شمالا إلى البحر الميت جنوبا ، يقول ياقوت الحموي [6] : " ضياع الأردن فيها نهر الأردن وأكثر مستغلتهم السكر ومنها يحمل إلى سائر بلاد الشرق " .

وقد كثرت زراعته بوجه خاص في غور الصافي قرب الكرك [7] ، وإن من أجود مناطق غرسها هي الأرض الكثيرة النبات والحشيش التي نباتها ملتف ويختار أن تكون متسعة الفضاء لتصيبها الرياح ، وأفضل سماده أخثاء الأبقار ، وإن أوان غرسه في شهر نيسان أما في الأماكن الباردة فيكون في فصل الخريف [8] .

---

[1] – الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١ ، ص٣٧٢ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١٦٢ .

[2] – ليونهارت ، رحلة المشرق ، ص٢٢ ؛ سالم ، عبد العزيز ، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية ، ١٩٦٦م) ص٣٨٠ .

[3] – نهاية الإرب ، ج٨ ، ص٢٧١ .

[4] – أحسن التقاسيم ، ص١٧٥.

[5] – حجازي ، أهل الذمّة ، ص١٨٤ .

[6] – معجم البلدان ، ج١ ، ص١٤٧ .

[7] – ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى المغربي (ت: ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) كتاب الجغرافيا ، تحقيق : إسماعيل العربي ، المكتب التجاري للنشر والتوزيع (بيروت ، ١٩٧٠م) ص١٥٢ ؛ غوانمة ، يوسف درويش ، التاريخ الحضاري لشرق الأردن في العصر المملوكي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، ط٢ (عمان ، ١٩٨٢م) ص١٠٦ .

[8] – قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص٩٩ .

وقد زرع في مصر حتى إن الإمام الشافعي ذكر : أنه لولا قصب السكر في مصر لما بقي فيها [1] ، وكان قصب السكر يزرع في الصعيد [2] .

- **الزعفران** : اشتهرت مناطق كثيرة بزراعته وقد اهتم أهل الذمّة في بلاد الكرد في زراعته [3] . وفيما يخص الموصل[4] ، وانتشرت هذه الزراعة في اقليم الجزيرة لاسيما في نصيبين وضواحي الموصل [5] .

وما يجدر الذكر به إن أهل الذمّة من النصارى كانوا يعملون في فلاحة الأرض وأنهم كانوا يجيدون عملهم [6] ، وأهتم هؤلاء أيضا بزراعة الزعفران والعناية به ، لاسيما في البساتين المحيطة باديرتهم وكنائسهم ومن أشهر هذه المناطق منطقة دير الكلب بنواحي الموصل [7] . ومنطقة دير الزعفران على رأس جبل مطل على نصيبين [8] وسمي هذا الدير بهذا الأسم " الزعفران " نسبة إلى كثرة زراعته في هذا المكان ، ويبدو من خلال كثرة زراعته إنه كان مطلوبا لدى الناس لكثرة الحاجة إليه[9] .

وكذلك فقد حرصت الأديرة على زراعة الزعفران وهو نبات أحمر مائل إلى الصفرة ذكي الرائحة ، ويعد من النباتات الطبية والعطرية التي حرصت الأديرة والكنائس على زراعته في الأراضي التابعة لها لشدة الطلب عليه [10] ، إذ كان النصارى متخصصين في مهنة العطارة والطب ويستخدم الزعفران في الصباغة

---

1 – السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج٢ ، ص١٩٢ .

2 – الأدفوي ، الطالع السعيد ، ص٢٤ .

3 – الزيات ، الديارات ، ص٥٧ .

4 – ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١٩٦ .

5 – الشابشتي ، الديارات ، ص١١٦ .

6 – الاب فنشستو ، رحلة الأب فنشستو إلى العراق ، ترجمة بطرس حداد ، بحث منشور في مجلة مجمع اللغة السريانية العدد الأول (بغداد ، ١٩٧٥م) ص١٩٥ .

7 – العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص٢٥٤ .

8 – العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص٢٥٥ .

9 – الزيات ، الديارات ، ص٦٤ .

10 –الزيات ، الديارات ، ص٣٣٨ .

والدواء والطيب [١] ، ويسمى أيضا بالكركم أو الورس أو العصفر ، كما كانت العادة العادة أن يتخلق الناس بالزعفران في بعض المواسم والأعياد والأفراح وقد ضلت هذه العادة باقية حتى أوآخر القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي [٢] .

ولشدة الطلب عليه فقد راجت تجارته وكان يلقى رواجا كبيرا في الأسواق لذلك فقد حرص الرهبان على زراعته في الأراضي التابعة للأديرة والكنائس [٣] .

ومن الأديرة التي اشتهرت بزراعته دير مارت ماورتا بظاهر حلب [٤] ، ودير ودير مران في دمشق الذي كان مشرفا على مزارع الزعفران [٥] ، ودير الزعفران على الجبل المحاذي لنصيبين [٦] ، ويبدو أن تسميته بجبل الزعفران جاءت بسبب شهرته بزراعته .

ومن المناطق التي أشتهرت بزراعته منطقة جادية من قرى البلقاء وإليها ينسب الجادي وهو الزعفران [٧] ، ومن المناطق التي يزرع فيها أهل الذمّة الزعفران أيضا أيضا مدينة سلمية والتي أستنبطت أرضها جنى زرع فيها وأهلها أخلاط من الناس تجار ومزارعين [٨] ، وقد استعمله الأطباء في وصفاتهم لعلاج المرضى إذ إنه يستخدم في علاج القبض ويقوي الأحشاء وشربه يحسن لون البشرة وهو محلل

---

[١] – الجاحظ ، رسائل ، ج٣ ، ص٣١٦ ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٨٣ ؛ أبو القاسم الغساني ، محمد بن إبراهيم المشهور بالوزير (ت : ق١٣هـ / ١٩م) حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار ، تحقيق : محمد الخطابي ، دار العربي (بيروت ، ١٩٨٥م) ص١٠٨ ؛ الزيات ، الديارات ، ص٣٣٨ .

[٢] – ابو القاسم الغساني ، حديقة الأزهار ، ص١٠٨ ؛ الزيات ، الديارات ، ص٣٣٨ .

[٣] – الزيات ، الديارات ، ص٣٣٨ .

[٤] – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٣٣ .

[٥] – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٣١ .

[٦] – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥١١.

[٧] – الزمخشري ، محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ / ١١٣٦م) كتاب الأمكنة والمياه والجبال ، تحقيق : إبراهيم السامرائي ، مطبعة السعدون (بغداد ، ١٩٦٨م) ص٦٠ .

[٨] – اليعقوبي ، البلدان ، ص٣٢٤ .

للأورام منوم إذا سقي في الشراب ويجلو البصر ويسهل التنفس ويقوي النفس إلا أنه مصدع يضرب الرأس [١] .

وقد كان لأهل الذمّة في مصر دور واضح في النشاط الزراعي ، فمن المعروف أنهم كانت لهم دراية ومعرفة بأوقات البذر والحصاد ومواعيدها وما إلى ذلك كان وما يزال يرتبط بالتقويم القبطي المتوارث عن المصريين القدماء ، ويذكر بعض المؤرخين بعضا من أصناف الخضراوات والفواكه التي أشتهر أهل مصر بزراعتها وبمواعيد زراعتها ونضجها وجنيها في كل شهر من شهور السنة القبطيية[٢] . وأنتشرت الزراعة الصيفية وزراعة السمسم والمقاثي والبقول المختلفة والخضر بأنواعها في سائر أنحاء البلاد [٣] .

- **محاصيل اخرى** : وهناك محاصيل اخرى جرى ذكرها في بعض النصوص التاريخية نذكر منها مثلا زراعة القطن إلا أنه لم يكن منتشرا كثيرا فقد زرع في المناطق التي يكثر فيها الماء كالفيوم التي يوجد فيها نظام الري الدائم [٤] ، وانتشرت وانتشرت أيضا زراعة الأرز وخاصة في المناطق التي تتوفر فيها المياه اللازمة للري مثل الفيوم وقد ورد ذكره في اوراق البردي العربية ضمن المزروعات في القرن الثالث الهجري ضمن حساب أحد الفلاحين إذ إنه استخدم غذاءا للسكان في القرى والمدن[٥].

أما النيلة فقد كانت تزرع بكثافة في الصعيد وترجع أهميته إلى استخراج الأصباغ اللازمة لصباغة المنسوجات وهو معروف بجودة صباغته ، ويفوق كثيرا

---

١ – النويري ، نهاية الإرب ، ج١١ ، ص٢٤٧ ؛ ابو القاسم الغساني ، حديقة الازهار ، ص١٠٩ .

٢ – المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٢٦٩-٢٧٢ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٢ ، ص٣٧٣-٣٧٩ ؛ قاسم عبدة ، أهل الذمّة ، ص١٣٩ .

٣ – البطاينة ، الحياة الإقتصادية ، ص٣٠٧ .

٤ – ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص٢٦٥ ؛ محمد أحمد إدريس ، الحياة الزراعية ، ص١٤٠.

٥ – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٢٠٣ ؛ جروهمان ، اوراق البردي العربية ، ج٦ ، ص٥٨ .،

على الأصباغ الأخرى ونظرا لأن مصر كانت تنتج المنسوجات فقد كانت بحاجة إلى هذا المحصول لصباغة هذه المنسوجات [1].

وزرع السمسم لكن بمساحات صغيرة كونه يسبب ضررا للأرض إضافة إلى إن تكاليفه كبيرة وإن أهميته ترجع إلى استخدامه في الأغذية والحلوى بالإضافة إلى استخراج الزيت منه عن طريق معاصر لعصر بذراته وأستخراج الزيت منها ويسمى " زيت السيرج " [2] .

وتمثل نمو الزراعة في العراق بإنتشار البساتين وما حفلت به من الأزهار والنباتات التي تستخرج منها الروائح العطرية فكان ينمو في الكوفة الإقحوان [3] والشيح [4] والقيصوم [5] والشقائق[6] وقسب العنبر [7] . وكان الورد والياسمين مما امتازت به ارض السواد [8] ، إذ لم يخل بيت في الحيرة من الرياحين طوال العهد الأموي [9] ، وأولت الدولة انذاك عنايتها بزراعة الخضراوات كالبطيخ والباذنجان والخيار والجزر والقثاء[10] .

---

[1] – الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص٤٣-٤٤ .

[2] – ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص٦١ .

[3] –نبات سهلي فيه رائحة طيبة . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، ص١٢٣ .

[4] – نبات سهلي يتخذ من بعضه المكانس وهو من الأمرار له رائحة طيبة وطعم مر وهو مرعى للخيل منابته القيعان . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، ص٥٠٢ .

[5] –نبات سهلي والقصيمة : سهل من الأرض كثر شجره والقصيمة منبت الغض والأرض أو السلم . ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٢ ، ص٢٨٦ .

[6] – شقائق النعمان : نبت سميت بذلك لحمرتها على التشبيه بشقيقة البرق ، وسميت بشقائق النعمان بن المنذر . ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٠ ، ص١٨١ .

[7] – نبات كان يعيش في بلاد الشرق ، ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج١ ، ص٢١١ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٩٠ .

[8] – ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٦ ، ص٢٤٩ .

[9] –الاصفهاني ، الاغاني ، ج٤ ، ص٢٥ .

[10] – البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٥ ، ص٣٩ .

وكذلك فأن لأهل الذمّة دور ملحوظ في الحياة الإقتصادية في الإقاليم الكردية في شمال العراق فاشتغلوا في الأعمال التي درت عليهم ارباحا وفيرة ، ومنها الزراعة ، واشتهرت رأس العين وحران [1] بزراعة القطن الجيد وكذلك قرية حزة في اربيل وكانت تحتل الصدارة في انتاج القطن [2] .

ويذكر المقدسي [3] : " إن أريحا كانت كثيرة الموز والأرطاب والريحان " . كما وأشتهرت بلاد الشام أيضا بالورود ، إذ إنها وصفت بأنها من جنان الدنيا الأربع ، لتنوع ازهارها وكثرتها [4] ، إذ أهتم الرهبان بزراعة الورود والرياحين في أديرتهم ، فكان لدير مارت ماروتا بظاهر حلب بساتين قليلة ومباقل وفيه نرجس وبنفسج وزعفران [5] ، ودير الرهبان الذي نزله الخليفة سليمان بن عبد الملك في روضة خضراء مونقة الزهر وذات حدائق وبهجة فيه تحفه انواع الزهر النضر والغض ، ما بين أصفر فاقع وأبيض ناصع وأحمر ساطع – قاني – فهي مثل الثياب الحضرمية ، تحمل منها الريح نسيم المسك والعنبر [6] ، ودير الخصيان بغور البلقاء البلقاء بين دمشق وبيت المقدس ، في وسط بستان ملتفة اشجاره وروض قد أزهر بنبت الربيع ونواره [7] ، وقد كان لدمشق الدور الكبير في زراعته وصناعته ، إذ عد عد القلقشندي [8] من رياحين الشام الآس والورد والنرجس والياسمين والنسرين ويزيد على مصر في ذلك خصوصا الورد حتى إنه يستقطر منه ماء الورد وينقل منه إلى سائر البلدان ، كما ينقل منها دهن البنفسج [9] .

١- الإصطخري ، المسالك والممالك ، ص٥٤ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٢٠٤ .

٢- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٥٦ .

٣-أحسن التقاسيم ، ص١٧٥ .

٤-المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٦ ؛ الشريف ، أهل الذمّة ، ص١٢١ .

٥-العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص٣٣٢ .

٦ – الشابشتي ، الديارات ، ص٨١ ؛ ولم يشر الشابشتي إلى مكان هذا الدير ، ولم يرد له ذكر في باقي المصادر والأغلب أنه في بلاد الشام .

٧ – الشابشتي ، الديارات ، ص٧٩ .

٨ – صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٩١ .

٩ – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٨١ .

وكان للرمان والمشمش دور كبير في دعم السوق إذ إن أهل الشام اشتهروا بزراعته وزراعة التوت ، كما زرعوا الخضراوات التي اشتهرت فيها الموصل أيضا الشمام والكرنب الشامي والمصري وهو القنبيط واللوبيا والفاصوليا والقرع والقثاء والخيار واليقطين والطرخون والفيجن والكزبرة والبصل والثوم والفجل والجزر والخس والنعناع والهندبا [١] .

كذلك فقد أشتهر أهل الذمّة بزراعة الكتان في مصر والقطن في العراق [٢] . وورد إن في بغداد العديد من الأشجار والثمار التي كانت تزرع منها النارنج والفستق واللوز والزعرور والموز والشاهبلوط والجوز والبندق ومن النباتات الزعفران والأقحوان والهليون والريباس والفوه والخس وغيرها [٣] ، وكانت الأعشاب الطبية تنبت في أراضي بغداد على سواقي الأنهار ببادوريا منها المشبر والسونجان والمج والخرنق والتربذ والمازريون والتيل والأذفر والأفستين والجعد والفنجشنك والغافت والموقدة والحنظل ، وجميعها من الأعشاب التي تدخل في صناعة الأدوية [٤] ، وأعتبرت الزراعة استثمارا جيدا في بغداد على عهد العباسيين ، فقد أدعى أحد المزارعين من أهل الذمّة إنه زرع أرضه بطيخا وقثاء وقرعا وكلفته مائة وعشرين دينارا وربحت ثلاثين دينارا في العام الأول ، وأدعى أنه باع من انتاجه في العام التالي بثلاثة عشر الف دينار [٥] .

---

١ - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٣١ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٨٧ ؛ قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص١١٠-١١٦ .

٢ - قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص٢٨ .

٣ - ابن الفقيه ، بغداد مدينة السلام ، ص٧٠ .

٤ - ابن الفقيه ، بغداد مدينة السلام ، ص٧٠ .

٥ - التنوخي ، المحسن بن علي ، الفرج بعد الشدة ، عناية : عبود الشالجي ، دار صادر (بيروت ، ١٩٨٧م) ج٣ ، ص٧١ ، ١٧٩ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٣ ، ص٢٩.

وهناك معلومات تشير إلى نسبة الريع الزراعي لأراضي بغداد ففي عهد الخليفة العباسي المعتضد بالله (٢٧٩ - ٢٨٩هـ / ٨٩٢-٩٠١م) كانت الأرض التي ثمنها الف دينار تغل الف درهم أي حوالي ٧ % [١] .

الحيوانات التي اهتم بها أهل الذمّة :

كان لأهل الذمّة اهتمام واضح وكبير كغيرهم من الفلاحين بالحيوانات وتربيتها كالأبقار والأغنام والماعز والنحل والطيور كالدجاج والحمام وعملوا بصيد السمك [٢] ، لما لهذه الحيوانات من ارتباط مباشر في عملية الزراعة . فكان أهل الجزيرة الفراتية يهتمون إلى جانب الزراعة بالمواشي وكان الفقراء وحتى المعدومون منهم يمتلكون افدنة وحميرا وماعزا [٣] ، وقد اختاروا من الخيول أجودها بفضل خبرتهم في تربيتها وفي هذا قال قسطوس [٤] : " يستحب الفحل المتخذ للنتاج أن يكون حسن الخلق والفعال قصير القوائم لطيف الجسم معتدلاً طويل العنق غير ثني ولا جذع ولا رهيف ولا طويل بل عريض الجنب مكتنز قصير الأرساغ ، ويحمد نتاج الخيل في النصف الأخير من شهر اذآر إلى منصف حزيران ليكون الميلاد في هذا الوقت من السنة الداخلة وذلك لإعتدال الهواء وكثرة المراعي " ، ويقول أيضا [٥] : " وقد رأيت رأيت علماء الروم يبدأون في نتاج الخيل من منتصف شهر اذآر ويستمرون فيه إلى منتصف شهر حزيران ، ثم يعزلون فحول الخيل عن الحجور ، وبعد الولادة كانوا يهتمون برضاعتها وتدريبها حتى سن السنة السابعة ففي هذه السن تبلغ الخيول شدتها

---

١ - سعد ، العامة في بغداد ، ص١٠٢ .

٢ - قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص١٢٩، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٣ .

٣ - التلمحري ، التاريخ المنحول ، ص٧٤ .

٤ - الفلاحة الرومية ، ص١٢١ . غير ثني ولا جذع : أن لا يكون صغير السن فالثني ما كان عمره سنتين والجذع ما استكمل سنتين ودخل الثالثة . الزبيدي ، تاج العروس ، ج١ ، ص١٢٣

٥ - قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص١٢١-١٢٥ .

وقوتها ، وقد اشتهرت الحمير المريسية المصرية والخيل والبغال والمطايا من الأبل المصرية [١] .

ولا شك أن هذه الحيوانات من الخيل والبغال والحمير والبقر والأبل والغنم كانت ذات نفع إقتصادي كبير ، فكانت تساعد في حمل الأثقال ونقل المواد والأمتعة ، وتستخدم في الحرث والزرع ونقل المحاصيل ودياسها ، كما ويتنفع الناس من البان بعضها وأوبارها وصوفها وجلودها ولحومها ، وتعينهم في كسب معاشهم ، ولا شك أيضا أن أهل الذمّة قد استخدموا هذه الحيوانات كغيرهم من الناس .

معاناة فلاحوا أهل الذمّة :

عانى فلاحوا أهل الذمّة كغيرهم من الفلاحين من سوء تصرف جباة الضرائب وطرق جبايتها والإعتداء على أملاكهم ومحاصيلهم ، ومن أكثر هذه المساوئ التي اضرت بهم هي شيوع ظاهرة القبالة والضمان في جمع الضرائب فكان الفلاح الذمي وغيره يقع تحت وطأة المتغلبين من التجار والمرابين لكي يحصل على الأموال الواجبة عليه لدفعها كضريبة للدولة ، فيشتري هؤلاء محاصيلهم وحيواناتهم بأسعار رخيصة دون مستوى السوق بكثير ، إذ يورد التلمحري [٢] مثالا على ما حدث في مدن الجزيرة الفراتية أيام الخليفة العباسي المنصور وواليه موسى بن مصعب فيقول : " في سنة (١٥٥هـ / ٧٧١م) أرسل الخليفة المعدلين إلى الجزيرة لمسح الأرض وتعديل الضريبة عليها لإخضاع أكبر عدد ممكن من السكان للجزية وإرهاق الأرض بمزيد من الضرائب ، ولما طولب كل ذمي بدفع الجزية ولم يقووا على دفعها كاملة قبض الأمير موسى بن مصعب على الضامنين وفرض عليهم مقدارا معينا من المال بالتساوي فعاد هؤلاء بدورهم وفرضوا ذلك المبلغ من المال المفروض عليهم على القرى الواقعة ضمن مناطق جبايتهم " ، ويقول التلمحري [٣] : " يبدو إن الأمور لم

---

[١] – اليعقوبي ، البلدان ، ص٣٣١ ؛ ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص٣٦ .

[٢] – التاريخ المنحول ، ص١٩٧ ،

[٣] – التاريخ المنحول ، ص١٩٧ . وقد حذر ابو يوسف الخليفة العباسي هارون الرشيد من نظام الضمان " القبالة " لما يلحق بالفلاح من العسف الشديد من جراء سوء تصرف الجباة وطمعهم . الخراج ، ص١٠٥.

تجري في نصابها الصحيح فيما بعد وفشلت خطة الجباية هذه لأن الضامنين تجاوزوا حدود صلاحياتهم فظلموا الفقراء والأيتام والأرامل في نواحي سكناهم غير مشفقين عليهم ، ولم يكن هذا بأمر الوالي أو بعلمه ولكنهم أقدموا عليه بدوافع شخصية مجحفة وجشعة واشتروا بهذا الفعل أمتعة المحتاجين ومواشيهم حتى أثروا ثراءً فاحشا على هواهم " ، وأقرضوا بربا فاحش ، واشترى أصحاب الأموال غلال الفلاحين سلفا ودفعوا دينارا عن كل خمسين أو ستين جريبا من الحنطة ودفع آخرون دينارا عن كل سبعين جريبا منها [١] .

واقرض ذوو الأموال أيضا دينارا عن كل خمسين رطلا من الخمور وآخرون ستين أو سبعين وفي بعض الأحوال ثمانين رطلا بدينار بينما كانت تباع الحنطة في الأسواق بثلاثين أو خمسا وثلاثين جريبا بدينار ولم يصل ثمن أربعين جريبا من الحنطة إلى دينار إلا في القليل النادر ، وكانت اسعار الخمور معتدلة جدا وبيع الخروف بدرهم والماعز بدرهم والثور بخمسة دراهم والحمار باربعة دراهم ، وهذا الفرق في الأسعار يبين مدى استغلال هؤلاء التجار لحاجة الفلاح إلى الأموال فيضطر إلى بيع ممتلكاته بأقل الاسعار كي يسدد ما عليه من الضرائب المفروضة ، وعندما لا يستطيع الفلاح الذمي أن يسدد ما تراكم عليه منها يضطر إلى أن يلجأ إلى المرابين في المدينة ، فكانوا يقرضونهم بربا فاحش وعندما يحين موعد السداد يضطر الفلاح أن يبيع ما لديه من أمتعة ومحصولات كي يجمع المال المطلوب[٢].

وبذلك أضطر عدد من الفلاحين إلى الفرار من الأرياف إلى المدن لعدم تمكنهم من تسديد ما بذمتهم من الأموال للمرابين ، وقد اتخذت الدولة تدابير حازمة شملت جميع مدن الجزيرة الفراتية للحد هذه الظاهرة واعادة الفلاحين إلى مدنهم ، لتدهور الوضع الزراعي فيها ، إذ يشكل تركهم لأراضيهم عبئا كبيرا على بيت المال وتراجع الواردات ، كما تشكل هجرتهم من ناحية أخرى عبئا على باقي الفلاحين من سكان القرية لأنه كان يقع عليهم دفع ضريبة من لا يقدر على دفعها أو الهاربين منها

---

١ - التلمحري ، التاريخ المنحول ، ص١٩٨-١٩٩ .

٢ - التلمحري ، التاريخ المنحول ، ص٢٦٧-٢٧٠ .

حتى يتم جمع الضرائب المفروضة على القرية ، الأمر الذي جعل اهالي هذه القرى الباقين منهم تتبع الجالين والفارين لإعادتهم إلى قراهم واجبارهم على دفع قيمة الضريبة المفروضة عليهم والمترتبة بذمتهم ، كما كان سكان القرى مجبرين على تسليم الهاربين إلى السلطات خوفا من شدة العقوبة المفروضة على من يخفي احدا منهم ، وبالمقابل فقد خصصت مكافئة مالية مجزية لمن يسلم احدهم [١] .

فعين المشرف على امور الجلاء رجلا فارسيا وأسمه كليل بن زادان ليقوم بإعادة الفارين إلى مدينة ماردين فناصب العرب العداء وأمر اعوانه بالإنتشار في المدن والتحري عن كل امرئ ترك المدينة هو وأبوه وجده منذ اربعين سنة أو خمسين وأمر بان يلقى القبض عليه ويعاد إلى المدينة دون أن يجرد من امواله فلم تبق قرية مهجورة إلا وشحنها بالسكان ولم يكتف بذلك بل عمد إلى الأراضي التي انتقلت ملكيتها إلى العرب بعد هروب اهلها منها وهم - السريان - وأعادها إلى أهلها القدامى وأمرهم بزراعتها [٢] ، وهذا إن دل على شيء فأنه يدل على إن أهل الذمّة رغم ما مر بهم من عسف وجور إلا أنهم كانت لهم إسهامات كبيزة في مجال الزراعة . وقد حدث الشيء نفسه في باقي مدن الجزيرة الفراتية [٣] . فقد بعث أمير البلاد برفقة جباة الضرائب واسمين واختاما من رصاص وأمرهم بوسم كل من القوا القبض عليه بإسم موطنه الأصلي وإسم مدينته وإعادته إلى هناك ، فصار رؤساء الأقاليم يذهبون تباعا بأبناء مناطقهم إلى المدينة لوسمهم ، فيختم الواسم على يد الرجل اليمنى إسم مدينته وعلى اليسرى إسم بلاده ، ويعلق على رقبته ختمان نقش على الأول أسم قريته وعلى الثاني أسم اقليمه ، مع غرامة مقدارها درهم واحد لكل ثلاثة رجال ، وبعد الإنتهاء من ذلك يدون أسم الرجل وهيئته وسيماؤه وقريته واقليمه في سجل خاص ، وقبض المسؤلون على جمع كبير من الغرباء وختموهم بأسماء القرى التي اعترفوا بأنهم هربوا عنها ، وقد يكون احدهم في واقع الحال لا

---

[١] - دينيت ، دانييل ، الجزية والاسلام ، ترجمة وتقديم : فوزي جاد الله ، مراجعة : احسان عباس ، منشورات مكتبة الحياة (بيروت ، بلا . ت) ص١٧٢ .

[٢] - التلمحري ، التاريخ المنحول ، ص١٨٥ .

[٣] - التلمحري ، التاريخ المنحول ، ص٢٢٢ .

ينتمي إلى تلك القرية التي اعترف بأنه منها بالذات أو حتى إنه دخلها في حياته مرة واحدة ، ولما ثبت للواسم إن عمله ليس شاملا خرج إلى القرى والأرياف ليطبق الوسم على القادمين والخارجين ويسمهم بأختام ، فمشطوا البلاد أكثر من عشرين مرة حتى اتوا على أخر من تبقى دون وسم فوسموه [١] .

وهذا بحد ذاته ظلم كبير قد وقع على أهل الذمّة بإسم الدين الإسلامي ، وإنه بلا شك ينافي الشرع هذا إن كانت الروايات صحيحة . وكذلك ففي زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد حدث الشيء نفسه في فلسطين إذ جلا بعض الناس من أهل الذمّة عن اراضيهم فوجه الخليفة الرشيد هرثمة بن أعين لعمارة تلك الأرض التي هجرها أهلها ، فدعى قوم من مزارعيها إلى الرجوع ووعدهم بتخفيض الخراج عنهم وأن يستخدم اللين في معاملتهم فعادوا إلى أرضهم وسموا بأصحاب " التخافيف " وهناك من طالب بالرجوع إلى أرضه دون قيد أو شرط على أن يدفعوا عنها ضريبة الخراج فأذن لهم بذلك وردوا إلى أرضهم ومزارعهم وسموا أصحاب " الردود " [٢] ، أضافة إلى ذلك فقد كان للنزاعات القبيلة المستمرة والإعتداء على قرى اطراف النزاع دور كبير في زيادة معاناة الفلاحين من المسلمين وغيرهم مما أثر سلبا على حياتهم وانخفاض نسبة محاصيلهم ، فمن تلك الأحداث الثورة القبلية التي قام بها أبو الهيذام عامر بن عمارة بن حزيم المري وسميت بأسمه وقد وقعت في غوطة دمشق بين القيسية واليمانية إذ استمرت هذه الثورة من سنة (١٧٠- ١٧٧هـ / ٧٨٦-٧٩٣م) حاولت فيها قبائل القيسية السيطرة على الريف وطرد القبائل اليمنية منه أو على الأقل اخضاعهم لهم وقامت بينهم عدة مواجهات [٣] .

وفي القدس وعسقلان وبيت لحم وغزة وبيت عفرين عانى أهل الذمّة من النصارى من اعتداءات الجنود على ممتلكاتهم وأديرتهم من أجل الحصول على

---

١ -التلمحري ، التاريخ المنحول ، ص٢١٦-٢١٧ .

٢ - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٤٩-١٥٠ .

٣ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٢١١ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٢٦ ، ص٦٤ ومابعدها ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٧ ، ص٢٩٦ .

الأموال والكنوز [١] ، إلا إن الخليفة العباسي المأمون قام بالتخفيف عن الفلاحين بعدم ايوائهم للعساكر في منازلهم فصار أهل الذمّة من النصارى يدعون له ليل نهار[٢] ، وقد قامت الثورات في البلاد بسبب التصرفات والأجراءات الشخصية التي ينتهجها الولاة وعمالهم مع أهل الذمّة وكذلك بسبب اعتداء الجنود على الحياة الشخصية لبعض الفلاحين ، فقد مارس صاحب الخراج أسامة بن زيد سياسة الشدة والتعسف مع أهل الذمّة في مصر بتهديمه للأديرة والكنائس لكن الخليفة هشام بن عبد الملك كتب إلى أسامة بن زيد أن يجري النصارى على عوائدهم وما بأيديهم من العهد [٣] . وفي عام (١٠٥هـ / ٧١٩م) كتب الحر بن يوسف إلى الخليفة هشام بن عبد الملك ، بأن أرض مصر تحتمل الزيادة في الخراج فزاد كل دينار قيراطا ، فتسبب ذلك بردود فعل كبيرة عند أهل الذمّة من الأقباط فأنتفضت كورة تنو وتمي وقربيط وطرابية وعامة الحوف الشرقي فبعث الحر بأهل الديوان فحاربهم فقتل منهم بشرا كثيرا ويعد هذا الإنتفاض الأول من نوعه في مصر من قبل الأقباط وكان في عام (١٠٧هـ / ٧٢١م) ثم رابط الحر بن يوسف بدمياط ثلاثة أشهر لتهدئة الحال [٤] . ثم تكررت انتفاضة أهل الصعيد وحارب الأقباط عمالهم عام (١٢١هـ / ٧٣٨م) فبعث حنظلة بن صفوان إلى والي مصر بأهل الديوان فقتلوا من الأقباط خلقا كثيرا وظفروا بهم [٥] ، وكذلك الثورة التي قام بها الفلاحون على أيام الخليفة العباسي المعتصم في فلسطين ، إذ ذكر الطبري[٦] في حوادث سنة (٢٢٧ هـ / ٨٤١م) خبر ثورة الفلاحين نقلا عن بعض أصحابه والتي قادها أبو حرب تميم

---

١ – مؤلف مجهول ، تاريخ الرهاوي ، ج٢ ، ص٢٩ .

٢ – مؤلف مجهول ، تاريخ الرهاوي ، ج٢ ، ص٢٩ .

٣ – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص١٦٦ ؛ المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت :٨٤٥هـ / ١٤٤١م) تاريخ الأقباط ، تحقيق : عبد المجيد دياب ، دار الفضيلة (القاهرة ، ١٩٩٨م) ص٢١٣ ؛ الريس ، الخراج ، ص٢٣١ .

٤ –الكندي ، الولاة ، ص٨١ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٢٣١ ؛ الريس ، الخراج ، ص٢٢٩.

٥ – الكندي ، الولاة وكتاب القضاة ، ص٨١ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٢٣١ .

٦ – ينظر تفاصيل هذه الثورة ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص١١٦ .

اليماني ، إذ لاقت هذه الثورة قبولا واسعا وسريعا عند الفلاحين وأهل القرى من اهل الذمة ، إذ اتبعه خلق كثير من الحارثين ممن عجزوا عن دفع التزاماتهم إلى الدولة فأعلنوا تمردهم عليها وهذا ما عبر عنه قائد جيوش المعتصم حين رآهم فقال : " ما أرى في عسكرهم رجلا له فروسية غيره " [١] . واستمرت هذه الثورات في العصر العباسي من سنة (١٣٦- ٢١٦هـ / ٧٥٣-٨٣١م) لاسيما في مصر ، ويبدو أن ما دفعهم للإستمرار في ثوراتهم هذه والتي امتدت طوال هذه الحقبة هو شعورهم بالكثرة العددية مما ولد لديهم تصورا أنهم أقوياء في الريف المصري ، أمام الكتائب العباسية [٢] ، فضلا عن كثرة الضرائب المفروضة عليهم ، لكن هذه الحركات لم يكتب لها النجاح رغم انها قد كلفت الدولة رجالا وأموالا طائلة لقمعها حتى تيسر للخليفة العباسي المأمون أخيرا القضاء عليها بالرغم من أن عهده يعد من أفضل العهود التي مرت على أهل الذمّة وهم بذلك قد تمتعوا بحريتهم الشخصية والدينية[٣].

وبهذا فأن كل هذه الأحداث التعسفية ضد الفلاحين جعلتهم يمنون أنفسهم بعودة الأمويين لحكم البلاد ، وأنهم يرونهم أكثر انصافا من العباسيين في جمع الضرائب ، وهذا ما جعلهم ينضمون لغالب الثورات التي حدث ضد العباسيين ومنها ثورة اليماني[٤] ، أملا منهم بعودة الأمويين إلى البلاد آملين إنصافهم وتخليصهم من الأعباء الضريبية ، فلا عجب أن نرى إن هذه الثورات يكون اتباعها في الكثرة العددية إذ إن كسبهم يعتمد على زراعة الأرض سواء كان الفلاحون من المسلمين أو غيرهم ، وكانت أغلب مطالباتهم هي بتخفيض الضرائب أو رفعها ، مما جعل الولاة يعيدون النظر فيها والعمل على تخفيفها وترغيب الفلاحين بالبقاء في الأرض ولا

١- الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص١١٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦ ، ص٦٩.

٢ - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ص٢٢٠ ؛ شاكر ، مصطفى ، دولة بني العباس ، وكالة المطبوعات (الكويت ، ١٩٧٤م) ج٢ ، ص١٢٥-١٢٦ .

٣ -المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص٢٣٢ .

٤ - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩ ، ص١١٧ .

يغادروها [١] . ولم تكن اعمال السخرة والضرائب الأضافية والأعتداء على الأراضي التابعة لأهل الذمّة بعيدة عن واقع الفلاحين فقد عانوا منها معاناة كبيرة . فذكر الرهاوي [٢] : " إنه في أيام الخليفة العباسي الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ / ٨٤٢-٨٤٧م) عانى الفلاحون من اعتداءات الولاة والموظفين ففي زمن الحصاد كانوا لا يسمحون لأحد أن يحصد قبل أن يأخذوا منه دينارا أو دينارين " ، وفي زمن القطاف أيضا كان الولاة يمنعون الناس من قطف اعنابهم قبل أن يأخذوا منها قدرا معينا ، كما كانوا يأخذون أيضا من المعاصر مقدارا معينا معروفا ، وكذلك عند جني الزيتون وكانوا يقفون على الطرق وعند ابواب المدن ، أما الذي اخترع هذه القوانين المجحفة كلها فهو أحمد بن أبي داؤد [٣] وهو من آل إياد الذين تعاظم شرهم ، حتى إذا أخذ احدهم من فدادين النصارى وحولها إلى أرضه لم يستطع أحد منهم أن يمانعه في ذلك إتقاء شرورهم ، كما كانوا يسخرون الفلاحين ويشغلوهم ، وكان أصحاب القرية في ضياعهم يأتون إلى بني إياد ويلتمسون منهم أن يأخذوها بأي ثمن شاءوا وهكذا فقد استولى أحمد هذا على قرى كثيرة وكان سكان القرى الغربية يتلقون الأضطهاد نفسه من بني إياد وعمالهم من الكتبة وأصحاب النفوذ وكان المسلمون أنفسهم مع النصارى يخافونهم ويرهبونهم " .

ومن الممكن ان تكون هذه الرواية غير منصفة للمسلمين لاسيما اذا ما علمنا أن الرهاوي هو مؤرخ يدين بالديانة النصرانية ، وأنه من الممكن قد تحامل عليهم لسبب معين ، تدفعه الى المغالاة في وصف الحال كراهته للمسلمين وشعوره بضياع سلطان الكنيسة بوجودهم على عامة الناس في تلك البلاد .

---

١ – حمارنة ، صالح ، ثورة الفلاحين في فلسطين أيام المعتصم ٢٢٧هـ / ٨٤١م ، بحث منشور في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين ، ١٩٨٣م) مج٣ ، ص٧٨ .

٢ –مؤلف مجهول ، تاريخ الرهاوي ، ج٢ ، ص٥٣-٥٤ .

٣ – احمد بن داود بن جرير ابو عبد الله القاضي الايادي ، استلم منصب قاضي القضاة ايام الخليفتين العباسيين المعتصم والواثق وهو الذي كان يمتحن العلماء في ايامهما ويدعوا الى القول بخلق القران ، توفي سنة ٢٤٠هـ / ٨٥٤م ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٤ ، ص٣٦٥ ؛ ابن خلكان ، وفياة الأعيان ، ج١ ، ص٨١ وما بعدها .

الوظائف الادارية التي تخص الزراعة :

أستمر النظام الإداري للدولة الاسلامية على ما كان عليه في بلاد الفرس والروم ، حتى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، فقد وجد العرب بعد الفتوحات الإسلامية إن هذه الأمم ذات تاريخ مجيد وعريق في الحضارة فلا بد من قبول هذا النظام وابقائه على ما كان عليه من قبل ، ثم احداث ما يتطلبه الإصلاح من التغيير الذي يتفق وعقائدهم ويتماشى مع مصلحة الشعوب التي دانت للحكم الإسلامي [1] ، إذ استخدمت الدولة أهل الذمّة في دوائرها ومؤسساتها كالأعمال الكتابية والمالية والإدارية ، وذلك لأن دواوين الدولة بقيت تكتب بلغاتها المحلية حتى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، فكانت هذه الدواوين تكتب باللغة الفارسية في العراق والشرق ، وباليونانية في بلاد الشام وباللغة القبطية في مصر ، ولم يزل بالكوفة والبصرة ديوانان أحدهما بالعربية لإحصاء الناس واعطياتهم ، وهذا الذي كان قد رسمه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، والأخر لوجوه الأموال بالفارسية ، وبقي هذا الحال حتى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان [2] . إذ عربت هذه الدواوين والنقود منذ سنة (٧٤هـ / ٦٩٣م) وكان والي العراق للخليفة عبد الملك صاحب اليد الطولى في عملية التعريب هذه والتي أدت إلى نقل المصطلحات الفارسية في العراق والشرق والرومية في بلاد الشام والقبطية في مصر إلى العربية ، وإلى ابعاد هيمنة أهل الذمّة على الإدارة والحسابات التي كانت في الغالب تتأثر بأفعالهم[3].

وقد أدت هذه الإجراءات ردود فعل عند الفرس ، لاسيما بعدما عزم الحجاج بن يوسف على نقل الديوان إلى العربية وتقليده ذلك لصالح بن عبد الرحمن ، لذلك قالت بحقه الفرس : " قطع الله اصلك من الدنيا ، كما قطعت أصل الفارسية " [4] ، والتي كان لها أثرها فيما بعد بقيام حركات الموالي في العصر الأموي ، لأنهم اعتقدوا أن هذه السياسة كان الغرض منها ابعاد أهل الذمّة والموالي عن المراكز

---

١ – الخربوطلي ، الإسلام وأهل الذمّة ، ص١٣١-١٣٢ .

٢ – الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص٣٨ .

٣ – كاشف ، الوليد بن عبد الملك ، ص١٨٦ .

٤ – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٦٨ .

الكبيرة والمهمة في الدولة الأموية . مع إن الأمويين بقوا يستخدمونهم في وظائف الدولة ، فكان سرجون بن منصور الرومي خاملا ورفعته الكتابة وعمل في الكتابة عند خلفاء بني أمية كالخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان [١] ، وكان ولاة بني أمية يفضلون استخدام أهل الذمّة في وظائف الدولة لأنهم ابصر بالجباية كما كان يفعل عبيد الله بن زياد ، لأنه كان بإمكانه أن يعاقبهم إذا اساءوا الإستغلال دون أن يخشى تدخل عشائرهم [٢] .

وقد استخدم الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ أبن أثال النصراني على ديوان الخراج ، وكان للأخوين يزيد وعبد الرحمن أبني الخليفة معاوية ﷺ كاتب نصراني يدعى أسطفانوس ، ويكتب للخليفة الوليد بن عبد الملك على ديوان الخاتم أحد الصابئة [٣] ، واستعان الخليفة هشام بن عبد الملك بحسان النبطي بأستخراج الأراضي من البطائح وكلفه بأداء نفس المهمة التي أداها في ولاية الحجاج ، فبموجب خبرته في هذا المجال قام بأستصلاح الكثير من أراضي البطائح لصالح الخليفة هشام [٤] ، كما أمر حسان بحيازة ما على نهر الفيض [٥] من أراضي لأولاده [٦] .

ولما قامت الدولة العباسية وساهم الفرس في قيامها شاركوهم في إدارة الدولة ، واستخدموهم في وظائفها المهمة من وزارة وولاية وقيادة وإدارة وكتابة . إذ أجاز الفقهاء استخدام أهل الذمّة في وظائف الدولة [٧] . فيقول الماوردي (ت : ٤٥٠هـ / / ١٠٧٢م) [٨] : " ويجوز أن يكون وزير التنفيذ من أهل الذمّة " . وقد تواجدُ أهل

---

١ – القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١ ، ص٤٠ ؛ اليوزبكي ، أهل الذمّة ، ص٤٠٥ .

٢ – العلي ، التنظيمات الاجتماعيةص٢٢٨ .

٣ – الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص٢٧، ص٣١، ص٤٧.

٤ – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤١١-٤١٢ .

٥ – نهر في البصرة . الزمخشري ، الجبال والامكنة ، ج١ ، ص٢٦٠ .

٦ –البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤١٢ .

٧ – الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص٦٥ .

٨ – الأحكام السلطانية ، ص٢٧ .

الذمّة من الفرس في العصر العباسي في جميع اجهزة الدولة ، ووصلوا إلى ارفع المناصب ، ودخل عامتهم في الجندية ، وفتحت أمامهم طرق النشاط الإقتصادي وكان هؤلاء معظمهم من اليهود والنصارى والمجوس ، وعاشوا في الحواضر والأقاليم والموانئ عيشة ترف ونعيم [1] .

وهكذا كان يستعان بالكتاب من القبط في القيام بعملية مسح الأراضي وإعادة تقديرها ، حسب حالة فيضان نهر النيل وبهذا فقد ارتبط تقدير خراج الأرض والضرائب بالفيضان ، فإذا كان ناقصا أو زائدا كانت إعادة التقدير وبالتالي حصول البلاد على اموالها المعتادة أو تقل تبعا لحالة النهر [2] ، وكان اقباط مصر هم الذين يتولون قياس نهر النيل حتى سنة (٢٤٧هـ / ٨٦١م) حين بنى الخليفة المتوكل مقياس " الروضة " فأمر بعزل النصارى من ولايته ، وأن يتولاه مسلم فتم اختيار " أبي الرداد المعلم " وأسمه عبد الله بن عبد السلام المؤذن وبقي حتى توفي سنة (٢٦٦هـ / ٨٧٩م) [3] .

ومن الوظائف الإدارية والمالية الأخرى التي عمل بها الذميون ، هي مسح أراضي الخراج وجباية ضريبة الخراج من تلك الأراضي برفقة بعض الأمراء والموظفين [4] . كما عملوا في مطاحن لطحن الحبوب وبيعه للمسلمين فضلاً عن استخدامهم لبعض العمال المسلمين للعمل معهم في مطاحنهم [5] ، وقد انفردت بعض بعض طوائف وفرق الذميين بمهن وأعمال أخرى ، إما لبراعتهم في ذلك العمل والمهنة ، أو بحسب مواقع سكنهم وتجمعاتهم التي تُحتّم عليهم القيام بذلك ، منها

---

١ - محمود ، الاسلام والحضارة العربية ، ص١٠٢ .

٢ - أبو زيد ، محمد محمود علي ، النيل ومصر دراسة لأثر النيل في الحياة الاقتصادية والإجتماعية في مصر من الفتح الإسلامي حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، دار الهلال (بلا . م ، بلا . ت) ص١٧١ .

٣ - احمد ، تيمور باشا ، اعلام المهندسين في الاسلام (القاهرة ، ١٩٥٧م) ص٢٣ .

٤- المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ٨٦-٨٨ .

٥- التميمي ، عبد الخالق خميس ، أهل الذمة ومؤسساتهم في دولة المماليك البحرية ٦٤٦-٧٨٤هـ / ١٢٥٠-١٣٨٢م (دار الكتب والوثائق العراقية ، ٢٠٠٤م) ص٢١١ .

مثلاً أن غالبية الأقباط انصب اهتمامهم في النشاط الزراعي ، لتركزهم بشكل كبير في الريف المصري [١] ، وتركوا تأثيرهم في ذلك ، حيث أن التقويم القبطي – في مصر خاصة– هو المتبع في أعمال الزراعة وزيادة مناسيب نهر النيل ، إذ يعتمد عليه الفلاحون المسلمون أيضا [٢] .

المبحث الثاني

الإسهامات الصناعية

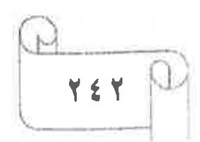
كان لأهل الذمّة في المشرق العربي الإسلامي إسهام كبير وواضح في مجال الصناعة ، حتى أنهم برزوا في اغلب مجالاتها ، ولقد عاش أهل الكتاب حياة طبيعية آمنة بين العرب ، وزاولوا مهنهم بكل حرية ومنها مهن الصناعة والحدادة والصياغة ، وبرعوا في العديد من مجالاتها[٣] ، ويمكن القول أن أغلب الصناعات التي زاولها أهل الذمّة منذ عصر ما قبل الإسلام استمروا عليها خلال العصور الإسلامية ، بل إن بعض المهن أصبحت مرتبطة بهم ، مثل الصياغة والحياكة وغيرها .

وقد استفاد أهل الذمّة من النصارى في عدة محاصيل استثمروها في مجال الصناعة فقد استفادوا من مياه الشعير في علاج بعض الأمراض ، فصنعوا الأدوية ،

١- المقريزي ، الخطط ، ج٢ ، ص٥٠٦-٥٠٧ .

٢- المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٣ .

٣ – بابو أسحق، تاريخ نصارى العراق ، ص٢٩- ٣٠.



وظهر منهم صيادلة كانت الدولة قد وضعت عليهم محتسبين لمراقبة صحة عملهم في صناعة العقاقير[1] ، كما استفادوا من زراعة القطن في عملية نسج الثياب القطنية ، فصنعوا ثيابا غليظة متينة من مادة القطن وعملوا على تصديرها من بغداد إلى خارج العراق شرقا وغربا [2] .

ولم تقتصر الحياة الاقتصادية لأهل الذمّة في العراق على التجارة والصيرفة بل اعتمدت على الصناعة أيضا ، وكانت صناعة النسيج من أهم الصناعات التي برعوا بها ، إذ كانت الدولة العربية في العصر العباسي تعد أول منتج في العالم للمنسوجات الحريرية ، وقد اشتهرت بعض المنسوجات في أوربا بنسبتها للمدن العربية التي اشتهرت بصناعتها فأسم النسيج – الموسيلني – مشتق من إسم مدينة الموصل [3] ، وإن اغلب هؤلاء الصناع وأصحاب الحرف هم من أهل الذمّة وكانت لهم حرية واسعة في ممارسة حرفهم ، أما الدولة فلم تتدخل إلا في بعض الصناعات كسك النقود ، فكانت تفرض عليهم رقابة دقيقة لضمان صحة العيار وصفاء المعدن المستخدم في المسكوكات [4].

فكان لأهل الذمّة دور في عملية ضرب النقود إذ كانوا عمالا في دور الضرب ومنهم أبو غالب بن أبي طاهر بن شبر اليهودي الذي كان في الوقت نفسه رئيسا للطائفة اليهودية [5] ، ويبدو أن القائد عمرو بن العاص ﷺ بعد فتح مصر قد ترك اليهود وشؤونهم الخاصة ، كما إن

---

[1] – الشيرزي ، عبد الرحمن بن نصر ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق : السيد الباز العريني ، دار الثقافة (بيروت ، ، بلا . ت) ص٤٢ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٦ ، ص٢٣٦ ؛ الغزاوي ، أهل الذمّة ، ص١١٥ .

[2] – ميخائيل ، عواد ، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد ، ١٩٨٦م) ص٣٨ .

[3] – جلوب ، جون باجوت ، إمبراطورية العرب ، دار الكتاب العربي (بيروت ، ١٩٦٦م) ص٦١٣ .

[4] – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٤٦٨ ؛ العلي ، التنظيمات الاجتماعية ، ص٣٠٢ .

[5] – أبن الساعي ، الجامع المختصر ، ج٩ ، ص١٦٦.

بعضهم كان قد احتكر سك النقود ومارسوا نشاطا إقتصاديا واسعا [1] ، وكذلك اليهود فقد قام سمير اليهودي بضرب الدراهم في خلافة عبد الملك بن مروان وسميت بأسمه " الدراهم السميرية " [2] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن والي مصر عبد العزيز بن مروان قد ضرب أول عملة نقدية في مصر وهو مقيم في دير طمويه بحلوان ، والذي أشار إليه بعض الأطباء النصارى بالإقامة فيه كونه كان مريضا ولما تم شفاؤه منح الرهبان عشرين ألف دينار في هذه الزيارة [3] . ومن أبرز الصناعات المعدنية التي يمكن أن تؤكد وجودها في منطقة بلاد الشام هي سك العملة ، ولعل صناع العملة الذين اتقنوا سكها كانوا من بلاد فارس إذ كانت الدولة الأموية تستقدم مهرة الصناع ، وقد ورث الأمويين المصانع القديمة بعمالها المهرة ، كما ضرب الخليفة عبد الملك بن مروان العملة الإسلامية الخاصة فلم يبق فيها أثر للتصاوير التقليدية [4] .

وكانت الدولة تعاملهم لا على أساس الدين وإنما على أساس الحرفة وأصبح لكل حرفة سوقها وصناعتها الخاصة بها ، وصار يشار إليها بالأصناف أو أصحاب المهن أو أهل الصنايع ، كما كان لكل حرفة زيها ، ولها رئيس يمثلها في ديوان الخلافة في الاحتفالات والمناسبات الرسمية ، وكانت الحرف مفتوحة للناس من الديانات المختلفة وتعد

---

١ – عامر ، تاريخ أهل الذمة ، ج١ ، ص١٠٦ .

٢ – المقريزي ، كتاب النقود القديمة الاسلامية ، ص٣٥ ؛ الخربوطلي ، الإسلام وأهل الذمّة ، ص١٣١ .

٣ – المصري ، تاريخ الكنيسة القبطية ، ص٢١٧ ؛ عامر ، تاريخ أهل الذمّة ، ج١ ، ص٤٥٦ .

٤ –احمد ، موسى عبد الغفار ، الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في فلسطين في العهد الاموي ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٧٩م) ص٤٨ ؛ عزفة ، الحياة الاقتصادية ، ص٢٢٧

المهنة رابطة أساسية بين أصحابها [1] . وتميزت المهن في العصور الإسلامية بالتخصص في الصناعات والتجارة وغيرها ، مما أدى إلى نشأة نظام النقابات الذي يعد النظام الشعبي الوحيد في الخلافة الإسلامية ، فكان لكل طائفة من التجار وأصحاب الحرف تتجمع في مكان واحد تتسمى به وكان من نتيجة ذلك إيجاد تدرج مهني في الجماعة الواحدة من شيخ ومعلم ومتعلم وصانع كما وجدت تقاليد معينة لكل صناعة وتجارة [2] .

ومن الأمور التي ساعدت على ازدهار المهن والحرف والصناعات في العراق هو مركزه الجغرافي والسياسي ووقوعه على طرق التجارة الرئيسة وتشجيع الخلفاء العباسيين للتجارة ثم التطور الاجتماعي والاقتصادي الذي أدى إلى ازدياد الطلب على السلع والحاجيات ، ولاسيما طلبات الخليفة وكبار موظفي الدولة على السلع والبضائع حتى إن ابن خلدون يسمي الدولة " السوق الأعظم للتجارة " [3] .

وإن تشجيع الدولة للتجار والصناع ساعد على ازدهار التجارة والصناعة والحرف المختلفة ، وكانت الحرف والمهن مفتوحة للمسلمين وغيرهم واصبح الناس أحرارا في اختيار المهنة التي يريدون ، وأن غالبية أهل الحرف وأصحابها هم من الموالي وأهل الذمّة وذلك إن العرب لم تكن لهم صنعة لأنفتهم منها ولرسوخهم في البداوة [4] ، ويدخل أهل الحرف في غمار العامة وهم من أدنى الفئات الاجتماعية

---

[1] - الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي ، ص٦٧ .

[2] - ماجد ، عبد المنعم ، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، دار الفكر (بيروت ، ٢٠١٠م) ص٨٦.

[3] - ماجد ، تاريخ الحضارة ، ص٨٧ .

[4] - ابن خلدون ، العبر ، ج١ ،ص٤٠٤ ؛ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٠٧ .

فكان الفقير هو العامل بيده مثل الخياط والصباغ والإسكافي والخراز ومن أشبههم [1] .

وأفضل تقدير لحالتهم الاقتصادية هو ما قاله أبي الفضل الدمشقي [2] : " وأما الصنائع العملية وهي المهن فقد قيل قديما الصناعة في الكف أمان من الفقر وأمان من الغنى وذلك إن الصانع بيده لا يكاد كسبه يقصر عن إقامة ما لا بد له منه ولا يكاد كسبه يتسع لإقتناء ضيعة أو عقد نعمة وأيضا فأنه مع ذلك إذا ميز الناس دخل في أدون طبقاتهم " . وكان يشار إلى الحرفة بالصنف [3] ، وأصحاب المهن [4] ، وأهل الصناعات [5] ، وأصحاب الحرف والصناعات [6] . وللحرفة عرف وسنّة خاصة بها وهي مقبولة لدى القاضي والمحتسب عند النظر في الخلافات بين أهل الحرفة [7] . ويعترف الماوردي بعرف أهل الحرف في أحكام الحسبة [8] . كما إن كتب الحسبة تشير إلى هذا العرف وتقبله وتقبله [9] . وكان لدى أصحاب الحرف تنظيم مهني فلكل حرفة رئيس من أعضائها تعينه الحكومة أو تعترف به وهو شيخ الصنف وهناك

---

[1] – ابو يوسف ، الخراج ، ص١٢٤ .

[2] –جعفر بن علي (ألف في سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م) الإشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة الأعراض ورديئها وغشوش المدلسين فيها ، تحقيق وتقديم : فهمي سعد ، دار الف باء للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت ، ١٩٨٣م) ص٩٤ .

[3] – اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٤٦ .

[4] – اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٦٤ .

[5] –اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٥١ .

[6] – ابن الفوطي ، كمال أبو الفضل عبد الرزاق (ت : ق٩هـ / ١٣م) الحوادث الجامعة والتجارب الناصعة في المائة السابعة ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٨٧م) ص٣٨ .

[7] – وكيع ، محمد بن خلف بن حيان (ت : ٣٠٦هـ / ٩١٨م) أخبار القضاة ، عالم الكتب (بيروت ، بلا . ت) ج٢ ، ص٣٥١ ، ٣٧٢ .

[8] – الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٣٠٠ .

[9] – ابن الإخوة ، معالم القربة ، ص٥٣ ، ٥٦ ؛ حجازي ، أهل الذمّة ، ص١٩٦ .

الأستاذ " المعلم " وهو المتقدم في الحرفة ، ويليه الصانع الذي أتقن الحرفة وبإمكانه فتح حانوت خاص به والعمل مستقبلا [1] . وأدنى درجة درجة بالحرفة تتمثل بالمبتدئ الذي ينتسب إلى الحرفة ولا يزال في مرحلة التعلم [2] . ولما كان دخول أي فرد جديد في حرفة من الحرف من شأنه أن ينافس أصحابها الأصليين فإنهم كانوا لا يدربون أحدا على طرق صناعتهم إلا أن يكون قد أتى ليحل محل أحدهم وفي هذه الحالة يقبل بشروط [3] ، وكان لكل مهنة أو حرفة سوق خاص بها بحيث كان أهل كل مهنة لا يختلطون بغيرهم [4] .

وكانت الحرف والأسواق تحت أشراف المحتسب ومهمته مراقبة معاملات البيع والشراء والأوزان والمكاييل أو الغش الصناعي ومراقبة الأخلاق العامة في السوق [5] ، وكانت هذه المهن تشكل روابط أساسية بين أهلها إذ يقبل اليهودي والنصراني والمسلم بنفس الشروط وتسري على الجميع ، فهم يتساندون ويتعاونون فيما بينهم ففي إحدى الوثائق وجدت إشارة إلى مثل هذا التعاون ، فكان دخل العمل الذي يجنيه اليهودي في يوم الجمعة " وهو عطلة المسلمين " يعود له ، ودخل العمل الذي يجنيه المسلم في يوم السبت " وهو عطلة اليهود " يعود إلى شريكه المسلم [6] .

---

[1] – الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي ، ص٦٨ .

[2] – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٠٨ ؛ منيمنة ، التكوين الوظيفي ، ص١٤٤ ؛ عاشور ، الحياة الاجتماعية ، ص٩٥ .

[3] – منيمنة ، التكوين الوظيفي ، ص١٤٤ ؛ عاشور ، الحياة الاجتماعية ، ص٩٥.

[4] – ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص٥٦ .

[5] – ابن الإخوة ، معالم القربة ، ص ٢١١ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٣٨ ؛

[6] – عاشور ، الحياة الاجتماعية ، ص٩٦ .

وقد شمل تعاون أصحاب الحرف فيما بينهم إقرار مستوى أسعار الصناعة التي يصنعونها وحماية أصحابها من التعدي [1] .

ومع إن الحرفة لم تكن حكرا لأحد فقد كانت مفتوحة للجميع من مختلف الديانات ، إلا إن هناك بعض منها اختص به أصحاب ديانة واحدة ويعود ذلك إلى العامل الوراثي فكانت الحرفة تنتقل من الأب إلى الابن ومن جيل إلى جيل وهكذا قضت الظروف لأبناء الحرفة الواحدة أن يتقنوها اتقانا تاما وان تبقى في العائلة نفسها [2] ، وكانت بعض الصناعات تعد بنظر البدو من العرب من الصناعات الوضيعة وانفوا من امتهانها ونظروا إلى أصحابها نظرة دونية مثل الدلالين والحاكة والأساكفة والحجامين والحلاقين [3] ، فتركزت مثل هذه الصناعات بيد اليهود [4] .

وعلى الرغم من نظرة العرب الدونية لمثل هذه المهن لكننا نجد وبشكل واضح وجلي استقدام العديد منهم واستخدامهم في شتى مجالات الحياة .

التخصص في المهن :

امتازت هذه المهن والصنائع التي ازدانت بها الدولة الإسلامية على مر العصور بأنها كانت وراثية وكل صانع يفضل حرفته على جميع الحرف واختصت بالتخصص الدقيق ، إذ روى الجاحظ [5] : " إنه لم تكن له حلقة على وجه باب وطلب من نجار أن يثقب له موضعا فلما

---

1 – الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي ، ص٦٨ .

2 – كاهن ، كلود ، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الامبراطورية ، ترجمة : بدر الدين قاسم ، دار الحقيقة للطباعة والنشر ، ط٢ (بيروت ، ١٩٧٧م) ص١٦ ؛ حتي ، تاريخ سورية ، ج٢ ، ص٢٨٩.

3 – الأبشيهي ، المستطرف ، ج٢ ، ص٣٢٢ .

4 – الجاحظ ، رسائل ، ج٣ ، ص٣١٦ .

5 – الحيوان ، ج٣ ، ص٢٧٦-٢٧٧ .

ثقبه قال له : لقد أحسنت الثقب وانظر أي نجار يدق فيها الرزة" ، وقد أدى هذا التخصص إلى تكتل أرباب كل حرفة وانتسبوا لها كالزجاجين والصباغين والخياطين ويبدو إن الحاكة بدأوا بالتكتل منذ القرن الثاني الهجري / السابع الميلادي ، وكانت جماعة منهم في بغداد يقضون لياليهم يسمرون مجتمعين واستضافوا ليلة إبراهيم الموصلي ليغني لهم ، كما كان للنساجين أشخاص يشرفون على أعمالهم (١) . وقد أجازت الدولة لأهل الذمّة إقامة التكتلات الصناعية بهدف تبادل المنفعة والدفاع عن مصالح الصناع وتنظيم الصنعة ، إذ روي إن الخليفة المنصور لما أراد بناء بغداد وجمع الصنّاع من أقاليم مختلفة (٢) ، مما كان له أبعد الأثر في ازدهار الصناعة نتيجة الاحتكاك وتبادل المنفعة .

وعليه فقد اسهمت اليد العاملة من أهل الذمّة لما تملكه من خبرة ومهارة دور كبير في النهوض بالعديد من الصنائع والحرف التي كانت الدولة الإسلامية تفتقدها فضلا عن تلبية مختلف حاجيات المجتمع من منتوجات وخدمات ، كما ساعدت التغيرات الاجتماعية واختلاط الشعوب وانصهارها في الدولة الإسلامية ، واحتكاك العرب بغيرهم من أهل الذمّة إلى تغيير نظرتهم إلى الحرف والمهن الصناعية اليدوية وقد أقدم بعض العرب على تعلم بعض الصناعات على يد أربابها من أهل الذمّة ، كما عمل الخلفاء لاسيما العباسيون على نقل الكثير من هذه الصناعات والحرف إلى المدن الكبرى على غرار البصرة والكوفة وبغداد وسامراء وغيرها من أمصار الدولة الإسلامية والتي جذبت العمالة إليها لتوفير فرص العمل والكسب ، مما أدى إلى تطور الصناعة وفي شتى المجالات(٣) .

المهن التي زاولها أهل الذمّة :

١ -الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٦ ، ص١٧٦ .

٢ -اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٣٩٢ .

٣ -كاهن ، تاريخ العرب ، ص٢٠ .

لم يأت انتشار الصناعات في المشرق الإسلامي في العصور الإسلامية الأولى من فراغ ، فقد كانت وكما سنذكرها تباعا قائمة قبل دخول الإسلام هناك ، ولما للمشرق من أهمية سياسية واقتصادية كبيرة وخصوصا عندما اتخذ الخلفاء مدنها المهمة مقرا وعواصم ، فقد أصبحت صناعاتها التي كان لأهل الذمّة دور كبير فيها تحتل الصدارة ومن هذه الصناعات :-

الصناعات النسيجية :

استقطبت صناعة المنسوجات حولها عددا كبيرا من الحرفيين ونشأت حولها حرفا أخرى كالصباغة والدباغة ، وعلى الرغم من وضاعة هذه المهن التي اختص بها اليهود والموالي إلا أنها كانت واسعة الانتشار [١] ، ولبلاد الشام شهرة واسعة في مجال الصناعات النسيجية وأهمها المنسوجات الحريرية والتي تعد من أقدم الصناعات فيها [٢] .

ومن أهم مراكز صناعة المنسوجات بشكل عام عسقلان وبعلبك وحلبْ وطبريا وغزة وحمص وصور ودمشق [٣] ، فقد كانت مدينة صور على حد قول الإدريسي [٤] : " تصنع الثياب البيض غالية الثمن " . ويذكر أن مدينة دمشق جامعة لصنوف من المحاسن وضروب من الصناعات ، وأنواع من الثياب الحريرية و كالقز والديباج النفيس العجيب الصنعة العديم المثال ... " [٥] .

كما ظهرت في مدينة دمشق الأقمشة التي عرفت بإسم " الدمقس " . وكانت هناك شهرة واسعة لمدينة حلب فاشتهرت بإنتاج الثياب

---

١ -أبو يوسف ، الخراج ، ص١٢٢ ؛ الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص٢٩٦ .
٢ - المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٨٠-١٨١ .
٣ -الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج٤ ، ص٣٦٩ .
٤ - نزهة المشتاق ، ج٤ ، ص٣٦٦ ؛ كرد علي ، خطط الشام ، ج٤ ، ص٢٠١ .
٥ - الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج٤ ، ص٣٦٩ .

المصنوعة من القطن ، فيذكر المقدسي [١] : " ومن حلب القطن والثياب " . وإن الفراء الجيد كان يصنع في المصيصة فيقول ياقوت الحموي [٢] : " ومن خصائص الثغر كانت تعمل ببلدة المصيصة الفراء وتحمل إلى الآفاق .... " . وبرع اليهود بصناعات متعددة منها صناعة الأنسجة وحياكتها [٣] ، وقد اعتاش أهل الذمّة من النصارى على صناعة النسيج وبرعوا بها [٤] ، ولم يجتذب اليهود كثيرا إلا في مراحل تصنيعه العالية والنهائية ، فكانت صناعة نسيج الكتان في مراحله الأولى لسكان البلاد من النصارى [٥] ، وكانت لكثرة الطلب على منسوجات بلاد الشام الشام الدور الكبير في التقدم بصناعة النسيج ، وكذلك لتوفر خامات النسيج ومستلزماته ، فانتشرت زراعة القطن في معظم أراضي بلاد الشام ، فكانت الأراضي الممتدة من بيروت إلى دمشق مليئة بمزارع القطن [٦] ، واشتهرت مدينة طبرية بزراعة القطن ، والحولة كانت معدنُ الأقطان والإزهار ، كما زرع الكتان في سهول فلسطين [٧] .

واشتهرت مدن الجزيرة الفراتية بزراعة القطن فامتازت حران بجودة أقطانها[٨] ومدينة عربان كانت كثيرة الأقطان يجهز منها الثياب القطنية إلى الشام [٩] .

---

١ – أحسن التقاسيم ، ص١٨٢ .

٢ – معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٤٥ .

٣ – ابن الفقيه ، البلدان ، ص٢٦٧؛ العلي ، التنظيمات الاجتماعية ، ص٢٢٥.

٤ –القسطالي ، نعمان ، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء (بلا . م ، ١٨٧٩م) ص١٢١ .

٥ – العلي ، التنظيمات الاجتماعية ، ص٢٢٦.

٦ – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٦٠ .

٧ – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٦٠ .

٨ – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٤١ .

٩ – ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٢٠٠ . عربان : بليدة بالخابور من ارض الجزيرة ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٩٦ .

كما اشتهرت مدينة نصيبين بجودة أقطانها [١] ، وهذه الكثرة في زراعة خامات النسيج من القطن والكتان ساعدت على تقدم هذه الصناعة فاشتهرت حلب بصناعة المنسوجات الحريرية والقطنية والعباءات واللبابيد والجوارب والمناديل وما شاكل ذلك [٢] . وكان يصنع في مدينة مدينة انطاكية الثياب المصمتة الجياد والعتابي والتستري والأصبهاني وغيرها من الثياب [٣] .

واشتهرت مدينة طبرية أيضا بصناعة شقاق المطارح والبز والثياب المنيرة والحبال [٤] . كما ضرب المثل بميازر الرملة وكان البزازون فيها من أغنياء البلدة [٥] . واشتهرت مدينة دمشق بصناعتها النسيجية الفاخرة التي حملت اسمها في الأسواق الغربية حيث أطلق عليها اسم الدمساك [٦] ، أو الدمسكس (Damasks) والمشتق من اسم دمشق - باللغة الانكليزية - (Damascus) [٧] . ونافست صناعاتها الحريرية والنسيجية افخر الصناعات واحتوت طرزها على أفانين من أعمال الثياب النفيسة [٨] . وعمل أهل الذمّة من النصارى بصناعة البسط والسجاد سواءا ما صنع من الحرير أو الصوف ، ووجدت

١- ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١٩٣ .

٢- الغزي ، كامل البالي ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، تقديم وتصحيح : شوقي شعث ، دار القلم العربي ، ط٢ (حلب ، ١٩٩١م) ج١ ، ص١٢٨ .

٣ - الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج٢ ، ص٦٤٥ .

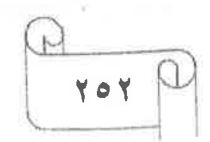
٤ - المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٨٠ .

٥ - المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٨١ .

٦ - العبادي ، احمد مختار ، الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية ، بحث منشور في مجلة عالم الفكر (الكويت ، ابريل - مايو - يونيو ، ١٩٨٠م (ج١١ ، العدد الأول ، ص١٤٥ .

٧ - ديماند ، الفنون الإسلامية ، ص٦٢ .

٨ - الإدريسي ، نزهة المشتاق ، مج١ ، ص٣٦٩ .



صناعتها في المناطق التي يكثر فيها النصارى [1] . كما اشتهرت مدينة طبرية بصناعة السجاد وكذلك صناعة سجاجيد الصلاة التي كانت تسمى بالسجاد السامامي وكان غالب صناعها من اليهود [2] . ويذكر المقدسي[3] إن أهل مدينة طبرية " أكثرهم ينسجون الحصر ويفتلون الحبل " ، ومدينة أعناك من نواحي حوران كان يعمل فيها بسطا وأكسية جيدة تنسب إليها[4] ، ومدينة الرملة اشتهرت أيضا بصناعة أنواع السجاد فقد جاء في إحدى وثائق الجنيزة إنه كان من بين جهاز العروس سجادة رملية [5] .

ويمكن أن نقول بوجه عام إن المنسوجات القبطية جرت في تطورها على نفس الأسلوب الذي اتبعه المعماريون في فن النحت ، إذ نجد في زخارفها موضوعات آدمية أو هندسية أو نباتية ، أما الأشكال الآدمية والمناظر المأخوذة عن الأساطير اليونانية والرومانية فمصورة بأسلوب تقليدي يحاكي التقاليد الهيلينستية ، وإن هذه المنسوجات المتعددة ضلت متأثرة بالنقوش والفسيفساء الهيلينستية ، واظهر النساجون القبط مهارة وإتقان عاليين في تصميم نماذج من الزخارف الهندسية والنباتية على مختلف المنسوجات ، وابتكروا مجموعة متنوعة من الزخارف المتداخلة المتشابكة ، ويعد بعضها نقطة البداية للزخارف الإسلامية ، وان فتح العرب المسلمون لمصر لم يقض على الفن القبطي

---

[1] – هايد ، ف ، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ترجمة : احمد رضا ، مراجعة وتقديم : عز الدين فودة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، ١٩٨٥م) ج١ ، ص١٩٠ .

[2] – اشتور ، الياهو ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الاوسط في العصور الوسطى ، ترجمة : عبد الهادي عيلة ، مراجعة احمد سبانو ، دار قتيبة للطباعة والنشر (دمشق ، ١٩٨٥م) ص٧٤ .

[3] – أحسن التقاسيم ، ص١٦٢ .

[4] – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٢٢ .

[5] – اشتور ، التاريخ الاقتصادي ، ص٧٨ .

وإنما استمر في الازدهار ، فقد عثر الباحثون على منسوجات كثيرة يرجع تاريخها إلى أوائل العصر الإسلامي ، رسمت عليها موضوعات نصرانية محورة عن الطبيعية مع موضوعات زخرفية أخرى ، حيث اندمجت الزخارف القبطية وكذلك الصور النصرانية الآدمية مع كتابات عربية في جملة هذه المنسوجات التي ترجع إلى العصر الإسلامي ، وعندما انشأ الخلفاء دور الطراز " مصانع النسيج " في الكثير من المدن المصرية أكثروا من استخدام العمال القبط ، لما عرف عنهم من مهارة في صناعة النسيج ، وقامت إلى جانب دور الطراز التابعة للدولة مصانع أخرى خاصة لنسج الأقمشة التي يستخدمها الأقباط ، ونرى في كل هذه المجموعات إن الأشكال الآدمية رسمت بأسلوب هندسي ، واستمر التأثير القبطي على الفن الإسلامي قائما سنين طويلة وظل أثره واضحا لعقود طويلة لا في المنسوجات فحسب بل وحتى في غيرها من الفنون والصناعات الإسلامية [١] .

ويبدو أن أربابها اختصوا في الحياكة وأصنافها المختلفة ومن ذلك وجود دور في بغداد حاضرة العباسيين خاصة بالقطن والقز كما عرف صاحب الحرير الذي يشرف على نسجه وبيعه [٢] ، وقد كان نسج الخز [٣] يصنع في بغداد ويباع في سوق الخزازين في الكرخ [٤] .

كما اشتهرت الموصل بأنها مركز للنسيج وتفوقت بصناعة أنسجة قطنية تدعى بالشاش ونسيج الحرير الموشي [٥] ، فقد كانت منطقة

---

١ – ديماند ، الفنون الإسلامية ، ص٢٧-٢٨ .

٢ – الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٢ ، ص١٧٣ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٥٧.

٣ –نسيج رقيق يعمل من الصوف والحرير . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٥٨

٤ – طبي ، دور أهل الذمّة ، ص١١١ .

٥ –الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٠٢ ؛ ديورانت ، قصة الحضارة ، ج١٣ ، ص١٠٨ .

الخابور وهي جنوب غربي الموصل من أشهر المناطق في إنتاج القطن في العصر العباسي ومنها كان يصدر إلى بلاد الروم وغيرها [١] . أما الفرش المسماة بالطنافيس المبهرجة بمختلف الزخارف والصور الحيوانية فقد كانت تصنع في الحيرة وهي مدينة نصرانية [٢] . كما كان الصناع في الأُبلّة [٣] يشتغلون بصناعة ثياب الكتان الرفيعة والحرير وفي ميسان [٤] يصنعون الوسائد [٥] .

وكانت مصر على قدر كبير من الرقي في صناعة النسيج ولاسيما فن زخرفة النسيج وقد ساعدها ذلك تفرد بعض مدنها بإنتاج الكتّان وصناعة القطن وتسويقه على غرار مدينة الفيوم والإسكندرية وشطا ودمياط ودبيق والفرما [٦] . والكتان الذي دخل في صناعة المنسوجات التي اشتهرت بها مناطق كثيرة من مصر كأسيوط واهناسيا والبهنسا ويعتبر إقليم الفيوم من أكبر الأماكن في زراعة الكتان [٧] . وكانت معظم المراكز الرئيسية للنسيج في مصر بيد الأقباط ، وقد ظلت الزخارف القبطية غالبة على الصناعات النسيجية في مصر طيلة القرون الثلاث الهجرية الأولى ، وما كان يعرف بفن التطريز وهو زخرفة النسيج بعد إتمام نسجه بخيوط ملونة غالبا ما تكون خاماتها أغلى من خامات القماش المطرز فيه ، وقد استخدمت في هذا التطريز أشكال فنية مختلفة منها صور آدمية

---

١ – الإصطخري ، المسالك والممالك ، ص٥٣ .

٢ –متز ، الحضارة الإسلامية ، ج٢ ، ص٧٧٥ .

٣ –مدينة بالعراق بينها وبين البصرة أربعة فراسخ ، فتحها عتبة بن غزوان في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١ ، ص٣٨٤ .

٤ –اسم كورة واسعة كثيرة القرى بين البصرة وواسط يسكنها يهود ، فتحت في عصر عمر بن الخطاب ﷺ . الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج٥ ، ص٢٨٠ .

٥ –المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص٥٥ .

٦ –متز ، الحضارة الإسلامية ، ج٢ ، ص٧٦٦ .

٧ – المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص٥٨ .

وحيوانية ونباتية وشعائر دينية كالصليب [1] . وتعد الفيوم من ابرز مراكز صناعة النسيج في مصر وقد اشتهرت بصناعة الستائر الثمينة ، وكذلك مدينة دبيق [2] والتي ينسب إليها أجود أنواع الأقمشة والذي يسمى بالدبيقي نسبة إليها [3] . وكانت هناك مصانع للنسيج في مدينتي اخميم وأسيوط اللتين كانتا مركزين عظيمين لصناعة النسيج في العصر البيزنطي ، وكثيرا ما صدرتا إلى روما وبيزنطة نفائس المنسوجات التي كانت تستعمل في الكنائس والأديرة [4] .

وعلى ما يبدو فأن صناعة النسيج كانت منتشرة على نطاق واسع في حواضر الدولة الإسلامية نظرا لحاجة الإنسان إلى الملابس لحماية جسمه من تقلبات الطقس ، ورغبة المترفين من جهة أخرى إلى تامين زينتهم وأثاث منازلهم ، فقد كان الأغنياء يتنافسون في ارتداء الملابس الثمينة ويقبلون على اقتنائها ويجمعونها في خزائن وصناديق يسمونها بإسم خزائن الكسوة[5].

وقد أدى تعاظم طلب الخلفاء العباسيين ورجال الدولة على الملابس الخاصة إلى انتشار دور الطراز في بغداد وغيرها من حواضر الدولة الخاصة بالخليفة ويذكر إن الخيزران أم الخليفة الرشيد استخدمت أحد النصارى الذميين على دار الطراز في الكوفة [6] . وقد كان الطراز احد رموز السلطة وشعائرها ، وضمت دور الطراز العديد من الحرفيين

---

[1] – حسن ، فنون الإسلام ، ص٣٤٧ .

[2] – وقيل دبقا وهي من قرى مصر قرت نيس وتنسب إليها الثياب الدبيقية ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٩٨ .

[3] – الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ج١ ، ص٣٣٨ .

[4] – حسن ، فنون الإسلام ، ص٣٤٧ .

[5] –الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٣١٥ .

[6] – الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١١٩ ؛ التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج١ ، ص٣٠١ .

والصناع المهرة ، وغالبا ما كانوا من أهل الذمّة وكانت تخصص لهم أجور مجزية ، ويتحدث الصابىء [1] : عن مخصصات القصارين [2] والمطرزين والخياطين ورجال الخزائن في أيام المكتفي (٢٨٩هـ - ٢٩٥هـ / ٩٠١-٩٠٧م) التي بلغت قيمتها ثلاثة آلاف دينار في الشهر أي مائة دينار في اليوم الواحد .

- **صناعة الزجاج :**

اشتهر المشرق الإسلامي وخاصة سوريا ومصر بصناعة الأواني الزجاجية الجميلة منذ أيام الحكم الروماني ، ثم جاء الإسلام إلى تلك البلاد وظل الصنّاع يمارسون تلك الصناعة هناك وفق الأساليب القديمة المعروفة ، وقد استمد العلماء معرفتهم بصناعة الزجاج في العصور الإسلامية الأولى مما عثر عليه في الحفريات التي أجريت في العراق وبلاد الشام ومصر ، ففي بلاد الشام اشتهرت منذ القدم بصناعة الزجاج حتى إنها نسبت إليها [3] . فيقول في ذلك الثعالبي [4] : " ومن خصائصها - أي الشام - الزجاج الذي يضرب به المثل في الرقة والصفاء ، فيقال : ارق من زجاج الشام وأصفى من زجاج الشام " ، وذكر المقدسي [5] : " إن بيت المقدس اشتهرت بإنتاج المرايا والقناديل " ، كما وصف ما صنع منه في أريحا على إنه من أجود أنواع المرايا [6] ، وقال القزويني [1] في حلب التي انتشرت فيها صناعة الزجاج

---

[1] - الوزارء ، ص٢٢ .

[2] -المحور للثياب لأنه يدقها بالقصرة وهي قطعة من الخشب وحرفته القصارة ويقصر الثياب أي يغسل الثوب ويقصر لونه – مبيضه - . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ، ص١٠٤ .

[3] - حتي ، تاريخ سوريا ، ج١ ، ص٩٦-٩٧ .

[4] - لطائف المعارف ، ص١٥٧ .

[5] - أحسن التقاسيم ، ص١٨٠-١٨١ .

[6] - حتي ، فيليب ، تاريخ العرب المطول ، ترجمة : ادوارد جرجي وجبرائيل جبور ، دار الكشاف ، ط٤ (بيروت ، ١٩٦٥م) ج٢ ، ص٧٨٩ .

المختلفة ودخل هذا الفن في صناعة الأبواب والصناديق والمناضد ، وأصبحت دمشق من أهم مراكز التطعيم المعروفة آنذاك فقد استخدمت في هذه الصناعة العظم والصدف معا [1] .

- **صناعة السفن:**

كان لبناء السفن في مصر شأن عظيم في فجر الإسلام ولاسيما في العصر الأموي ، فقد أوضحت أوراق البردي مهارة الأقباط في صناعة السفن ، كما أوضحت أيضا تقدير الحكومة الإسلامية المركزية لتلك المهارة [2] . لذا كانت مصر أول بلد استفاد العرب الفاتحون من خبرته في بناء الأساطيل البحرية ، ولقد سعى هؤلاء الأقباط في تقديم خبرتهم للعرب الفاتحين وفي التفاني في خدمتهم لما رأوه منهم من حسن التعامل [3] . وفي الحقيقة فقد اعتمد العرب اعتمادا كبيرا على الأقباط في تكوين جيشهم البحري وعمارة أسطولهم بل كذلك في إنشاء الموانئ في أنحاء الدولة الإسلامية ، إذ إن مصر كانت مشهورة بصناع السفن المهرة ، وكثرة دور صناعة السفن التي شيدت الأعداد الكثيرة منها ، وعنى ذلك استمرار العرب على نفس السياسة في بناء السفن على أيدي نفس العمال الأقباط المتخصصين في بناء السفن [4] . واقبل الأقباط على العمل في العديد من دور صناعة السفن في القلزم والإسكندرية ورشيد

---

[1] – ديماند ، الفنون الإسلامية ، ص١٣٧-١٣٨ .

[2] –كاشف ، عبد العزيز بن مروان ، ص١٢٨ ؛ لؤي محمود واحمد منصور ، الأقباط في المجتمع المصري ، ص٣٠١ .

[3] – عبد اللطيف ، عبد الشافي محمد ، دور المصريين في إنشاء البحرية المصرية ، بحث منشور في كتاب مصر والإسلام ، العدد السابع والتسعون (القاهرة ، ٢٠٠٣م) ص٢٢ .

[4] – عبد اللطيف ، دور المصريين ، ص٤٥ ؛ عبد الكريم ، ناريمان ، دور مصر في أفريقيا من الفتح العربي حتى نهاية عصر الولاة ، بحث ضمن كتاب دراسات في تاريخ مصر الإسلامية (القاهرة ، ٢٠٠٧م) ص٢٧ ؛ رمضان ، هويدا عبد العظيم ، المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي الى العصر الفاطمي (القاهرة ، ١٩٩٩م) ص٢٩٠ .

ودمياط وتنيس وجزيرة الروضة كما لم يترددوا في العمل بموانئ الشام والمغرب بكل عزم وإخلاص [١] . ومعنى ذلك إن مهمة الأقباط في إنشاء السفن لم تكن داخل حدود مصر فقط بل إنهم صدروا تلك الموهبة إلى العديد من الأمصار الإسلامية الأخرى ، فها هو الخليفة معاوية بن أبي سفيان وبعد إحدى الغارات البيزنطية على السواحل الشامية (٤٩هـ / ٦٦٩م) يقرر أن يشيد دارا لصناعة السفن في مدينة كوم اشقاو [٢] . إذن فقد كانت الهجمات البيزنطية عاملا مهما وأساسيا من عوامل إنشاء الأساطيل البحرية الإسلامية وكذلك استكمال التحصينات البحرية [٣] . وقد توسع الخليفة معاوية كثيرا في صناعة السفن في الموانئ السورية وصور واللاذقية وطرطوس اعتمادا على الأيدي العاملة المصرية في هذا الميدان [٤] ، وهكذا أدى التعاون بين مصر وبلاد الشام في ميدان بناء الأساطيل البحرية إلى بروز قوة بحرية لم تنجح في حماية السواحل من هجمات الروم فقط ، بل أصبحت قوة تشكل خطرا على عاصمتهم القسطنطينية نفسها [٥] ، وقد ساعد انتشار الغابات في هذه المناطق على تطور صناعتها ، لاسيما الثقيلة منها التي تستخدم في صناعة السفن . يقول البلاذري [٦] : " إن معاوية بن أبي سفيان استخدم أهل الذمّة في صناعة السفن ، فجلب الصناع والنجارين إلى

---

١ - عبد اللطيف ، دور المصريين ، ص٤٥ .

٢ - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١١٥ ؛ لويس ، ارشبيالد ، القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط (القاهرة ، ١٩٦٠م) ص٩٧ وما بعدها ؛ فهمي ، علي محمود ، التنظيم البحري في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي ، ترجمة : قاسم عبدة (القاهرة ، ١٩٦٧م) ص٦٢ .

٣ -ابن المقفع ، تاريخ البطاركة ، ص٩ ؛ لؤي محمود واحمد منصور ، الأقباط في المجتمع المصري ، ص٣٠١ .

٤ - عبد اللطيف ، دور المصريين ، ص٣٦ .

٥ - عبد اللطيف ، دور المصريين ، ص٣٧ .

٦ - فتوح البلدان ، ص١٢٤ .

عكا من جند الأردن ، فكانت عكا أول دار لصناعة السفن في الشام " ، فظلت فيها حتى نقلها الخليفة هشام بن عبد الملك إلى مدينة صور [1] ، وكان من بين يهود صور من يمتلك السفن التي تجوب البحار[2] .

وبما أن الأمويين قد أسسوا أسطولا بحريا وازداد اهتمامهم بالنشاط البحري ، فقد اعتمدوا على النصارى من أهل الذمّة في هذا المجال لخبرتهم ومهارتهم في ركوب البحر وإتقانهم لفنون القتال فيه [3] .

والجدير بالذكر إن نظام عمل هؤلاء الصناع لم يكن يسير اعتباطا ، بل كان يسير وفق ضوابط وقواعد تضمن سلامتهم وأعطياتهم ومستحقاتهم المالية ونظام إعاشتهم وإقامتهم ، إذ إن معظم ولايات مصر بالإضافة إلى الأمصار الإسلامية الأخرى خارج مصر كانت تطلب عمالا ومعماريين أقباط كالبنائين والنجارين للعمل في المساجد والقصور وصناعة السفن وإصلاح الجسور وغيرها من الأعمال المختلفة . فهناك برديات كثيرة من والي مصر قرة بن شريك (٩٠-٩٦هـ / ٧٠٨-٧١٤م) تحدد النفقة على الفعلة الأقباط وعلى مهرة العمال منهم ، بل إن أوراق البردي تمدنا بمعلومات وفيرة عن الاعتماد الكبير عليهم ؛ إذ تذكر البرديات أعطياتهم ومخصصات المالية والطعام الخاص بهم فضلا عن الأدوات والعدد المطلوبة لهم وكافة المؤن الخاصة بهم حتى يستطيعوا ممارسة عملهم في كل راحة واستقرار [4] . وهناك بردية التي التي ترجع إلى العام (١٠٦هـ / ٧٢٤م) أرسل صاحب الخراج عبيد

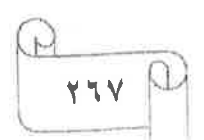
---

١ - البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٢٥ .

٢ - التطيلي ، الرحلة ، ص٩٢ .

٣ - ابن أعثم ، أبو محمد احمد الكوفي (٣١٤هـ / ٩٢٦م) كتاب الفتوح ، دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد ، ١٩٦٨م) ج٢ ، ص١١٨ .

٤ - كاشف ، عبد العزيز بن مروان ، ص١٢٩ .



الله بن الحبحاب إلى القرى بالكور ما يشير إلى طلبه للعمال [1] . ولم يقتصر الأمر على الأساطيل البحرية فقط بل كانوا يصنعون أيضا سفنا نيلية غير تلك السفن الحربية ، وذلك لأن الطريق المائي في مصر كان يستخدم كثيرا للنقل والتجارة في ذلك العهد كما كانت سفنا بحرية معدة للتجارة الخارجية [2] .

وبذلك فقد كان لأهل الذمّة إسهاماً واضحاً وكبيراً في مجال صناعة السفن والمشروعات البحرية العامة في الدولة الإسلامية ، وكان ذلك بتظافر المسلمين والأقباط عاملا من عوامل قيام أسطول الدولة الإسلامية الذي كان أحد مصادر قوتها ، وقد علق إبن خلدون [3] قائلا : " فلما استقر الملك للعرب شمخ سلطانهم وصارت أمم البحر خولا لهم وتحت أيديهم وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النوائية في حاجاتهم البحرية وتكررت ممارستهم البحر وثقافته واستخدموا بصراء بها فتاقت نفوسهم إلى الجهاد فيه وانشأوا فيه السفن والشواني وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وامطوها العساكر المقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان اقرب إلى هذا البحر من حافته " .

وقد أمر الخليفة معاوية بجمع المهرة والصناع وجعل صناعة السفن في عكا ، ثم نقلت هذه الصناعة الى صور في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك [4] . وقيل إن الخليفة معاوية بن ابي سفيان ﷺ ابتنى ألف وسبعمائة سفينة شراعية اتخذ اعوادها من جبل لبنان [5] ، كما مهر أهل

---

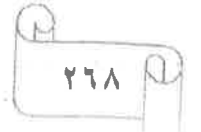
[1] -عبد الفتاح ، صفاء ، الإدارة المحلية في مصر في عصر الولاة (القاهرة ، ١٩٩١م) ص٤٥ ؛ عبد اللطيف ، دور المصريين في إنشاء البحرية المصرية ، ص٣٠٣ .

[2] - كاشف ، عبد العزيز بن مروان ، ص١٢٩ .

[3] -العبر ، ص٣١٦ ؛ فهمي ، التنظيم البحري ، ص١٩٠ .

[4] - سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص٦٢٠ .

[5] - المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٨٤ .



الذمّة بصناعات أخرى متعددة مثل الصناعات الخشبية الثقيلة والخفيفة فصنعت في مدينة عكا السفن البحرية المسماة بالجودي [1] ، وفي مدينة صور دار صناعة المراكب ومنها تخرج المراكب لغزو الروم [2] ، كما كان الصابئة يجيدون صناعة القوارب الخشبية على اختلاف احجامها [3] ، وإلى جانب بناء السفن حيث كان الخليفة المنصور يعفي الذين يعملون من أهل الذمّة في صناعة السفن ولاسيما في مصر من الجزية [4] .

- **المعادن :**

انتشرت صناعة واستخراج المعادن في بلاد الشام فقد عرفت الكثير من الأنواع فيها وأهمها الحديد والنحاس ، إذ اشارت بعض من المصادر إلى وجود معدن الحديد في مناطق متعددة من بلاد الشام لاسيما جبال بيروت [5] . وقد قامت عليه بعض الصناعات لاسيما صناعة السيوف الدمشقية [6] . والمشرفية المنسوبة للمشارف [7] إضافة إضافة إلى صناعة الدروع والخوذ والسهام [8] . ويدخل أيضا في صناعة السفن [9] ، واشتهر الصابئة ببعض الصناعات اليدوية ، وامتهن وامتهن البعض منهم الحدادة وصناعة الآلات الجارحة كالسيوف

---

1 – ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص٥٣ .

2 – اليعقوبي ، البلدان ، ص٣٣٧ .

3 – الحسني ، الصابئون ، ص١٢٩ .

4 –المناصير ، محمد عبد الحفيظ ، الجيش في العصر العباسي الأول ١٣٢هـ – ٢٣٢هـ ، دار مجدلاوي (الأردن ، ٢٠٠٠م) ص١٨٧.

5 – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٨٤ .

6 – كرد علي ، محمد ، خطط الشام ، دار العلم للملايين ، بيروت ومكتبة النوري (دمشق ، ١٩٨٣م) ج٤ ، ص١٦٠ ، ٢١٣ .

7 – قرية قرب مؤتة جنوب الأردن ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٣١ .

8 –قدامة ، الخراج ، ص٤٩ .

9 – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٣١-٣٢

والخناجر [١] ، وقد ورد ذكر لمعدن النحاس في اريحا بفلسطين [٢] ، وادخل أهل بلاد الشام معدني الحديد والنحاس بصناعة الموازين والمكاييل والشبابيك والأقفال والأواني وأقداح الشراب [٣] . وربما كانوا كانوا من أهل الذمّة لانتشارهم بشكل كبير في بلاد الشام . كما وجد معدن آخر وهو الرخام الكلسي في منطقة بيت جبرين ، ووجد معدن الكبريت أيضا في منطقة الأغوار [٤] ، ويعد استخدام المينا والأحجار الكريمة المختلفة الألوان في تطعيم المعادن من الأشياء المحببة إلى الفرس في كل العصور وتأثرت بذلك الفنون والصناعات في أوائل العصر الإسلامي [٥] .

- **صناعة الصياغة والتكفيت :**

توارثت مهنة الصياغة بعض الأسر اليهودية والصابئية [٦] ، والمجوسية [٧] ، غير أنها كانت ملازمة لليهود أكثر من غيرهم منذ عصر ما قبل الإسلام [٨] ، فبرعوا في صناعة المجوهرات وبيعها مما جعلهم على اتصال بالحكام والملوك[٩] .

وازدهرت صياغة المعادن الثمينة والجواهر في المدن العباسية ، وكان الذهب والفضة والأحجار الكريمة من أهم الخامات التي تصنع منها مصوغات الزينة ، إذ كان الصاغة يعالجون المعادن والأحجار

---

١ – الحسني ، الصابئون ، ص١١٩ .

٢ –حتي ، تاريخ العرب المطول ، ج١ ، ص٩٥-٩٦ .

٣ –لسترانج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ص١٤٥-١٤٦ .

٤ – المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١٨٤ .

٥ –ديماند ، الفنون الاسلامية ، ص٣٠ .

٦ – مصطفى، المدن في الإسلام،ج٢،ص٣٧٥.

٧ – علي ، المفصل ، ج٧ ، ص٥٠٧ .

٨ – علي ، المفصل ، ج٧ ، ص٥٦٤ .

٩ – ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص١٠٨-١٠٩.

الكريمة وينقشون عليها أشكال مختلفة في دكاكينهم في سوق خاصة ببغداد وكانوا في الغالب من اليهود [1] . فخبرة أهل الذمّة وتفنّنهم بهذه الصنعة ، دفعت العديد من الخلفاء إلى التعامل معهم وشراء المجوهرات منهمْ ، إذ اعتمد الخليفة هارون الرشيد على شراء المجوهرات من النصراني عون الجوهري الذي كان جوهريا بارعا [2] . فحقق هذا الجوهري من عمله هذا ثراءً كبيرا إزاء الأموال التي كان الخلفاء وأولو الشأن يبذلونها لشراء المجوهرات لهم ولأهلهم [3] .

ولعل فن صياغة المعادن والجوهر كان عليه كغيره من المهن مسايرة الترف الذي بلغه المجتمع العباسي لاسيما لدى الخلفاء ورجال الدولة وكبار الأثرياء ، فقيل إن الخليفة المأمون في ليلة زفافه فرش بساطا حيك من خيوط الذهب [4] ، كما شكل الإقبال على الجواهر والمعادن الثمينة نوعا من الادخار يجابه به الأغنياء وقت الحاجة ، وكان الذهب والفضة والجواهر هي الخامات التي تصنع منها مصوغات الزينة ، إذ كان النقاشون يحفرون على هذه المعادن أشكال فنية مختلفة [5] ، ومن ثم ساعدت هذه الحياة المترفة على انتعاش صياغة الجواهر والمعادن الثمينة إلى حد وصف سوق باب الطاق في بغداد بأنه كبير شاهق [6]، دلالة على ازدهار ورواج هذه التجارة ، حيث كان سوق الحلي والمجوهرات تسطع بالأحجار الكريمة من كل جنس ولون وقد نال

---

[1]- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٩ ، ص٤٦٢ ؛ ينظر ايضاً : ابو يوسف ، الخراج ، ص١٢٠

[2] – أبن سليمان ، أخبار فطاركة ، ص٧٤ .

[3]- فييه ، أحوال النصارى، ص٩١.

[4] – الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١٠٢ .

[5] – الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١١٠ .

[6] – سعد ، العامة في بغداد ، ص١٩٤ .

صاغة العراق شهرة واسعة وكان اغلبهم من اليهود على حد قول أبو يوسف [1] : " إن أكثر الصاغة بالعراق يهود " .

واشتهرت بغداد بالصياغة التي نبغ فيها الفرس ، بلغت صناعتهم شأنا بعيدا في الدقة والجمال ، حتى انهم كانوا يرصعون الزجاج بالجواهر ، ويكتبون عليه بالذهب المجسم ، ويصنعون للملوك اقداحا تبهر الأبصار ، وكانوا يتخذون على الجامات " الكؤوس " صورا صوروا عليها طيورا تطير ، ومن فوقها العقبان تنقض عليها ، وهي تحاول الإفلات من مخالبها ، مما يأخذ الألباب ويستوقف الأنظار [2] ، كانت مهنة الصياغة في العصر العباسي من المهن المحصورة في طائفة اليهود [3] ، وقد راجت هذه الصناعة آنذاك لكثرة الطلب عليها من قبل الأغنياء فاتصل أصحابها بأهل الشأن من الخلفاء والحكام وغيرهم [4] .

وقد وضف صاغة الذهب والفضة مهاراتهم في صنع أدوات الزينة الاعتيادية والأدوات الذهبية كالمزهريات والكؤوس والسلاسل الدقيقة والملابس والبسط الموشاة بالذهب وغيرها من أدوات الترف التي كانت تتزين بها المنازل على اختلاف أنواعها [5] ، كما رصعت التحفيات والأدوات الذهبية بالأحجار الكريمة كالألماس والياقوت والزمرد والمرجان والفيروز واللؤلؤ والعقيق ، ونقشت عليها زخارف جميلة تنم عن دقة الصنعة وجمال الفن ورواج صناعة الذهب والفضة وتطورها [6] .

---

[1] – الخراج ، ص١٢٠ .

[2] – سعد ، العامة في بغداد ، ص١٩٧.

[3] – ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص٣٨ .

[4] – ترتون ، أهل الذمّة ، ص١٠٠ .

[5] – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٢٨ .

[6] – الغزي ، نهر الذهب ، ج١ ، ص٩٤ ؛ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٢٨ ؛ حجازي ، أهل الذمّة ، ص٢١٢ .

وبرع الصاغة في صناعة تكفيت التحف المعدنية بالذهب والفضة والتكفيت هو تطعيم المعدن كالفضة بالذهب أو النحاس بالفضة [1] ، وذلك بان تحفر الزخارف على سطح الآنية أو الحلي المراد زخرفتها حفرا عميقا ثم يملأ هذا الجزء المحفور بالفضة أو الذهب أو المينا أو النحاس الأحمر [2] ، وكانت تعرف عادة بأسم الصناعة الدمشقية (Damascening) [3] ، كما امتلأت الأديرة والكنائس بالأواني المعدنية النفيسة وخاصة تلك التي صنعت لإستخدامها في الطقوس الدينية وغالبتها من الفضيات والمذهبات التي اسالت لعاب الطامعين فيها ، فتعرضت للنهب والمصادرات ، ففي عهد الخليفة المنصور أمر بخلع الباب الذهبي الذي عمله قسطنطين لكنيسة القيامة وحمله إلى بيت المال [4] ، وصادر كنوز الكنائس وباعها لليهود [5] . كما كسب الصاغة الصاغة أموالا كثيرة أحيانا عن طريق غشهم فكانت لهم طرقهم المختلفة في السرقة والغش[6] .

وبرع النصارى في فن الصياغة وبلغت صناعتهم فيها شأنا بعيدا من الدقة والجمال حتى أنهم كانوا يرصعون الزجاج بالجواهر ، ويكتبون عليه بالذهب المجسم ويضعون للملوك أقداحا تبهر الأبصار [7] .

---

1 – غوانمة ، يوسف ، التاريخ الإسلامي ، بحث منشور في الموسوعة الأردنية (عمان ، بلا . ت) ص١١٨ .

2 – كريستي ، الفنون الإسلامية ، ص٢٦ .

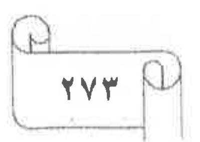
3 – كريستي ، الفنون الإسلامية ، ص٢٧ .

4 – ابن سليمان ، أخبار فطاركة ، ص٧٠ .

5 – حجازي ، أهل الذمّة ، ص٢١٢ .

6 – ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص٣٨ ؛ الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص٧٨ .

7 – المدور ، حضارة الاسلام ، ص٢٥ .



, أما الصابئة فقد زاولوا مهنة الصياغة بالدرجة الأولى ولاسيما صياغة المينا [1] والفضة وهي من الفنون الجميلة ، والتي لا يطلعون أحدا من غير أبناء ملتهم على اسرارها [2] ، وقد تخصص القسم الأعظم من الصابئة في هذه الصناعة حتى أبدعوا فيها ، وأتقنوا فن نقل الصور المختلفة على الأواني والحلي النسائية ، وأصبحت هذه الصناعة تنحصر فيهم دون غيرهم ولا يسمحون للغير بتعلمها [3] .

- **صناعة الزيت والصابون** :

اشتهرت البصرة بصناعة الصابون ولاسيما في عهد الخليفة المعتصم الذي شيد مصانع جديدة لها في بغداد وسامراء وغيرها من المدن [4] ، وانتشرت صناعة الزيوت والصابون في بلاد الشام وسمي زيتها بالركابي لأن التجار كانوا يحملونه على الإبل ، وكان يضرب بصفائه ونظافته المثل [5] ، وكانت من أشهر المدن بصناعته هي مدينة نابلس وحمل زيتها إلى مصر ودمشق[6] . كما اشتهرت مدينة اللجون في صناعة الزيت والزيتون [7] ، وكذلك مدينة القدس فقد اشتهرت أيضا بكثرة الزيت ففيها أرباب عائلات يملك الواحد منهم مئتي ألف مَن من

---

١ – المينا: لفظة جاءت من المنية وهي لفظة فارسية معناها صناعة جوهر الزجاج وهي اسم لأكاسيد معدنية تصهر بمادة زجاجية تزين بها الفضة والذهب فتكسبها جمالا . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، ص٣٦٥ .

٢ – جلوب ، إمبراطورية العرب ، ص٦١٣ .

٣ – الحسني ، الصابئون ، ص١١٨ -١١٩ .

٤ –حسن ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٢٥٣ .

٥ – الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص١٢٢ .

٦ – ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص٥٦ .

٧ – ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص١١٧ . اللجون مدينة في الأردن بينها وبين طبرية عشرون ميلا . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٣ .

زيت الزيتون [1] ، كما اشتهرت مدن الجزيرة الفراتية بكثافة الزيتون وصناعة الزيت [2] ، ومن الدلائل على توفر مادة زيت الزيتون في بلاد الشام إنه فرض على بعض سكان المدن المفتوحة أن يقدموا للفاتحين في بداية الفتوحات الإسلامية مع الجزية النقدية الزيت والخل والعسل [3] .

أما صناعة الصابون فقد راجت واشتهرت في العديد من مدن بلاد الشام كمدينة نابلس ومدينة الرملة في صناعته ، فقد ورد في إحدى وثائق الجنيزة التي يعود تاريخها إلى (٤٣٢هـ / ١٠٤٠م) بأن صابون الرملة كان يباع في مدينة الفسطاط بأربعة دنانير للقنطار الواحد وكان يسمي بالصابون الشامي [4] ، واشتهرت مدينة سرمين أيضا بصناعة الصابون وكان ينقل ما تصنعه من الصابون إلى مصر والشام [5] ، ومدينة بالس نالت شهرتها أيضا فقد كانت تعمل الصابون كما أشار ابن حوقل بذلك [6] . وكان أصحاب صناعة الصابون يستخدون في صناعتهم صناعتهم له مادة الدردار المستخرجة من رماد عيدان شجر الدردار أو من عشبة الشمان التي تنبت في البلقاء [7] .

اشتهرت المناطق التي تكثر فيها زراعة الزيتون بصناعة الصابون وذلك كونها تحتاج لهذه المادة في صناعتها ، ومن أهم المناطق التي اشتهرت بصناعة الصابون منطقة بالس بالقرب من حلب ، وحلب

---

[1] – ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص٥٦ . المن : يساوي رطلين ، هانتز، المكاييل والأوزان الإسلامية ، ص٤٥ .

[2] – التلمحري ، التاريخ المنحول ، ص١٦١ .

[3] – حجازي ، أهل الذمّة ، ص٢١٠ .

[4] – القنطار : يساوي من حيث الاساس ١٠٠ رطل ، هانتز ، المكاييل والأوزان الإسلامية ، ص٤٠

[5] – ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص٦٣ .

[6] – صورة الأرض ص١٦٥ .

[7] – غوانمة ، التاريخ الإسلامي ، ج١ ، ص٢٧٩ .

ونابلس [1] . وأشار المقدسي[2] الى إن صناعة الصابون بفلسطين بقوله : " من فلسطين الزيت والقطين ... والصابون " وتعد الرقة من المراكز المهمة لصناعة الصابون ، حتى وصفها المقدسي بقوله أيضا [3] : " أنها معدن الصابون الجيد " ، واشتهرت بلاد الشام أيضا بصناعة بصناعة الزيت وقد سمي " الركابي " لأنه كان يحمل على الركائب من الشام إلى الحجاز والعراق وغيرهما من البلدان ، وقد أدّى التجار النبط من أهل الذمّة دورا كبيرا في نقل الزيت إلى الحجاز وبيعه هناك [4] .

وبما اننا لم نجد نصا صريحا بإسهام أهل الذمّة في مجال صناعة الزيت والصابون ، الا اننا نستطيع ان نستنتج مشاركتهم من خلال اسماء المدن التي ذكرت الروايات انها اشتهرت بهذه الصناعة لان سكانها كانوا في الغالب من أهل الذمّة ولابد من أنهم اشتركوا في صناعته .

- **الصباغة :**

كانت الصباغة بالالوان للمنسوجات مزدهرة ازدهار صناعة النسيج وكانت صناعتها بأيدي اليهود حتى كادوا أن ينفردوا بها أينما كانوا ، وفي ذلك قال الجاحظ [5] : " ولا تجد اليهودي إلا صباغا أو دباغا أو حجاما أو قصابا أو شعابا " . وعندما تحدث المقدسي [6] عن بلاد الشام قال : " وأكثر الجهابذة والصباغين والصيارفة والدباغين في هذا الإقليم من اليهود " ، كما وجد بنيامين التطيلي [7] : " إن اليهود كانوا

---

[1] ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١٥٨ ، ١٦٥ .

[2] -أحسن التقاسيم ، ص١٨٠ .

[3] – أحسن التقاسيم ، ص١٤١ .

[4] – حتي ، تاريخ العرب ، ج٢ ، ص٤٣٠ .

[5] – رسائل الجاحظ ، ج٣ ، ص٣١٦ .

[6] – أحسن التقاسيم ، ص١٨٣ .

[7] – الرحلة ، ص٩٠ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٨ .

يحتكرون صناعة الصباغة في المدن التي وجدوا فيها ولو كان واحدا في بلد فأنه كان يشتغل بهذه الصناعة " ، وقد راجت هذه الصناعة في بلاد الشام لتوفر النباتات فمثلا فقد اشتهرت مدينة أريحا بزراعة النيل [١] . والوسمة وهو من أنواع النيلة [٢] ، كما كان ينقل النيل من مدينتي زغر وبيسان [٣] ، وأنتجت ضواحي دمشق ووادي نهر العاصي نبات " الفوّة " وكان البحر يلقي على شاطئ مدينة صور الأرجوان ويستخرج منها اللون الأحمر الأرجواني [٤] ، كما مهر اليهود في الحصول على دودة القرمز وهي حشيشة في أصلها وردة حمراء لا تنبت إلا في ثلاثة مواضع من الأرض في ناحية المغرب بأرض الأندلس وفي تارم من ناحية شيراز وفي ارض فارس ولا يعرف موطن هذه الحشيشة إلا اليهود فكانوا يتولون قلعها في الشهر الثاني عشر من السنة الشمسية فتيبس تلك الدودة ويصبغون بها الابريسم " الحرير " والصوف [٥] . كما كما استعمل الزعفران للصباغ باللون الأصفر واشتهرت مدينة سلمية بزراعته [٦] ، فضلاً عن الأصباغ السابقة فقد كانوا يستخدمون مواد أخرى للصباغة مثل ماء الورد أو المسك أو العنبر ، وكانوا يعصرون الريحان العربي ، أو الريحان الفارسي ، أو شيئا من الرياحين ، ويغمسون الثياب بالماء المستخرج منها ، وقد يستعملون ماء النباتات الأخرى مثل نبات المدر أو السدر أو الشيح أو القيصوم أو البشام ، أو

---

١ – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٧٤ .

٢ – نبات يزرع على ضفاف نهر النيل يستخرج من ورقه مادة زرقاء تستخدم في الأصباغ . إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ص٩٦٧ ؛ أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٢٢٨ .

٣ – ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١٦٩ ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٨٠ .

٤ – هايد ، تاريخ التجارة ، ج١ ، ص١٩٠-١٩١ .

٥ – الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص٢٤ .

٦ – اليعقوبي ، البلدان ، ص٣٣٤ .

ما أشبهها وذلك بعصر هذه النباتات أو بطبخها واستعمال الماء المتحصل منها لغمس الثياب فيها لغرض صباغتها [1] .

وكان لإقبال الناس في هذا العصر على ارتداء الملابس المزركشة والملونة إلى جانب شيوع التخصص بالألوان فكان اللون الأسود الشعار الرسمي ، واللون الأخضر شعار العلويين ، في حين كانت الملابس الصفراء المصبوغة بالزعفران محببة لدى المغنيين [2] ، لقد تفنن الصباغون في مهنتهم فكان بعضهم يختص بالصبغ بصبغة واحدة يختص بالصبغ بصبغة واحدة ، وبعضهم بالأصباغ المركبة عن طريق خلط الأصباغ الأولية ، وقد يصبغون الغزل قبل حياكته ، فيلفون الغزل ويدرجونه أي يعصبونه ثم يقومون بصبغه ، فيكون كل خيط من خيوط النسيج مبقعا أي إن بعضه مصبوغا وبعضه الآخر يكون ابيضا ، وكان هذا النوع يسمى " العصب " ويكون الثوب المنسوج بالعصب ذا ألوان متعددة ، وأما إذا طبعت الألوان على الألبسة أو نقشت بعد انجاز نسجها كانت تسمى " الوشي " [3] ، وهذا التنوع في الألوان لاشك إنه يدل على فن راق في هذا المجال [4] .

ومن المهنيين الذين ارتبطوا بصناعة الغزل والنسيج ، الصباغون ، فقد قامت صناعة الأصباغ إلى جانب صناعة الحياكة لترضي الأذواق المختلفة ، فقد اختار العباسيون السواد واختار العلويون الخضرة وكان لكل طبقة اجتماعية أو مناسبة خاصة ألوانها ، فصباغة الخيوط والأقمشة مهنة قديمة ، وقيل إن اليهود أشهر من عمل بها وأخذها المسلمون عنهم ، وكانت عملية الأصباغ في معظمها نباتية حيث استخدم

---

[1] – البطاينة ، محمد ضيف الله ، الحياة الاجتماعية في صدر الاسلام ، المدينة المنورة ، مكتبة دار التراث (بلا . م ، ١٩٨٨م) ص١٥٤ .

[2] – اشتور ، التاريخ الاقتصادي ، ص١١٥ ؛ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٢٥ .

[3] – البطاينة ، الحياة الاجتماعية ، ص١٥٥ .

[4] – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٢٥ .



قشر الرمان والزعفران ليعطي اللون الأصفر ، وكانت النيلة تعطي اللون الأزرق والفوة [١] تستخدم لكل أنواع الحمرة [٢] .

وكان الصباغون في بغداد يجتمعون في محلة خاصة بهم عرفت بمحلة الصباغين في الجانب الغربي منها ، وكان منهم من يستخدم الغلمان الصغار في مساعدته [٣] ، وفي مدينة يافا يوجد أعداد قليلة من اليهود وبينهم يهودي واحد يعمل في مهنة الصباغة ، وكذلك في مدينة اللد يهودي واحد يمتهن هذه المهنة ، أما في بيت لحم ففيها أحد عشر يهوديا يمهنون مهنة الصباغة ، وفي مدينة صيدا نحو العشرين يهوديا ، وفي بيروت خمسون يهوديا ، وفي قرية زيرين في مرج ابن عامر فيها يهودي واحد يحترف الصباغة ، وفي القريتين من اعمال حمص يهودي واحد وفي حمص نحو عشرين وفي بالس عشرة يهود [٤] ، وعمل بعض اليهود كخياطين [٥] .

- **صناعة الحرير :**

تعد صناعة الحرير من الصناعات ذات التخصص العال لتشعبها ابتداءً من تفكيك غزل الحرير ونسجه إلى صباغته ، وكان اليهود من أكثر الناس تخصصا في صناعته وربما ترجع مهارتهم في ذلك لاتصالهم المبكر مع تجار الصين إضافة إلى توفر دودة القز التي تنتجه في بلاد الشام [٦] ، إذ كانت مدينة دمشق من المدن الرئيسية التي

---

[١] –عشب سيقانه حمر متسلقة وبذوره حمر تعرف بفوة الصباغين ، يستخرج منها مادة تستخدم في صناعة الحرير والصوف . إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ص٧٠٧.

[٢] –الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٠٧ .

[٣] – الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١٩٨ .

[٤] – التطيلي ، الرحلة ، ص٩٠ ، ٩٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ .

[٥] – أبو يوسف ، الخراج ، ص٢٥٦ .

[٦] – أبو يوسف ، الخراج ، ص٢٥٨ .

اختصت بصناعته فقد قال الإدريسي [١] عن حرير دمشق : " ومدينة دمشق جامعة لصنوف من المحاسن وضروب من الصناعات وأنواع من الثياب الحرير كالخز والديباج النفيس الثمين العجيب الصنعة العديم المثال الذي يحمل منها إلى سائر كل بلد ويتجهز منها به إلى كل الآفاق والأمصار ومصانعها في كل ذلك عجيبة يضاهي ديباجها بديع ديباج الروم ويقارن ثياب تستر وينافس أعمال اصبهان ويشف على أعمال طرز نيسابور من جليل الحرير المصمتة وبدائع ثياب تنيس وقد احتوت طرزها على أفانين من أعمال الثياب النفيسة ومحاسن جمة فلا يعادلها جنس ولا يقاومها مثال " ، واشتهرت حلب أيضا في صناعة الحرير فقد كانت المنسوجات الحريرية من ضمن صناعتها [٢] ، وكذلك مدينة عسقلان فقد كانت تشتهر بقزها الفائق وخيرها الدافق [٣] ، ونالت مدن عكا وبيروت واللاذقية نصيبا من الشهرة في مجال صناعة الحرير [٤] ، ، واشتهرت غزة في صناعة الحرير ومدن الساحل في فلسطين [٥] ، واشتهرت كذلك مدن انطاكيا وطرابلس وصور [٦] . وعدت مدينة قنسرين من المراكز المرموقة في إنتاج وصناعة الحرير [٧] . ويذكر أن أن النساء اليهوديات شاركن الرجال في صناعة الحرير في جميع مراحل صناعته [٨] .

- **صناعة الجلود:**

---

١ – نزهة المشتاق ، ج١ ، ص٣٦٩ .

٢ – الغزي ، نهر الذهب ، ج١ ، ص١٢٨ .

٣ – المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١٨٤ .

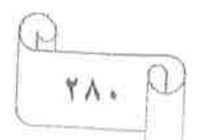
٤ – اشتور ، التاريخ الاقتصادي ، ص١١٤

٥ – اشتور ، التاريخ الاقتصادي ، ص١١٤ .

٦ – هايد ، تاريخ التجارة ، ج١ ، ص١٩٠ ؛ ليونهارت ، رحلة المشرق ، ص٣٣ .

٧ – لومبارد ، الجغرافية التاريخية ، ص٢٤٠ .

٨ – هايد ، تاريخ التجارة ، ج١ ، ص١٩٠ .



قامت في بغداد مدابغ تعالج الجلود وتصنع منها المحفظات والأجربة والأحذية [1] . وكانت الدباغة من المهن المستهجنة في المجتمع الإسلامي وقد اختص بها عامة اليهود حيث كانت مدابغ البصرة وبغداد تشتهر بإنتاج نوعين من الجلود الدارش وهو جلد اسود واللكاع وهو جلد احمر [2] وهذه الجلود بعضها مخصص لصناعة الأحذية والنعال والخفاف فمن جلود الضأن تصنع أحذية تسمى السلف وهي اضعف من الماعز وأكثر لينا ومن جلود البقر يصنع حذاء يسمى السبت [3] ، وقد اختص اليهود بصناعة الأحذية وتصليحها وكان لهم سوق خاص بهم في الكرخ [4] ، وعمل بعض اليهود اسكافة وخرازين [5] .

واقبل الناس على اقتناء الأحذية وتفنن الحذائون في صنعها وكانوا يبطنونها بأنواع جيدة من الأقمشة والجلود ويذكر الجاحظ [6] : " إن الناس في عصره كانوا يلبسون الخفاف في الصيف كما في الشتاء " ، كما وجد في خزانة الخليفة الرشيد العديد من الخفاف أكثرها مبطن بالسمّور [7] وسائر أصناف الوبر [8] . وهذا دليل على تطور هذه الحرفة وازدهارها وتمكن أصحابها من تلبية حاجيات وأذواق المجتمع العباسي على اختلاف طبقاته .

- **صناعة الفسيفساء والقاشاني :**

---

[1] – الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٦ ، ص١٧٣ .

[2] –الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١١٢ .

[3] – سعد ، العامة في بغداد ، ص٢٢٠-٢٢١ .

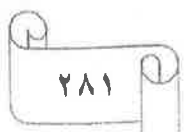
[4] –أبو يوسف ، الخراج ، ص١٢٤ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١١ ، ص١١ .

[5] – أبو يوسف ، الخراج ، ص٢٥٦ .

[6] –البيان والتبيين ، ج٣ ، ص١١٤ .

[7] – حيوان يشبه ابن عرس تسوى من جلده فراء غالية الأثمان . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، ص٣٧٨ .

[8] – سعد ، العامة في بغداد ، ص١٩٧ .



تعد مدن الشام كانطاكية واللاذقية وصور غيرها من أهم المراكز الواسعة لصناعة الفسيفساء [١] ، وهي فصوص صغيرة تكون أما من الزجاج الملون وبعضه شفاف كالجامات وأما من الحجر المعجون تغشى بالذهب ويطبق عليها زجاج رقيق ثم يعجن الشيد أي الجص ونحوه بالصمغ العربي ويبسط على الحائط وترصع فيه هذه الفصوص على أشكال مختلفة ونقوش محكمة تتألف منها صور ورسومات وكتابات تتلألأ بالذهب والأصباغ الزاهية والجميلة [٢] ، ومنه ما هو بجامع دمشق دمشق وقبة الصخرة ومدينة القدس [٣] .

وكانت معظم الكنائس والأديار مزدانة في جدرانها وسقوفها وهياكلها بهذه الفصوص المذهبة على أشكال شتى من التمثيل والتصوير وقد تنافس في صناعتها كل من النصارى الملكيين واليعاقبة والنساطرة من أهالي البلاد وتوارثها الخلف عن سلفهم بعد أن نقلوها وتعلموها من اليونان والرومان [٤].

فتعلم الشاميون صناعات الروم وصبغوها بالصبغة الشامية فصار لها طابعها المميز ، وإن طرائق الفن هي واحدة في كل هذه الأشغال ولكن لدمشق أسلوب خاص في صناعتها على عكس ما يشاهد في القسطنطينية وذلك لأنها اقتبسته من بيئتها الشرقية [٥] ، وقد تكون خارطة كنيسة مأدبا من الدلائل الأخرى على محلية هذا الفن وهذه الخارطة الفسيفسائية التي ترسم معالم البحر المتوسط حتى عمان والبتراء ومن دمشق حتى دلتا النيل ، وتبرز الخارطة مدينة القدس

---

١ –حتي ، تاريخ العرب المطول ، ص٤١٥ .

٢ – الزيات ، حبيب ، الفسيفساء وصناعها قديما وحديثا من الروم الملكيين ، بحث منشور في مجلة الشرق (بلا . م ، ١٩٣٧م) ص٣٣٩ .

٣ – حجازي ، أهل الذمة ، ص٢٠١ .

٤ – الزيات ، الفسيفساء ، ص٣٤٦ .

٥ – الزيات ، الفسيفساء ، ص٣٤٦ .

كمركز رئيسي كما تبرز نهر الأردن ، والكثير من المواقع في مدينة جبيل على شاطئ البحر المتوسط حتى قلعة الكرك ، فإنه من المنطقي أن لا يجهد الصناع الأجانب نفسهم ويفنوا نظرهم وهم يدققون في تقريب قطع الفسيفساء الصغيرة ليخلدوا مدن المنطقة ومراكزها الحضارية ، إن عملا من هذا النوع لا يمكن إلا أن يقوم به شخص أحب أرضه ومدنها وشعبها وتراثها [1] . كما تعود خارطة مأدبا إلى القرن الأول الهجري / السادس الميلادي وهو العصر الذي كانت تزدهر في مدينة مأدبا مدرسة فنية لتعليم فنون صناعة الفسيفساء وكانت قد أنشأت قبل ذلك بوقت طويل لأن دقة القطع الفسيفسائية التي تعود لذلك العصر تشير بوضوح إلى إن هذا الفن قد قطع مراحل متطورة إلى حد كبير ، علاوة على إن استمرار هذا الفن في أكثر من عهد واحد بشكل متطور يدل على إنه متوارث عبر الأجيال [2] ، وقد دونت المكتشفات الأثرية الكثير من أسماء عمال الفسيفساء المحليين [3] ، وتوجد في فسيفساء قبة الصخرة ببيت المقدس التي ترجع إلى سنة (٧٢هـ / ٦٩١م) أنواعا عديدة من الأشجار النخيلية ، واغلب الظن إن هذه الفسيفساء هي من صناعة الفنانين المسيحيين السوريين الذين استعاروا فيما استعاروه من الفنون السورية قبل الإسلام [4] .

وقد استخدم العرب المسلمون عندما فتحوا الشام التي كانت تحت الحكم البيزنطي العمال المحليين المتمرنين على القيام بالأعمال الفنية في عهد ما قبل الإسلام ، وقد عثر على أجمل الزخارف في قبة الصخرة وجامع دمشق وقصور خربة المفجر ، وفسرت المناظر التي جسدتها

---

[1] – عطية ، بديع ، التاريخ القديم ، بحث منشور في الموسوعة الأردنية (عمان ، ١٩٨٩م) ج١ ، ص٢٢٤ ؛ حجازي ، أهل الذمّة في العصر العباسي ، ص٢٠٢ .

[2] – عطية ، التاريخ القديم ، ص٢٢٤-٢٢٥ .

[3] – بيشة ، مناهضة الصور ، ص٣ .

[4] – ديماند ، الفنون الإسلامية ، ص٣٥ .

لوحات الفسيفساء في هذه العمائر أنها ربما تصور مدينة دمشق ومن المرجح إن العمال السوريين قد نقلوا فكرة رسم هذه المناظر في زخارف الفسيفساء من نماذج قديمة ، حيث وجدت زخارف بها موضوعات مشابهة في فسيفساء كنيسة بروما سيدت في عهد الملك جستنيان مع اختلاف بسيط [١] ، وإن صناعة القاشاني قد اشتهرت وراجت في دمشق إلى جانب صناعة الفسيفساء ، والقاشاني اسم يطلق على نوع من القرميد المسقول ذو الشكل المسدس وقد رسمت عليه أحيانا صور زهور مألوفة ويستعمل لتزويق الأبنية والجدران من الداخل والخارج وكان ابرز ألوانه الأزرق النيلي والأزرق الفيروزي والأخضر ثم الأحمر والأصفر أحيانا وكان هذا الفن معروفا منذ القدم عند البابليين والكلدانيين والأشوريين وظل مألوفا في دمشق حتى أواخر القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي [٢] ، كما انتشرت صناعة القاشاني في مدينة القدس وكانت صناعتها بيد الأرمن [٣] . ويبدو أنهم توارثوها عن أجدادهم فامتازوا بها .

- **صناعة الخمور:**

ساهمت عهود الصلح التي اقرها المسلمون مع اهل البلاد المفتوحة ببقاء صناعات يحرمها الدين الإسلامي ، فاشتهر النصارى من أهل الذمّة بصناعة الخمور لاسيما نبيذ العنب ، إذ أباحت لهم هذه العهود تناولها وبيعها وشراءها دون إظهارها [٤] .

---

١ -علام ، نعمت إسماعيل ، فنون الشرق الأوسط – الفنون الإسلامية ، دار المعارف (مصر ، بلا . ت) ص٣٢-٣٣ .

٢ – حتي ، تاريخ العرب ، ص٤١٥ .

٣ – ربابعة ، احمد ، الصناعة في فلسطين في العصور الحديثة ، بحث منشور في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (عمان ، ١٩٨٣م) مج٢ ، ص١٧٣ .

٤ – الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٢٩٤ .

فأختص أهل الذمّة بصناعة الخمور والأنبذة ، وفي ذلك قال الجاحظ [١] : " من تمام آلة الخمّار أن يكون ذميا أو يكون اسمه أذين أو مشيا أو شلوم أو مازيار ويكون أرقط الثياب مختوم العنق " ، وتختلط في هذا النص أسماء مجوسية ونصرانية ويهودية ، بل كانت شرابا مقدسا عند بعضهم ، حيث أجاز النصارى شرابها في أعيادهم الدينية كعيد الميلاد وعيد الفصح والشعانيين [٢] .

كما أباحت الديانة الزرادشتية شربه في عيد المهرجان للفرس [٣] ، وعدوا منافعها واعتبروها علاجا لبعض الأمراض ، إذ إنها تذهب الحشمة والهموم والسموم وتصفي البشرة والدم وتفتح الذهن وتهيج الطعام والشهوة [٤] ، وكان أفضل أنواع الخمور تلك التي عتقت في كركين [٥] أو التي عتقها يهود سورا أو تلك التي أنتجت في محل دير الروم [٦] ، كما اكتسب نبيذ قطربل شهرة خاصة وهي محلة اختصت بالنصارى يقصدها كبار القوم والراغبون في تناول الخمر وممارسة بعض اللهو [٧] .

واخذ أهل الشام عن الروم نوعا من الخمور ممزوجا بالعسل ونقلوا اسمه الرومي وهو الرساطون ولم يكن يعرفه العرب من قبل [٨] .

---

١ -البيان والتبيين ، ج١ ، ص٩٢ .

٢ -الشابشتي ، الديارات ، ج٩ ، ص٦٤ .

٣ -المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص١٠٣ ؛

٤ - الجاحظ ، رسائل الشارب والمشروب ، ج٤ ، ص٢٠٣ .

٥ -من قرى بغداد ينزلها النصارى . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٥١٥ .

٦ - سعد ، العامة في بغداد ، ص٤٨ .

٧ -التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٣ ، ص١٠٧ ؛ الجاحظ ، الحيوان ، ج٥ ، ص٣٨١ .

٨ -أمين ، فجر الإسلام ، ج١ ، ص١١٨ .

وقاد مارس أهل الذمّة من النصارى أنشطتهم الزراعية في مناطقهم التي استوطنوا فيها مثل موقع "عمر الحبيس" في مدينة سعرت الواقعة في ديار بكر إذ إن اعدادا كبيرة من الرهبان فاقت الأربعمائة راهب فضلوا السكن في هذه المنطقة ، نظرا لكثرة كرومها ، فعملوا في زراعة الكروم التي استغلوها لصناعة الخمر ، واخذوا يصدرونه إلى باقي مدن ديار بكر ، ولكي يحافظوا على هذه الكروم انشأوا ثلاثة أرحّاء لإدارة الماء لتسقي هذه الكروم [1] .

وهناك مدن أخرى في العراق نسب إليها الخمر مثل مدينة سورا من أرض بابل واهلها من الذميين السريان ، وهناك أراضي في شمال العراق غنية بأنواع العنب الذي أنتج منه النصارى الخمور المختلفة ، فأصبح لهم معرفة بأنواع الخمور الجيدة ، وبسبب تحريم الشريعة الإسلامية على المسلم مزاولة هذه المهنة لذلك إختص بها أهل الديانات الأخرى كاليهودية والنصرانية [2] .

ولعل من الأسباب التي ساعدت على ازدهار صناعة الخمور في العراق وبلاد الشام ومصر ، هو إن هذه الأمصار كانت غنية بأنواع العنب الجيد وغيره من الفواكه ، إلى جانب وجود عدد كبير من اليهود والنصارى والمجوس ، ومن ثم فإن صناعة الخمور وأماكن شربها كانت في اغلب الأحوال أجنبية في الدولة الإسلامية ، وتخصص بصناعة الخمور النصارى واليهود [3] ، فأشتهر بصناعتها سكن العديد من القرى القرى والمدن الشامية وغيرها ، وذلك لكثرة ما كان يزرع فيها من الكروم ، وكانت مدينة بيت رأس [4] من المدن القديمة التي اشتهرت بخمورها واستمر سكانها في صناعة الخمور في العصور اللاحقة.

---

١ – الشابشتي ، الديارات ، ص١٩٨ .

٢ – الشابشتي ، الديارات ، ص٦٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦ ، ص٦٠٨ .

٣ – أبو يوسف ، الخراج ، ص١٢٧ ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص١٨٥ .

٤ – بيت راس : اسم لقريتين فيهما كروم كثيرة ينسب اليها الخمر احدها بالبيت المقدس وقيل بيت رأس كورة بالأردن والأخرى من نواحي حلب . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٥٢٠

وتعد مدينة صرخد [1] من المدن التي أشارت إليها بعض المصادر بأنها قد اشتهرت بصناعة الخمور ، فقال فيها الشاعر [2] :

ولذا كطعم الصرخدي تركته   بأرض العدى من خشية الحدثان

ومن القرى التي اشتهرت بصناعة الخمور أيضا قرية جدر [3] ونسبت إليها صناعته فقال في ذلك الأخطل [4] :

كأنني شارب يوم استبد بهم   من قرقف ضمنتها حمص أو جدر

وقال الشاعر أيضا[5] :

فما أن رحيق سبتها التجا   ر من أذرعات فؤادي جدر

ولكثرة الأعناب في بعلبك فقد اشتهرت هي كذلك بصناعة الخمور[6]، الخمور[6]، واشتهرت مدينة صيدنايا بكثرة كرومها وخمرها الفائق [7] ، ، ومن أطيب الخمور خمور القدس إذ قيل عن خمرها " ليس لمعتقها نظير " [8] .

وكان الرهبان أرباب خبرة واسعة في صناعة الخمور وكان المولعون به من المسلمين من أهل الشأن وغيرهم يغشون الأديرة فيجدون صدورا رحبة فيشربون ويطربون ، ولم ينفرد النصارى بصنع

---

[1] – صرخد : مدينة بالقرب من حوران من أعمال دمشق ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤٠١ .

[2] – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤٠١ .

[3] – جدر : قرية بين مدينة حمص ومدينة سلمية ، وقيل أنها قرية في الأردن . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص١١٣ .

[4] – الأخطل ، ابو مالك التغلبي (ت : ٩٢هـ / ٧١٠م) ديوان الأخطل ، شرح راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي (لبنان ، ١٩٩٢م) ص٧٨ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٥٢٠

[5] – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص١١٤ .

[6] – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٦٠ .

[7] – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤٣٨ .

[8] – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٦٠ .

الخمور وبيعها بل شاركهم في الاتجار بها اليهود فكانوا يصنعونه في بيوتهم وخماراتهم ويبيعونه للرحالة وغيرهم [1] .

وفي مدينة حمص خمارات عديدة لليهود فقد روى الحموي في معجمه إن الشاعر أبا نؤاس اجتاز مدينة حمص فرأى كثرة خماريها وشهرة الشراب فيها ، فأعجبه ذلك وأقام بها مدة مغتبطا ومصطحبا وكان في المدينة خمار يهودي يقال له " لاوي " فقال لأبي نؤاس : كيف وجدت مدينتنا وحالنا فيها ؟ فأجابه أبو نؤاس فقال : حدثنا جماعة من رواتنا إن هذه هي الأرض المقدسة .. فقال له الخمار : أيهما أفضل عندك هذه الأرض أم قطربل ؟ فقال : لولا صفاء شراب قطربل وركوبها كاهل دجلة ما كانت إلا بمنزلة حانة من حاناتها [2] ، إلا إن خمور النصارى كانت يحبها الشاربين أكثر من غيرهم ولاسيما معتقات الأديار حيث تميز الخمارون من النصارى باعتصارها وتميزوا بنظافة أنيتهم وحسن ملبسهم وأجادوا في اختيار الأشربة وتصنيعها [3] .

وكانت للنصارى طرقهم في تطييب طعمه ورائحته [4] ، وأطيب أنواع الخمور ما صنع من العنب الأحمر ، أما أمتنها وأكثرها تغذية وتقوية ما صنع من العنب الأسود [5] ، كما كانوا يصنعون الخمور من عصير التين ومن البر والشعير والأرز وسائر الحب ، وكانوا يشربونها

---

[1] - الأصبهاني ، الديارات ، ص١٥٤-١٥٥ .

[2] - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٧١ ؛ اسعد ، منير ، تاريخ حمص ، مطرانية حمص الأرثوذكسية (بلا . م ، ١٩٨٤م) القسم الثاني ، ص١٥٣ . قطربل : قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٧١ .

[3] - الزيات ، الديارات ، ص٣٢٢ .

[4] - قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص٥٦ .

[5] - قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص٦٠ .

ويسكرون فيها ، وكذلك صنعوها من العسل وهو يقارب شراب العنب إلا أن شراب العنب اشرف هذه الأشربة وأكثرها منافع [١] .

وكانت في بعض الأحيان تفرض القيود على بيعه وتداوله ، وهذا الأمر بلا شك سيؤثر على صناعته ، ففي سنة (٢٢٣هـ / ٨٣٨م) سعى أحد أبناء الخليفة العباسي المعتصم ويسميه ميخائيل السرياني " عدو النصارى " باستصدار أمر من أبيه بعدم السماح بإظهار الخمر في أي مدينة أو أي طريق فصار الناس يومئذ طعمة للعمال الذين كانوا يتشددون أو يترفقون في تنفيذ هذا الأمر حسبما يشاؤون أو بقدر ما يأخذون [٢] .

وفي عهد الخليفة المتوكل أمر بمنع الخمور في جميع الأمصار واصدر أمرا بأن لا يباع ولا يشترى حتى صار لا يوجد خمر يرفع به النصارى قداسهم فصاروا يأخذون عيدان الزرجون ويبلونها بالماء ويعصرونها حتى لا يعدموا القربان [٣] .

- **صناعات أخرى:**

برز أهل الذمّة بعدة صناعات منها صناعة الشمع والعسل [٤] ، وصناعة المأكولات المشتقة من الحيوانات كاللبن والسمن والجبن [٥] ، واشتهروا بصناعة الورق والأقلام والمداد فاشتهرت مدينة طبرية بصناعة الكاغد الجيد [٦] ، وكانت طرابلس قد اشتهرت بمصانع الورق

---

[١] – قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص٦٠ .

[٢] – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٨٩ .

[٣] – ابن المقفع ، سير البيعة المقدسة ، مج٢ ، ج١ ، ص٤ .

[٤] – ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص٨٧ ؛ الغزي ، نهر الذهب ، ج١ ، ص٩٤ .

[٥] – ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص٨٧ ؛ ربابعة ، احمد ، الصناعة في فلسطين في العصور الحديثة ، بحث منشور في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (عمان ، ١٩٨٣م) ص١٦٦

[٦] – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٨٠ ؛ ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص٨٧ .

وكانوا يصنعون بها الورق الجميل مثل الورق السمرقندي بل أحسن منه [1] ، وكان الورق القادم من دمشق أو طرابلس أو من صور إلى مصر يدفق من الأسواق قبل حلول الظلام ويكون عليه علامة تجارية تشير إلى مكان الصنع واسم الصانع [2] .

أما الأعمال الوضيعة والتي انف العرب من امتهانها كالقصابة والحجامة والدلالة والحياكة فقد كانت جميعها من مهن اليهود [3] ، كما عملوا في صناعة المفروشات من سعف النخيل ، وفيما لو احتاجت البيوت أو مساجد المسلمين لهذه المفروشات فان الذميين يقومون بحياكتها ، يقومون بفرشها بأنفسهم في تلك المساجد ، وهو ما أثار اعتراض بعض العلماء [4] ، كما كان لبعض اليهود صناعات صغيرة يعتاشون منها ، ففي القاهرة مثلاً توجد ثلاثة مطابخ " مصانع " للسكر يملكها يهود ، فضلاً عن سوق خاص بهم فيها [5] .

وقد برز أهل الذمّة في الصناعات والمهن المختلفة ، فكان اليهود يقومون بأعمال الحجامة والقصارة [6] ، وقد برع أهل الشام بصناعة ماء الورد الذي كان يعتبر دواءً لعلاج الأمراض [7] ، كما كان لهم في الأسواق دكاكين خاصة فمنهم العطارون [8] ، وباعة الطعام بمختلف

---

١ – ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص٤٨.

٢ – أبو يوسف ، الخراج ، ص٨٠ .

٣ – الجاحظ ، رسائل ، ج٣ ، ص٣١٦ ؛ الأبشيهي ، المستطرف ، ج٢ ، ص٣٢٢ .

٤ – ابن الحاج ، المدخل ، ج٢ ، ص٢٣٢-٢٣٣ .

٥ – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٧٣ .

٦ – أبو يوسف ، الخراج ، ص٦٩ ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٧٣ ؛ متز ، الحضارة الإسلامية ، ص٥٣ .

٧ – كرد علي ، خطط الشام ، ج٤ ، ص١٥٧ ؛ حتي ، تاريخ العرب ، ج٢ ، ص٤٣١-٤٣٢ .

٨ – النويري ، نهاية الأرب ، ج١٢ ، ص٨٣ .

أنواعه [1] ، وكذلك برعوا بصناعة الخل وتجفيف التين ليصبح " قطينا " وتجفيف العنب ليصبح زبيبا [2].

كما تعاطى عامة أهل الذمّة مهنة الحجامة ، وتحدث التنوخي [3] عن عن رومي مزين فكان الحجامون يجلسون على الطريق في الشوارع ويتعاطون قص الشعر [4] .

١ – التوحيدي ، ابو حيان (٤١٤هـ /١٠٢٣م) الرسالة البغدادية ، تحقيق : عبود الشالجي (بيروت ، ١٩٨٠م) ص١٦٥-١٦٦.

٢ – ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١٦٦ ؛ قسطوس ، الفلاحة الرومية ، ص١٠٥ .

٣ –نشوار المحاضرة ، ج٣ ، ص٤٣ .

٤ –الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٦ ، ص٢٥٨ .

المبحث الثالث
الإسهامات التجارية

التجارة لغةً : التاجر في اللغة هو الحاذق أو المدرك ، فيقال إنه تاجر بالأمور أي حاذق بها [1] .

التجارة اصطلاحاً : جاءت بمعنى البيع والشراء [2] ، ولابد من وجود وسيط لإتمام هذه العملية والذي يسمى بالتاجر [3] . وجمع تاجر هو " تجار " [4] ، وكذلك جاء الجمع بصيغة " تجر" قال الشاعر[5] :

إذا ذقت فاها قلت طعم مدامة معتقة مما تجيء به التجر

فالتجارة تحتاج إلى معرفة عميقة بالبضائع والسلع الاستهلاكية وغيرها ومعرفة مناشئها وأسعارها ونوعيتها ومعرفة تصريفها حسب حاجة الناس ، ولهذا وجب على من يعمل بهذه المهنة أن يكون حاذقا ومدركا وخبيرا بها [6] ، وبمرور الوقت أطلق اسم التاجر على الوسيط المهني الذي اتخذ من عملية التبادل مهنة له ، وشمل هذا المصطلح جميع العاملين في البيع والشراء [7] ، وكذلك فهي محاولة الربح عن طريق عملية البيع والشراء وذلك بتشغيل المال المتوفر لدى شخص معين عن طريق شراء السلع في أوقات توفرها ورخص أسعارها ثم بيعها بعد ذلك بسعر يفوق سعر

---

١ – الصفاني ، الحسن بن محمد بن الحسن ، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : إبراهيم إسماعيل الأبياري ، دار الكتب (القاهرة ، ١٩٧١م) ج٢ ، ص٤٣٠ ؛ الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج١ ، ص٣٩٣ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٣ ، ص٦٦ .

٢ –ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ، ص١٥٦ .

٣ – الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، ج١ ، ص٣٩٣ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٣ ، ص٦٦ .

٤ – ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ، ص١٥٦ .

٥ – ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي ، المخصص ، المكتب التجاري للطباعة (بيروت ، بلا . ت) ج٣ ، ص٢٦١ .

٦ – هفننج ، مادة التجارة ، دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة محمد ثابت واحمد الشنتاوي وآخرون (طهران ، ١٩٣٣م) ج٤ ، ص٥٨١ .

٧ – هفننج ، مادة التجارة ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج٤ ، ص٥٨١ .

شرائها بنسبة معينة فينتج عن ذلك الربح ، أو قد يكون العكس حسب وضع السوق مما قد يسبب الخسارة أيضا ، وقد وضح ابن خلدون (١) التجارة في عبارتين وهما " اشتر الرخيص ، وبع الغالي وقد حصلت التجارة " .

وإن حاجة الناس في مكان معين لسلعة معينة يتوجب نقلها إلى هناك حيث تكون الحاجة لها كبيرة ، وهو ما ينمي التجارة هناك . وقد ازدهرت التجارة في أقاليم المشرق الإسلامي وغيره بعد أن تنوعت حاجات الإنسان وتحول من دور التنقل إلى دور الاستقرار ، ونظرا لإزدياد متطلبات الإنسان في الحياة وعجزه عن توفير تلك الحاجات بنفسه ، اضطر إلى الحصول عليها عن طريق تبادل السلع وذلك بالقيام بعملية نقل البضائع والمنتجات المختلفة الفائضة عن حاجة الناس في مناطق معينة إلى حاجتهم في مناطق أخرى (٢) ، وتكاد تكون التجارة الحرفة الرئيسية الوحيدة التي ينظر إليها العرب باحترام وتقدير ، ويعتبرونها من اشرف المهن (٣) ، وقد وردت كلمة التجارة في مواطن كثيرة من القران الكريم كما في قوله ﷻ : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ (٤) ، وقوله ﷻ : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (٥). رفع رسول الله ﷺ منزلة التجار وسماهم بذلك بعد أن كانوا يسمون عند العرب بالسماسرة إذ جاء في قوله ﷺ : " كنا

---

[١] – ابن خلدون ، العبر ، ج٣ ، ص٩١٥ .

[٢] – اليوزبكي ، توفيق سلطان ، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي ، نشر مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر (جامعة الموصل ، ١٩٧٥م) ص٥٢ .

[٣] – علي ، المفصل ، ج٧ ، ص٢٢٧ .

[٤] – سورة النور ، الآية : ٣٧ .

[٥] –سورة الجمعة ، الآية : ١٠–١١ .

نسمى في عهد رسول ﷺ بالسماسرة فمر بنا رسول الله ﷺ فسمانا بأسم هو أحسن منه ، فقال : يا معشر التجار ... " [1] .

وقد اهتمت الدولة العربية الإسلامية بطرق التجارة بأنواعها البرية والبحرية والنهرية ، وذلك من خلال اهتمامها بالتجارة بشكل عام فقد أنشأت على طول هذه الطرق محطات استراحة تحتوي على منازل يأوي إليها التجار بأمتعتهم ودوابهم وتسمى " الخانات " [2] ، إذ كانت موجودة في المدن الإسلامية [3] ، ويقيم فيها التجار الذين يقومون بعملية التبادل التجاري [4] ، فقد اهتم الخلفاء والأمراء بإنشاء الطرق التجارية وإصلاحها [5] ، وتقسيمها إلى مراحل وإيجاد فنادق للتجار [6] .

، وكان أهل الذمّة من اليهود كما تشير بعض المصادر يحتكرون تجارة الذهب واللؤلؤ واعمال الصيرفة [7]وقد نالوا في بلاد الشام حظهم من الازدهار التجاري كبقية أفراد المجتمع فكان لهم دور واضح في التجارتين الداخلية والخارجية وامتلك التجار منهم المقومات والأسس التي تساعدهم على الاشتغال بالتجارة فتوفر لديهم رأس المال ومهروا في أعمال الاقتصاد وأصول التجارة وفنون الحساب وتعدد اللغات التي تفيدهم في التعامل مع التجار الأجانب [8] ، اذ شارك أهل

---

1 - ابن ماجة ، السنن ، ج٢ ، ص٧٢٦ .

2 - كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ، ص١٥٥ ؛ حسن ، محمد صديق ، تجارة العراق مع بلدان المشرق في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ١٩٧٥م) ص١١٢ .

3 -مسكويه ، تجارب الأمم ، ج١ ، ص٢٣ .

4 - ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٣٦٢ .

5 -وكيع ، أخبار القضاة ، ج٣ ، ص٢٨٦ ؛ مدور ، جميل نخلة ، حضارة الإسلام في دار السلام (المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٩٣٥م) ص١٠٧ .

6 - ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص٣٦٥ .

7 - التطيلي ، الرحلة ، ص٩٩ ؛ الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٧ ، ص١٦٧ .

8 - الغزي ، نهر الذهب ، ج١ ، ص٢٠٤ ؛ ليونهارت ، رحلة المشرق ، ص٣١ .

أهل الذمّة بتنشيط حركة التجارة في بلاد الشام في العصر الأموي ، وبرز منهم تجار كفوئين ، وتذكر بعض الروايات إن التجار اليهود مارسوا تجارة الحبوب [١] .

ومارسوا كذلك تجارة السيوف والمنسوجات والفراء والجواري والغلمان [٢] ، وورد لليهود ذكر في تجارة الحيتان بآيلة [٣] ، وقد امتلكت بعض العائلات اليهودية المراكب والسفن وقد جابوا بها البحار شرقا وغربا لغرض التجارة [٤] ، وعمل بعضهم كوكلاء للتجارة في مدينة الرملة [٥] ، وللذين يجوبون البحار من تجار اليهود اسم " الرازانية " اطلقه عليهم ابن خرداذبة في كتابه المسالك والممالك[٦] .

كما كان لأهل الذمّة من اليهود دورا كبيرا في نقل البضائع من الهند والصين إلى بلاد الشام والعكس ، يقول ابن خرداذبة [٧] : " إنهم يمضون إلى الهند والسند فيحملون من الصين المسك والعود والكافور... وإن شاءوا حملوا تجارتهم من فرنجة في البحر الغربي ، فيخرجون بإنطاكية ويسيرون على الأرض ثلاثة مراحل إلى الجابية " ، وبهذا فقد أدى اليهود دور الوسيط التجاري في نقل البضائع والسلع بين المغرب والمشرق بالإضافة إلى دورهم في عمليات البيع والشراء [٨] .

أما أهل الذمّة من النصارى فقد كفلت لهم عهود الصلح حرية العمل والتنقل كما ذكر البلاذري [٩] من إنه جاء في كتاب الأمان لأهل بعلبك : " لتجارهم أن يسافروا حيث أرادوا من البلاد التي صالحنا عليها " ، وبموجب هذا العهد تمكنوا من

---

١ – ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر (تونس ، ١٩٨٤م) ج٣ ، ص١٩٠ .

٢ – ابن خرداذبة ، المسالك ، ص١٥٣–١٥٤ .

٣ – الطبري ، جامع البيان ، ج١ ، ص٢٦٢ .

٤ – التطيلي ، الرحلة ، ص٩١–٩٢ .

٥ –ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٦ ، ص٣٢ .

٦ – ص١٥٣ .

٧ – المسالك ، ص١٥٣–١٥٤ .

٨ – ابن خرداذبة ، المسالك ، ص١٥٣–١٥٤ .

٩ – فتوح البلدان ، ص١٣٢ .

السيطرة على أعمال التجارة في بلاد الشام [١] ، وكانوا يحملون أخبار بلاد الشام إلى الحجاز وهم ينقلون السلع التجارية[٢] ، فكان الأنباط في بلاد الشام ينقلون تجارتهم من الحبوب والزيت منها إلى الحجاز [٣] ، ومنهم التاجر سيمونا البلقاوي [٤] [٤] . وقد كان عامل السوق في المدينة يأخذ من التجار النبط على الزيت والحنطة نصف العشر [٥] .

وكانت تجارة الرقيق رائجة في الدولة العربية الإسلامية ، والتعامل بالعبيد منتشر عند العرب شأنهم بذلك شأن بقية الأمم آنذاك ، فكان في بغداد قطائع خاصة لبيع الرقيق فيها عرفت بدار الرقيق ، يجلب فيها الرقيق من مختلف المناطق ويباع فيها ' ويجتمع في شارع الكرخ باعة الرقيق ، فأصبحت في بغداد أسواق خاصة لبيع الرقيق ومدن أخرى عرفت بأسواق النخاسين [٦] ، حيث سمي تجار الرقيق بالنخاسون [٧] . واشتهر كثير من النخاسين في الدولة العربية الإسلامية وكان اكثرهم من اليهود ، إذ أنهم تمسكوا بها لما فيها من ارباح كبيرة لهم [٨] ، واستوردوا واستوردوا الرقيق من مختلف الجهات بنوعيه الأسود والأبيض وخير ما كان يجلب

---

١ - ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمّة ، ص٧٠ .

٢ -البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٤٠ .

٣- الطبري ، جامع البيان ، ج١١ ، ص٤٤ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص١٨٠-١٨١ ؛ الشريف ، أهل الذمّة ، ص١٢٩ .

٤ - ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٣٨٣ .

٥ - ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمّة ، ص١٥٥-١٥٦ .

٦ - اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٤٨ .

٧ - لومبار ، موريس ، الإسلام في مجده الأول القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري ، ترجمة : إسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للفنون (الجزائر ، ١٩٨٤م) ص٧٦ ؛ امين ، أحمد ، ضحى الإسلام ، مطبعة لجنة التأليف (القاهرة ، ١٩٤٦م) ج١ ، ص٨٥ .

٨ - غنيمة ، نزهة المشتاق ، ص١٣٣ ؛ فهمي ، نعيم زكي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، ١٩٧٣م) ص٢٢٣ .

من الرقيق الأبيض من بلاد الترك [١] ، وقد آثر اليهود والنصارى تجارة الرقيق فوجدوا دائما في أسواق الرقيق [٢] ، وقد شاعت تجارة الرقيق وكان التجار يحضرونهم من أماكن متعددة فكان الخدم الصقالبة والروم والفرنجة واللومبارد والجواري الروميات والأندلسيات يأتون بهم من البحر الغربي [٣] ، كما احضروا من من الصين الحرير والثياب الحريرية والديباج والخصيان والجواري ، ومن الخزر العبيد والإماء والدروع والمعافر [٤] ، ومن النوبة الرقيق [٥] ، ومن الغرب الرقيق والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز [٦] ، ومن خوارزم السيوف والدروع ومن الصقالبة الرقيق ، ومن فرغانة الرقيق من الأتراك [٧] ، وكان للرقيق أسواق خاصة في بلاد الشام فكان في سوق الرقيق في مدينة حلب اجناس من الرقيق من الجركس والترك والروم وسائر الأجناس [٨] ، كما وجد في دمشق ثلاثة أسواق مخصصة لبيع لبيع الرقيق ويجري البيع في هذه الأسواق في يومين الإثنين والخميس ومعظم رواد تلك الأسواق كانوا من الأثرياء من أهل البلد [٩] ، وقد جاء الوصف لسوق الرقيق في في مدينة سامراء في كتاب البلدان لليعقوبي فقال [١٠] : " وسوق الرقيق في مربعة فيها طرق متشعبة فيها الحجر والغرف والحوانيت للرقيق " ، وربما كان هذا الوصف مشابها لأسواق الرقيق في مدن بلاد الشام ، وقد صادف وجود برنارد

---

[١] – لسترانج ، كي ، بلدان الخلافة الشرقية ، ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة (بغداد ، ١٩٥٤م) ص٤٧١ ؛ حسن ، تجارة العراق مع بلدان المشرق ، ص١٥٦ .

[٢] – حجازي ، أهل الذمّة ، ص٢٢٩ .

[٣] – ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١٢ .

[٤] – الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص٣٤ .

[٥] – ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص٨١ .

[٦] – ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١٥٣ .

[٧] – المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٣٢٥ .

[٨] – ابن الشحنة ، الدر المنتخب ، ص٢٥٤ ؛ حجازي ، أهل الذمّة ، ص٢٣٠ .

[٩] – العلبي ، اكرم حسن ، خطط الشام ، دار الطباع (دمشق ، ١٩٨٩م) ص٤٤٧-٤٤٨ .

[١٠] – ص٣٦٠ .

الحكيم وجود ثلاث سفن هناك تحمل ثلاثة آلاف من الرقيق المسيحيين لحملها إلى البلاد العربية (١) .

ونشطت تجارة أهل الذمّة في المواسم والأعياد تبعا لإزدياد العرض والطلب ، فقد انشئت الأسواق الكبيرة وازدادت حركة البيع والشراء في باحات الكنائس في المناسبات الدينية ومن تلك الأسواق ما كان يرتبط بقدوم الحجاج من النصارى إلى مدينة القدس فقد تحدث أحد الحجاج واسمه أركولف (Arculf) الذي زار البلاد سنة (٨١هـ / ٧٠٠م) أي في خلافة عبد الملك بن مروان ، وأقام في مدينة القدس تسعة شهور فقال (٢) : " إنه في عيد الصليب الذي يصادف في - ١٥ أيلول - تتجمع في القدس أعداد كبيرة من جنسيات مختلفة للتجارة وكانت تتحول شوارع مدينة القدس إلى مجمع للقاذورات وأرواث الدواب من الخيل والجمال والبغال ، ما يجعل المشي عليها مستحيلا ، إلا إن العناية الإلهية كانت ترسل أمطارا غزيرة فتنظف كل هذه الأوساخ " ، وبعد الانتهاء من عيد الصليب كانت بعض البضائع تكسد مثل الحرير والزيت (٣) ، ولعل مثل هذه الأسواق كانت تقام في باقي المزارات المزارات التي يقصدها الحجاج بدليل ما قاله ياقوت الحموي (٤) : " إنه في جبل الطور المطل على طبرية على رأسه بيعة واسعة محكمة البناء مؤنقة الأرجاء يجتمع في كل عام بحضرتها سوق " ، كما كان التجار النصارى واليهود يرافقون الحجاج المسلمين إلى بلاد الحجاز إلا انه لم يكن يسمح لهم بمصاحبتهم إلى ابعد من مدينة العلا (٥) التي كانوا يبيعون بها الحجاج الزاد وغيره (٦) ، وكان التجار يرافقون

---

١ - ابن الشحنة ، الدر المنتخب ، ص٢٦١ .

٢ -حجازي ، أهل الذمّة ، ص٢٢٨ .

٣ -ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٤٦ .

٤ - معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٤٧ .

٥ - العلا : اسم لموضع من ناحية وادي القرى ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٤٤.

٦ - ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص١٠٨ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١٣ ، ص٣٦٠ . وسبب منع أهل الذمّة من الدخول الحجاز وذلك لأن الرسول ﷺ كان قد اجلاهم منها ، الشافعي ، الام ، ج٣ ، ص٢١٦.

الحملات العسكرية ويقيمون أسواقا تجارية في معسكرات الجند [1]. لم تقتصر صادرات التجار على التمور والفواكه كالعنب والرمان وأنواع الحمضيات التي كانت منتشرة في المشرق والخضر والقمح والشعير والأرز فحسب ، بل صدر الشراب إلى جزيرة " سرنديب " إذ إن ملوكها كانوا يفضلون المشروبات وخاصة الخمور التي كانت تحمل إليهم من العراق[2] ، والمعروف إن اغلب التجار الذين كانوا يتاجرون بالخمور هم من اليهود[3]، ومن بين الأسواق المتخصصة سوق بيع الشراب الذي عرف بسوق الداذي الذي كان يباع فيه الأنبذة والخمور بشكل سري [4] . وقد اختص تجار أهل الذمّة ببيع الخمور والأنبذة من خلال إشرافهم على الحانات والخمارات التي كانت منتشرة في الأمصار ، وأن اقتصرت في بداية.الأمر على محلاتهم ومناطق تجمعهم ولاسيما في الأديرة ، حيث يروي الشابشتي في كتابه الديارات [5] : إن الأديرة قد تحولت إلى دور واسعة لشرب الخمور واللهو على غرار دير سمالو ودير الثعالب ببغداد ودير أشمولي بقطربل ودير النجت بدمشق ودير طمويه بحلوان بمصر وكانت هذه الأديرة تقدم لروادها من المسلمين وغيرهم الخمر المعتقة . كما كانت بساتين ضواحي بغداد وقطربل وعكبرى وشط الصراة تمتلئ بالحانات ويلجأ إليها الشعراء والفتيان للشرب[6] . غير إن هذه الحانات لم تلبث أن انتشرت في محلات بغداد المأهولة وأسواقها ، فقامت في الكرخ وباب

---

1 - التلمحري ، التاريخ المنحول ، ص١٤٥ ، ١٥٦ .

2 - ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص٦٧ ؛ المروزي ، شرف الزمان طاهر ، (ألف الكتاب سنة ٥١٤هـ /١١٢٠م) ، أبواب في الصين والترك والهند منتخبة من كتاب طبائع الحيوان ، تحقيق : مينور سكي (طبعة لندن ، ١٩٤٢م) ص٥ ؛ ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج١ ، ص٢٥٣ ؛ حسن ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٣١٨ .

3 - غنيمة ، نزهة المشتاق ، ص١٣٥ .

4 - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١١٦ ؛ سعد ، العامة في بغداد ، ص٢٥٣ .

5 - ص٩ ، ١٦ ، ٣٠ ، ١٣٧ ، ١٩٤ .

6 - الشابشتي ، الديارات ، ص٣٠ ، ٤٠ ، ٦٠ ، ٩٦ .

الطاق وسوق العطش والرصافة [1] . وقد ذكر أسماء الشراب وأنواعها عند بيعها ، وكان اغلب أصحاب هذه الحانات من اليهود وكانت تضم السقاة الذين كانوا في الغالب من النصارى واليهود والمجوس وكانوا يزينون رؤوسهم بأكاليل الزهر والزيتون وقاعة الشرب بالرياحين [2] . وبذلك تفنن أهل الذمّة في تزيين أماكن الشرب وتنميقها وتشييع جو البهجة والسرور فيها لاستمالة الشاربين واللاهين ، وكانت هذه الحانات مقصد للشعراء الماجنين حيث ذكروا في أشعارهم خمرها ونشوتها وسقاتها ، ومن ثم يتبين لنا أن الخمر ليس وحده ذو أصل أجنبي بل أيضا أماكن شربه كانت أجنبية فضلا عن أصحابها ، فإن السقاة كانوا أجانب في أزيائهم وديانتهم أما يهودا أو نصارى أو مجوسا ، وفي هذا الصدد يذكر جاك ريسلر [3] : " إن الناس يتزودون بالخمر من الأديرة المسيحية وكانوا يمضون لإحتسائها في مطاعم صغيرة يديرها يهود " ، وعليه فقد صارت تجارة الخمور وبيعها وطريقة تقديمها تقليدا ملازما لأهل الذمّة ، حتى رسخ في ذهن شاربها إن الخمرة لا يبيعها إلا ذميا .

وقد ساهم أهل الذمّة ولاسيما اليهود بتنشيط الحركة التجارية في الدولة وخارجها بتعاطيهم مختلف أنواع التجارات المعروفة في ذلك الوقت وقد ساعدهم في ذلك تكدس الأموال والثروة في أيديهم ، فقد كان اغلب أهل المال في الشام هم من اليهود[4] ، وكانت التجارة مركزها الأسواق وشأنها شأن الصناعة ، فقد وصف اليعقوبي السوق الكبرى في بغداد وهي الكرخ التي تقع في جانبها الغربي فقال [5] :

---

1 -التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص٣٥٦ ؛ التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ج٢ ، ص١٢٥ ، ١٦٧.

2 - الثعالبي ، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت : ٤٣٠هـ / ٩٣٩م) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٧٣م) ج٢ ، ص١٧٠.

3 -الحضارة العربية ، ص١٤٩ .

4 - الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج٣ ، ص٣٣٣ ؛ أمين ، ضحى الإسلام ، ج١ ، ص٣٢٥ .

5 - البلدان ، ص٢٤٦-٢٤٧ .

: " ولكل تجارة شوارع وحوانيت معلومة ، لا يختلط قوم بقوم ولا تجارة بتجارة ، ولا يباع صنف على غير صنف ، ولا يختلط أصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرها ، فكل أهل تجارة منفردون بتجارتهم " . ولعل التنوع الكبير في الحرف والإنتاج ساعد نوعا ما على ازدهار التجارة ، فقد أصبحت المدن الإسلامية من أعظم مراكز الصناعة ومن اكبر الأسواق التجارية ، يقول متز [1] : " إن أحسن تجارة في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي هي تجارة المنسوجات وأحسن صنعة المرجان " . ولقد كان لنهضة التجارة في الدولة الإسلامية دور كبير في نمو قطاع الصناعة ، فقد جهزتها بمختلف السلع والخامات اللازمة للإنتاج ، بالإضافة إلى وجود طبقة ثرية في الدولة ساعدت على ازدياد الطبقة العاملة وازدهار الصناعة ، فصناعة وتجارة الجواهر ما كانت لتنهض لولا وجود فئة اجتماعية ذات قدرات مالية على شراء مثل هذه المصوغات الثمينة ، وان كان لأهل الذمّة دور بارز ومساهمة فاعلة فيما بلغته التجارة ، فأن الدولة الإسلامية تعد عاملا مساهما في توسيع هذه التجارة من خلال ما وفرته من امن ودعم للتجار ، فضلا عن أنها المستهلك الأساسي للسلع . ويفسر متز [2] : ظاهرة انتشار التجارة في العصر العباسي إلى التحول الذي أصاب المجتمع في القرن الثاني للهجرة بحيث صارت التجارة من أهم أركان الحياة الإقتصادية ومظهر من مظاهر قوة الدولة وعزتها ، بحيث كانت سفنهم وقوافلهم تجوب معظم أنحاء العالم .

وقد مارس أهل الذمّة العمل التجاري إلى جانب المسلمين ، وكادت بعض الأعمال التجارية أن تكون مقتصرة عليهم ، وحقق العديد منهم ثراءً كبيرا ، ففي العصر العباسي كان الكثير من التجار في العراق من اليهود الذين يتكلمون العربية والفارسية والرومية والصقلبية[3] ، وشكلوا لهم تجمعات في المدن التجارية المهمة ، فقد بلغ عددهم في صعيد مصر ستمائة شخص ، كما عمل بها النصارى والمجوس فشهدت أسواق بغداد

[1] – الحضارة الإسلامية ، ج٢ ، ص٣٨٢ .

[2] –الحضارة الإسلامية ، ج٢ ، ص٧٨٥ .

[3] – أبن خرداذبة ، المسالك والممالك، ص١٥٣.

نشاطهم التجاري الواسع والمتنوع [١] ، وسيطر بعض تجار أهل الذمّة على معظم التجارة الخارجية [٢] ، وارتبط الروم والهنود بمعاملات تجارية مع أسواق بغداد [٣] .

كما كان التجار اليهود يسافرون من المشرق إلى المغرب وبالعكس برا وبحرا، فيجلبون من المغرب الرقيق والديباج والفراء والسيوف إلى أسواق بغداد والسند والصين ، وأحيانا يتوجهون بتجارتهم إلى القسطنطينية فيبيعون بضائعهم للروم[٤] .

أقام تجار أهل الذمّة أحياءً خاصة بهم في العديد من مدن الدولة العربية الإسلامية ، ففي أواخر عهد الخليفة المنصور قامت في بغداد أحياء خاصة بهم ، فكان لليهود حي خاص ، وسرعان ما تأثروا بعادات العرب والمسلمين وأحوالهم فتكلموا العربية مثلهم [٥] .

وفي مصر كانت هناك جاليات من اليهود العراقيين اشتغل بعض أفرادها وكلاء لتجار بغداد [٦] ، وبعد القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي زاد وفود التجار الأجانب على بغداد وبقية الحواضر العربية الإسلامية ، وعملت الدولة على توفير وسائل الحماية كلها لهم على وفق عهود الأمان المعقودة معهم فينتقلون بأمان في مختلف أنحاء الدولة

---

١ – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٢٦ ؛ أبن طيفور ، أحمد بن طاهر ، بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ، تحقيق : محمد زاهد ، نشره : عزت العطار (مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، ١٩٤٩م) ص٤١ .

٢ – ديمومبين ، م غودفروا ، النظم الإسلامية ، ترجمة : فيصل السامر وصالح الشماع ، دار النشر للجامعيين (بيروت ، ١٩٦١م) ص٢٥٨.

٣ – اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٤٤، ص٢٤٦-٢٤٧، ص٢٥٣.

٤ – أبن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١٥٣-١٥٤.

٥ – ابن قدامة ، المغني ، ج٥، ص٦٧.

٦ – الدوري ، تاريخ العراق ، ص١٥٥.

العربية الإسلامية [١] ، كما احتكر التجار اليهود بعض أنواع المتاجر ، مثل تجارة الأصباغ [٢] .

وارتبط التجار المسلمون وتجار أهل الذمّة بروابط ومصالح مشتركة ، فلم يكن هناك عائق من اشتراكهم في عمل تجاري شريطة أن يكون المسلم حاضرا للعمليات جميعها التي يقوم بها شريكه ، وأن يتولى المسلم البيع والشراء بيده[٣] ، ذلك لأن أهل الذمّة يتعاملون بالربا وخاصة اليهود [٤] ، ويبيعون الخمور والخنازير وهذا محرم على المسلم[٥] .

ويبدو أن ثراء التجار من أهل الذمّة ، دفع الخلفاء إلى الاقتراض منهم في بعض الحالات الضرورية . إذ اقترض الخليفة أبو العباس السفاح مالا من تاجر يهودي[٦]. كما أن هذا الثراء واحتكارهم لبعض التجارات وتحكمهم بها جعلهم عرضة للمضايقات والمصادرات .

وللأديرة دور كبير في ديمومة التجارة عند النصارى فقد كانت تستخدم كمخازن لحفظ البضائع والسلع ، فضلا على أنها استخدمت كمصارف للنقود [٧] ، كما حدث في دير صليبا ودير البخت في دمشق [٨] ، إضافة إلى دير الرمان الواقع بين الرقة والخابور والذي كانت تنزل فيه القوافل التجارية المتنقلة بين العراق وبلاد الشام [٩] ، وكذلك كان لدير مارون دور كبير في عملية تصريف النقود ، إذ يذكر ابن

---

١ – ديموبين ، النظم الإسلامية ، ص١٤٤-١٤٥.

٢ – ابن حوقل، صورة الأرض، ص٧٥.

٣ – ابن قدامة، المغني، ج٥، ص٣، ج٧، ص٤.

٤– ابن قيم الجوزية ، الشروط العمرية ، ص١٢٠-١٢٢ .

٥ – أبن قدامة ، المغني ، ج٥ ، ص٣ ، ج٧ ، ص٤ .

٦ – غنيمة ، نزهة المشتاق ، ص١٠٣.

٧ –لومبارد ، الجغرافية التاريخية ، ص١٨٤ .

٨ –الشابشتي ، الديارات ، ص٣١٤ ، ٣٣٩ .

٩ – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ص٥١١ .

البطريق [1] : عند حديثه عن هرقل : " فتركهم وذهب إلى دير مارون فخرج عليهم الرهبان الذين في دير مارون فاستقبلوه ، وكان هرقل مارونيا ، فأعطاهم مالا كثيرا ... " .

ولم يكن دورهم ضمن مناطقهم فقط فقد كان لهم دور مهم في العلاقات التجارية بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ، فمثلا جلب هؤلاء التجار النصارى أثناء قدومهم إلى بلاد الشام الكثير من السلع ومن بينها الفسيفساء التي استخدموها في بناء كنائسهم وتجميلها [2] ، وقد اقرض أهل المدينة المنورة لهؤلاء التجار النبط الأموال لجلب السلع الغذائية من بلاد الشام وبيعها في المدينة المنورة ، وكانت لهم شراكات مع هؤلاء التجار[3] ، وعمل بعض تجار النبط على بيع لوازم السفر على الطرق التجارية بين بلاد الشام ومصر [4] ، وكانت العلاقات التجارية ناشطة بين جميع مدن بلاد الشام من جانب وبين بلاد الشام وباقي مدن الخلافة العباسية ، وأفاد من هذه التجارة التجار المسلمين وغير المسلمين ، وورد في وثائق الجنيزة عدد من أسماء التجار اليهود من أهل الذمّة الذين كانوا يتاجرون بالقمح وينقلونه بواسطة السفن من الفسطاط الى فلسطين ، كما نقلوا أيضا التين من طرابلس إلى الإسكندرية ، فتاجر اليهود بمواد كثيرة كمادة النيلة وحبوب الوسمة ، فقد نقلوها من فلسطين إلى صقلية والمهدية وكذلك تاجروا بالملح والمنسوجات كالكتان والشاش الشامي والحرير والصوف والقرفة التي بيعت في مصر ، وكذلك اشتهر أهل الذمّة بمتاجرتهم في كافة أنواع التجارات فبرز اليهود في ذلك المجال وكانت الأقمشة المصبوغة تأتي على رأس تلك السلع [5] ، كما تاجروا أيضا بالسلع الثمينة كالمجوهرات والمصوغات والرياش الثمينة والثياب الفاخرة والعطور مما قربهم من الأعيان

---

١ – ابن البطريق ، التاريخ المجموع ، ص٥ .

٢ –حتي ، تاريخ العرب ، ج٢ ، ص٤٢٠-٤٢١ .

٣ – ابن البطريق ، التاريخ المجموع ، ص٥ .

٤ –ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ص٥١٧ .

٥ – آشتور ، التاريخ الاقتصادي ، ص٩١.

وأرباب الأموال [١] ، ومن بلاد الروم أواني الفضة والذهب والدنانير الخالصة والعقاقير والديباج والبراذين والفراء والجواري ومن لهم علم بالحراثة وبناء الرخام [٢] ، كما اشتغل بعض اليهود في التجارة في الشرق ومارسوا تجارة التوابل في مصر وبلاد الشام [٣] .

ومن المرجح إن اليهود في المشرق وفي بلاد الشام على وجه الخصوص كانوا على صلة باليهود في أوربا والذين أطلق عليهم ابن خرداذبة الرهدانية أو الراذانية [٤] ، وكان هؤلاء منخرطين في تجارة الشرق ، وقد قدم ابن خرداذبة وصفا شيقا لمسلك هؤلاء التجار والبضائع التي كانوا يحملونها فقال [٥] : " سلك تجار اليهود اليهود الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسية والصقلية وإنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب وبالعكس برا وبحرا يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسيوف ويركبون من فرنجية – فرنسا الحالية – في البحر الغربي فيخرجون بالفرما [٦] ويحملون تجارتهم تجارتهم على الظهر إلى القلزم وبينها خمسة وعشرون فرسخا ثم يركبون البحر الشرقي " البحر الأحمر " من القلزم [٧] إلى الجار [٨] " ثغر المدينة " ثم يمضون إلى

---

١ – الجاحظ ، رسائل ، ج٣ ، ص٣١٦ ؛ ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص٣٨ .

٢ – الجاحظ ، التبصر في التجارة ، ص٢٥ .

٣ – اشتور ، التاريخ الاقتصادي ، ص٣٩٢ .

٤ – الرهدانية او الراذانية : نسبة الى نهر الرودانوس (الرون) الذي يسميه العرب رودنة حيث كان يقيم هناك جماعات من اليهود ، لومبارد ، الجغرافية التاريخية ، ص٢٧٦ ؛ التطليلي ، الرحلة ، ص١٦.

٥ –المسالك والممالك ، ص١٥٣ .

٦ – الفرما : مدينة في مصر واكثر متاجرهم فيها النوى والشعير والعلف لكثرة اجتياز القوافل بهم . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٥٥ .

٧ – القلزم : على ساحل البحر قرب أيلة والغور واليها ينسب بحر القلزم ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٨٧ .

٨ – الجار : مدينة على ساحل بحر القلزم ، بينها وبين المدينة يوم . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٩٢.

إلى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدارصيني " القرفة " وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجعوا إلى القلزم ثم يحملونه إلى الفرما ثم يركبون في البحر الغربي فربما عدلوا بتجارتهم إلى القسطنطينية فباعوها من الروم وربما صاروا بها إلى ملك الفرنجة فيبيعونها هناك وإن شاءوا حملوا تجارتهم من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بأنطاكية ويسيرون إلى الأرض ثلاثة مراحل إلى الجابية ثم يركبون في الفرات إلى بغداد ثم يركبون دجلة إلى الأُبلّة ومنها إلى عمان والسند والهند والصين وكل ذلك متصل بعضه ببعض " .

وكان من بين البضائع الشرقية التي يتاجر بها اليهود الحرير والقرفة فقد جاء في إحدى وثائق الجنيزة : إن اليهود كانوا يتاجرون بأنواع المنسوجات المختلفة ومن بينها الحرير كما أنهم احضروا القرفة من الشرق الأقصى إلى صور ليتم بيعها في مصر ومن بين هؤلاء التجار يعقوب بن إسماعيل (١) .

ويتبين مما سبق أن التجار من أهل الذمّة مارسوا كافة أنواع التجارات ولم يكن في الشريعة الإسلامية والعهود التي ابرمهما المسلمون معهم إبان الفتوحات ما يحول دون تمتعهم بحرية العمل ففي مجال الزراعة كان لهم غلبة واضحة على الريف فقدرت المواسم والفصول بأعياد النصارى ، كما أنتجت أراضيهم المحاصيل الزراعية التي اشتهرت بها بلاد الشام كافة ، وكانت الحرف والمهن مفتوحة أمام الجميع ومن كل الديانات وتركزت بعض الصناعات في أيدي أهل الذمّة ، كما كان لتجارهم دور واضح وكبير في التجارة في مختلف العصور وذلك عن طريق تنشيطهم لجميع المعاملات المالية وتسليف التجار وتسهيل المعاملات ومن خلال ذلك نشأت المؤسسات المصرفية التي تقوم مقام " البنوك " في العصور الحديثة . ونتيجة لإمتلاك التجار من الذميين للمقومات والأسس التي تساعدهم في الاشتغال بالتجارة ، فإنهم بذلك جمعوا بين تجارة البر والبحر ولم تتجاوز الضرائب التي فرضت على تجارتهم أكثر من العشر . وبرع أهل الذمّة في مصر بالمهن العامة في الأسواق

---

١ – آشتور ، التاريخ الاقتصادي ، ص٩٦ .

كبيع المشروبات كالخل وغيره [1] ، وتخصص عدد من اليهود في أعمال الصيرفة بشكل رئيس [2] . مع إن ابن العبري يذكر : " أن اليهود منذ ظهور الإسلام حتى عصره لم يترقَ أحدهم في بلاد الإسلام ، فكلهم إما دباغون أو صباغون أو سكافون " بحسب قوله [3] ، ولكن مثل هذا الكلام مبالغ فيه ، إذ ذكرت أعداد من المصادر : إن اليهود عملوا كصيارفة في اغلب العصور [4] ، فضلاً عن اشتراكهم في الأعمال الإدارية والمالية ، حالهم حال النصارى ، كالعمل في دور ضرب النقود وغيرها [5] . ومن الأسباب التي فتحت المجال أمام ازدهار التجارة في العراق هو قيام الدولة الإسلامية وتوحيد المشرق الإسلامي تحت راية الإسلام ونشره هناك ، مما أدى إلى أن تتحول طرق التجارة تدريجيا من " البحر الأحمر إلى طريق الخليج العربي فخليج البصرة " الذي كان اقصر واسلم واقل كلفة [6] ، ومن بين الأسباب أيضا هو اتخاذ بغداد عاصمة للدولة الإسلامية في العصر العباسي جعل العراق يتمتع بمركز سياسي واقتصادي بالإضافة إلى المركز الجغرافي والتجاري ، فكانت السفن البحرية تأتي بتجارتها من الهند والصين وشواطئ أفريقيا وجزر الهند واليمن إلى البصرة فبغداد [7] ، ومن بلاد فارس وبلاد الشام ومصر وبلاد الروم عن طريق البر وذلك لزيادة الطلب على السلع والبضائع النادرة والثمينة ، وقد أصبحت بغداد مركزا مهما لتبادل السلع التجارية المختلفة بين أجزاء الدولة العباسية بالإضافة إلى أنها أصبحت أعظم سوق مالي وتجاري حيث ازدهر نظام الصيرفة وأدى تطوره إلى قيام البنوك والشركات والمؤسسات المالية لتلبية حاجات التجار من الأموال وتسهيل مهمة نقلها

1- إبن الحاج ، المدخل ، ج٤ ، ص٩٤ ، ص١٤٥ .
2- عاشور ، الحياة الاجتماعية ، ص٤١ .
3- تاريخ الزمان ، ص ٣٩٨ .
4- إبن الحاج ، المدخل ، ج٢ ، ص٧٨ .
5- المقريزي ، الخطط ، ج١ ، ص١١٠.
6 – العلي ، التنظيمات الاجتماعية ، ص٢٥٧ .
7 – الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي ، ص٤١ .

إلى البلدان البعيدة دون تعرضها لخطر السرقة وغير ذلك ، وكذلك أصبحت بغداد سوقا لتبادل النقود ، وكان أكثر الناس اشتغالا بالتجارة والصيرفة هم اليهود [١] .

وتركز جل النشاط التجاري بيد أهل الذمّة لإنصراف العرب إلى الحكم والإدارة والجيش[٢] ، وهذا ما يؤكده ديورانت [٣] بقوله : " وقد لجأ اليهود إلى التجارة واحتكروها فكانت أحمالهم وقوافلهم وسفائنهم تجتاز الصحراوات والجبال والبحار ، وكانوا حلقة الإتصال التجاري بين بلاد الإسلام وبلاد النصرانية ، وكانوا هم القائمين بمعظم تجارة الرقيق ، وكان يعينهم على النجاح في التجارة مهارتهم في تعلم اللغات وتعاون الجماعات اليهودية بعضها مع بعض حتى يجد اليهودي له موطنا أينما حل حيث يستضيف الحي اليهودي الذي في المدينة التي حل فيها " . وقد كان هؤلاء التجار اليهود الذين يتكلمون اللغات العربية والفارسية واليونانية والهندية والاسبانية والصقلبية [٤] .

وسوف نستعرض اهم المفردات التي لها علاقة مباشرة بالتجارة ، والتي ساهم بها أهل الذمّة مساهمة مباشرة ، وهي على النحو الآتي :

الصيرفة :

يعرف الصيرفي أنه صراف الدراهم ونقادها [٥] ، ومهمته تبديل العملة وتحويل وتحويل الدنانير إلى دراهم وبالعكس فضلا عن قيامه بحل مشاكل الفروق بين نوعيات وأوزان العملة بين مختلف الأمصار الإسلامية [٦] ، وكان لإتساع نطاق التجار في تعاملاتهم التجارية مع بلدان كثيرة وأصقاع شتى وأقطار نائية ، ونظرا لصعوبة حمل النقود لشراء البضائع التجارية لاختلاف العملة المتداولة بين الأقاليم والبلدان المختلفة وخوفا من السرقات ، ظهر من يقوم بتيسير العمليات التجارية في

---

١ – ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١٥٣ .

٢ –الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي ، ص٤١ .

٣ – قصة الحضارة ، ج١٤ ، ص٦١ .

٤ – ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١٥٣-١٥٤ .

٥ – أبن منظور، لسان العرب ، مادة : صرف ، م٩ ، ص١٩٠ .

٦ – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٦٩ .

الدولة لقاء مبلغ معين يؤخذ من التجار على سبيل العمولة ، وقد أطلق على هذه العملية اسم " الصيرفة " إذ إن الصرف هو فضل الدرهم على الدرهم والدينار على الدينار لأن كل واحد منهما يصرف عن قيمة الأخر والصرف يشمل أيضا بيع الذهب والفضة والتصريف في جميع البيوعات قد تكون بالمعدن أو النقود [١] .

وقد أطلق على الأشخاص الذين اشتغلوا بتبديل العملات اسم الصيارفة [٢] ، ووجدت الصرافة قديما إذ ترجع معرفتها في العراق إلى العصر البابلي فقد كان الصيارفة يقومون بالقروض والعقود التجارية والبيع بالنسيئة والتحويل من مدينة إلى أخرى [٣] ، وكان في المدائن مجموعة من الصرافين كانوا يقومون باعمال الصيرفة وصاروا الواسطة الجيدة بين فضة المشرق وذهب المغرب واشتغل أولئك الصرافون بعقد القروض لتسهيل التجارة ثم نقلوا مركزهم إلى مدينة الكوفة في العهد الإسلامي وكان لهم الفضل الكبير في تقدم الصيرفة [٤] ، وبلغت حركة الصيرفة في العراق قمة ازدهارها بازدهار التجارة ، وقدرة الصيارفة على تسليف النقود وتبديل العملات واستلام البضائع وغيرها [٥] ، ولهم أسواق خاصة بهم ، ففي القرن الأول الهجري / / السابع الميلادي أشتهر سوق الصيارفة بالكوفة [٦] ، وفي العصر العباسي كان درب عون ببغداد مقرا للصيارفة [٧] ، واخذوا يعملون على تحويل الدنانير إلى دراهم وبالعكس ، وبحل مشكلة تنوع جودة النقود من العملة الواحدة وفرز المغشوش من الجيد بعد ظهور التزييف [٨] ، واختلاف أوزانها بصرف هذه الأنواع بعضها

---

١ – ابن منظور ، لسان العرب ، ج١١ ، ص٩١-٩٢.

٢ – والصراف والصيرف والصيرفي هو النقاد من المصارفة وهو من التصرف والجمع صيارف وصيارفة ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج١١ ، ص٩٢ .

٣ – غنيمة ، تجارة العراق قديما وحديثا ، ص١٩، ٢١ .

٤ – ماسينيون ، المسيو لويس ، خطط الكوفة ، ترجمة : كامل سلمان الجبوري ، جمعية منتدى النشر (النجف ، ١٩٧٩م) ص٩٧ .

٥ – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٦٩ .

٦ – ماسنيون ، خطط الكوفة ، ص٢٣ .

٧ – التنوخي، نشوار المحاضرة ، ج١، ص٢٠٤.

٨ – ابن خلدون ، العبر ، ج٢ ، ص٨٠٩ .

ببعض حسب حاجات أصحابها [١] ، فهم الذين يحتجون ببضاعة دار الضرب وجاء معنى هذا عند ابن الإخوة [٢] : " بأنهم كانوا يتوسطون بين الناس ودار الضرب بأخذ بأخذ الفضة والذهب من الناس لسكها دافعين لأصحابها نقودا تعدلهما في القيمة الاسمية ، وبهذا كانوا يستفيدون من الفرق بين القيمتين ويحققون أرباحا كثيرة " ، إلى جانب المهمة الأولى للصراف وهي تقييم النقود من حيث الجودة والوزن وهذا ما يتطلبه تعدد العملات وأثر التداول على وزن النقود وهي مهمة ضرورية للمعاملات التجارية ، كما يقوم الصراف بتحويل النقود من الذهب إلى الفضة وبالعكس أو صرفها لأغراض التجارة خاصة ولم يكن سعر التحويل يعتمد على النقود وحدها بل على حالة الأسواق والاعتبارات التجارية وسعر الذهب والفضة [٣] ، وكان الصيارفة يفيدون من الودائع لأغراض صرف العملات مقابل فائدة وإصدار سفاتج مقابل أجور وللإقراض أو التسليف يشترك الجهبذ مع الصراف في العمليتين الأخيرتين كما يفيد من النقد المودع لديه في المضاربة أو في المساهمة في الشركات [٤] ، وكان لصيارفة الكوفة فضل كبير على تقدم الصيرفة في الدولة الإسلامية [٥] ، فهي من أعظم المدن شهرة في هذا المجال [٦] ، وكان للصرافين محلة خاصة في سوق الكرخ ببغداد تدعى عون [٧] ، إذ كانت المهمة الأولى للصراف تقييم النقود من من حيث الجودة ووزنها ، وهذا ما يتطلبه تعدد العملات وأثر التداول على وزن النقود وهذه كلها مهمات ضرورية للمعاملات التجارية كما يقوم الصراف بتحويل النقود أو صرفها لأغراض التبادل التجاري ولذلك سمي بالناقد [٨] .

---

١ – ابن منظور ، لسان العرب ، ج١١ ، ص٩١-٩٢ .

٢ –معالم القربة ، ص١٢٤.

٣ – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٩٢ .

٤ – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٩٤ .

٥ – ماسنيون ، خطط الكوفة ، ص٢٤ ، ٩٧ .

٦ –الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٦٥ .

٧ – مسكويه ، تجارب الأمم ، ج١ ، ص٢٤٧ .

٨ – الصابي ، أبو الحسن الهلال بن محسن ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق : عبد الستار احمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية (حلب ، ١٩٥٨م) ص٨٩-٩٠ .

وعمل أهل الذمّة بالصيرفة ويأتي في مقدمتهم اليهود ، الذين توارثوا هذه المهنة [1] ، بل أن اسمهم أصبح مرادفا للصيرفة ، فكان الصيارفة وأصحاب المصارف بالشام معظمهم من اليهود [2] .

ومما جعل اليهود يؤدون دورا خطيرا في هذا المجال مزاولتهم الربا وإقراضهم الأموال بأرباح باهظة [3] . ويعود تعامل اليهود ببيع الذهب والفضة وتبديل النقود والربا إلى ما قبل الإسلام [4] . وهذا يفسر مهارتهم في هذه المهنة .

ومارس النصارى مهنة الصيرفة أيضا [5] ، ولعل من أشهر الذين امتهنوها عبيد الله بن بختيشوع والد جبرئيل الطبيب الذي كان من الصيارفة البارعين[6] ، ومن الصابئة برز أبو الحسن ثابت بن قرة الذي الذي لمع اسمه في أكثر من مجال ، فقد كان صيرفيا بسوق حران قبل انتقاله إلى بغداد وحظوته عند الخلفاء[7] ، ولتوسيع عملهم الصيرفي ، أنشأ الصيارفة بيوتات مالية أو شركات فيما بينهم لتشمل قبول الودائع ، لذا تعامل معهم التجار[8] ، وعدد من الموظفين الكبار والوزراء والخلفاء[9] ، الذين كانوا بحاجة إلى مكان أمين يحفظون فيه ودائعهم من الضياع أو من السرقة [10] . فقد أودع أبو العلاء سليمان بن وهب

---

[1] – الصابي ، الوزراء ، ص٩٢ .
[2] – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٨٣ .
[3] – الجومرد ، هارون الرشيد ، ج١ ، ص١٩٦ .
[4] – علي ، المفصل ، ج٧ ، ص٤١٩ .
[5] – الصابئ ، الوزراء ، ص٨٠ .
[6] – القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص١٤٦.
[7] – أبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢٧٨ .
[8] – ناصر خسرو، سفر نامة ، ص١٤٦.
[9] – الصابي ، الوزراء ، ص٩٠-٩١.
[10] – الشيخلي ، الأصناف ، ص٢٢.

النصراني ببغداد مبلغ ثلاثمائة وخمسين ألف درهم عند أحد الصيارفة[1] الصيارفة[1] .

والملاحظة المهمة بهذا الصدد أن الدولة كما هو حال التجار أخذوا يقترضون الأموال من الصيارفة بتسهيلات كبيرة [2] ، وكانت أسواق الصيرفة تعج بالكتاب والمحاسبين ، ويصف أبن حجة الحموي زخم العمل في أحد المصارف بقوله : " فدخلت وإذا بكتبة مجوس وصيارفة قعود وهم يقتضون الرهون ويعطون الدنانير والدراهم وحوله جماعة من الكتاب والحساب وبين أيديهم الدنانير والدراهم كالبيادر الصغار وهم في الحساب " [3].

وأشرفت الدولة على أعمال الصيارفة عن طريق المحتسب ، إذ يتوجب عليه أن يراقب سوقهم ، ويلحظ من يتعامل بالربا منهم أو بغير ما أمر به الشرع فيقوم بتعزيره [4] ، وطرده من السوق [5] ، كما يقوم بمنعهم من ترويج الدراهم المزيفة وغش الناس بها [6] .

ويفترض أن الصيارفة هم الذين قاموا بضرب النقود في دور الضرب إذ يأخذون الذهب والفضة من الناس ليسكوها لهم محققين أرباحاً من هذه العملية ، كما كانوا يتلاعبون أحيانا بالوزن ، مما استوجب تحذيرهم وفرض عيار جديد للحد من تلاعبهم ، وجنى

---

١ – أبن العبري ، تاريخ الزمان ، ص٦٥.

٢ – ديموبين ، النظم الإسلامية ، ص٢٢٠.

٣ – ثمرات الأوراق ، ج٢ ، ص١٣٨.

٤ – التعزير : هو عقاب المخالف لأمور لم تشرع فيها الحدود ويترك العقاب فيها لولي الأمر والتعزير أنواع مثل التوبيخ والزجر بالكلام والحبس والنفي عن الوطن والضرب . الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٢٣٧.

٥ – الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص٧٤.

٦ – أبن الإخوة ، معالم القربة ، ص٧٠.

الصيارفة أرباحا طائلة من عمليات الإقراض والتصريف ، وذلك لإرتفاع العمولة التي يتقاضونها [1] .

وتولى الصيارفة من اليهود في بعض مدن الشام عملية تبديل العملة من فئة إلى فئة أخرى [2] ، وقد وقع اختيار اليهود لهذه المهن بالتحديد لما لها من تمكين لهم على رقاب الناس ، ولأنها تتعلق بالأمور المالية والاقتصادية [3] ، وأدى ازدهار التجارة في العصر العباسي الأول وخاصة في القرنين الثاني والثالث الهجريين إلى توسع أعمال الصرافين [4]، فأخذوا فأخذوا يعطون السلف ، ويقبلون الودائع ويتوسطون بين الناس ودور الضرب وذلك بأخذ الفضة والذهب من الناس لسكها دافعين لأصحابها نقودا تعادلها في القيمة الاسمية وبهذا كانوا يستفيدون من الفرق بين القيمتين [5] . وتعاملوا بالفائدة على القروض ، إذ كانت نسبة ربحهم كما بيّن أحد الصرافين ذلك بقوله : "وكنا نعطي في مثل هذا ما يكسر في كل دينار درهم " [6] ، أو " بربح دانق ونصف فضة في كل دينار " [7] ، وذلك أن اغلب الصرافين في الدولة الإسلامية كانوا من أهل الذمّة[8]. وذلك لأن المسلمين حرموا هذه الأنواع من التعاملات الربوية ، فقام

---

[1] – ديمومبين ، النظم الإسلامية ، ص٢١٩.

[2] –المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٨٣ .

[3] –الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ج٣ ، ص٣١٦ .

[4] – ديمومبين ، النظم الإسلامية ، ص٢١٩ .

[5] – ابن الإخوة ، معالم القربة ، ص٦٨ ؛ ابن الداية ، أحمد بن يوسف الكاتب (ت : ٣٤٠هـ / ٩٥١م) المكافأة وحسن العقبى ، مؤسسة ناصر للثقافة دار الوحدة (مصر ، ١٩٧٥م) ص٤٣.

[6] – التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص١٩٣ .

[7] – الصابي ، تاريخ الوزراء ، ص٩٣ .

[8] – الزيات ، حبيب ، الصيارفة في الإسلام ، بحث منشور في مجلة المشرق ، يصدرها آباء جامعة القديس يوسف (بيروت ، ١٩٣٧م) العدد : ٤ ، ص٤٩٢ ؛ وينظر أيضا : العبادي ، عبد الحميد ، وآخرون ، الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها ، دار نهضة مصر للطبع والنشر (القاهرة ، بلا . ت) ص٣٥ .

النصارى بهذه المهمة إذ يقول الجاحظ [١] في إحدى رسائله : " ومما عظمهم في قلوب العوام وحببهم إلى الطعام إن منهم كتاب السلاطين وفراشي الملوك وأطباء الأشراف والعطارين والصيارفة " ، وكذلك اليهود الذين أصبحوا يمتلكون أموالا طائلة وثروات كبيرة [٢] ، إذ ذهب الخلفاء العباسيون إلى القول بأن : " لا يستخدم أحد من اليهود والنصارى إلا في الطب والجهبذة فقط " [٣] ، وكانت رؤوس أموال الصرافين تتكون من الودائع المودعة لديهم من قبل التجار ورجال الدولة الذين يودعون أموالهم لديهم [٤] ، وإن معاملاتهم النقدية من إقراض وتوديع كانت تجلب لهم أرباحا كبيرة لكثرة الفائض الذي يأخذونه عند تسليفهم التجار من هذه الودائع إضافة إلى ذلك فقد كان هناك صيارفة رسميون في الدولة العباسية سموا ب " الجهابذة " والواحد منهم " جهبذ "[٥] ، ويقول عنه الزبيدي [٦] : " بأنه النقّاد الخبير بغوامض الأمور العارف بطرق النقد " ، وهؤلاء الجهابذة كانوا من التجار الأغنياء الذين كانوا يملكون ثروات طائلة ولذلك فأن مصدر أموالهم أرباح تجارتهم ، إضافة إلى ودائع الوزراء وكبار موظفي الدولة [٧] ، فقد ورد في احد اقوال من الوزير ابن ابن الفرات وزير الدولة العباسية [٨] في إحدى نكباته إن له عند الجهبذين اليهوديين هارون بن عمران ويوسف بن فنحاس الذين اعتبروا من " جهابذة الحضرة " مبلغا

---

١ – رسائل الجاحظ ، ص١٧ .

٢ – المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص١٨٣ ؛ ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج١ ، ص٣٤٤ ؛ العبادي ، الدولة الإسلامية ، ص٣٥ ؛ المدور ، جميل نخلة ، حضارة الإسلام في وادي السلام (المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٩٣٥م) ص١٠٩ ؛

٣ – الزيات ، الصيارفة في الإسلام ، ص٤٩٢ .

٤ – ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص١٤٦ ؛ التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص١٩٣ .

٥ – التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص١٩٣ ؛ البستاني ، فؤاد افرام ، تمازج العناصر البشرية في بغداد العباسيين ، بحث منشور في مجلة المشرق ، ١٩٣٤م ، ص٤٤٩ .

٦ – تاج العروس ، ج٢ ، ص٥٥٨ .

٧ – التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٨ ، ص٣٥ .

٨ – كان وزيرا في عصر الخليفة العباسي المقتدر بالله ، ولكن هذا الوزير قتل في سنة ٣١٢هـ/٨٢٧م ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٨ ، ص١٤٩ .

عظيما من المال [1] ، وكان للجهابذة أجور من قبل الدولة [2] ، ويشترك الجهبذ مع الصراف في العمليات المالية من حيث الإقراض والتسليف ، ولكن تعامل الجهبذ كان بالدرجة الأولى مع كبار رجال الدولة [3] ، فقد كان لأكثر الوزراء جهابذة خاصون [4] ، بينما كان تعامل الصراف مع عامة الناس وبضمنهم التجار ، وأحيانا كان تعامله مع رجال الدولة والأعيان فيها[5].

وقدم الصيارفة خدمات جليلة للدولة الإسلامية فكانوا يسلفون الأموال للتجار ويتسلمون منهم الودائع ويسهلون بذلك عمليات الائتمان في كافة المرافئ والمدن التجارية الإسلامية وخاصة في ميناء البصرة التجاري إذ إن هناك إشارات تاريخية تبرز ما وصلت إليه الصيرفة في هذه المدينة إلى حد يمكن القول بأن جميع المعاملات التجارية كانت تتم عن طريق الصيرفة بواسطة الصراف ويصف الرحالة ناصر خسرو [6] وضع الصيارفة والسوق في البصرة بقوله : " وينصب السوق في البصرة في ثلاث جهات كل يوم ففي الصباح يجري التبادل في سوق خزاعة وفي

---

[1] – الصابي ، تاريخ الوزراء ، ص٩٣ ، ١٧٧ ؛ غنيمة ، نزهة المشتاق ، ص١٣٥ ؛ الدوري ، عبد العزيز ، الجهبذة والصيرفة في العراق في القرن الرابع الهجري (بحث منشور في مجلة القضاء العراقية ، ١٩٤٣م) العدد الخامس ، ص٥٨٤ ؛ محمود ، حسن احمد ، والشريف ، أحمد إبراهيم ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي (القاهرة ، بلا . ت) ص٢٠٧ .

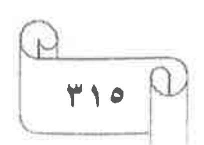
[2] – مؤلف مجهول ، (مؤلف من القرن الحادي عشر الهجري) تاريخ الخلفاء ، نشر النسخة المصورة للمخطوطة الوحيدة بطرس فرياز ينويج ، ضمن سلسلة آثار الآداب الشرقية رقم (١١) دار العلوم (موسكو ، ١٩٦٧م) ص٣٦٢ .

[3] – التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج١ ، ص٣٢٣ ؛ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٦٧.

[4] – ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله (ت : ٦٢٦ هـ /١٢٢٨م) : معجم الأدباء المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تصحيح واعتناء : مرجيلوت ، مطبعة هندي بالموسكي ، ط٢ (لا . م ، ١٩٢٣م) ج١ ، ص٣٨٥ ؛ الدوري ، الجهبذة والصيرفة ، ص٥٨٣ .

[5] – مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٢ ، ص١٨٨ .

[6] – سفرنامة ، ص١٤٦ ؛ حسن ، تجارة العراق ، ص١٨٤ .



الظهيرة في سوق عثمان وفي المغرب في سوق القداحين والعمل في السوق هكذا كل من معه مال يعطيه للصراف ويأخذ منه صكا ثم يشتري كل ما يلزمه ويحول الثمن على الصراف فلا يستخدم المشتري شيئا غير صك الصراف طالما يقيم بالمدينة " ، وذلك دون أن يضطر التاجر إلى الدفع المباشر في كل صفقة تجارية [١] ، إذ ظهر في هذه المدينة صرافون كبار بلغت رؤوس أموالهم أكثر من مائة ألف دينار ، ولما كانت الصيرفة تحتاج إلى خبرة ودراية ومعرفة كافية بالأمور الحسابية فقد استخدم الصيارفة من هو كفؤ لهذه المهنة ، فقد كثر في البصرة اعتماد الصيارفة على الغلمان والعبيد من الهند والسند في تمشية أعمال مصارفهم وذلك " لأنهم وجدوهم أنفذ في أمور الصرف " [٢] ، إضافة إلى براعتهم في الأمور الحسابية والمالية . ورغم ذلك فقد كان الصراف معرض للإفلاس [٣] ، وهذا ما حدث فعلا لصراف أفلس عن رأس مال بلغ تسعة آلاف دينار [٤] .

وفي مدينة بغداد كثر الصيارفة في مدينة الكرخ واتخذوا من دروبها محلات لأعمالهم الصيرفية [٥] ، وخاصة في محلة سميت " درب عون " إذ كان فيها كبار

---

١ - الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص٧٠ .

٢ - الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ج١ ، ص٢٢٤ .

٣ - ابن الرومي ، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج ، (ت: ٢٨٤هـ / ٨٩٧م) ديوان ابن الرومي ، تحقيق : حسين نصار ، مطبعة دار الكتب (مصر ، ١٩٧٦م) ج٣ ، ص١١٥٩ ؛ الخوارزمي ، جمال الدين ، أبو بكر ، مفيد العلوم ومبيد الهموم ، المطبعة العلمية (القاهرة ، ١٨٩٢م) ص١٢٣ ؛ المبرد ، أبي العباس محمد بن يزيد (ت: ٢٨٥هـ / ٨٩٨م) الكامل ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر (القاهرة ، بلا . ت) ج١ ، ص٣٥٦.

٤ - ابن حبيب ، أبي جعفر محمد البغدادي (ت: ٢٤٥هـ / ٨٥٩م) المحبر ، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، تحقيق : ايلزة ليختن شتيتر ، منشورات دار الآفاق (بيروت ، بلا . ت) ص١٤٦ .

٥ - الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص٢٢٨ .

الصرافين الأغنياء[١] ، وكذلك " درب الزعفران "[٢] ، وفي مدينة الكوفة كانت محلاتهم منتشرة في منطقة مسجد بني جذيمة [٣] ، وفي مدينة سامراء كثر الصرافون [٤] ، كما إن الصيرفة كانت منتشرة في المدن الواقعة على الطرق التجارية المهمة المؤدية إلى بغداد والبصرة والمشرق مما أدت إلى تسهيل المهمات التجارية عبر تلك الطرق [٥] .

ومن وسائل التعامل التجاري التي ترتبط بعمل الصيارفة والجهابذة ارتباطا وثيقا هو " الصكوك " وهو عبارة عن ورقة مالية أو أمر خطي يتضمن الإقرار بدفع المال عن قيمة دين أو قرض أو استحقاق مالي له اجل معين إلى الشخص الوارد اسمه فيه وذلك بمثابة سند الدين [٦] ، كشراء رجل لبضاعة لم يدفع ثمنها فيكتب على على نفسه صكا بقيمتها [٧] ، وتوسع استعمال الصكوك في العصور الإسلامية الأولى الأولى ، وهذه الصكوك كانت تكتب وتصرف أحيانا على بيت المال [٨] ، أو على

---

١ – مسكويه ، تجارب الأمم ، ج١ ، ص٢٤٧ ، ج٢ ، ص١٨٨ ؛ التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص١٩٢ ، ج٣ ، ص٩٠ ؛ الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص٩٠ .

٢ – وهي محلة في الكرخ ببغداد كان فيها كبار التجار وأصحاب الأموال ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٤٨

٣ – البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٨٤ ؛ ماسنيون ، خطط الكوفة ، ص٩٦ .

٤ – حسن محمد واحمد شريف ، العالم الإسلامي ، ص٢٠٧ .

٥ – الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١٨ .

٦ – الصابي ، تاريخ الوزراء ، ص٨٩ ؛ متز ، الحضارة الإسلامية ، ج٢ ، ص٣٧٩ .

٧ – الصبحي ، محمد إبراهيم ، التجارة والاقتصاد عند العرب ، مكتبة الوعي العربي (القاهرة ، ١٩٦٩م) ص٤٣ .

٨ – الصابي ، تاريخ الوزراء ، ص٢٥٧ ؛ أبو شجاع ، الوزير أبي شجاع محمد بن الحسين الملقب ظهير الدين الروذراوري (ت: ٤٨٨هـ /١٠٩٥م) ذيل كتاب تجارب الأمم ، مطبعة شركة التمدن ، مصر ، ١٩١٦م ، ج٣ ، ص٤٦ ؛ مؤلف مجهول ، (من ق٦هـ/ ١٣م) العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم ، نشر ديه غويه (مطبعة بريل – ليدن ، ١٨٧١م) اوفسيت مكتبة المثنى (بغداد ، بلا.ت) ج٣ ، ص٢٠

الصرافين والجهابذة [1] ، واستعملت لمختلف المدفوعات حتى القليلة منها فهناك إشارة تاريخية إلى صك جهبذ " يثمن نفط اشتري بتسعة دراهم " [2] .

ويبدو مما تقدم إن عملية الصيرفة هذه قامت بدور كبير في تسهيل المعاملات المالية وعقد الصفقات التجارية وتنشيط الحياة الاقتصادية بصورة عامة وازدهار التجارة بصورة خاصة في الدولة الإسلامية حيث اشتغل هؤلاء الصيارفة بالتسليف والقروض وكافة وسائل الائتمان كما إنهم قاموا بعمليات الوساطة بين الناس ودور الضرب ، وكانوا يقبلون الودائع ثم يقومون بتبديل النقود وصرفها مما يسر نشاط التجارة وتوسع عمل المؤسسات المالية والصيرفة التي كانت تقوم بدور " البنوك " في الوقت الحاضر .

ومن الملاحظ أن العرب المسلمين ركزوا على استخدام أهل الذمّة في الأمور الكتابية والمالية خاصة ، فقد استعان الحجاج بن يوسف الثقفي بسمير اليهودي الذي عمل له أوزان الدراهم [3] ، وكان معظم كتّاب خراسان زمن الخليفة هشام بن عبد الملك من المجوس [4] .

واستطاع الصيارفة من خلال الأسواق تقديم خدمة جليلة للتجار إذ كانوا همزة الوصل بين الأفراد ودار ضرب العملة وبيت المال وكذلك تحويل النقود ، ولعل الشيء الوحيد الذي ساعد على ازدهار مهنة الصيرفة في العصر العباسي هو أن التعامل بالعملات كان يتم عن طريق العد ، لذلك كانت قيمة العملة ومعدل التبادل بينها يتوقف على كمية المعدن النفيس ونقائه ، كما إن سعر الصرف بين الدرهم والدينار

---

[1] – مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٢ ، ص٨٠ ؛ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج١ ، ص٣٨٥ ؛ ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص١٤٦ .

[2] – مسكويه ، تجارب الأمم ، ج٢ ، ص٨٠ .

[3] – المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت : ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) النقود الإسلامية ، تحقيق : محمد السيد ، ط٥ (النجف ، ١٩٦٧م) ص١١ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ص٤٢٥.

[4] – الجهشياري، الوزراء والكتاب ، ص٦٧.

يتأثر بمستوى أسعار المعدنين الذهب والفضة في الأسواق.[1] . وقد تحول بعض الجهابذة من كتاب للخراج والعمل بالجباية وتمييز النقود إلى أصحاب بيوتات مالية حيث كانوا يقومون بقرض المتعاملين معهم ، واستيفاء أموالهم عند قيامهم بجباية أموال الدولة وكثيرا منهم من احتفظ بالوظيفتين معا ، حيث كان الصيارفة في بغداد يقرضون رجال الدولة[2] ، كما اتهم خالد البرمكي بأنه أودع مالا عند جهبذ نصراني أيام الخليفة المنصور [3] . وعليه فقد اشترك الجهبذ والصراف في وظيفة وعمل هذه البيوت إلى أن ضارا اسمان لمسمى واحد [4] ، وقد اختص أهل الذمّة من اليهود والنصارى بأعمال الصيرفة والجهبذة وخاصة مع نهاية القرن الثالث الهجري عندما اصدر الخليفة المقتدر أمرا سنة (٢٩٦هـ / ٩٠٨م) بأن لا يستخدم أحدا من أهل الذمّة إلا في الطب والجهبذة [5] ، وهذا ما ذهب إليه الجاحظ بقوله [6] : " إن اغلب الصيارفة في أواخر القرن الثالث الهجري نصارى " ، كما تمكن العديد من أثرياء اليهود من الوصول إلى مركز ثابت بتعاطيهم مع رجال الدولة حيث تكمن سهل بن نظير في منتصف القرن الثالث الهجري بالاحتفاظ بوظيفة الجهبذة [7] .

ومن الأدلة على تفرد اليهود بالاتجار بالعملة في الدولة الإسلامية ، انه لمّا فرضت الدولة على بطريرك الإسكندرية جزية باهضة في أواخر القرن الثالث الهجري حصل على المال اللازم بأن باع احد اليهود

---

[1] – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٦٥ .

[2] –جاك ريسلر ، الحضارة العربية ، ص١٣٩ .

[3] –الصابي ، الوزراء ، ص٩٠ .

[4] – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٥٨.

[5] –ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٣ ، ص١٦٥ .

[6] –رسائل الجاحظ ، ج٣ ، ص٢٣٩ .

[7] –التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج١ ، ص٣١ .

الأغنياء جزء من أملاك الكنيسة وكان هذا من بين الصيارفة بمصر [1].

ولعل ما يفسر اندفاع كبار رجال الدولة من وزراء وكتاب على إيداع أموالهم لدى الصرافين والجهابذة هو خشية تعرض أموالهم للمصادرة بعد انقضاء مهامهم على غرار ما حدث للوزير ابن الفرات الذي صودرت أمواله من قبل خلفه الوزير علي بن عيسى ، كما وجدوا في هذه البيوت الملاذ الأمن لإستثمارها وبخاصة أنها كانت تمنح هامشا من الربح ما يكفي للإقبال عليها .

غير إن تعرض الجهابذة إلى التفتيش والمسائلة بعد عزل زبائنهم من كبار رجال الدولة مثل ما حدث لهارون بن عمران ، دفع بعض الموظفين إلى إيداع أموالهم دون تسجيلها في سجلات الجهابذة على غرار ما فعل ابن الفرات الذي استطاع استرجاع بعض أمواله التي وضعها في وزارته الأولى دون انتباه خلفه [2] ، وهذا الفعل قد يفسر مدى الثقة التي كانت قائمة بين بعض رجالات الدولة وهؤلاء الجهابذة من أهل الذمّة ، أو قد تعود إلى رابطة المصلحة والمنفعة المتبادلة . وقد أفاد هؤلاء من أهل الذمّة من الكثير من الودائع التي يتسلمونها من كبار رجال الدولة والقروض التي يمنحونها للتجار وحتى للدولة أحيانا ، حيث كانت هذه البيوت تتقاضى على ما تقوم به من خدمات الحفظ والتسجيل هامشا من الربح أو ما يعرف برسم الخدمة ، وكان الجهبذين يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران يأخذان ربح ثلاثين دينار في كل مئة [3] ، وبذلك فقد جنوا أرباح كثيرة لكثرة الفائض الذي يأخذونه وأضحوا مصدر للثروة والمال في الدولة الإسلامية وازدادوا مكانة واحتراما حتى عد الجاحظ الصرافة من المهن التي تجلب الثراء والغنى

---

١ -متز ، الحضارة الاسلامية ، ج٢ ، ص٧٩٦ .

٢ - مسكويه ، تجارب الامم ، ج١ ، ص٤٤ .

٣ - متز ، الحضارة الإسلامية ، ج٢ ، ص٨٠٢ .

بقوله [١] : " ألا ترون إن الأموال كثيرا ما تكون عند الكتاب وعند أصحاب الجوهر وعند الصيارفة " ، فقد كان علي بن هارون الجهبذ غنيا مترفا يعيش في قصر فخم على نهر الصراة [٢] ، ويروي التنوخي [٣] : " إنه كان لسليمان بن وهب وزير الخليفة العباسي المعتمد (٢٥٦هـ - ٢٧٩هـ / ٨٦٩ - ٨٩٢م) وابنه عبيد الله جهبذا خاصا يدعى ليث كانا يودعان النقود عنده ويكتبان الصكوك عليه ، ولما عزل سليمان من الوزارة قبض خلفه إسماعيل بن بلبل على الجهبذ ليث ليأخذ ما أودع أهل وهب عنده من نقود ، واكتشف في داره بئراً فيها ثمانين ألف دينار ، فلما سأل الجهبذ : هذا البئر مالك أم مال أصحابك ؟ فأجاب بل مالي وأنا رجل تاجر ".

ومن خلال هذا الاستعراض الذي يبين دور الصيارفة من أهل الذمّة وإسهامهم الفاعل في تطور اقتصاد الدولة الإسلامية ، فقد برزت سيطرتهم على المعاملات المالية وتسهيل تجارة الائتمان من خلال تحويلهم للنقود وتسوية الحسابات ، وكذلك إسهامهم الواضح في التخفيف من مشكلة شح الأموال المتداولة بحوالاتهم ، كما أنهم ساهموا أيضا بتطور ورقي الفكر المالي للدولة الإسلامية ، والذي أرسوه هم بوصفهم خبراء ماليين ، ونتيجة لسهولة هذا التعامل فقد ازدهرت التجارة وترسخت مكانة التجار وصاروا يجوبون مختلف الأمصار والموانئ ، وقد اتسع نطاق التجارة وأصبحت موردا مهما لأهل بغداد وصار الصيارفة من اليهود [٤] ، وكذلك فإنهم اشتغلوا بالتجارة والصناعة [٥] ، وقد ساعدت الأرباح الكبيرة المتأتية من التجارة على ممارسة اليهود في العراق مهنة الصيرفة ، وقد

---

[١] –الحيوان ، ج٤ ، ص٤٣٤ .

[٢] – ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٩٩.

[٣] – نشوار المحاضرة ، ج٨ ، ص٥٧ .

[٤] – الاصفهاني ، الاغاني ، ج٣ ، ص٨٥ .

[٥] – ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٩٤ .

مارس اليهود مهنة الاقتراض بالربا لأن أسفار موسى والتلمود قد حرمت التعامل بالربا بين اليهود أنفسهم ، ولكن لم تحرمه بين اليهودي وغير اليهودي [1] ، وقد كانوا يأخذون نسبة عالية في الربا فيروي الأصفهاني [2] : " إن اليهود وغيرهم يعطون مالهم بالربا على أن يعاد عليهم المثل في أخر العام مثلين " ، وكان لكثرة ما سُك من العملة بأسماء الخلفاء وبخاصة حينما تعددت دول الإسلام أن ظهرت طائفة عرفت بالصيارفة لتسهيل الصفقات المالية وتمويل العملات ونشأتها ، ولما كان الإسلام يمنع أتباعه من الاشتغال بالربا فأن معظم أعمال الصيرفة كانت في أيدي النصارى واليهود [3] ، وكان اغلب الصيارفة حتى أواخر القرن الثالث الهجري من النصارى ، ومما عظمهم في قلوب العوام أن منهم كتاب السلاطين وأطباء الأشراف والصيارفة [4] ، ولكن اليهود بدأوا يزاحمونهم في هذه المهنة [5] ، وكان الدهاقين الأعاجم من المجوس الذين يتقبلون الضرائب التي كانت تجمع من فلاحي المقاطعات والذين كانوا يقومون بإقراض الناس ، وقد ظلوا بعد الفتح الإسلامي للعراق وتعاونوا مع العرب [6] ، كما إن هناك أشخاصا آخرين يقومون بعملية الإقتراض لم تذكرهم المصادر ولكن نستدل من أسمائهم إن بعضهم كانوا من النصارى [7] .

ولا ريب إن مثل هذه التجارة الواسعة النطاق كانت تتطلب إجراءات مالية واسعة أيضا ، لذا فقد ظهر في العصر العباسي نظام مصرفي عرف مسائل الاعتماد والمسحوبات المصرفية للتجار وقد مارس اليهود هذه العملية [8] ، فاستعملوا الحوالات والصكوك والسفاتج التي سهلت التبادل التجاري بين المدن البعيدة وخففت

---

[1] – ديورانت ، قصة الحضارة ، ج١٤ ، ٦٢ .

[2] – الاغاني ، ج٢ ، ص١٥٤ ؛ المدور ، حضارة الاسلام ، ص١٧٨ .

[3] – ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص٤٤ .

[4] – الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ص١٧ .

[5] – المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٢٧٣ .

[6] – ابو عبيدة ، الاموال ، ص٧٨ .

[7] – العلي ، التنظيمات الاجتماعية ، ص٢٧٩ .

[8] – جلوب ، امبراطورية العرب ، ص٦١٣ .

من صعوبة نقل النقود بين البلدان وتعرضها إلى أخطار السرقة والنهب [1] ، واشتهر في العراق في عهد الخليفة المقتدر بالله العباسي (٢٩٥- ٣١٧هـ / ٩٠٧ – ٩٢٩م) رجلين من جهابذة اليهود وهما يوسف بن فنحاس وهارون بن عُمران ، ويظهر إن هذين الرجلين كان لهما شبه بنك أو شركة سيطرت آنذاك على مجالات الاقتصاد العربي الإسلامي وامتدت فروعها إلى الجزيرة الفراتية والخليج العربي ، وقد تعاملت بنظام السندات والحوالات والكمبيالات كما كانت تقوم بإقراض رجال الدولة والتجار المسلمين وبذلك استطاع هذان الصيرفيان جمع أموال كبيرة ، وقد مرت أوقات عصيبة على الدولة العباسية كانت الخزينة بها خاوية مما إضطر الخلفاء إلى اللجوء إلى الصيارفة اليهود لإقراضهم [2] ، لأنه لما خلع الوزير علي بن بن عيسى بن الفرات وطولب بالمال اقر بأن له عندهما سبعمائة ألف دينار [3] ، وكان هذان الجهبذان ومعهما زكريا بن يوحنا يسمون جهابذة الحضرة [4] . وهذا يدل يدل دلالة واضحة إن أهل الذمّة من اليهود والنصارى كانوا من أبرز وأغنى سكان العراق . ويقول المستشرق متز [5] : " فلا عجب أن نجد في لغة العرب لفظة مبلط وهو اصطلاح مالي يهودي يستعمل بمعنى المفلس " ، وكانت الصفة الغالبة على أعمال اليهود هي الصيرفة والجهبذة [6] .

مما أدى بالنتيجة إلى ازدهار التجارة بشكل ملحوظ وكل ذلك يصب في تطور الحضارة الإسلامية ودور أهل الذمّة فيه .

---

[1] – العلي ، التنظيمات الاجتماعية ، ص٢٩٠ ؛ ماجد ، الحضارة الاسلامية ، ص٤٤ .

[2] –عادل ، حامد الجادر واخرون ، يهود الاقطار العربية ، مركز الدراسات الفلسطينية ، بحث منشور في وقائع ندوة يوم ١٣-١٤ / ١٩٨٧م (بغداد ، ١٩٩٠م) ص٢٥ .

[3] – متز ، الحضارة الاسلامية ، ج٢ ، ص٣٧٨ .

[4] – الصابي ، الوزراء ، ص١٧٨ .

[5] – الحضارة الاسلامية ، ج٢ ، ص٣٧٨ . بلط : البلطة المفلس وابلط الرجل الذي ذهب ماله . الزبيدي ، تاج العروس ، مادة بلط ، م٣ ، ص٣٢٤ .

[6] – المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١٨٣ .

- **الجهبذة :**

الجهبذ هو الناقد الخبير بغوامض الأمور ، العارف بطرائق النقد[1] . وقد ازدهرت هذه المهنة كباقي المهن بتوسع التجارة ، واعتماد النظام المالي العباسي في هذه الحقبة على العملة الذهبية أكثر من الفضة ، وما يتطلبه ذلك من صرافة المبالغ الواردة لبيت المال وتحويل النقود الفضية إلى ذهبية وبالعكس ، فضلاً عن تنظيم تداول العملة في أقاليم وولايات الدولة العربية الإسلامية [2] .

أما أجور الجهابذة فهي ما يأخذه الجهبذ بحق جهبذته ككاتب خراج وكان هذا الجهبذ معروفا منذ زمن الساسانيين ويبدو أنه يرجع إلى عصر أقدم[3] ، وكان آل أبو دلف العباديين جهابذة في الحيرة [4] ، وفي العصر الأموي اتخذ الحجاج بن يوسف الثقفي جهابذة له [5] ، كما مارس مارس النصارى الجهبذة ببغداد منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي [6] ، وبمرور الزمن ونتيجة توسع عمل الجهابذة ، استحدثت الدولة ديوانا خاصا للإشراف عليها هو ديوان الجهبذة ، فقد بلغ وارد

١- الزبيدي ، تاج العروس ، مادة : جهبذ ، م٢ ، ص٥٥٨ . وهو معرب كهبذ ، أدي ، شير ، الألفاظ الفارسية المعربة (بيروت ، ١٩٠٨م) ص٤٦.

٢- الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٨٤-١٨٥ .

٣ - ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص١٩٦ ؛ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٨٤-١٨٥.

٤ - ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص٢٠٧ .

٥ - الصابي ، الوزراء ، ص١٧٨ .

٦ - التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج٢، ص١٦.

جهبذة الموصل والزابات [1] في عهد الخليفة المعتضد بالله عشرة الآلف دينار [2] .

ويبدو أن الجهابذة كانوا يعملون في أماكن خاصة في الأسواق أو الدور، إذ يصف التنوخي [3] محل عمل الجهبذ بقوله : " ودخلت الدار مع الناس، فرأيت الصحن في نهاية العمارة والحسن ، و فيه مجالس كثيرة مفروشة بفرش ظاهرة وفي صدره رجل شاب بين يديه كتاب وجهابذة وحساب يستوفيه عليهم ، وفي ضفاف الدار ومجالسها جهابذة بين أيديهم الأموال والتخوت والشواهين يقبضون ويقبضون " . ويستشف من سياق النص أن للجهبذ مكاناً خاصاً به يتولى الإشراف عليه رئيس يعمل بين يديه عدد من الكتاب والجهابذة يعرضون عليه ما يقومون به من معاملات مالية .

ولحذاقة الجهابذة من أهل الذمّة دفعت الخلفاء إلى التعامل معهم ، فقد تعامل الخليفة المعتضد بالله مع جهابذة من اليهود والمجوس واعتمد عليهم [4] ، وكان لهم نشاطهم الواضح في المؤسسات المالية إذ يقول ابن الفوطي[5] : " ومنهم الجهابذة وما يسرقون في القبض والتقبيض ومنهم الصيارفة ..." .

ومن هذا النص نجد أن أهل الذمّة من اليهود والنصارى قد عملوا بأعمال الصيرفة سواء كان ذلك في العراق أو بلاد الشام أو مصر ، فقد حصل تحول كبير

---

[1] – الزابات : قرى على نهر الزاب في الموصل . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م٢ ، ص٩٠٢.

[2] – الصابي ، الوزراء ، ص٢٧٧.

[3] – الفرج بعد الشدة ، ج٢ ، ص٢٤٦.

[4] – أبن سليمان ، أخبار فطاركة ، ص٨٤ ؛ الزيات ، الصيارفة في الإسلام ، ص٤٩٢.

[5] – الحوادث الجامعة ، ص٣٨ .

في وضع اليهود فمن امتهانهم للمهن البسيطة إلى امتهانهم مهن الصيرفة ومنافستهم للنصارى حتى كادوا أن يبعدوهم عنها ويستفردوا بها في الشام ، كما اوضح ابن الفوطي عمل كل من الجهابذة والصيارفة ، فالجهابذة هم الذين يشتغلون بالتسليف واقراض الناس مقابل فائدة معينة [1] ، ولاشتراك الجهبذ والصراف في الإقراض والتسليف فإن المصادر والمراجع المتأخرة قالت بان الجهبذ القسطار هو الصيرفي الناقد [2] ، وهو الذي يتولى قبض الأموال وصرفها وهو مأخوذ من كلمة الصرف وهو صرف الذهب والفضة في الميزان ، وكان يقال له فيما تقدم جهبذ [3] ، لكن المصادر التاريخية التي عاصرت العصر العباسي فرقت بين الجهابذة والصيارفة كما ورد في الأمثلة السابقة .

ومن المعروف أن مدلول كلمة جهبذ لم يكن ثابتا في العصور الإسلامية الأولى ، بل تطور بتوسع واجبات الجهبذ ومهامه فقد كان الجهابذة في البدء كتابا ماليين يعملون في بيت المال يقومون بتدقيق نوعية النقود والأموال الواردة إلى بيت المال وعمل حسابات بما يرد إليه من مال ، وفي العصر العباسي توسع الجهبذ إلى الأعمال المصرفية فقد كانوا تجارا حققوا من التجارة أرباحا وافرة ثم وسعوا أعمالهم وصاروا يتعاملون بالائتمان من تسليف الأموال وقبول الودائع فصاروا أصحاب بيوت مالية كما استعان بهم رجال الدولة والأغنياء لحفظ أموالهم وإدارة ضياعهم [4] ، وكانت السفتجة من الأدوات المهمة للمعاملات المستندة إلى الائتمان وتعني بان يعطي الرجل مالا لأخر ، وللآخذ مال في بلد المعطي فيوفيه إياه ، أي إنها وجدت

---

[1] -الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٩١ .

[2] -ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ، ص٩٣ .

[3] - القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٣٨ ؛ الزيات ، الصيارفة في الإسلام ، ص٤٩١ .

[4] - الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٩١ ؛ كاتبي ، غيداء خزنة ، الجهبذة في العراق وتطورها خلال القرن الرابع الهجري ، بحث منشور في مجلة دراسات (بلا . م ، ١٩٩٩م) مج٢٦ ، العدد الثاني ، ص٣٥٢ .

كوسيلة لتجنب الاخطار المتوقعة في الطرق وكانت غالبا ما تجري باتفاق فردي [1] ، فقد كانت القوافل تتعرض للسلب والنهب ففي سنة (١٩٣هـ / ٨٠٨م) حملت الأموال من مصر إلى بغداد ولما صارت بفلسطين وثب أهل مدينة الرملة على المال فقالوا هذا عطاؤنا قد ساقه الله إلينا فاخذوا منه عطاءهم كاملا وادخلوا ما تبقى في بيت المال [2] ، أما أهم فائدة للسفتجة فهي استعمالها من قبل التجار لتصفية حساباتهم بين الأقطار المختلفة لكتابة السفاتج على وكلائهم [3] ، واستعملت السفتجة أيضا لتسوية الديون في المعاملات التجارية ، فهي تعني في علم الاقتصاد حوالة صادرة من دائن يكلف فيها مدينه دفع مبلغ معين في تاريخ معين لإذن شخص ثالث أو لإذن الدائن نفسه أو لإذن الحامل للحوالة [4] ، فكان لكل سفتجة تاريخ معين ، والسفتجة كلمة فارسية وتسمى بالعربية الرقعة [5] ، ثم استعملت السفتجة كاستعمال صكوك المسافرين في الوقت الحاضر ، اذ يروي التنوخي [6] على لسان دقاق بالبصرة : " أودع رجل غريب سفتجة بأجل فكان يتردد إليه إلى أن حلت ، ثم قال ادعها عندك وأخذها متفرقة ، فكان يجيء كل يوم ويأخذ بقدر نفقته إلى أن نفذت " .

أما الوسيلة الثانية من وسائل الائتمان هي التعامل بالصكوك ، والصك يعني الكتاب وهو أمر خطي بدفع مقدار من النقود إلى الشخص المسمى فيه وهي كلمة فارسية معربة الأصل " صك " ولا يزال أثرها حتى عصرنا هذا [7] ، وقال ناصر خسرو [8] يصف التعامل بالصك عندما تحدث عن المعاملات التجارية في سوق البصرة فقال : " والعمل في هذا السوق هكذا كل من معه مال يعطيه للصراف ويأخذ منه

---

١ – ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، ص٢٩٨ ؛ الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٩٥ .

٢ – الكندي ، كتاب الولاة ، ص١٤٦ .

٣ – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٩٦ .

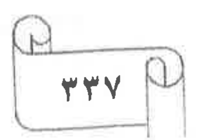
٤ – الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج١ ، ص٤٣٢ .

٥ – التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٨ ، ص١١٥ .

٦ – نشوار المحاضرة ، ج٨ ، ص٢٢٢ .

٧ – ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٠ ، ص٤٥٧ .

٨ – سفر نامة ، ص١٤٦ .



صكا ، ثم يشتري كل ما يلزمه ويحول الثمن على الصراف فلا يستخدم المشتري شيئا غير صك الصراف طالما هو مقيم في المدينة " .

ومن المرجح إنه كان يُعمل بالصك في معظم أسواق أقاليم ومدن الدولة العباسية ، وإنه من بين مهام وكيل التجار إيداع الأموال لديه ويكون الدفع من خلاله ، وبذلك فقد استفاد الصيارفة والجهابذة من عملهم هذا ، إذ كانت المعاملات المصرفية نشطة في تلك المدة وخاصة إن الفقهاء حاولوا إيجاد وسائل مشروعة للخلاص من التعامل بمثل هذه المعاملات . فقد كتب محمد بن الحسن الشيباني (ت : ١٨٩هـ / ٩٠٤م) كتاب المخارج في الحيل [١] سمح فيه عمليا ببيع البضائع دون رؤيتها ، وأجاز التأخير في الدفع ونقل الديون وتخفيف الدين في حالة الدفع المعجل والدفع بأقساط . ونسج الخصّاف (ت : ٢٦١هـ / ٨٧٤م) على منواله في كتابه الحيل والمخارج [٢] بعد حوالي سبعين عاما سمح فيه التأخير في الدفع والبيع في الفائض ، إن طلب شخص من تاجر ألف دينار والتاجر يطلب ربحا عليه مئة دينار فكان يشتري التاجر منه دارا بألف دينار ويقبضها ويبيعها إليه بألف ومائة دينار فيكون قد حصل على ربح مائة دينار. كما إن فرق تنوع العملات المسكوكة في مختلف أنحاء البلاد وتقلب أسعارها اوجد حافزا قويا للمصارف ولكن تداول كميات كبيرة من المال على شكل عملات ذهبية وفضية في المقام الأول هو الذي شجع الناس إلى اللجوء إلى الصيارفة ، وكان زبائن هذه الصيرفات هم من الأغنياء فقد اشرفوا لهم على إدارة أموالهم وتلقوا الدفعات لحسابهم وكان وجود هؤلاء ضروريا جدا لكبار الموظفين الذين كانوا يدفعون الرشاوى إلى الصرافين لعدم تسجيل حسابات هذه المبالغ كما نشأت مؤسسات مصرفية في كل مدينة ونشأت شوارع الصيرفة في المدن الكبرى[٣].

وخلاصة القول إن الجهابذة والصيارفة قاموا بدور مهم في التجارة في العصر العباسي إذ كانوا يشتغلون بالتسليف والإقراض كما كان الصيارفة يتوسطون بين الناس

---

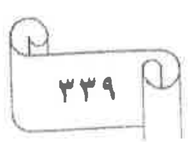
١ – احمد بن عمر ، نشره وصححه : يوسف شخت (ليبزج ، ١٩٣٠م) ص٧٧ .

٢ – نشره وصححه : يوسف شخت (هنوفر ، ١٩٢٣م) ص١٩ ، ٤٣ .

٣ – آشتور ، الحياة الاقتصادية ، ص١٣٤ .

ودور الضرب ويقبلون الودائع بالإضافة إلى صرف النقود وقد شجعوا التجار بتسهيلهم الائتمان فكانت بيوتهم المالية بمثابة " البنوك " في هذا العصر [1] .

1 – الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٩٥ .



الفصل الرابع

إسهامات أهل الذمّة في الجانب الفكري

المبحث الأول: الإسهامات العلمية لأهل الذمة.

المبحث الثاني: إسهامات أهل الذمة في المناظرات الفكرية والدينية.

المبحث الثالث: علماء وشعراء وأدباء أهل الذمة في مؤلفات المسلمين

المبحث الاول
الأسهامات العلمية

لأهل الذمّة اسهام واضح وملموس في الحركة العلمية في المشرق الاسلامي ، وقد غطت هذه الاسهامات القرون الهجرية الاولى ، واستمرت الى أن ذاب الكثير من أهل الذمّة في المجتمع الاسلامي بعد دخولهم في الاسلام واعتناقه ، وسنبحث فهي هذ الانجازات ضمن ثنايا هذا المبحث .

أسهامات اهل الذمّة في العلم والتعليم :

اسهاماتهم في مجال الطب :

يعد الطب من العلوم القديمة قدم الانسان وقد نال هذا العلم مرتبة نفيسة عند الناس ، وبذلك حظي الأطباء بمكانة مرموقة في المجتمع لما يقدموه من خدمات انسانية عظيمة[١]، وقد تمتع أهل الذمّة بمختلف أديانهم بحرية الفكر في ضل الشريعة الإسلامية جعلهم يواصلون البحث والتعمق في شتى العلوم والمعارف التي مهروا فيها قبل بزوغ فجر الإسلام ، ومنها الطب ، وبذلك ظهر منهم العديد من الاطباء ، واتصل هؤلاء بالعديد من الشخصيات الإسلامية والتي قدمت لهم بدورها كافة اشكال العناية والإهتمام ، واستعانت بخبراتهم وكفاءتهم الدولة فقد استعان الرسول ﷺ بطبيب نصراني يدعى إبن أبي رمثة [٢]، وتطبب عنده بعض الصحابة ﷺ [٣] ، وقد

---

١ – مرتيون ، سعيد ، ادعياء الطب واثرهم على الامة وعلى صناعة الطب في المشرق العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري ، بحث منشور في مجلة المؤرخون العرب (بغداد ، ١٩٩٠م) العدد العشرون ، ص٥٣ ؛ ابراهيم ، حسن احمد ، العرب واثراء الدراسات الطبية ، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، (بغداد ، ١٩٨١) العدد السابع عشر ، ص١٤٥ .

٢ – ابن ابي رمثة التميمي ، من الاطباء العرب النصارى الذين عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم وطببوا له ، ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج٢ ، ص٢٣ .

٣ – ابن جلجل ، سليمان بن حسان ، طبقات الاطباء والحكماء ، تحقيق : فؤاد سيد (القاهرة ، بلا . ت) ص٥٧-٥٨ .

ذاعت شهرة الحارث بن كلدة النصراني في مجال الطب حتى لقب بطبيب العرب، وكان ﷺ يشير إلى المرضى بمراجعته والتطبب على يديه [1] .

كما برز في العهد النبوي الشريف طبيبان من النصارى وهم اوليطراؤس الطرسوسي[2] واريباسيوس الاسكندراني [3] . وقد برع في مجال الطب أيضا الطبيب النصراني بولس الأجانيطي وكان ذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ إذ برع بطب النساء القوابل اللواتي تعلمن مهنتهن على يديه فكن يطرحن عليه الأسئلة ليتلقين إجابات شافية في عملية توليد النساء [4] . أما الطبيب النصراني أبو الفتوح المتوفي (ق١هـ / ٧م) فقد أشتهر أيضا بهذا المجال في عصر الخليفة علي ﷺ وكان طبيبا حاذقا [5] ، وغيرهم كثير [6] .

أما في العصر الأموي فقد برع في مجال العلوم العلمية والعقلية أطباء وفلاسفة من أهل الذمّة وقد حرص خلفاء بنو أمية على تقريبهم وخاصة النصارى منهم والإستماع لإرشاداتهم ونصائحهم في ما يتعلق بتقويم الأبدان فأكثروا من مجالستهم وكان منهم الطبيب أبو الحكم الدمشقي النصراني والذي كان عالما بانواع العقاقير الطبية ، وله أعمال مذكورة ووصفات مشهورة وكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ يستطببه

---

١ – القفطي ، اخبار العلماء ، ص١١١ .

٢ – وهو من الاطباء النصارى البارزين في صدر الاسلام لقب بالهلال لأنه كان يلازم داره منشغلا بعلم الطب ووضع المصنفات فيه ولا يراه الناس الا نادرا . القفطي ، اخبار العلماء ، ص٤١ .

٣ – وهو من اطباء مصر النصارى المشهورين في صدر الاسلام ، ووضع مصنفات عدة في مجال الطب . القفطي ، اخبار العلماء ، ص٤٢ .

٤ – ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٧٦ ؛ بهنام ، بولس ، الطب عند العرب الاوائل ، مجلة بين النهرين (بغداد ، ١٩٧٦م) العدد الرابع عشر ، ص٩٨ .

٥ – عيسى احمد ، معجم الاطباء (بيروت ، ١٩٤٢م) ص٩٧ ؛ حبي ، يوسف ، وزراء وكتاب مسيحيون في القرنين السابع والثامن الميلاديين ، بحث منشور في مجلة بين النهرين (بغداد ، ١٩٨٨م) العدد الثالث والستون والرابع والستون ، ص٢٠٧ .

٦ – ينظر : ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء،ج١.

ويعتمد عليه في تركيب الأدوية [١] ، ولما ولي أبنه يزيد إمارة الحج في بعض السنوات أرسله معه مطببا له [٢] ، وكذلك الطبيب إبن آثال النصراني وكان من الأطباء المتميزين في دمشق وقد كان خبيرًا بالأدوية المفردة والمركبة وقواها وما فيها من سموم ، وكان معاوية قد إصطفاه لنفسه وقربه وأتخذه طبيبا خاصا له وكان كثير الإفتقاد له والإعتقاد فيه والمحادثة معه ليلاً ونهاراً [٣] ، ويذكر أنه ولاه جباة خراج حمص [٤] ، كما استقدم الكثير من الأطباء النصارى لبلاطه بغية الإستماع لنصائحهم الطبية [٥] ، وكان ماسرجويه اليهودي طبيبا لمروان بن الحكم وترجم له كتبا في الطب من السريانية إلى العربية للقس أهرن بن أعين ، وله كتابا في الأطعمة وكتابا في العقاقير وقد تضمنت كتبه نصائح عدة للمرضى ومن أهم كتبه قوى الأطعمة ومنافعها ومضارها وكتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها [٦] .

وأما عبد الملك بن أبجر الكناني الذي كان نصرانيا من أهل الإسكندرية وأسلم على يد عمر بن عبد العزيز عندما كان بمصر اثناء ولاية أبيه عبد العزيز بن مروان عليها ، فلما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز استقدمه إلى الشام واعتمد عليه في صناعة الطب وقد استطبه

---

١ – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ص١٧٥-١٧٦ ؛ الفقي ، تاريخ الفكر ، ص٣٤٩ ؛ حبي ، وزراء ، ص٢٠٦ .

٢ –ابن ابي اصيبعة ، عيون الاطباء ، ص١٧٥ .

٣ – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ص١٧٧ .

٤ – الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص٢٣ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٥ ، ص٨٠ ؛ ترتون ، أهل الذمّة ، ص١٧٥ .

٥ – الجريري ، ابو الفرج المعافى بن زكريا ، تهذيب الجليس الصالح الكافي والانس الناصح الشافي ، تحقيق : صالح بن عثمان اللحام (عمان ، ٢٠٠٣م) ص١٢٨ .

٦ –ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ص٢١٢-٢١٣ ؛ النصولي ، انيس زكريا ، الدولة الاموية في الشام (بغداد ، ١٩٧٢م) ص٢٨١ ؛ الكتاني ، عبد الحي ، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية (بيروت ، بلا . ت) ج٢ ، ص٢٦٩ .

الخليفة عمر بن عبد العزيز واعتمد عليه [1] ، وقد أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بنشر كتاب الطب الشرعي الذي نقله إلى العربية متطبب البصرة ماسرجويه في عهد الخليفة مروان بن الحكم ، وقد وجده في خزائن الكتب في الشام [2] .

ومن أشهر الأطباء الذميين من النصارى في العراق في العهد الأموي الطبيب تياذوق وكان طبيبا فاضلا وله نوادر في صناعة الطب ، وكان مشهورا عند الأمويين بالطب وله من الكتب كناش كبير الفه لأبنه وكتاب ابدال الأدوية وكيفية صنعها واذابتها وشيء من تفسير أسماء الأدوية[3] ، وقد نال الطب عناية كبيرة وخاصة في العصر العباسي ، فمارسه العديد من المسلمين وأهل الذمّة الذين برعوا بإختصاصاته المختلفة . وضمت قصور الخلفاء العديد من الأطباء الذميين ومن بين من لمعت أسماؤهم في هذا العصر من الأطباء اليهود الطبيب فرات بن شهناثا وقد أشتهر في عهد الخليفة المنصور ، وصحب ولي عهده عيسى بن موسى الذي كان يستشيره في كل أموره ، وكان هذا الطبيب قد خدم سابقا الحجاج بن يوسف الثقفي وتتلمذ على يد الطبيب النصراني تياذوق [4]. وكذلك الطبيب عيسى بن موسى النصراني فقد الف كتبا طبية عدة تحدثت عن حفظ الصحة وتركيب الأدوية واسمائها [5].

---

1 – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ص١٧١ ؛ ابن جلجل ، طبقات الاطباء ، ص٥٩ ؛ العبادي ، الحياة الاقتصادية ، ص٢١ .

2 – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج١ ، ص١٦٣ .

3 – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج٢ ، ص٣٢ ، ٣٥ .

4 – طبيب في صدر الإسلام مشهور في الدولة الأموية واختص بخدمة الحجاج بن يوسف الثقفي . القفطي ، تاريخ الحكماء، ص٢٥٥.

5 – ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج٣ ، ص٢٧٦ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٨ ، ص٢٠ ؛ المعاضيدي ، عبد القادر سلمان ، واسط في العصر العباسي دراسة في تنظيماتها الادارية وحياتها الاجتماعية والفكرية (٣٢٤ – ٦٥٦هـ / ٩٥٣ – ١٢٥٨م) ، (بغداد ، ١٩٨٣م) ص٣١٨-٣١٩ ؛ اسماعيل ، عز الدين ، المكونات الاولى للثقافة العربية ، ط٢ (بغداد ، ١٩٨٦م) ص٢٠٨ .

لقد حظي الاطباء النصارى بمكانة مرموقة عند الخلفاء والأمراء كالأطباء اليهود ، فقد ظهرت نخبة متميزة منهم في مختلف عهود الخلفاء ، وكان نفوذهم كبيرا في البلاط وفي حياة الناس اليومية ، وظهرت منهم أسر توارثت مهنة الطب ، لعل أشهرها أسرة آل بختيشوع ، التي كانت تتمركز في البداية في مدينة جنديسابور في بلاد فارس ، وكان كبيرها آنذاك جرجس بن بختيشوع رئيس أطباء بيمارستان[١] جنديسابور [٢] ، وبدأت صلته بالخلافة حينما استدعاه الخليفة المنصور بعد تعرضه لعلة في معدته ، ومنذ ذلك الوقت صار طبيبه الخاص ومن شدة ثقته به أنه كان يسمح له بالدخول إلى حرمه وأهل بيته [٣] ، ولمدة طويلة عاش آل بختيشوع في بغداد مكرمين معززين من قبل خلفاء بني العباس ، وما تمتعوا به من مهارة طبية واحترام كاد يكون حكرا عليهم من قبل الخلافة[٤] ، فقد استدعى الخليفة الرشيد بختيشوع بن جرجيس من

---

١ – وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض او عليل او مصاب و (ستان) بمعنى مكان او دار فهي اذا " دار المرضى " ثم اختصرت فصارت " مارستان " عيسى ، تاريخ البيمارستانات في الاسلام ، ص٤ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٦ ، ص٢١٧ . ويعود تاريخ انشاء اول بيمارستان في الاسلام الى عصر الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، م٢ ، ص٢٩٠ ؛ ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص١٠٦ ؛ الاربلي ، عبد الرحمن سنبط قنيتو ، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، تصحيح : مكي السيد جاسم (بغداد ، بلا . ت) ص١ .

٢ – ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ص٢٧٧ ؛ الدينوري ، المجالسة ، ج١٤ ، ص٣٣٩ .

٣– القفطي، تاريخ الحكماء، ص١٥٨؛ أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء،ج١، ص١٢٣؛أبن العبري، تاريخ الزمان، ص١٠؛ قنواتي، المسيحية والحضارة العربية ، ص٨٠؛ اربري ، أ . ج ، تراث فارس ، ترجمة : محمد كفافي (دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٩م) ص ١٠٩.

٤ – قنواتي ، المسيحية ، ص٨٠ ؛ أربري ، تراث فارس ، ص١٠٩ ؛ حدّاد ، رشيد ، الوجه النصراني للحضارة الغربية ، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي (بغداد ، ١٩٧٧م) ص٨٩-٩٠.

جنديسابور ليعالجه من علة لحقت به ، ثم أنتدب الأطباء لإمتحانه ، وبعد نجاحه أغدق عليه الهدايا الفاخرة [١] . وتوارث آل بختيشوع خدمة الخلفاء ، فقد خلف بختيشوع بن جرجيس أبنه جبرئيل ودخل بخدمه الخليفة الرشيد ونال عنده حظوة كبيرة وخاصة بعد أن أشفى أحدى نسائه فأكرمه [٢] .

ولم يكن الخليفة الرشيد ليتناول طعاما إلا بعد اختباره من قبله ، وبلغت مكانته عنده حدا أن جعله واسطة بينه وبين أصحابه في أية حاجة يريدونها ، لذا قصدوه في كل أمورهم [٣] ، ومن محبة الخليفة الرشيد له قوله له عند عودته من الحج وعلى مسمع الآخرين : " دعوت لك جبرئيل والله في الموقف دعاءا كثيرا " [٤] ، وخدم جبرئيل بعد وفاة الخليفة الرشيد ولديه الأمين والمأمون ، فكانا لا يتناولان الطعام إلا بحضوره [٥]. وبرز بعده أبنه بختيشوع الذي خدم الخليفة المتوكل فأغدق عليه وقربه منه إلى حد ارتفع به مقامه في البلاط كثيراً وزادت ثروته [٦] ، وبلغ من اهتمام الخليفة المتوكل به وحرصه على مشاعره أن حبس أحد الشعراء بعد أن هجاه في شعره [٧] ، كما كان دائم التفقد له والسؤال عنه

---

١ – أبن العبري، تاريخ الزمان، ص١٧.

٢ – أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٢٧؛ أبن العبري، تاريخ الزمان، ص١٨.

٣ – أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٢٨. ومع أن في هذه الرواية مبالغة إلا أنها توضح المكانة المرموقة التي نالها الطبيب عند الخليفة الرشيد.

٤ – أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٣٠؛ فييه ،أحوال النصارى ، ص٩٣.

٥ – القفطي، تاريخ الحكماء، ص١٤١، ص١٤٤.

٦ – أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٤٢؛ أبن العبري، تاريخ الزمان،ص٤٠.

٧– الأصبهاني ، الأغاني ، ج١، ص٢٠٦ .

، فما أن سمع مرة بمرضه حتى أرسل أبنه وولي عهده المعتز ليعوده مع بعض رجال الحاشية [1] ، وما قاله الخليفة المتوكل بحقه :" إن محله منا محل أرواحنا من أبداننا " [2] .

ومن الأسر الطبية النصرانية التي طببت الخلفاء العباسيين آل ماسويه الذين انتقلوا من جنديسابور إلى بغداد وأشتهر منهم ما سويه الذي استدعاه الخليفة الرشيد لمعالجة أخته [3] ، كما أشتهر منهم يوحنا بن ماسويه والذي طبب كل من الخلفاء هارون الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل [4] ، ولما كان من عادة الخلفاء أن يتناولوا طعامهم بحضور مقربيهم ، لذا كان يوحنا يحضر موائد الخلفاء ويقف على رؤوسهم ويقدم لهم الطعام بنفسه [5] .

وتوارثت أسرة آل ماسويه الطب وخدمة الخلفاء ، فصار ميخائيل بن ماسويه أخو يوحنا طبيب الخليفة المأمون [6] ، وبلغت عناية أطبائه به حدا ، كان فيه طبيبه الكحال جبرئيل أول من يدخل يوميا عليه بعد صلاة الظهر فيغسل أجفانه ويكحل عينيه [7] ، فضلا عن دور أطباء هذه الأسر في خدمة الخلفاء ، نراهم يتخذون أطباء آخرين ويقربونهم إليهم معترفين بعلمهم وفضلهم

---

[1]- القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص١٠٢-١٠٤ ؛ أبن العبري ، مختصر الدول ، ص١٤٣-١٤٤.

[2] – أبن أبي أصيبعة ،طبقات الأطباء ، ج١، ص١٤٢.

[3]- أبن أبي أصيبعة،طبقات الأطباء، ج١،ص١٧٣.

[4]- أبن النديم، الفهرست، ص٣٥٤؛ أبن جلجل ، طبقات الأطباء والحكماء ، ص٦٥-٦٦.

[5]- القفطي، تاريخ الحكماء، ص٣٨٠؛ أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٧٥.

[6]- القفطي، تاريخ الحكماء، ص٣٢٨-٣٣٠؛ أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٨٣.

[7]- القفطي، تاريخ الحكماء، ص١٥٢؛ أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٧١.

عليهم ، فقد قرب الخليفة المعتصم الطبيب النصراني سلمويه بن بنان ، وبلغ في أكرام الخليفة له حدا ، والثقة به أن توقيعاته إلى الدواوين وأوامره إلى أمرائه وقواده كانت كلها بخط طبيبة هذا ، كما ولى أخاه إبراهيم خزائن بيوت الأموال وخاتمه ، ولم يبلغ أحد عنده في المكانة كتلك التي بلغها هذين الأخوين (١) ، ولما مرض هذا الطبيب عاده الخليفة المعتصم وبكى عنده متأثرا لحاله ، وحينما توفي سلمويه قال الخليفة المعتصم : " سألحق به لأنه كان يمسك حياتي ويدبر جسمي " (٢) ، ومن حزنه عليه ، أمتنع عن الطعام يوم موته ، ثم أمر أن تحضر جنازته إلى الدار ويصلى عليه بالشمع والبخور على عادة النصارى فنُفذ أمره (٣) .

وأشتهر من أطباء الخليفة المتوكل المقربين الطبيب حنين بن إسحق وهو من نصارى الحيرة (٤) ، نشأ في أسرة علمية طبية ، فقد كان والده صيدلانيا بالحيرة (٥) ، وعموما أهتم الخليفة المتوكل بالأطباء النصارى وقربهم منه فبلغ عددهم في بلاطه ستة وخمسون طبيبا (٦).

وعرف من الأطباء النصارى الذين خدموا عدداً من الخلفاء بختيشوع بن يوحنا الذي طبب من الخليفة المقتدر بالله (٧) ، و جرت عادة الخلفاء أصطحاب اطبائهم معهم معهم فكان في عسكر الخليفة المعتصم بالله سنة (٢٢٠هـ / ٨٣٥م) الطبيبان يوحنا بن ما سويه وبختيشوع بن جبرئيل (٨) ، وفضلاً عن ذلك جذبت شهرة بعض الأطباء

---

١ - أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج٢، ص٨٢ .

٢- أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٦٤- ١٦٥. تبدو في هذه الرواية مبالغة واضحة، لكنها توضح بشكل أو بأخر مكانه هؤلاء الأطباء عند الخلفاء.

٣ - القفطي، تاريخ الحكماء، ص٢٠٧؛ أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٦٥.

٤ - القفطي، تاريخ الحكماء، ص٢٠٧؛ أبن العبري، مختصر الدول، ص١٤٠؛ فييه، أحوال النصارى، ص١٢٨.

٥- أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٩٠.

٦- أبن العبري، مختصر الدول، ص١٤٤.

٧- أبن العبري، مختصر الدول، ص١٥٨.

٨- القفطي، تاريخ الحكماء، ص٣٨٧؛ أبن أبي أصيبعة، طبقات الاطباء، ج١، ص١٧٧.

أنتباه الخلفاء فأستدعوهم من أمصارهم لعلاجهم أو أفراد حاشيتهم ، واستدعى الخليفة هارون الرشيد من مصر الطبيب النصراني المعروف بيليطيان الذي كان بطريرك الإسكندرية إلى بغداد لمعالجة بعض أهله ، وبشفائهم على يديه قرّبه وأكرمه للغاية [١] .

والملاحظة المهمة ، أن نساء الخلفاء كان لهن أطبائهن وصيادلتهن الخاصين بهن ، فقد كان للخيزران زوج الخليفة المهدي طبيبا صيدليا يدعى أبو قريش وتقع صيدليته قرب أحد ابواب البلاط [٢] .

ومن ناحية أخرى ، وفر الخلفاء لأطبائهم العديد من المساعدين ليقوموا على خدمتهم وإعانتهم في أعمالهم ، فقد عمل مع طبيب الخليفة المعتضد بالله غالب النصراني سبعين معينا[٣] ، ونلمس من هذا حرص الخلفاء على توفير كل ما يحتاجه أطباؤهم ، ووفاءً منه له نراه يحضر دفنه سنة (٢٨٧هـ / ٩٠٠م) ، ثم خلفه أبنه أبو عثمان سعيد بن غالب في تطبيبه[٤].

ولم تقتصر خدمة الأطباء على الخلفاء ، بل كان للوزراء والأمراء ورجال الحاشية العديد من الأطباء من أهل الذمّة ، فقد خدم إسحاق بن حنين وزير الخليفة المعتضد بالله القاسم بن عبيد الله(٢٥٨- ٢٩١هـ/ ٨٧١- ٩٠٣م) [٥] ومن ثقته به كان يشاوره في العديد من الأمور التي يكتمها عن غيره [٦] ، وكان في صحبة الأمير أحمد بن

---

١ – أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج٢، ص٨٢ .

٢– القفطي، تاريخ الحكماء، ص٤٣٣- ٤٣٤؛ المدور، حضارة الاسلام، ص١٦٤.

٣ – الغريري ، أهل الذمّة ، ص١٨٨ .

٤– أبن أبي أصيبعة ، طبقات الأطباء ، ج١، ص٢٣٠- ٢٣١ ؛ أبن العبري ، تاريخ الزمان ، ص٤٧.

٥ –ابن سليمان بن وهب بن سعيد الحارثي الوزير ولي الوزارة للخليفة المعتضد بعد موت والده الوزير الكبير عبيد الله سنة ٢٨٨هـ /٩٠٠م ظهرت شهامته وزاد تمكنه ، فلما مات المعتضد بالله سنة ٢٨٩هـ / ٩٠١م قام القاسم باعباء الخلافة وعقد البيعة للمكتفي . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١١ ، ص١٣ .

٦ – أبن النديم، الفهرست ، ص٣٥٦ ؛ أبن أبي أصيبعة ، طبقات الأطباء ، ج١، ص٢٠٠ . وإسحاق هذا هو أبن حنين بن إسحاق طبيب الخليفة المتوكل .

طولون جملة من الأطباء النصارى أشهرهم سعيد بن توفيل النصراني الذي كان يصحبه في سفره وإقامته [1].

أما إطباء أهل الذمّة من الصابئة فجذبت براعتهم في الطب اهتمام الخلفاء العباسيين فقربوهم واصبحوا من خاصتهم ، وقد أعانتهم براعتهم وحكمتهم على كسب ودّ الخلفاء وثقتهم فغدوا أطباء خاصين لهم مقربين منهم ، وعلى رأسهم أسرة آل قرة ، ومنهم الطبيب ثابت بن قرة (٢١١- ٢٨٨هـ / ٨٢٦-٩٠٠م) الذي كانت تربطه علاقة متينة بالخليفة العباسي المعتضد بالله (٢٧٩- ٢٨٩هـ / ٨٩٢-٩٠١م) [2] ، واشتهر كذلك بتدريس كتب ابقراط وجالينوس [3] ، وتعود جذور العلاقة إلى الوقت الذي كان فيه المعتضد أميرا ، فقد حدث أن غضب عليه والده الموفق بالله وحبسه في دار أحد أصحابه فكان ثابت دائم التردد عليه ويتناقشان في علوم الفلسفة والهندسة والنجوم وغير ذلك ، فأحبه المعتضد [4] ، وما أن آل عرش الخلافة إليه حتى علا شأنه ووصل ووصل إلى أجل المراتب وأعلى المنازل ، فقد خوله الخليفة الدخول عليه في أي وقت يشاء ، ولم ينل مكانته عند الخليفة أي شخص من وزرائه أو خاصته [5] ، فكان يجلس مع الخليفة ووزيره واقف[6] ، وكان الخليفة يكنيه في جلساتهما الخاصة وبين الملأ يسميه ، ومما يؤكد علو مقام هذا الطبيب في نظر الخليفة أن المعتضد اتكأ يوما على يده وهما يسيران ، لكنه جذبها فجأة بشدة ، ففزع ثابت لكن الخليفة طمأنه بقوله : " يا أبا الحسن سهوت ووضعت يدي على يدك وأستندت عليها وليس هكذا يجب أن يكون فان العلماء يعلون ولا يعلون"[7] .

---

[1] – أبن أبي أصيبعة ، طبقات الأطباء ، ج٢ ، ص٨٣ ؛ حسن ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص٣٩٢.

[2] – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج٢ ، ص١٤٩ .

[3] – ابن عماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب (بيروت ، بلا . ت) ج٢ ، ص١٩٧ ؛ عيسى ، معجم الاطباء ، ص١٥٥ .

[4] – أبن أبي أصيبعة ، طبقات الاطباء ، ج١، ص٢١٦.

[5] – الأصبهاني ، الأغاني ، ج٩ ، ص٥٩- ٦٠ ؛ القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص١١٦ .

[6] – أبن الفقيه ، بغداد مدينة السلام ، ص٦٩ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٣ ، ص٤٨٥.

[7] – أبن أبي أصيبعة ، طبقات الأطباء ، ج١ ، ص٢١٦.

ويستشف من ذلك تعظيم الخليفة للعلم والعلماء وعلوم منزلتهم عنده للدرجة التي تعلو فيها على الخليفة نفسه ، وهذا من حسن الحكام المسلمين وخلفائه مع أهل الذمّة . ومن هنا نرى أن حنينا لم يكتف بتلقي العلوم على أبناء ملته بل طرق أبواب علوم أخرى ، فقرأ على يوحنا بن ماسويه الطب وعلى الخليل النحو ، وفي الوقت نفسه جلس هو لتعليم كل من يريد التعلم على يديه سواء أكان مسلما أو ذميا . فدرس على يديه من المسلمين عيسى بن علي الذي خدم الخليفة المعتمد [١] .

ومن ناحية أخرى ، تتلمذ أطباء أهل الذمّة على بعضهم البعض فقد درس حنين بن إسحق الطب على يد الطبيب المعروف يوحنا بن ماسويه[٢] ، وتلمذ فرات بن شحناثا اليهودي على يد الطبيب النصراني تياذوق ، الذي كان طبيب الأمير العباسي عيسى بن موسى [٣] ، ودرس عيسى بن أسيد النصراني الطب على يد الطبيب الصابىء المشهور ثابت بن قرة[٤].

قرة[٤].

ومن جانب أخر ، اهتمت إدارة الدولة في العصر العباسي بالمستشفيات فأخذت بإنشائها وتوفير مستلزماتها كافة ، ودرست فيها كتب الطب اليونانية بالإضافة إلى مؤلفات الأطباء العرب والمسلمين التي شكلت أساس المناهج الطبية آنذاك[٥] ، منذ عهد الخليفة المنصور مما ترتب على ذلك زيادة عدد الأطباء في عهده ، وبناء مدارس لتعليم الطب وإنشاء بيمارستانات في العديد من المدن ، وهو أول من استقدم أطباء

١- أبن أبي أصيبعة ، طبقات الأطباء ، ج١، ص٢٠٣.

٢- أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٨٦.

٣- القفطي، تاريخ الحكماء، ص٢٥٥ ؛ أبن العبري ، مختصر الدول ، ص١٩٤.

٤- القفطي، تاريخ الحكماء، ص١١٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٤٨٥.

٥ – أبونا، تاريخ الكنيسة، ج٢، ص١٥٣ .

جنديسابور النصارى إلى عاصمته [1] ، وظلت العناية بهذه المهنة تزداد والحرص على التوسع في إقامة المستشفيات يشتد في عهود الخلفاء العباسيين ، وبدأت الدولة توكل للأطباء من أهل الذمّة مسؤولية إدارة المستشفيات والأشراف عليها ، ويبدو أن براعة الأطباء الذميين والنصارى منهم خاصة وحذاقتهم في إدارة مستشفيات جنديسابور ، دفع الدولة إلى إسناد إدارتها لهم ومنحتهم صلاحيات واسعة بالإضافة إلى كونهم أطباء الخلفاء المعتمدين ، فقد عين الخليفة الرشيد ماسويه بن يوحنا النصراني الذي كان صيدلانيا وكحالا مشهورا ساعورا [2] لأول بيمارستان أنشئ ببغداد[3] ، كما شغل جبرئيل بن بختيشوع المنصب نفسه في عهد الخليفة الرشيد [4].

وأنكب الأطباء على تأليف العديد من الكتب كل في حقل اختصاصه ، كما ألف بعضهم للخلفاء ، كما فعل جبرئيل بن بختيشوع ، فقد ترك رسالة إلى الخليفة المأمون في صناعة الطب والمأكل والمشرب وكتاب أخر في البخور[5] ، وألف حنين بن إسحق لأم الخليفة المتوكل كتاب عن المواليد لثمانية أشهر ، يتحدث فيه عنهم وعن تغذيتهم وما إلى ذلك ،

---

[1] – الجومرد، جزيل عبد الجبار ، داهية العرب أبو جعفر المنصور مؤسس دولة بني العبّاس (بيروت ، ١٩٦٣م) ص٣٦٨.

[2] – الساعور: كلمة تطلق على مدير البيمارستان إذا كان سرياني الأصل، ومعناه بالسريانية تفقد المرضى أما إذا كان مسلماً فيطلق عليه لقب رئيس الأطباء وهو الذي يشرف عليهم ويأذن لهم بممارسة مهنة الطب. عيسى ، احمد ، تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ط٢ (بيروت ، ١٩٨١م) ص١٩.

[3] – أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٧١– ١٧٥.

[4] – أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٢٧.

[5] – أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٣٧– ١٣٨.

طريق طرح السؤال والإجابة عليه[1]، وعظمة مؤلفات حنين التي خلفها دفعت العديد من الأطباء إلى دراستها وشرح ما طرحه من مسائل واختصار ما ألفه من كتب ومن أولئك موهوب بن ظافر السكري الذي أختصر كتاب المسائل لحنين[2] ، والطبيب علي الرقي الذي قام بتفسير مسائل حنين في الطب[3] ، كما أهتم أطباء أهل الذمّة من النصارى بالكتابة عن الأمراض ومسبباتها والوقاية منها وكان للرهبان حصة في هذه المؤلفات فقد وضعوا الكتب التي تصف الأمراض المعروفة لهم وعلاجها مع الإهتمام بإرشاد الناس إلى إتباع قواعد الصحة العامة ، منها ما وضعه أبو الحسن المختار بن الحسن المعروف بإبن بطلان في كتابة كناش الأديرة والرهبان [4] . كما عد يوحنا بن ماسويه أول من كتب عن مرض الجذام [5].

وكان للأطباء الصابئة حظا وافرا من العلم والأدب ، فلم يقتصر تأليفهم على الطب فقط ، بل ألفوا في التاريخ وتسجيل الأحداث المعاصرة لهم ، كثابت بن قرة . فمن ألمع تصانيفه في الطب الذخيرة في علم الطب[6] ، وله كتاب تاريخي يعرف بتاريخ ثابت بن قرة الصابئ يتحدث فيه عن أحداث السنوات من (١٩٠ - ٣٦٣هـ / ٨٠٥ - ٩٧٣م) [7] .

---

1 - أبن إسحاق، حنين، المولودون، تحقيق: يوسف حبي (بغداد ، ١٩٧٨م) ص٢٠- ٢١. لكن أشارة أخرى تذكر أنه وضع الكتاب للمولودين لستة اشهر. القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص١٧٣.

2 - أبن أبي أصيبعة ، طبقات الأطباء ، ج٢، ص١٤٤.

3 - القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص٢٣٤ ؛ عيسى ، معجم الأطباء ، ص٩٤.

4 - الشابشتي، الديارات، ص٣٠.

5 - أبن النديم، الفهرست، ص٣٥٤ .

6 - أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص٢١٩.

7 - حاجي ، خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون (بلا . م ، بلا . ت) م١، ص٢٩٠.

ونظراً لأهتمام الخلفاء بمختلف العلوم وولعهم بالتأليف والبحث ، فقد ألف لهم الأطباء العديد من الكتب التي لم تقتصر موضوعاتها على الطب فقط ، وإنما شملت مختلف العلوم التي برعوا بها ، فقد وضع سنان بن ثابت الصابئ كتابا للخليفة المعتضد بالله في الأنواء [١] ، فضلا عما خلفه من تصانيف أخرى في شتى العلوم [٢] .

وممن اهتم بتسجيل أحداث التاريخ من الأطباء ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الذي ألف تاريخا ذكر فيه الأحداث من سنة (٢٩٥هـ / ٩٠٧م) حتى سنة (٣٦٥هـ / ٩٧٥م) [٣] ، ومن الطريف الإشارة إلى أن العادة جرت آنذاك إن الذي يبرع بعلمين يأخذ رزقين وهكذا[٤] ، ونالت أسرة بختيشوع إمتيازات كبيرة لقربها من الخلفاء ، ولعل ما حصل عليه جبرئيل بن بختيشوع خير دليل على نفوذ تلك الأسرة والعطايا الجمة التي نالوها ، فسنورد قائمة تدل على ما كان يرد جبرئيل بن بختيشوع من مال وهدايا في كل عام من قبل الخليفة الرشيد وحده ، منها رواتب يقبض بعضها من بيت مال العامة والبعض الأخر من بيت مال الخاصة ، فضلا عن هدايا أصحاب الخليفة الرشيد وأهل بيته وحاشيته ورجال القصر بالإضافة إلى امتلاكه العديد من الضياع [٥] ، وحدث أن اشترى جبرئيل ضيعة بمبلغ كبير فإلتمسه من بعض علية القوم ، فمنحوه ضعفه ، ولما سمع الخليفة الرشيد بذلك أمر له بمبلغ أخر من المال [٦] ، وثبت برقعة

١- البيروني ، الآثار الباقية ، ص٢٢٣.

٢ - ياقوت الحموي، معجم الأدباء، م٦، ج١١، ص٢٦٢- ٢٦٣؛ القفطي، تاريخ الحكماء، ص١٩٥.

٣ - ياقوت الحموي، معجم الأدباء، م٤، ج٧، ص١٤٢- ١٤٣.

٤- أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج٢، ص١٤٠؛ الزيات، فن الطبخ، ص١١.

٥ - القفطي، تاريخ الحكماء، ص١٤٣؛ أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٣٧.

٦- أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٣٠.

وردت بخط جبرئيل بن بختيشوع ما وصله من البرامكة بسبعين ألف ألف درهم [١] ، كما وصله الصاحب بن عباد بعد أن زاره في الري بمبلغ ألف دينار [٢].

وبلغت منزلة الأطباء عند الخلفاء إنهم كانوا يختارون هداياهم بأنفسهم ، فيطلبون من الخليفة مثلا إقطاعهم ضياعا معينة . فقد أقطع الخليفة الرشيد لبختيشوع بن جبرئيل أقطاعا قيمته ألف ألف درهم فطلب منه بختيشوع أن يلغي هذا الإقطاع ويهب له ما يشتري به ضياعا غلتها ألف ألف درهم فأعطاه ما طلب [٣] .

من هنا نرى أن الأطباء النصارى أصبحوا من ملاك الأراضي وأصحاب الثروات في البلاد . كما نال ماسويه بن يوحنا الطبيب النصراني ، من الخليفة هارون الرشيد مبلغ ألفي درهم في الشهر ، وخصه بمعونة سنوية بلغت عشرين ألف درهم [٤] ، وقد خصص له الوزير الفضل بن الربيع (١٣٨- ٢٠٨هـ/ ٧٥٥- ٨٢٣م) [٥] راتبا شهريا قدره ستمائة درهم [٦]، كما كان جبرائيل كحال الخليفة المأمون يتقاضى ألف درهم شهريا [٧].

أما الخليفة المتوكل فقد أغدق على طبيبه بختيشوع بن جبرائيل الأموال والضياع من ذلك أنه أمر له بثلثمائة ألف درهم والعديد من

١- التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٨، ص٢٤٥. في هذا النص مبالغة كبيرة.

٢ – القفطي، تاريخ الحكماء، ص١٤٨؛ أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٤٥- ١٤٦.

٣ – التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٤، ص٢٢٠؛ أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٣٢.

٤ – أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٧٣.

٥ – الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد صاحب الخليفة هارون الرشيد. أبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٠٥- ٢٠٨.

٦ – أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٧٣.

٧ – القفطي، تاريخ الحكماء، ص١٥٢.

أصناف الثياب ، لشفائه الخليفة من علة ألمت به [1] ، كما بلغت نفقة بيته من شموع وزيت وعطور خمسمائة ألف دينار سنويا [2] .

وقد أغدق الأمير الموفق إبن الخليفة المتوكل على طبيبه النصراني غالب الأموال والإقطاعات والخلع ، وبلغ من إكرامه له أن كان يقول لرجاله : " من أراد إكرامي فليكرمه ، وليصل غالبا " [3] ، كما حصل ثابت بن قرة الصابئ على ضياع جليلة من الخليفة المعتضد بالله [4] ، واقطع الخليفة المقتدر بالله العديد من الإقطاعات والضياع لطبيبه بختيشوع بن يوحنا [5].

كما تقاضى الأطباء مرتبات عن عملهم في البيمارستانات . ففي عصر الخليفة المعتضد بالله كانت أرزاق رؤساء الأطباء وتلامذتهم تبلغ ستمائة وسبعين دينار شهريا ، بينما كانت نفقات البيمارستان الصاعدي وأرزاق الأطباء والكحالين والعاملين فيه وأثمان الطعام والأشربة أربعمائة وخمسين دينار شهريا[6] .

وعلى الرغم من النعم التي عاش في ظلها الأطباء من أهل الذمّة ، إلا أنهم تعرضوا أحيانا لغضب الخلفاء الناجم عن أخطاء تصدر منهم أو مكائد تحاك ضدهم دافعها الحسد على مكانتهم عند الخلفاء وغالبا ما تكون هذه المكائد من قبل الأطباء المنافسيين لهم ، ففي عهد الخليفة المهدي نرى تدخل زوجته الخيزران بأبعاد الطبيب بختيشوع بن جرجيس من

---

[1]- أبن أبي أصيبعة، طبقات الاطباء، ج١، ص١٤٢.

[2] - أبن العبري، تاريخ الزمان، ص٤٠.

[3] - أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص٢٣٠.

[4] - ياقوت الحموي، معجم الأدباء، م١، ج٢، ص٥٥.

[5] - أبن أبي أصيبعة ، طبقات الأطباء، ج١، ص٢٠٢؛ أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٥٧.

[6] - الصابي ، الوزراء، ص٢٤، ص٢٦-٢٧.

قصر الخلافة وإعادته إلى جنديسابور لأنه كان منافسا لطبيبها أبي قريش النصراني [١] .

وأثرت نتيجة الحرب بين الأمين والمأمون على جبرئيل بن بختيشوع إذ رفض العمل مع الخليفة الجديد المأمون خاصة وأنه كان مؤدب الأمين وكاتم سره ، مما دفع بالمأمون إلى القبض عليه ومصادرة أمواله [٢] ، لكنه ما لبث أن قرّبه وأصبح طبيبه الخاص وبالغ في إكرامه ورد له أملاكة المصادرة [٣] ، كما غضب الخليفة المتوكل على طبيبه بختيشوع بن جبرئيل مرات عدة ، بسبب المكائد التي كانت تحاك ضده من الأطباء الآخرين حسدا منهم على منزلته عند الخليفة المتوكل ولكن ما أن تتوضح الأمور حتى يزول غضب الخليفة عليه [٤].

ولا بد من الإشارة إلى أن غضب الدولة في بعض الأحيان على بعض موظفيها من أهل الذمّة ومنعهم من العمل لم يشمل الأطباء فقط ، بل الوظائف الأخرى ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فان هذه القرارات ما تلبث أن تزول مهما كانت أسبابها . ففي سنة (٢٩٦هــ / ٩٠٨م) أصدر الخليفة المقتدر بالله قرارا بعزل أهل الذمّة عن الوظائف عدا العاملين في حقلي الطب والصيرفة [٥] .

مما يؤشر عدم قدرة الدولة على الإستغناء عنهم ، ففي الوقت الذي منعوا من مزاولة وظائف معينة في الدولة ، أبقاهم على عملهم كأطباء له ولحاشيته يؤمنهم على حياته ، ويطلق يدهم في اقتصاد البلاد والأمور

---

[١]- القفطي، تاريخ الحكماء، ص١٠١.

[٢]- أبن العبري، تاريخ الزمان، ص١٨.

[٣] - أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٣٥.

[٤] - الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ج٩، ص٢١١؛ أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٣٨.

[٥] - أبن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمّة، ج١، ص٢٢٤؛ القلقشندي، صبح الاعشى ، ج١٣، ص٣٦٨.

المالية بممارستهم الصيرفة ومن هنا نستنتج أن قرارات العزل ما كانت إلا إجراءات وقتية اقتضتها طبيعة الظروف بسبب بعض الممارسات التي قاموا بها وعدتها الدولة ضد المصلحة العامة .

وأخيرا نشير إلى عدم وجود زي معين للأطباء ، فعندما أصدر الخليفة هارون الرشيد أمرا بتغيير ملابس أهل الذمّة ، دخل عليه طبيبه جبرئيل بطيلسان مصبوغ مع الغيار والزنار ، فلما أنكر الخليفة عليه ذلك رد قائلا : " أنا أحد أهل الذمّة ولا يجوز أن أخالف زيّهم " فألغى الخليفة أمره هذا عن أهل الذمّة[1] ، ومع ذلك ترد إشارات إلى ارتداء الأطباء النصارى الزنار . فلما غضب الجاثليق على الطبيب حنين بن إسحق أمر بقطع زناره [2] ، ولا غرابة من ارتدائه للزنار فقد كان من لباس أهل الذمّة آنذاك ، كما درج الأطباء على ارتداء العمائم الكبيرة [3] . وعرفت لديهم كذلك الصيادلة لبسوا عمامة خاصة سميت " بالرصافية " [4] . وقد بلغت أهمية هذا العلم أن جعله علماء المسلمين في كفة واحدة مع علم الأديان فيقول الأمام الشافعي (٢٠٤هـ / ٨١٩م) بهذا الصدد : " إن العلم علمان ، علم الأديان وعلم الأبدان " [5] .

وتعقيبا على ما سبق ذكره فقد كان للأطباء متابعات مؤلفات بعضهم البعض وتبادلوا وجهات النظر في المعلومات الواردة فيها ، إذ وضع الطبيب سابور بن سهل

---

١ – أبن سليمان، أخبار فطاركة، ص٧٣.

٢– أبن العبري، مختصر الدول، ص١٤٦.

٣ – أبن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٦٧.

٤ – العبيدي ، صلاح حسين ، الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي من المصادر التاريخية والاثرية ، دار الرشيد للنشر (بغداد ، ١٩٨٠م) ص٩٨. والرصافية تكون على هيئة طاقية . دوزي ، رينهارت ، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة : اكرم فاضل ، بحث منشور في مجلة اللسان العربي ، المجلد التاسع ، العدد الثاني (بلا . م ، ١٩٧٢م) ص١٥٦.

٥ – ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٨ ، ص٢١ ؛ الاصبهاني ، حلية الاولياء ، م٩ ، ص١٤٢ .

النصراني (ت : ٢٥٥هـ / ٨٦٨م)[١] مؤلفا في الرد على الطبيب حنين بن إسحق في كتابه الفرق بين الغذاء والدواء المسهل[٢] ، وشغل كتاب الطبيب حنين بن إسحق المعروف بمسائل حنين إهتمام الكثير من الأطباء المسلمين وأهل الذمّة فوضعوا له العديد من التفاسير والشروحات والمختصرات ومن أولئك موهوب بن ظافر السكري الحلبي [٣] الذي وضع مصنفا سماه إختصار كتب المسائل لحنين بن إسحق [٤] ، وغيره من المؤلفات الكثير [٥] .

وقد طلب بعض الخلفاء من الأطباء وضع المصنفات الطبية التي تحوي ابداعاتهم ومهاراتهم في مجال الطب ، فصنف جبرائيل بن عبيد الله بن بختشيوع للخليفة المأمون رسالة في المطعم والمشرب [٦]. وبلغ اعجاب الخليفة الواثق بوصفة طبيبه حنين بن إسحق للفم والأسنان وانواعها ووظيفة كل منها أن طلب منه وضع مصنف فيه جميع ما يحتاج إلى معرفته فألف له كتاباً عاماً جعله ثلاث مقالات ، ذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء المسهل واعضاء الجسد [٧] ، كما ألف حنين لأم الخليفة المتوكل كتاب المولودون يتحدث فيه عن المولود وتغذيته والمولوددين في ثمانية أشهر وما يتعرضوا له [٨] ، وحقق الأطباء النصارى إنجازات علمية كبيرة وواضحة تمثلت بما توصلوا

---

١ – سابور بن سهل من الاطباء النصارى البارزين كان رئيسا لبيمارستان جند نيسابور وقد وضع العديد من المصنفات الطبية اهمها كتاب الاقرباذين الي يعتمد عليه في تدريس الطب بالبيمارستانات ودكاكين الصيادلة وكان من جملة اطباء الخليفة المتوكل ، القفطي ، اخبار العلماء ، ص١٤١

٢ – ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٥٥ ؛ القفطي ، اخبار العلماء ، ص١٤١ .

٣ – موهوب بن ظافر السكري : ابو الفضل موهوب بن ظافر بن جابر بن منصور. السكري من اطباء حلب الحاذقين . ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج٣ ، ص٢٤٠ .

٤ – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج٣ ، ص٢٤٠ .

٥ – القفطي ، اخبار العلماء ، ص٥٧ ؛ الغريري ، اثر أهل الذمّة في الحركة الفكرية ، ص٨١ .

٦ – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج٢ ، ص٦٩ ؛ الرفاعي ، عصر المأمون ، م١ ، ص٤١٧ .

٧ – المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٣٦٦ .

٨ – ابن اسحق ، المولودين ، ص٢١ ؛ الشابشتي ، الديارات ، ص٣٠ .

إليه من نتاجات من خلال مؤلفاتهم ودراساتهم فكان أول من كتب عن مرض الجذام الطبيب يوحنا بن ماسويه [1] ، وأول كتاب بطب العيون صنفه حنين بن إسحق [2] ، وأول من استخدم طريقة تكييف الهواء والحرارة الطبيب بختشيوع بن جبرائيل [3] ، وأتقن أطباء أهل الذمّة مهنة الطب واجادوا بذلك واجتهدوا فاشتهر الطبيب يوسف الساهر النصراني [4] الذي سهر الليالي وكان لا ينام من الليل إلا ربعه أو زاد قليلا من من شدة شغفه بمتابعة الكتب الطبية وقراءتها [5] .

ومن اليهود الذين درسوا بمجلسه في بغداد يهودا بن يوسف المعروف بإبن أبي الثناء[6] ، وابن ربن الطبري اليهودي المنجم كان حكيما طبيبا عالما بالهندسة، وانواع الرياضيات وترجم من الكتب الحكيمة وكان ولده علي طبيبا مشهورا انتقل إلى العراق وسكن سامراء [7] ، وقد أسلم إبن ربن الطبري على يد الخليفة المعتصم وسكن سامراء وادخله المتوكل في جملة ندمائه ومن مؤلفاته فردوس الحكمة وكتاب منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير وكتاب حفظ الصحة ، وكتاب في الحجامة ، وكتاب في ترتيب الأغذية[8] .

---

١ – ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٥٤ .

٢ – ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٥٣ ؛ محمد ، محمود الحاج قاسم ، الوسائل التعليمية في دراسة الطب عند الاطباء العرب والمسلمين ، مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد ، ٢٠٠٠م) م٤٧ ، ص٩٢ ؛ غرس النعمة ، ابو الحسن محمد بن هلال ، الهفوات النادرة ، تحقيق : صالح الاشتر ، مطبوعات مجمع اللغة العربية (دمشق ، ١٩٦٧م) ص٢٦٨ .

٣ – ابونا ، تاريخ الكنيسة ، ج٢ ، ص١٦٠ .

٤ – يوسف الساهر ، من اطباء النصارى في بغداد عاش في ايام الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ / ٩٠٢-٩٠٨م) القفطي ، اخبار العلماء ، ص٢٥٦ .

٥ – ابن العبري ، مختصر الدول ، ص٢٦٨ .

٦– المسعودي ، التنبيه ، ص٩٩ ؛ حمود ، هادي حسين ، منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية (بغداد ، ١٩٨٤م) ص٤٠ .

٧ – ابن القفطي ، اخبار الحكماء ، ص١٢٨ ؛ غنيمة ، نزهة المشتاق ، ص١١٥ .

٨ – ابن النديم ، الفهرست ، ص٢٧٣-٢٧٤ .

وكذلك فقد برز من اليهود سند بن علي المنجم وأسلم في عصر المأمون وكان يعمل في جملة الراصدين[1] ، ومن برز من يهود البصرة ' Masar Jawaih' وقد كتب في الأدوية وترجم موضوعاتها من السريانية إلى العربية ، ومن الأطباء اليهود في العراق فرات بن شحنانا وقد خدم الحجاج بن يوسف الثقفي وعيسى بن موسى العباسي ولي عهد المنصور[2].

وعد عيسى بن اسيد النصراني من المع تلامذة ثابت بن قرة [3] ، وسجل أطباء الصابئة نتاجاتهم العلمية في مجال الطب بمؤلفات عدة ضمت مختلف الأمراض وعلاجاتها فمن أشهر ما دونه الطبيب قرة بن ثابت من مؤلفات طبية كتاب الذخيرة في علم الطب الذي بحث فيه مختلف الأمراض التي تصيب الإنسان وعلاجاتها وتضمن هذا الكتاب واحد وثلاثين بابا والممتع في منهجيته إنه جعل لكل مرض بابا خاصا به ، ومن أهم الأمراض التي وصفها وعالجها هذا الكتاب مرض سقوط الشعر والأمراض الجلدية وانواع الصداع والسكتة ، وله رسائل في امراض الجدري والحصبة والحصى المتولد في المثانة وغيرها من المؤلفات التي تشير إلى براعته وعلمه في مجال الطب[4] ، وضمت مؤلفاتهم تصحيحا لأجوبة اسئلة طبية وجهت إلى اطباء أخرين وضم بعضها ردا على اسئلة طبية وجهت لهم ومن ذلك ما وضعه ثابت بن سنان بكتابه المسمى إصلاح مقالات من كناش يوحنا وهي أجوبة عن مسائل سئل عنها في

---

1 - غنيمة ، نزهة المشتاق ، ص١١١ .

2 - غنيمة ، نزهة المشتاق ، ص١١٠ .

3 - ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٣٢ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٣ ، ص٤٨٥ .

4 - ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٣١ ؛ القفطي ، اخبار العلماء ، ص٨٣ ؛ هونكة ، سيغرد ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة : فاروق بيضون وكمال دسوقي ، دار الافاق الجديدة ، ط٦ (بيروت ، ١٩٨١م) ص١٥٣ .

مجال الطب [١] . ولأبي الحسن ثابت بن إبراهيم مؤلفات تمثل ردا على مسائل طبية سئل عنها [٢] .

وفي طب العيون فكانت لهم براعة دفعت الكثير من المرضى التوافد اليهم من كل مكان فخضعوا لعملياتهم الجراحية وهذا ما برع به الطبيب أحمد بن وصيف الصابئ[٣] ، وبذلك طبب أطباء أهل الذمّة الكثير من رجال الدولة الإسلامية المشهورين كالخلفاء وغيرهم فعالج بعض الأطباء الذميين النصارى بعض أئمة المسلمين ومشايخهم كالإمام أحمد بن حنبل [٤] ، والسري السقطي (ت : ٢٥٣هـ / ٨٦٧م) [٥] شيخ الصوفية [٦] [٦] ، وأشاد بهم الشعراء المسلمون بأشعارهم لما نالوا من عنايتهم والشفاء على أيديهم كما حدث مع الشاعر السري الرفاء (ت : ٢٨٨هـ / ٩١٠م) الذي امتدح بشعره الطبيب ثابت بن قرة الذي ابرأه من علّة اصابته [٧] ، وترأس الكثير من اطباء أهل

١- القفطي ، اخبار العلماء ، ص٧٧ ؛ البغدادي ، اسماعيل ، هدية العارفين (اسطنبول ، ١٩٥٥م) م١ ، ص٢٤٦ .

٢ - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٧ ، ص٢٩١ ؛ الزهيري ، عبد الفتاح ، الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين العرب البائدة ، تنقيح : فريدة المنصور (بغداد ، ١٩٨٣م) ص١٧٠.

٣ - عيسى ، تاريخ البمارستانات ، ص٣١ . ولا يعرف عن الطبيب احمد بن وصيف سوى انه من اطباء بغداد الصابئة الذين برعوا بطب العيون . ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج٢ ، ص٢١٨ .

٤ - الابشيهي ، المستطرف ، ج١ ، ص١٥٦ ؛ الندوي ، ابو الحسن علي عبد الحي ، رجال الفكر والدعوة في الاسلام (الكويت ، ١٩٦٩م) ص١٠٧ .

٥ - وهو من مدرسة بغداد وأحد شيوخ الصوفية المعروفين بميولهم للزهد وكثرة التعبد ، المناوي ، زين الدين محمد الرؤوف (ت : ١٠٣١هـ / ١٦٢١م) الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية الطبقات الكبرى ، تحقيق : محمد اديب الجادر (بيروت ، ١٩٩٩م) ج٢ ، ص٦٣٢.

٦ - المناوي ، الكواكب الدرية ،/ ج٢ ، ص٦٢٣ .

٧ - الرفاء ، السري بن احمد ، ديوان السري الرفاء ، تحقيق : حبيب حسين الحسيني (بغداد ، ١٩٨١م) ج١ ، ص١٤٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٢٨٥ ؛ ابن خلّكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ، ص١٦٢ .

الذمّة البيمارستانات التي حرصت الدولة الإسلامية على انشائها وتزويدها بالمستلزمات الخاصة بها كافة لا سيما النصارى منهم الذين احسنوا ادارتها والإشراف عليها فقد عين الخليفة الرشيد ماسويه بن يوحنا النصراني [١] الذي كان صيدلانيا وكحالا مشهورا ساعورا لأول بيمارستان انشئ في بغداد [٢] .

ومن الجدير بالذكر إن الدولة الإسلامية قد أهتمت بجانب أخر في مجال الطب وهو إنشاء البيمارستانات المحمولة [٣] ، أي تلك التي تحمل خزانة من الأدوية والأشربة وتطوف بالأرياف لمداواة المرضى ومن جملة الأطباء الذين صحبوا هذه البيمارستانات الطبيب سنان بن ثابت[٤].

وادخلت مؤلفات العديد من أطباء أهل الذمّة ضمن مواد تدريس مهنة الطب للراغبين فيها في البيمارستانات ، ومن ذلك كتاب الطبيب النصراني جبرائيل بن عبيد الله بن بختشيوع المسمى بالكافي [٥] ، وكتاب الأقراباذين لسابور بن سهل النصراني طبيب الخليفة المتوكل الذي درس في البيمارستانات ومحلات الصيادلة [٦] .

وجرت عادة الأطباء على تدريس وامتحان الطلبة القادمين إلى البيمارستانات أو إلى مجالسهم التعليمية بمسائل حنين بن إسحق الطبية [٧] ، وقد قرب الخليفة الرشيد

---

١ – ماسويه بن يوحنا من الاطباء النصارى الحاذقين عمل طبيبا وصيدلانيا في بيمارستان جند نيسابور ثم انتقل الى بغداد ولسمعته الطبية استقدمه الخليفة هارون الرشيد وادخله بجملة اطبائه وزاد من اكراه والاغداق عليه ، ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج٢ ، ص١١٧ ، ١٢٠

٢ – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج٢ ، ص١٢٢ ؛ فييه ، احوال النصارى ، ص٨٤ وليس هناك اشارة لتاريخ توليه بيمارستان بغداد .

٣ – عيسى ، تاريخ البيمارستانات ، ص١٢-١٣ .

٤ – القفطي ، اخبار العلماء ، ص١٣٢ ؛ ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج٢ ، ص٢٠٢ .

٥ – القفطي ، اخبار العلماء ، ص١٠٥ .

٦ – ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٥٥ ؛ القفطي ، اخبار العلماء ، ص١٤١ ؛ ابن العبري ، مختصر الدول ، ص٢٥٥ ؛ نصري ، بطرس ، ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة من السريان (الموصل ، ١٩٠٥م) م١ ، ص٣٩٩ .

٧ – ابن العبري ، مختصر الدول ، ص٤١٦ ؛ فييه ، احوال النصارى ، ص٣٥٣ .

نخبة من اطباء النصارى ووكل اليهم الإشراف على المستشفيات ودور العلاج ، ووضعُ جميع المدارس تحت مراقبة يوحنا بن ماسويه ، وكانت إدارة المدارس في البلاد الإسلامية مفوضة إلى النصارى النسطوريين تارة وإلى اليهود تارة أخرى [1] ، اضافة إلى ذلك فقد ولى الخليفة الرشيد يوحنا بن ماسويه الإشراف على ترجمة الكتب الطبية القديمة [2] ، وبلغ من حظوة ومكانة الطبيب جبرائيل بن بختشيوع إن الخليفة الرشيد قال لأصحابه فيه : " كل من كانت له حاجة فليخاطب فيها جبرائيل ، لأني أفعل كل ما سألنيه ، ويطلبه مني " [3] ، وكذلك اكرم المأمون العلماء والأطباء والأدباء والأدباء والفلاسفة وأشهر اطبائه جبرائيل الكحال فكان له في كل شهر الف درهم وكان أول من يدخل على المأمون في كل يوم [4] ، وقال فيهم إبن أبي أصيبعة [5] : " إن جورجيس وولده كانوا من أجل أهل زمانهم بما خصهم الله عز وجل من شرف النفوس ونبل الهمم ومن البر المعروف والأفضال والصدقات وتفقد المرضى من الفقراء والمساكين ، والأخذ بأيدي المنكوبين والمرهوقين على ما يتجاوز الحد من الصفة والشرح " ، واشتهر من اطباء المنصور عيسى بن شهلافا وهو تلميذ جورجيس بن جبرائيل [6] .

ومن اطباء المهدي أبو قريش ويعرف بعيسى الصيدلاني ، ولم يذكر في جملة الأطباء لأنه كان ماهرا بصناعة الأدوية [7] ، ومن اطباء الخليفة

---

[1] – كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، ص٤٣ .

[2] – الحنفي ، كامل بن حسين بن محمد الغزي ، جلاء الظلمة عن حقوق أهل الذمّة ، دار الكتب المصرية ، المكتبة التيمورية برقم ٣٢٤ ، عقائد ، الفه سنة ١٣١٣هـ / ١٨٩٧م بأسم السلطان عبد الحميد ، مخطوط ، ورقة ٢٧ .

[3] – القفطي ، اخبار العلماء ، ص٩٥ .

[4] – امين ، ضحى الاسلام ، ج١ ، ص٥٧ ؛ الرفاعي ، عصر المأمون ، ج١ ، ص٣٥٣ .

[5] – عيون الانباء ، ج١ ، ص١٣٦ .

[6] – ابن العبري ، مختصر تاريخ الدول ، ص١٢٤ .

[7] – ابن القفطي ، اخبار الحكماء ، ص٤٣٠ .

الخليفة الهادي الطبيب الطيفوري وقد نقل له حنين عدة كتب في الطب وكان من أحظى الناس عنده[١] ، وله مقالة في الحميات أصبحت من النظريات المعول عليها في دراسة الأمراض ، ونقلت فيما بعد إلى اللاتينية والعبرية [٢] ، وله ثلاثون كتابا منها كتاب البرهان وكتاب الكمال والتمام وكتاب في الفصد والحجامة وفي الأدوية والجذام وفي الأغذية وعلاج المعدة وفي الطب النسائي وتركيب الأدوية[٣] ، واشتهر في الطب من أهل الذمّة النصارى ماسويه أبو يوحنا ، وقد رأس مدرسة الطب في بغداد وله عدة مترجمات ومؤلفات ، ويوحنا بن ماسويه الذي اشتهر بالطب والصيدلة واستخدمه الخليفة المأمون لمهارته ، وكان سلمويه بن بنان طبيب الخليفة المعتصم وقد قربه إليه ، وكان يرد إلى الدواوين توقيعات المعتصم في السجلات وغيرها بخطه ، وكل ما كان يرد على الأمراء والقواد من خروج أمره وتوقيع من حضرة أمير المؤمنين كله بخط سلمويه [٤] ، وله عشرة مقالات في طب العيون [٥] ، وفي الأغذية والأدوية وفي تدبير الناقهين [٦].

ومن اطباء النصارى المشهورين حنين بن إسحق وقد برز بالفلسفة فضلاً عن الطب ، وقد جعله المأمون رئيسا لبيت الحكمة ، ومشرفا على المترجمين فيه ، واقطع له المتوكل الإقطاعات وقربه إليه [٧] ، واشتهر إبن أخته حبيش بن الأعسم وإبنه إسحق (ت : ٢٩٨هـ / ٩١١م) بالطب

---

١ – ابن القفطي ، اخبار الحكماء ، ص٢١٩ .

٢ – مظهر ، اسماعيل ، تاريخ الفكر العربي ، بحث منشور في مجلة العصور (بلا . م ، ١٩٢٨م) ص٤٧ .

٣ – ابن جلجل ، طبقات الاطباء والحكماء ، ص٦٥ .

٤ – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج١ ، ص١٦٤ .

٥ – ديورانت ، قصة الحضارة ، ج١٣ ، ص١٩٠ .

٦ –ابن جلجل ، طبقات الاطباء والحكماء ، ص٦٩ .

٧ – ابن العبري ، مختصر ، تاريخ الدول ، ص٢٥١ .

، فقال إبن القفطي [1] عن إسحق : " وكان أبو يعقوب النصراني في منزلة أبيه الفضل ، وصحة النقل من اليونانية إلى السريانية وكان يزيد على أبيه في الفصاحة " . وكان أوحد عصره في علم الطب ويلحق بأبيه في النقل ومعرفة اللغات وفصاحته فيها ، وكان يعرّب كتب الحكمة اليونانية إلى العربية كما كان يفعل أبوه ، وله من الكتب ، كتاب الكناش وكتاب تاريخ الأطباء وكتاب الأدوية المفردة [2] ، وألف بعض النصارى كتبا في الطب باللغة العربية وهم إبراهيم بن بكوس ويحيى بن عدي ، وعيسى بن زرعة والبيرودي والفضل بن جرير ، ويحيى بن جرير [3] ، وقسطا بن لوقا ، وكان حاذقا بالطب والفلسفة والتنجيم والهندسة والحساب ، وله مؤلفات في الطب منها الفرق بين النفس والروح وكتاب بين الحيوان الناطق والصامت وكتاب في غلبة الدم [4] ، وقد لازم هؤلاء الأطباء النصارى الخلفاء في قصورهم وبلاطاتهم ويجلسون على موائد طعامهم ويسامرونهم ويعالجون مرضاهم ويرافقونهم أحيانا في حروبهم واسفارهم [5] .

وحرص الخلفاء على توثيق الصلة بينهم وبين اطبائهم النصارى واغداقهم بالأموال والضياع حتى صاروا يضاهون الخلفاء في وجاهتهم وضياعهم بملئ قلوبهم وعيونهم من أي طمع فلقد بلغ راتب جبريل بن بختشيوع أيام الخليفة المنصور تسعمائة الف دينار [6] ، وهذا لقطع الطريق أمام المتربصين بالخليفة لأن نيل الطبيب من الخليفة أمر يسير ، فلقد استطاع الطبيب النصراني اسرائيل الطيفوري من قتل

---

١ – اخبار الحكماء ، ص٥٧ .

٢ – ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ، ص١٨٥ .

٣ – برصوم ، اغناطيوس افرام ، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والاداب السريانية ، ط٦ (دار ومكتبة بيبلون ، ١٩٩٦م) ص٢٠٣ .

٤ – ابن جلجل ، طبقات الاطباء ، ص٧٦ .

٥ –ابن العبري ، مختصر تاريخ الدول ، ص٢٢٦ ، ٢٦٥ .

٦ –ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص١٨ .

الخليفة المتوكل عندما أستعمل في فصده [1] آله مسمومة ، أو لأنه قد قطر في أذنيه قطرات أدت إلى إنتفاخ رأسه [2] ، ويقال إن الخليفة المتوكل إحتجم بغير إذن طبيبه إسرائيل الطيفوري [3] فغضب عليه فإفتدى الخليفة غضبه بثلاثة الآف دينار وضيعة تغل خمسين الف درهم [4] ، كما إن الخليفة المتوكل إشتهى يوما أن يأكل مع طعامه خردلا فمنعه الأطباء من ذلك لحدة مزاجه وحرارة كبده فقال له بختشيوع : " أنا اطعمك إياه وإن ضرّك علي ، فأمر أن يقشر الخردل ويضرب بماء القرع وقال : إن الخردل في الدرجة الرابعة من الحرارة والقرع من الدرجة الرابعة من الرطوبة " وبات المتوكل تلك الليلة ولم يحس بشيء من الأذى فأمر أن يحمل إليه ثلاثمئة الف درهم [5] ، وفي هذه النصوص دلالة واضحة على إسهام أهل الذمّة في مجال الطب حتى وصل هذا الأمر إلى أن يصل إلى محاباة الخلفاء لهم والنزول على آرائهم .

المستشفيات :

لم يكن غريباً على العرب المسلمين أن يوجدوا مكانا لعلاج المرضى والجرحى فخيمة رفيدة الانصارية [6] هي أول امكنة العلاج التي أمر الرسول ﷺ أن تقام في المسجد يوم الخندق (٥هـ / ٦٢٦م) [7] ، والتي تطورت فيما بعد لتصبح مستشفى كما وصل إليه الحال في العصر الأموي ، إذ دأب الخلفاء الأمويون على رعاية الأطباء وتشجيع دراسة الطب فأنشأوا لذلك المستشفيات لمعالجة المرضى من الناس إذ

---

١ – استخراج الدم من الجسم بآله حادة . الزبيدي ، تاج العروس ، ج٢ ، ص٤٥٣ .

٢ –المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص١١٤ .

٣ – اسرائيل بن زكريا الطيفوري متطبب الفتح بن خاقان وزير المتوكل كان مقدما في صناعة الطب جليل القدر عند الخلفاء والملوك . ابن ابي اصيبعة ، طبقات الاطباء ، ص٢٢٥ .

٤ – ابن ابي اصيبعة ، طبقات الاطباء ، ص٢٢٥ .

٥ – ابن ابي اصيبعة ، طبقات الاطباء ، ص٢٠٦-٢٠٧ ؛ طبي ، دور أهل الذمّة ، ص٦١ .

٦ – وهي امرأة من أسلم ، كانت تداوي الجرحى . ابن الاثير ، أُسد الغابة ، ج٧ ، ص١١١ .

٧ – البدري ، عبد اللطيف ، الطب عند العرب ، الموسوعة الصغيرة ، منشورات وزارة الثقافة (بغداد ، ١٩٧٨م) ص١٢٧ ؛ فروخ ، عمر ، تاريخ العلوم عند العرب ، ط٣ (بيروت ، ١٩٨٠م) ص٢٨٩.

بنيت أول دار لعلاج المرضى ورتب فيها الأطباء ، وأول من بناها الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٨هـ / ٧٠٦م) لمعالجة المجذومين [1] ، كما اتخذوا لأنفسهم الأطباء من النصارى للإشراف على علاجهم [2].

أما في العصر العباسي فقد تطور الأمر بفعل رغبة الخلفاء العباسيين الأوائل وعنايتهم بالجوانب الصحية ، ولتأثير مستشفى جنديسابور ومدرستها التي كانت هيئاتها العلمية كلهم من السريان على تخريج الأطباء وإيفاد المختصين منهم إلى العراق وبخاصة بغداد مركز الخلافة العباسية [3] . حتى أصبحت المستشفيات منتشرة في عموم المدن والأمصار [4] . وكانت تسمى " بالبيمارستانات " وهي إحدى المؤسسات " التي كان يشيدها الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء ، وأهل الخير على العموم صدقة وحسبة وخدمة للإنسانية وتخليدا لذكراهم " [5] ، واختاروا لها الأماكن التي تمتاز بالهدوء والهواء العليل والماء النقي [6] ، وقد شملت هذه المستشفيات دور العلاج العلاج الإعتيادية وردهات المرضى وصيدليات الأدوية ومكتبات للمطالعة [7] ، وأماكن لإعداد الأطباء [8] ، وتوسعت رقعة بناء المستشفيات في العصر العباسي منها منها مستشفى الرشيد في العراق والتي انشأها الخليفة العباسي هارون الرشيد بالجانب

---

١ – المقريزي ، الخطط ، ج٢ ، ص٤٠٥ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص٦٦ ؛ متز ، الحضارة الاسلامية ، ج٢ ، ص٢٠٥ .

٢ – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج١ ، ص٣٠٩ .

٣ – ويمكن ارجاع بدأ ملامح الاختلاط الى عام (١٤٨هـ / ٨٦٥م) عندما مرض الخليفة المنصور " ودعا رئيس اطباء جنديسابور ، ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ص١٨٣-١٨٤ ؛ ينظر القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص١٣٤ ، ١٥٣ .

٤ – فروخ ، تاريخ العلوم ، ص٢٩٢ .

٥ – عيسى ، تاريخ البيمارستانات ، ص٣ .

٦ – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج١ ، ص٣٠٩ .

٧ – معروف ، ناجي ، مستشفيات بغداد في العصر العباسي ، بحث منشور في مجلة كلية الشريعة (جامعة بغداد ، ١٩٦٨م) العدد الرابع ، ص٢٨٣ .

٨ – عيسى ، تاريخ البمارستانات ، ص١٠ ؛ كاطع ، الخدمات الصحية ، ص٤٤ .

الغربي من بغداد وذلك في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي [١] ، ورشح لرئاسته الطبيب يوحنا بن ماسويه [٢] .

وفي هذا النص إشارة واضحة على مساهمة أهل الذمّة في مجال الطب والتي تميزت بارتقائهم لأدارة المستشفيات . ومستشفى البرامكة التي انشأوها واسندوا رئاستها إلى الطبيب الهندي إبن دهن ، وهو أحد نقلة الهند ، وقد دثرت ولم يبق لها ذكر بعد زوال نفوذ البرامكة [٣] ، وكثرة المستشفيات والأطباء تجسد حالة التطور الصحي والتي أدت بالنتيجة إلى شهرة العراق في صنع الأدوية وتوزيعها بشكل واسع ، وانتشار أسواق الصيادلة [٤] .

وهناك الكثير من المستشفيات التي لم نتطرق لها كونها خارج مدة الدراسة . وكان للرعاية الشخصية المميزة التي أولاها الخلفاء العباسيون للأطباء ، رغبة بعضهم في الهجرة للعمل في بغداد في العقود الأولى بعد تأسيسها ، فعلى سبيل المثال قدم إلى بغداد أطباء مختصون كعائلة بختشيوع التي كان لها أثر على مستقبل الدراسات الطبية في العراق ، حين أسند إلى رجالها الإشراف العلمي على سير الدراسات ثم

---

١ – القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص٣٨٣ ؛ ارنولد ، سير توماس ورفاقه ، تراث الاسلام ، ترجمة : جرجيس فتح الله ، دار الطليعة ، ط٣ (بيروت ، ١٩٧٨م) ص٤٨١-٤٨٢ ؛ خصباك ، جعفر حسين ، العراق في عصر المغول الايلخانين (بغداد ، ١٩٦٨م) ٢١٤ ؛ شاهين – ى – أ ، اثر العرب في الطب (لونجمان لجامعة اسكس ، ١٩٧١م) ص١١ ؛ بدري ، عبد الرحمن ، التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، ط٤ (بيروت ، ١٩٨٠م) ص٩١.

٢ – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ص٢٤٥ ؛ القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص٣٨٤ ؛ السامرائي ، كمال ، مختصر تاريخ الطب العربي (دار النضال للطباعة والنشر ، ١٩٩٠م) ج١ ، ص٦٠٥ .

٣ – ابن النديم ، الفهرست ، ص٢٤٥ ، ٣٠٣ ؛ متز ، الحضارة الاسلامية ، ج٢ ، ص٢٠٥ ؛ العلوجي ، عبد الحميد ، تاريخ الطب العراقي ، مطبعة اسعد (بغداد ، ١٩٦٧م) ص١٣٧.

٤ – ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٩ ، ص٢٧ ؛ متز ، الحضارة الاسلامية ، ج٢ ، ص٣٨٩ .

المستشفيات التي انشأها الخلفاء العباسيون فضلا عن تخريج أجيال من الأطباء [1] ، ولعل كل ذلك كان نقطة انطلاق وحافزا لجعل بغداد مركزا لإعداد الأطباء .

ومن ناحية أخرى ، كانت الخدمات الإجتماعية العامة المقدمة من قبل الدولة مباحة أمام أهل الذمّة شأنهم في ذلك شأن المسلمين ، فقد كان لهم الحق مثلا في مراجعة البيمارستانات والتعالج بها مجانا . ففي سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م) أنشأ أحمد بن طولون بيمارستاناً في مصر كان المسلمون وأهل الذمّة يراجعونه للتطبب والعلاج مجانا [2] ، وقد جعلوا في هذه المستشفيات أماكن خاصة بالرجال وأخرى للنساء ولكل مرض قاعات خاصة ، ووضعوا للإشراف عليها أطباء مختصون ، ومن أشهر المستشفيات في العصر العباسي الأول مستشفى العميان الذي انشأه الخليفة المنصور [3] ، ومستشفى الرشيد التي انشأها سنة (١٧٠هـ / ٧٨٦م) ومستشفى علي بن عيسى الوزير ، وأخذ الخلفاء فيما بعد ينشؤون المستشفيات بأسمائهم لعلاج العامة ويوقفون لها الأموال الطائلة ويشرفون أحيانا بأنفسهم على رعايتها [4] ، فكان الأطباء والصيادلة خاضعين للإمتحان ليحصلوا على إجازة الطب وكان بكل مدينة مفتش خاص للصيدليات وتحضير الأدوية [5] .

الرياضيات والكيمياء :

أنّ مما يؤيد استمرار نشاط الحركة العلمية هو ما ذكره إبن النديم في كتابه الفهرست [6] : " إن الأمير خالد بن يزيد بن معاوية (ت : ٨٥هـ /٧٠٤م) عندما

---

١ – ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ص١٨٣ ، ١٨٧-١٨٨ ؛ السامرائي ، مختصر تاريخ الطب العربي ، ج١ ، ص٣٣٧-٣٣٨ .

٢ – المقريزي ، الخطط، ج٢،ص٤٠٥.

٣ – حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ، ج٢ ، ص٣٦٦ .

٤ – رفائيل ، احوال نصارى بغداد ، ص١٥٦ .

٥ –ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج١ ، ص١٣٣ .

٦ – ص٢٧٥ .

ارتحل الكثير منهم إلى بغداد واتصلوا بالخلفاء ونالوا اهتمامهم ومنحوهم أجل المراتب واعلى المنازل مما انعكس ايجابا على أهل الذمّة بشكل عام.

التاريخ :

أهتم الكتاب والمؤرخون من أهل الذمّة بتصنيف وتأليف الكثير من الكتب التاريخية والتي منها ما يتعلق بتراثهم الديني ورجال دينهم ومنها ما يدور حول الأحداث التاريخية التي عاصروها ، ومن بين هؤلاء المؤرخين اليهود الذين اهتموا بتدوين الكتب الدينية سعديا بن يوسف الفيومي المصري [1] الذي ألف

كتابا يبحث في خلق السموات والأرض من وجهة نظر الفكر اليهودي [2]

أما مؤرخو النصارى فقد اشتهر منهم الفضل بن مروان بن ماسرجيس (ت:٢٥٠هـ/٨٦٤م) [3] الذي كان مقربا من الخليفتين المأمون والمعتصم بالله ومن مؤلفاته التاريخية كتاب سجل فيه ما شاهده من احداث خلال خدمته للخلفاء سماه المشاهدات والأخبار [4] ، وفي مصر اشتهر البطريرك الملكاني سعيد بن البطريق (ت : ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) بكتابه المعروف بالتاريخ المجموع على التحقيق والتصديق والذي اكمله يحيى

---

[1] – سعدي بن يوسف ابو يعقوب الفيومي المشهور بسعديا (٢٦٨- ٣٣٠هـ / ٨٨٢-٩٤٢م) وهو حاخام وفيلسوف يهودي مصري تأثر بالمدرسة الكلامية ومذهب المعتزلة ودافع عن شرعية النبوة ووحدانية الله كما رفض الايمان بالسحرة والمنجمين ، وهو اول شخصية عبرية مهمة تكتب على نطاق واسع بالعربية ويعد مؤسس الادب العربي اليهودي . ابن النديم ، الفهرست ، ص٢٥ .

[2] – ابن النديم ، الفهرست ، ص٢٥ .

[3] – الفضل بن مروان : وهو من الوزراء الكتاب اذ كان كاتبا بليغا وشغل منصب الوزراة للخليفتين المأمون والمتعصم الذي كان اول وزرائه ونال منزلة رفيعة عنده . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص١٨٩.

[4] – ابن النديم ، الفهرست ، ص١٤١ .

بن سعيد الانطاكي (ت : ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) ووضع له عنوان صلة كتاب سعيد بن البطريق [١] ، كما اهتم علماء أهل الذمّة البارعين بمجالات أخرى كالطب والتنجيم بعلم التاريخ وتدوين الأحداث التاريخية وتسجيلها فألف الطبيب حنين بن إسحق كتابا في تاريخ العالم والمبدأ والأنبياء والملوك والأمم والخلفاء والملوك في الإسلام كان قد ابتدأ فيه من عصر نبي الله آدم عليه السلام ومن أتي بعده وذكر ملوك بني اسرائيل وملوك اليونان والروم وذكر ابتداء الإسلام والخلفاء الأمويين والعباسيين إلى الوقت الذي كان فيه وهو عهد الخليفة العباسي المتوكل [٢] . وألف الطبيب جبرائيل بن عبيد الله بن بختشيوع كتابا في التاريخ [٣] .

أما الصابئة فقد برز منهم ثابت بن سنان الذي صنف كتابا تاريخيا دون فيه حوادث تاريخية ما بين عامي (٢٩٥هـ - ٣٦٣هـ / ٩٠٧-٩٧٣م)[٤].

الفلسفة :

عدت الفلسفة من بين العلوم التي نبغ بها أهل الذمّة وشجعها المسلمون فقد كان يوحنا النحوي النصراني [٥] الذي كان عالما بالفلسفة

---

١ - ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج٣ ، ص١٤٣ ؛ قاشا ، لمحات ، ص٩٣ ؛ العزاوي ، عباس ، التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان (٦٠١- ٩٤١هـ / ١٢٠٤ - ١٥٣٤م) ، (بغداد ، ١٩٥٧م) ص١٢٠ ؛ بدر ، مصطفى طه ، مصر الاسلامية (من الفتح الاسلامي حتى زوال الدولة الاخشيدية) ، (القاهرة ، ١٩٥٩م) ج١ ، ص١٠١ ؛ سالم ، السيد عبد العزيز ، التاريخ والمؤرخون العرب (بيروت ، ١٩٨٦م) ص١٠٠ .

٢ - ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ج٢ ، ص١٦٥ ؛ مصطفى ، المؤرخون النصارى ، ص١٠٥ .

٣ - ابن العبري ، مختصر الزمان ، ص١١ ؛ دوفال ، تاريخ الادب السرياني ، ص٤٠٩ .

٤ - ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص٦٧ ؛ البغدادي ، هدية العارفين ، م١ ، ص٢٤٨ .

٥ - وهو من العلماء الاقباط النصارى اليعاقبة عاش بمدينة الاسكندرية في مصر وقد خرج من اعتقاد النصارى بالتثليث فاجتمع اليه الاساقفة بمصر وسألوه الرجوع عما هو عليه فلم يرجع فتبرؤا منه ، وما ان فتحت مصر حتى سمع عمرو بن العاص ببراعته بالعلوم حتى استقدمه

والنحو الذي تربطه علاقة وطيدة مع عمرو بن العاص ﷺ إذ كانت لهما مجالسهما الخاصة معا يتناقشان في هذه العلوم وكان إبن العاص كثير التردد والملازمة له [1] ، وعرف عن يعقوب جاك الرهاوي (١٢ – ٩٠هـ / ٦٣٣ – ٧٠٨م) اسقف الرها كان فيلسوفا نحويا ومؤرخا عاصر العديد من الخلفاء الأمويين ، واهتم بالكتابة عن تواريخ الكنيسة وعلمائها وعمل شروحا وتذييلات للكتب المقدسة [2] ، وحث رجال الدين على تعليم أولاد المسلمين الفلسفة أسوة بأولاد النصارى [3] .

ويبدو إن هذا الفعل كان له دور كبير في اقبال بعض المسلمين على دراسة الفلسفة على يد علماء الفلسفة النصارى وممن برع في مجال الفلسفة من أهل الذمّة هو الفيلسوف يوسف حزايا المعروف بالبصير فقد كان من كبار العلماء النسطوريين في العراق على عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان [4] ، وقد نسب إليه ما يزيد عن ألف وتسعمائة مؤلف [5] .

لم يكن للنصارى فلسفة أصلا ، وإنما جاءت اليهم عن طريق النقل والترجمة عن اليونانية ، وبعد الفتوحات الإسلامية للمشرق نقلت من السريانية إلى العربية ، وقد قام السريان بتدريس الفلسفة اليونانية في

واستمع اليه واعجب بفكره وفلسفته ومن ذلك الحين ربطتهما علاقة متينة. ابن العبري ، مختصر الدول ، ص١٧٥-١٧٦ .

[1] – ابن النديم ، الفهرست ، ص٣١٤-٣١٥ ؛ مار ميخائيل ، مار ميخائيل السرياني الكبير ، ج٢ ، ص٣٢٧ ؛ البغدادي ، هدية العارفين ، م٢ ، ص٥١٣ ؛ مصطفى ، شاكر ، المؤرخون النصارى في العصرين الاموي والعباسي ، مجلة كلية الاداب والتربية ، العدد الرابع عشر (الكويت ، ١٩٧٧م) ص٩٩ .

[2] – دوفال ، روبنس ، تاريخ الادب السرياني ، ترجمة : الاب لويس قصاب ، مراجعة : الاب البير ابونا ، شركة الاعتدال للطباعة الفنية (بغداد ، ١٩٩٢م) ص٨٤ .

[3] – راهب من الكنيسة القبطية ، الكنائس الشرقية واوطانها ، ج٣ ، ص١٤٦ .

[4] – الغريري ، أثر أهل الذمّة ، ص٤٠ .

[5] – يبدو ان هذا الرقم في مبالغة كبيرة لعدم وجود اشارة اليه في غير مؤلفات .

مدارسهم ، وعلقوا عليها وشرحوها ، ولاسيما فلسفة أرسطو وأفلاطون وأبرز الفلاسفة السريان القس سرجيوس الراسعني ، ورهبان دير قنسرين ، كما ترجم السريان الكتب الفلسفية التي تناولت حكم فيثاغورس في الفضيلة ، وحدود افلاطون وحكمه التي كتبها لتلاميذه ، والحدود عن الله ﷻ، والأيمان والمحبة والعدل ، وحكم الفلاسفة في النفس ، ونصائح الفلاسفة [1] .

وقد تأثر العرب المسلمين بالفلسفة اليونانية وكان تأثيرهم واضحا في الفرق الإسلامية التي نشأت في العصر العباسي الأول كالمعتزلة والصوفية ، كما تأثر العرب المسلمين بالفلسفات الأخرى كالأفكار الهندية والأراء المجوسية ، وقد أثار النصارى الجدل في المشرق الإسلامي في صفات الله عز وجل ، وطبيعة السيد المسيح وكلمة الله ﷻ وفي الجبرية والقدرية والوحي والعقل ، كما أثاروا الجدل في موضوع خلق القرآن وأدى بطبيعة الحال هذا الامر إلى الإستعانة بعلم المنطق والفلسفة اليونانية لدعم هذه الفكرة التي انقسم فيها الناس إلى من يقول إن القرآن الكريم مخلوق وبين من يقول إنه أزلي محفوظ ، وعقيدة النصارى القائلين بأن الخلاص بالمعرفة لا بالإيمان ، وكذلك عقيدة اليهود في أزلية التوراة ، كل هذه الأفكار والأراء قد أوجدت عند المسلمين السنة عقيدة مماثلة : إن القرآن الكريم كان وجوده قديما ، وإن نزوله على محمد ﷺ كان حادثا في زمن معين [2] ، بينما انكر المعتزلة أزلية القران الكريم وقالوا : إنه مخلوق وقد أيد الخليفة المأمون قول المعتزلة بخلق القرآن الكريم ، واتخذ الإعتزال مذهبا رسميا للدولة ، مما فسح المجال لنشاط اصحاب الفلسفة اليونانية والمذاهب الأخرى من نصرانية وزرادشتية ومانوية ومزدكية وكان نشاطها عنيفا فأخذت تجادل في القرآن الكريم [3].

---

1 - برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص١٩١ ، ١٩٩ .

2 - ديورانت ، قصة الحضارة ، ج١٣ ، ص١٩٨ .

3 - ديورانت ، قصة الحضارة ، ج١٣ ، ص١٩٩ .

وقد تأثر المجتمع الإسلامي بالديرية النصرانية وعبادة النساك ، وأدى ذلك إلى ظهور نزعة الزهد والتصوف [1] ، وقد لاقى علم الفلسفة اهتماما كبيرا من قبل المسلمين وأهل الذمّة على حد سواء وكان من بين أهم العلوم التي جذبت اهتمام وعناية الخلفاء فقد ضم مجلس الخليفة العباسي الواثق الكثير من الفلاسفة من المسلمين وأهل الذمّة وكان يتباحث معهم في موضوعات فلسفية تدور حول علوم الطبيعيات والالهيات [2] .

وقد تأثر المسلمون وأهل الذمّة تاثيرا كبيرا بالفلسفة اليونانية التي امتازت بعلميتها وابتعادها عن جوهر الدين إذ تدرجت من المحسوس إلى المعقول [3] . وبما إن أهل الذمّة ولاسيما النصارى منهم قد اعتمدوا بثقافتهم على الثقافة واللغة اليونانية ، لذا نجد انهم تركوا أرثا كبيرا ومتميزا بمجال الفلسفة ، إذ إن الجاحظ [4] وصف فلاسفة النصارى : " بأنهم حكماء " ، وعرف عن كثير من أقباط مصر براعتهم بالفلسفة [5] .

أما فلاسفة الصابئة فبرز منهم ثابت بن قرة الذي وصف بأنه لم يكن في زمانه من يضاهيه من الفلاسفة [6] . واعتاد الفلاسفة المسلمون وأهل الذمّة الرد على ما يرد في مؤلفات بعضهم البعض من معلومات في محاولة منهم لإثبات كل طرف إن افكاره وطروحاته أدق ، كما حصل في

---

١ – امين ، ضحى الاسلام ، ج١ ، ص٢٣٦ .

٢ – المسعودي ، مروج الذهب ، ج٤ ، ص٨١ .

٣ – امين ، ضحى الاسلام ، ج١ ، ص٢٤٦ .

٤ – رسائل الجاحظ ، ص١٦ .

٥ – ابو الفداء ، المختصر ، ج١ ، ص١٠٣ ؛ ابن العبري ، مختصر الدول ، ص٣١٥ .

٦ – ابن خلّكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ، ص١٦٢ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات ، ج٣ ، ص٤٥.

رد الرازي على قول بعض الفلاسفة النصارى بالطبيعة وقوتها وتأثيرها في الأجسام [1] .

وقد درس أبو نصر محمد الفارابي [2] الفلسفة على يد يوحنا بن هيلان[3] . وكان للفلسفة اليونانية الأثر الكبير في توجيه نظر المسلمين إلى البحث فيما وراء الطبيعة والإلهيات [4] . كما أفادت المعتزلة بنشاطهم بنشاطهم الفكري وجدلهم المذهبي والديني فكانت أساسهم في الرد على مخالفيهم في العقيدة [5] ، فأقتبسوا منها واجهدوا انفسهم في أن يضيفوا إلى افكار الفلسفة الإسلامية التي نبعت من القران الكريم كثيرا مما احتوته ثقافة اليونان من افكار علمية وفلسفية وجعلوا جهدهم أن يلائموا بينهما ويخرجوا منها مزيجا يتفق مع الشريعة الإسلامية [6] ، وقد استعان أهل الذمّة بالفلسفة اليونانية للدفاع عن معتقدهم وأرائهم [7] .

---

1 – الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٧٢١هـ / ١٣٢٢م) رسائل فلسفية ، جمعها وصححها : ب . كراوس (القاهرة ، ١٩٣٩م) ج١ ، ص١٦٩ .

2 – الفارابي: محمد بن محمد كان يعرف بالمعلم الثاني وهو من أكبر فلاسفة المسلمين، تركي الأصل ولد في فاراب سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٤م الواقعة على نهر جيحون ، أنتقل إلى بغداد وألف بها أكثر كتبه ورحل إلى مصر والشام وأتصل بسيف الدولة بن حمدان، توفي سنة ٣٣٩هـ /٩٥٠م كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره. أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج٢، ص١٣٤-١٤٠.

3 – المسعودي ، التنبيه ، ص١٠٦ .

4 – القاضي ، اثر المدينة الاسلامية ، ص٢٠ .

5 – بلبع ، عبد الحكيم ، ادب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجري (القاهرة ، ١٩٥٩م) ص٧٥ ؛ كوبرلي ، العلوم الاسلامية ، ص٨٣ .

6 – القاضي ، أثر المدينة الإسلامية ، ص٢٤ .

7 – بلبع ، أدب المعتزلة ، ص٧٥

فنقل فلاسفتهم كتب الفلسفة إلى العربية ومن أشهرهم يوحنا بن البطريق [1].

الهندسة :

يعرفها ابن خلدون [2] : " بأنها النظر في المقادير أما المتصلة كالخط والسطح والجسم أو المنفصلة كالأعداد فيما يعرض لها من العوارض الذاتية " . وهي من العلوم القديمة عند العرب وغيرهم فقد برع بها أهل بابل وقدماء المصريين والهنود والفرس ، فقد قيل إن الهندسة كلمة هندية وقيل إنها من أصل فارسي [3] . وقد أخذ المسلمون هذا العلم عن الأمم القديمة التي سبقتهم لنقل كتبهم مثل كتاب الأصول والأركان لأقليدس ، والذي نقله الحجاج بن مطر النصراني (ت : ٢٢١هـ / ٨٣٥م) الى المأمون [4] . ويعد هذا الكتاب البوابة التي دخل اليها العقل المسلم لعلم الهندسة ، وقد عده ابن خلدون مبدأ العلوم الهندسية على الإطلاق [5] . ومن أبرز العلماء الذين ساهموا في تقدم علم الهندسة عند العرب والمسلمين هو ثابت بن قرة الصابي حيث ذكرت له عدة مؤلفات بعضها من ابداعه وبعضها تطوير لأفكار واراء قديمة مثل تطويره لنظرية فيثاغورس (٥٨٤ - ٤٩٥ ق م) ومن كتبه كتاب المختصر في الهندسة ورسالة في استخراج المسائل الهندسية [6] .

---

[1] – القفطي ، اخبار العلماء ، ص٢٤٨ ؛ ابن العبري ، مختصر الدول ، ص١٣٨ .

[2] –العبر ، ص٣٧٣ .

[3] – صاعد ، طبقات الامم ، ص٥٢ ، ٧٤ ؛ طبي ، دور أهل الذمّة ، ص٨٣ .

[4] –ابن ابي اصيبعة ، طبقات الاطباء ، ص٢٨٠ .

[5] – المقدمة ، ص٣٧٣ .

[6] – ابن ابي اصيبعة ، طبقات الاطباء ، ص٣٠٠ ؛ الدفاع ، علي عبد الله ، العلوم البحتة في الحضارة العربية الاسلامية ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ (بيروت ، ١٩٨٣م) ص١٧٧ .

المبحث الثاني
اسهام أهل الذمة في المناظرات الفكرية والدينية

أمر الإسلام أتباعه من المسلمين بأنهم إذا دخلوا في جدال مع اليهود والنصارى بشأن الدين بأن يجادلوهم بالحسنى كما جاء في قوله ﷻ : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1] ، وقوله ﷻ : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2]، وما إن ظهر الإسلام بعقيدته السمحة وفكره المنفتح حتى توسعت وتنوعت آفاق الحوار الفكري بين مختلف الأطراف ، فالإسلام فتح الباب على مصراعيه للحوار والنقاش مع مختلف الملل[3] . ولعل أول حوار فكري حصل بين المسلمين والنصارى ، أو الإسلام والنصرانية كان على عهد الرسول محمد ﷺ حينما أرسل وفدا من المهاجرين إلى ملك صالح في الحبشة يقال له النجاشي[4] وما حصل من سبق قريش ومحاولتهم إثناء الملك عن إيواء المسلمين ، وقد صاحب

---

[1] - سورة العنكبوت ، الآية : ٤٦ .

[2] - سورة آل عمران ، الآية : ٦٤ .

[3] - الغريري ، أثر أهل الذمّة ، ص٤٤ .

[4] - النجاشي : اسمه أصحمة ويعد من الصحابة ﷺ أجمعين ، وقيل من التابعين بحسب تعريف الصحابي توفي في حياة الرسول محمد ﷺ، وصلى عليه الرسول محمد ﷺ صلاة الغائب . ينظر، الذهبي، سير أعلام النبلاء ، ج١ ، ص٤٢٨ ، ٤٤٣.

هـــذه المحاولة نقاش وحجاج حول طبيعة تكوين السيد المسيح عليه السلام ونظرة الإسلام له[1] .

لقد كان أهــل الكتاب كثيرا ما يسالون النبي محمد ﷺ عن أشياء على سبيل الامتحان والتعجيز وليس على سبيل الهــداية والانصياع للحق ، فسألوه عن أشياء كثيرة فكان ﷺ يورد الجواب على وجهه ويأتي به على نصه ، كما هو موجود لديهم ومقرر في كتبهم [2] ، فرسول الله ﷺ لم يكن يترفع عن محاورتهم ؛ بل على العكس من ذلك كان يتواضع لهم ويجيب على أسئلتهم ، رغبة منه بدخولهم في الدين الإسلامي .

ففي سنة (٩هــ / ٦٣٠م) ، تردد إليه بعض الرهبان النصارى ليناقشوه وليسمعوا منه ، بل إن بعضهم مكث عنده لمدة طويلة ، كالراهب ابن أبي شمر الزبيدي [3] ، وفي سنة (١٠هــ / ٦٣١م) ، جرت المحاورة المشهورة بين النبي محمد ﷺ وبعض من رجال الدين النصارى وقسم من وجوه قومهم ، فتحاوروا مع النبي محمد ﷺ ، وسألوه عن طبيعة السيد المسيح عليه السلام ، وما هو قول القرآن الكريم فيه ، ولكن أمام ما لاقوه من أجوبة النبي ﷺ وعجزهم عن مناظرته ، ما كان منهم إلا أن يتوقفوا عن المحاورة والجدال ، ثم عرض عليهم النبي محمد ﷺ الإسلام فأبوا، ثم قبلوا الدخول في ذمّة المسلمين وعهدهم [4] .

إن تلك المظاهر الرائعة قد أثرت على الكثير من رجال وشخصيات أهل الذمّة ، لما لمسوه من عدالة وسماحة الدين الإسلامي الحنيف في التعامل معهم ، ومن خلال

١- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٣٣٧ ؛ السهيلي ، الروض الأنف ، ج٣ ، ص١٥٣.

٢- مجموعة مؤلفين ، نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، اشراف : صالح عبد الله ، دار الوسيلة ، ط٤ (جدة ، بلا . ت) ج٢ ، ص٧٣ .

٣- البيهقي ، دلائل النبوة ، ج٥ ، ص٣٩١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٥ ، ص٦٧ .

٤- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٥٨٣ – ٥٨٤ ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٧١ ؛ البيهقي ، دلائل النبوة ، ج٢ ، ص٤٢٦ .

ما طبقه النبي الأكرم محمد ﷺ ، وصحابته الأبرار ﷺ ، مما دفـع بالعديد منهم إلى اعتناق الإسلام ومنهم ، عبد الله بن سلام [١] ، وزيد بن سعنه [٢] . ومخيريق اليهودي [٣] ، وغيرهم الكثير ، فضلا عن إسلام العديد من المجوس [٤] .

وقد جسدت هذه المظاهر حسن تعامل النبي ﷺ وصحابته الأبرار في التعامل مع أهل الذمة آنذاك ، مما انعكس على وضعهم بشكل عام . وما أن دخل هؤلاء في ذمّة الإسلام حتى بدأوا يتوافدون على الرسول ﷺ ليجادلوه ويناقشوه بدينه الجديد ، إذ تردد الكثير من اليهود عليه ﷺ لمحاورته في أمور الدين وكان ﷺ ينصت إليهم ويجيب على أسئلتهم ، وكانت في غالبها تدور حول بدء الخليقة وأمور الغيب ويسألونه عن

١- عبد الله بن سلام : هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ، ثم الأنصاري ، كان حليفاً لهم من بني قينقاع ، وهو من ولد يوسف بن يعقوب(عليهما السلام) كان اسمه في الجاهلية الحصين ، فسماه رسول الله ﷺ حين أسلم عبد الله ، أسلم لما قدم النبي محمد ﷺ المدينة المنورة مهاجراً ، روى عنه أبناه ، يوسف ، ومحمد ، توفي سنة (٤٣هـ /٦٦٣م) . ينظر ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٣ ، ص١٦٠ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص٥٩ – ٦٦.

٢- زيد بن سعنه : حبْر من أحبار اليهود ومن أثراهم مالا ، أسلم فحسن إسلامه ، شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، توفي في غزوة تبوك سنة (٩هـ/٦٣٠م) . ينظر ، أبو نعيم الأصبهاني ، أحمد بن عبد الله (ت : ٤٣٠هـ/١٠٣٨م) ، معرفة الصحابة ، تحقيق : عادل يوسف العزاوي ، دار الوطن (الرياض ، ١٩٩٨م) ج٣ ، ص١١٨٤ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٢ ، ص٥٥٣ .

٣ - مخيريق اليهودي : النضري الاسرائيلي ، من بني النضير ، ويقال من بني قينقاع ، ويقال انه من بني الفطيون ، كان عالماً ، اعتنق الإسلام ، استشهد في معركة أحد سنة (٣هـ/٦٢٤م) ، وقد أوصى بأمواله للنبي محمد ﷺ . ينظر، ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٦ ، ص٤٨ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٧ ، ص١٩٤.

٤- الذهبي ،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٨م) ص٢٤.

نبيهم موسى عليه السلام وذكره في القرآن الكريم [١] ، وتردد الكثير من الرهبان إلى الرسول ﷺ ليناقشوه وليسمعوا منه ومكث عنده بعضهم لمدد طويلة كالراهب إبن أبي شمر الزبيدي [٢] ، وحدثت المحاورة الشهيرة بين الرسول ﷺ ووفد نجران الذي ضم بعضا من رجال الدين النصارى ووجوه القوم فقد حاوروا الرسول ﷺ وسألوه عن طبيعة نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام وقول القرآن الكريم فيه وأمام أجوبته ﷺ لم يسعهم إلا التوقف عن مجادلته وقبول الدخول في ذمّة المسلمين [٣] .

وتوافد العديد من أهل الذمّة إلى مجالس الخلفاء الراشدين يسألونهم عن الإسلام ونبوة الرسول ﷺ إذ حاور أحد أساقفة نجران الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العديد من القضايا التي تخص الدين [٤] ، وقدم أسقفا أخر إلى الخليفة علي رضي الله عنه يطلب وعضه فأسلم بين يديه [٥] ، وردوا على الكثير من أسئلتهم التي تدور حول الموت والبعث[٦].
والبعث[٦].

١ - الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ج٥ ، ص٩٨ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج٢ ، ص٣٦٠-٣٦١ ؛ ضيف ، شوقي ، العصر الجاهلي ، دار المعارف (مصر ، ١٩٦٥م) ص٩٨ ؛ الشرقاوي ، محمود ، التطور روح الشريعة الاسلامية (بيروت ، بلا . ت) ص٣١٨ .

٢ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٥ ، ص٥٩ .

٣ - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٠٤ ؛ صفوت ، احمد زكي ، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة (مصر ، ١٩٣٧م) ج١ ، ص٧٦ ؛ بدوي ، عبد الرحمن ، شخصيات قلقة في الاسلام ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٦٤م) ص١٠٤ ؛ عجيبة ، احمد علي ، نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة ، دار الافاق العربية (بلا. م ، ٢٠٠٤م) ص٦٤ ؛ رستم ، كنيسة مدينة الله إنطاكية العظمى ، ج٢ ، ص١٣-١٤ ؛ الملاح ، هاشم يحيى ، الرسالة الإسلامية ودورها في نشأة الحضارة العربية الإسلامية ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد ، ٢٠٠٠م م٤٨) ج٤ ، ص٩٦ .

٤ -الابشيهي ، المستطرف ، ص٦٦ ، السيوطي ،تاريخ الخلفاء ، ص١٨٤ .

٥ - الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (ت : ٥٠٥هـ / ١١١١م) مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والأمراء ، تحقيق : محمد جاسم الحديثي ، دار الحرية للطباعة (بلا . م ، ١٩٨٨م) ص١٨٧ .

٦ - الغزالي ، مقامات العلماء ، ص١٦٥ .

وقد خاض أهل الذمّة أيضا في العصر الأموي في المجادلات والحوارات الدينية مع المسلمين ولمع العديد من العلماء عندهم كيوحنا الدمشقي الذي حاور المسلمين في عدة مجالس في موضوع إلوهية السيد المسيح وحرية إرادة البشر وأوضح للنصارى الطرق التي يجب عليهم إتباعها عند مجادلة أي مسلم ، وقد ناقش بعضها بحضرة الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان إذ يرى بعض الباحثين إن لأرائه تأثيرا في تكوين المدرسة القدرية التي تقول بحرية إرادة الإنسان[1] .

وقد كانت تجري في مجلس الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ محاورات وجدالات فكرية ليس بين المسلمين وأهل الذمّة فحسب بل بين أهل الذمّة وبين أبناء الديانة الواحدة من مختلف المذاهب ، فقد قدم إلى بلاط قصره في دمشق أسقفان سريانيان هما ثاودروس وسابوخت وتجادلا مع أساقفة الموارنة أمامه في أمور تتعلق بعقيدة النصارى حتى اشتد الجدال بينهما ورجحت الأدلة التي قدمها الموارنة [2] . ومن خلال هذه الحوارات نستنتج مدى الحرية الفكرية التي تمتع بها أهل الذمّة في ضل حكم المسلمين لبلادهم .

ولم تخل مجالس علماء المسلمين من حضور بعض الرهبان والجثالقة للاستماع إلى عظاتهم ونقاشاتهم الدينية ، مثلما حصل في مجلس الحسن البصري (ت : ١١٠هـ / ٧٢٨م)[3] ، ومع بدايات العصر الأموي اختفت المجادلات اللاهوتية بين الكنائس المختلفة ، وحلت محلها دراسات فلسفية وتاريخية ، وأخذت الأدبيات الجدلية تهدف إلى الدفاع بشكل ظاهر أو خفي عن الديانة المسيحية أمام الديانة الإسلامية التي انتشرت بين سكن بلاد الشام[4] .

---

[1] – السرياني ، مختصر المختصر في تواريخ الكنيسة ، ص١٥٠ ؛ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج١ ، ص٢٥٦ ؛ الغريري ، أثر أهل الذمّة ، ص٤٦ .

[2] – ترتون ، أهل الذمّة ، ص١١٢

[3] – المناوي ، الكواكب الدرية ، ج١ ، ص٢٥٥ ؛ الندوي ، رجال الفكر ، ص٧٠ ؛ الدينوري ، المجالسة وجواهر العلم ، ص٤٦٠ ؛ زكي ، احمد كمال ، الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري ، دار الفكر (دمشق ، ١٩٦١م) ص١٤٣ .

[4] – عطية ، الجدل الديني ، ج١ ، ص٤٠٩ .

وكان ابرز من دافع عن النصرانية القديس يوحنا الدمشقي الذي ألف عددا من الروائع الأدبية من أهمها كتاب ينبوع الحكمة ولعل مادته مستوحات من المناظرات التي كانت تجري في قصر الخليفة [١] .

لقد أثرت حركة الفتوحات الإسلامية تأثيرا كبيرا في حياة المجتمع في المشرق الإسلامي ، وذلك لأن هذا التوسع الإسلامي بمظاهره الفكرية والعسكرية والبشرية احدث توسعا ثقافيا وحركة علمية كبرى نابعة من الإسلام وهدفها الدعوة إليه ، فأقبل سكان المناطق المفتوحة على دراسة اللغة العربية وآدابها ودراسة المراجع الإسلامية كالقران الكريم وكتب الأحاديث النبوية وكتب الفقه ، وأنشئت المدارس التي تركت نتائج عظيمة على المسلمين وأهل الذمّة ، فبرز من خلالها الكثير من العلماء ، واشتغلوا بالثقافة العربية على مستوى رفيع فلمعت أسماء الكثير منهم في كتب التاريخ والطبقات [٢] .

كما إن ظهور الفرق الإسلامية ومذاهبها كان له الأثر الكبير في توسع الثقافة من خلال المناظرات التي كانت تجرى بين مدة وأخرى ، فانتشرت الحركة الفكرية ، والتقت الثقافة العربية الإسلامية بالثقافات الأخرى كالفارسية واليونانية والهندية ، وبذلك تكونت الحضارة العربية الإسلامية من خلال تداخل هذه الثقافات بينها ، فصاغ أهل الذمّة افكارهم وعلومهم وآدابهم بما ينسجم مع الدين الإسلامي والتقاليد العربية ، وأصبحت اللغة العربية هي اللغة الحضارية السائدة في العراق وأقاليم المشرق الإسلامي الأخرى ، لذلك فأن الشعوب غير الإسلامية الغير عربية فقدت ذاتيتها اللغوية [٣] .

وأخذ العرب من ثقافات البلاد المفتوحة ما يتلائم ودينهم الإسلامي وتقاليدهم العربية ، فأخذوا عن اليونان الرياضيات والحساب والهندسة والجبر والفلك والفلسفة والطب وقليلا من الثقافة الهندية وتأثروا بالتقاليد الفارسية ونظام الحكم والطبقات في

---

[١] – عطية ، الجدل الديني ، ص١٤ ؛ حتي ، تاريخ العرب المطول ، ج٢ ، ص١٦٦ .

[٢] – ابن النديم ، الفهرست ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى .

[٣] – عطية ، الجدل الديني ، ج١ ، ص٤١١ .

الحياة السياسية والاجتماعية [١] ، وقد نقلت كتب الهند وترجمت حكم اليونان وحولت آداب الفرس ، فبعضها ازداد حسنا وبعضها ما انتقص شيئا ، ولو حولت حكمة العرب لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن مع أنهم لو حولوها لم يجدوا في معانيها شيئا لم تذكره العجم في كتبهم التي وضعت لمعاشهم وفطنهم وحكمهم [٢] : وساعد أهل الكلام على مزج الثقافات للاطلاع على ديانات أهل الذمّة بجميع طوائفهم ، وقد وجدوا أصحابها قد تسلحوا بالفلسفة اليونانية ، فأقبل المتكلمون على دراستها للرد على خصومهم من أهل الذمّة ، وبذلك ساعدوا على إدخال الفلسفة اليونانية إلى الإسلام [٣] .

إن إقبال أهل الذمّة على تعلم اللغة العربية للتقرب من الفاتحين أدى انتشارها إلى شعور المجتمع بالانسجام والتجانس على اختلاف قومياتهم وأديانهم ، فوحدت اللغة شعورهم وأهدافهم وكان لها الأثر الكبير في إقبال البعض من أهل الذمّة على الدخول في الإسلام [٤] ، ولم يكن إقبالهم على دراسة اللغة العربية بسبب الإكراه أو الإجبار ، كما ذهب الى ذلك المستشرق بارتولد [٥] : " إن غلبة اللغة العربية كان بالاختيار لا بسلطان الحكومة ، وإن تسامح العرب أدى إلى انتشار اللغة العربية ، فدرس حنين بن اسحق على يد الخليل بن احمد الفراهيدي وسيبويه حتى أصبحا حجة في العربية " . ويقول الخربوطلي [٦] : " كان أهل الذمّة مضطرين إلى تعلم العربية لصلتهم بالعرب في شؤون الزراعة والصناعة والتجارة ، كما أدى تعريب الدواوين في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى انتشار الثقافة العربية على نطاق واسع بين أهل الذمّة ، فقد كان عليهم إتقانها ليحتفظوا بوظائفهم في الدولة " .

---

١ – امين ، ضحى الاسلام ، ج١ ، ص٢٧٧ .

٢ – الجاحظ ، الحيوان ، ج١ ، ص٣٨ .

٣ – امين ، ضحى الاسلام ، ج١ ، ص٣٧٨ .

٤ – ديموبين ، النظم الإسلامية ، ص١١ .

٥ – الحضارة الإسلامية ، ص٣٠ .

٦ – الإسلام وأهل الذمّة ، ص١١٦ .

وكان الخليفة المأمون لا يؤثر مذهبا ، أو دينا خاصا ، بل أباح استخدام الجميع في المناصب الحكومية وقد أشار المؤرخ اولستر الى ذلك بقوله : " إن المأمون انشأ مجلسا استشاريا للدولة يتألف من ممثلي جميع الطوائف ، وأصبح هذا الديوان يضم المسلمين واليهود والنصارى والصابئيين والزرادشتيين على حد سواء وكانت حرية الاعتقاد والعبادة مضمونة للجميع وأضحت السياسة التي اتبعها مضربا للأمثال في التسامح مع غير المسلمين ، وكان البطارقة والأساقفة والكهان يتمتعون بإمتيازات وحصانة كاملة كالتي يتمتع بها أمثالهم في الدول المسيحية التي تدين بدينهم " [١] ، وروي إن المأمون لما أراد تدوين العلوم في بغداد استدعى ثلاثمائة عالم من أهل كل دين وجنس وحظر عليهم في اجتماعهم مسلمهم وغير مسلمهم أن يستشهدوا بآي من القران والإنجيل والتوراة وان يتعرضوا للأديان في مباحثهم [٢].

وأدت سياسة الخليفة المأمون في الترجمة إلى زيادة نشاط الحركة العلمية والفكرية بصورة خاصة وظهرت روح المناقشات بين المسلمين وطوائف أهل الذمّة ، وهناك كتاب لعبد الله بن إسماعيل الهاشمي ، وهو ابن عم الخليفة وكان عالما معروفا بالنسك والورع والتمسك بدين الاسلام إلى عبد المسيح بن اسحق الكندي ، وكانت له في بلاط الخليفة منزلة كبيرة يدعوه فيها إلى الإسلام ، وقد تحدث ارنولد عن هذه الرسالة قائلا [٣] : " وفي هذه الرسالة يرجو ابن عم الخليفة صديقه المسيحي أن يدخل في الإسلام بلهجة تنم عن الود في لغة تصور بوضوح مسلك المسلمين تجاه النصارى" .

ولكن ارنولد لم يعلق على فحوى جواب عبد المسيح على الرسالة هذه ، والتي تنم عن حقده الدفين للإسلام وكراهيته للرسول ﷺ ، وإنكاره للقران ، وأسلوبه الخالي من الآداب العامة . وبذلك فان عصر المأمون عقدت فيه الكثير من مجالس المناظرة [٤] ، وبلغت الحرية التي تمتع بها أهل الذمّة في ظل الدولة الإسلامية أن

---

١ – سيد امير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص٢٣٦ ؛ اليوزبكي ، أهل الذمّة ، ص١٣٨ .

٢ – كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ، ص٤٣ .

٣ – الدعوة إلى الإسلام ، ص١٠٤ .

٤ – أمين ، ضحى الإسلام ، ج١ ، ص٥٧ ؛ الرفاعي ، عصر المأمون ، ج١ ، ص٣٥٣ .

سمحت لهم بنشر افكارهم وديانتهم في مختلف المناطق ففي سنة (١٦٥هـ / ٧٨١م) نُصب العمود الحجري في مدينة سيان فو بالصين تذكارا لجهود سبعة وستين مبشرا نسطوريا [١] .

أما الخليفة العباسي الهادي (١٦٩ - ١٧٠هـ / ٧٨٥-٧٨٦م) فقد كان يكرم الأساقفة ، ويجالسهم فكان يستدعي الأسقف ثيموثاوس في أكثر الأيام ويحاوره في أمور الدين وله معه مباحثات طويلة وكذلك كان يفعل معه الخليفة الرشيد [٢] .

وفي هذه النصوص دلائل واضحة على السماح لأهل الذمّة بأجراء المناظرات الفكرية وغيرها مما يسهم بشكل كبير في تطور الجانب الفكري عند المسلمين من خلال نتائج هذه المناظرات وانعكاسها على التعليم آنذاك .

وكذلك كانت للحرية التي تمتع بها رجال الدين النصارى بموجب العهود التي ابرمها معهم المسلمون فقد انطلقوا في الترحال وتبحروا في شتى العلوم وكرسوا جهودهم في وضع المؤلفات والمصنفات الدينية وغيرها ، وجلسوا للإجابة على أسئلة رعاياهم في مختلف أنحاء البلاد ، واستمر هذا النشاط والتعمق والاتصال حتى شهد أواسط القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي هجرة العديد من النساطرة من العراق إلى مصر ولذلك عين لهم أسقفا يشرف على شؤونهم [٣] .

وبذلك تمثل المناظرات الفكرية دليلا واضحا على الانفتاح الفكري بين المسلمين وأهل الذمّة وقامت هذه المناظرات بكل حرية ، فيعرض كل طرف أفكاره وما يراه اقرب للعقل والمنطق دون خوف ، ولم ترتق هذه المناظرات إلى العلماء فقط لكنها وصلت إلى مستوى الخلفاء ومجالسهم فجرت المناظرات بين الخلفاء العباسيين ورجال الدين من أهل الذمّة ومنها ما جرى بين الخليفة العباسي المهدي والجاثليق طيمثاوس(ت :

---

١ - يعد النساطرة من انشط المبشرين بالنصرانية . غلوب ، الفتوحات العربية الكبرى ، ص٣٦ .

٢ - الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٣ ، ص٦١٢ .

٣ - مينادرس ، اوتو ، المشارقة في مصر والقدس ، ترجمة : ايشو القس عوديشو ، بحث منشور في مجلة بين النهرين ، العدد التاسع والخمسون والعدد الستون ، السنة الخامسة عشر (مطبعة الاديب البغدادية ، ١٩٨٨م) ص٥٨ ، ٦٦ .

٢٠٥هـ / ٨٢٠م) [١] التي دارت حول الطبيعة الإلهية ووجه فيها الخليفة المهدي أسئلة كثيرة للجاثليق تدور حول معتقدات النصارى بالسيد المسيح عليه السلام والثالوث المقدس لديهم وعن نبوة محمد ﷺ ومعجزته القرآن الكريم وما فعله اليهود بعيسى بن مريم عليه السلام وما يقولون فيه [٢] . كما كان هذا الجاثليق من بين الذين يطيب للخليفتين الهادي والرشيد التحدث إليه ومجالسته ومحاورته ورده على الأسئلة الدينية الموجهة إليه [٣] .

ومن النتائج المهمة لمثل هكذا مناظرات أنها أنتجت تحديد اختيار رئيس ديني لأهل الذمّة في حال اختلاف النصارى مثلا حول اختيار مرشح لكرسي الجثلقة فأنهم يحيلون الأمر إلى الخلفاء كما حدث في احالتهم للأمر إلى الخليفة المهدي الذي بدوره أحضرهم إلى مجلسه وناظرهم بتوجيه أسئلة دينية حول عقيدتهم ونصب أبرعهم في الجواب جاثليقا عليهم [٤] . أما الخليفة العباسي المأمون فقد واصل عقد المناظرات بين أهل العلم من كل الأديان وتناظروا في الأديان

١- طيمثاوس : اول جاثليق نسطوري ، نقل كرسي الجثلقة من المدائن الى بغداد سنة ١٦٨هـ ٧٨٤م ليكون على مقربة من مركز الخلافة العباسية . ابن متى ، اخبار فطاركة ، ص٦٥ ؛ حداد ، كنائس بغداد ، ص٣٩ .؛ الغريري ، أثر أهل الذمّة ، ص٩٧ .

٢ –ابن متى ، اخبار فطاركة ، ص٦٥ . للاطلاع على نص المحاورة بين الخليفة المهدي والجاثليق طيمثاوس ، ينظر اليسوعي ، هـ ، بوتمان ، البطريرك طيمثاوس الاول او الكنيسة والاسلام في العصر العباسي الاول دراسة تاريخية وتحقيق لنص المحاورة بين البطريرك والخليفة المهدي ، بيروت ، ١٩٧٧م ، ص٧٠ ؛ ساكو ، البطريرك طيمثاوس الكبير رائد الحوار المسيحي – الاسلامي في العهد العباسي ، بحث منشور في مجلة مابين النهرين ، العدد الرابع عشر – الخامس عشر ، السنة الرابعة (مطبعة الأديب البغدادية ، ١٩٧٦م) ص٢٣٨ ؛ حبي ، يوسف كنيسة المشرق كنيسة أصيلة شاهدة ، بحث منشور في مجلة مابين النهرين ، العدد الخامس والعشرون ، السنة السابعة (الموصل ، ١٩٧٩م) ص٢٦ .

٣ – ابن متى ، اخبار فطاركة ، ص٦٥ ؛ ابونا ، تاريخ الكنيسة ، ج٢ ، ص١٤٢ .

٤ – ابن سليمان ، اخبار فطاركة ، ص٧٠ ؛ فييه ، احوال النصارى ، ص٧١ .

والمقالات(1) . فقرب إليه المناظرين والجدليين البارزين ، ودعى إلى مجلسه أهل العلم والمعرفة من جميع الأمصار وأجرى لهم الأعطيات والأرزاق مما زاد في إقبالهم على المناظرات والبحث والجدل (2) ، فضم مجلسه علماء من المسلمين وأهل الذمّة من كل الأديان على حد سواء (3) ، كما اتخذت المناظرات والحوارات بين المسلمين وأهل الذمّة بحضرة الخليفة المأمون طابع الترغيب ودعوة كل طرف لدين الأخر (4).

واهتم أيضا الخليفة المأمون بمناظرة رؤساء أهل الذمّة إذ استدعى رئيس المجوس الديني يزدان بخت من مدينة الري إلى بغداد للمناظرة مع العلماء المسلمين حول الإسلام ومعرفة قولهم فيه ، وبعدما أفحمه العلماء المسلمون دعاه الخليفة المأمون إلى الدخول إلى الإسلام إلا أنه رفض وقال : " إن المأمون لا يجبر الناس على ترك مذاهبهم " (5) ، فاحترم الخليفة المأمون رأيه ووجهة نظره وأكرمه وأحسن له ضيافته ، وهناك

---

1 – الأربلي ، خلاصة الذهب ، ص193 .

2 – المسعودي ، مروج الذهب ، ج4 ، ص318 ؛ النعيمي ، عماد اسماعيل ، مدرسة البصرة الاعتزالية ، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر (بغداد ، 1990م) ص50 ؛ سرور ، محمد جمال ، الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي ، بحث منشور في مجلة العربي ، العدد السابع والخمسون (الكويت ، 1963م) ص33 .

3 – ابن الكازورني ، ظهير الدين ، مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس ، تحقيق : مصطفى جواد (بغداد ، 1970م) ص236 ؛ الرفاعي ، عصر المأمون ، م1 ، ص400 .

4 – البكري ، محمد حمدي ، رسالة الهاشمي الى الكندي ورد الكندي عليها ، بحث منشور في مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الاول ، العدد التاسع ، مطبعة جامعة فؤاد الاول (القاهرة ، 1947م) ص29 ، 49 ؛ ارنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ص104 .

5 – ابن النديم ، الفهرست ، ص401 . ولا يعرف عن يزدان بخت سوى انه كان رئيسا لطائفة المانوية من المجوس ولا تذكر المصادر التي التقى فيها يزدان بخت بالخليفة المأمون .

أسئلة أخرى تمت مناقشتها في هذه المناظرات إذ ناظر الخليفة المأمون جلساءه من المجوس قولهم في الخير والشر والإحسان والإساءة [1] .

وفي بعض الأحيان كان علماء أهل الذمّة يترأسون المناظرات إذ شهد احد مجالس احمد بن طولون العلمية سنة (٢٦٠هـ / ٨٧٣م) مناظرة تزعمها احد الأقباط البارعين بالآراء والنحل ومذاهب المتفلسفين وعلماء الأفلاك والنجوم وناظر فيها أهل الديانات الأخرى [2] ، وإلى جانب المناظرات الدينية نالت المناظرات العلمية نصيبا من اهتمام الخلفاء ولاسيما المناظرات العلمية التي تتعلق بمجال الطب فقد جرت مناظرة كبيرة في بلاط الخليفة هارون الرشيد بين الطبيب بختشيوع بن جبرائيل وغيره من الأطباء وذلك بغية التثبت من معلوماته من قبل الخليفة الرشيد [3] ، وكذلك مجلسا أخر قد عقده الخليفة المأمون إذ اشتهر بكثرة مناظراته ومجالساته لأهل العلم بين علماء المسلمين وأهل الذمّة وكانوا يتشاورون فيه بشتى الأمور الطبية [4] . أما المسلمون فاهتموا بمناظرة ومجادلة أهل الذمّة ، فمنهم أبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة البصريين (ت : ٢٣٥هـ / ٩٤٦م) فقد ناظر احد علماء اليهود في

---

[1] – ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج٢ ، ص١٥٢ ؛ ابن طيفور ، ، بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ، ص٣٧ ؛ الجواري ، احمد عبد الستار ، مجالس المأمون صور من حرية الفكر في تاريخ الحضارة العربية ، بحث منشور في مجلة العربي ، العدد العشرون (الكويت ، ١٩٦٠م) ص٥٣ .

[2] – المسعودي ، مروج الذهب ، ج١ ، ص٣٤٧ ؛ ابن خلّكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ، ص٩٥ .

[3] – ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص١٧ .

[4] – الاصبهاني ، الاغاني ، ج٥ ، ص٢٨٦ ؛ ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، م٢ ، ص١٠٣-١٠٤ .

البصرة حول نبوة موسى عليه السلام وعن التوراة[1] ، وله مناظرات أخرى مع المجوس الذين اسلم بعضهم على يديه [2] .

كما ناظر العلماء المسلمين علماء المجوس بمختلف طوائفهم ، فعقد هشام بن الحكم الكندي (ت : ١٩٧هـ / ٨١٢م) [3] مناظرات عدة مع العلماء ورجال الدين من المجوس وتضمنت هذه المناظرات الجدال حول عقائدهم المختلفة [4] ، وكانت هناك مناظرات أخرى من بينها مناظرات لإبراهيم بن سيار النظام المعتزلي (ت : ٢٣١هـ / ٨٤٥م) [5] للمجوس بمختلف مللهم وتركزت أسئلته إليهم حول النور والظلمة وأزليتهما [6] . وقد نال المؤرخون المسلمون نصيبهم من هذه المناظرات المناظرات فقد تناظر المسعودي مع مفسري الكتب العبرية من التوراة والإنجيل والزبور ومترجميها إلى اللغة العربية وتجادلا بقضايا تتعلق

---

١ – الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، م٣ ، ص٣٦٧ ؛ ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج بن علي (ت : ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) اخبار الاذكياء ، اعتنى به : بسام عبد الوهاب الجابي (بيروت ، ٢٠٠٣م) ص١٨٢ ؛ زكي ، الحياة الادبية ، ص١٤٣ .

٢ – ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٢ ، ص٣٥٧.

٣ – وهو أحد متكلمي الشيعة ولد سنة (٨٢هـ / ٧٠١م) وقيل (٨٣هـ / ٧٠٢م) في الكوفة وقد عمل بالتجارة وكان لدخوله بغداد أثر في اتصاله بالإمام جعفر الصادق (ت : ١٤٨هـ / ٧٦٥م) وتتلمذ على يديه . نعمة ، عبد الله ، هشام بن الحكم استاذ القرن الثاني في الكلام والمناظرة (بلا . م ، ١٩٥٩م) ص١٠٤ .

٤ – ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، م٢ ، ص١٥٣ ؛ نعمة ، هشام بن الحكم ، ص٣٤-٣٥ .

٥– من علماء المعتزلة البارزين في مناظرة اهل الذمة ومحاجتهم . الخياط ، ابو الحسين عبد الرحيم ، الانتصار (بيروت ، ١٩٥٧م) ص٣٠ .

٦ – الخياط ، الانتصار ، ص٣٠ ؛ زكي ، الحياة الادبية ، ص١٤٤ ؛ النعيمي ، مدرسة البصرة ، ص٥٣ ؛ الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص٢٧ ؛ الطرطوشي ، محمد بن الوليد ، سراج الملوك ، المطبعة المحمدية (مصر ، ١٩٣٥م) ص٣٤٦ ؛ ابو زهرة ، محمد ، المذاهب الاسلامية ، المطبعة النموذجية (مصر ، بلا . ت) ص٢٢٢ .

بنسخ الشرائع والفرق بين ذلك [١] ، وجرت بينه وبين الفيلسوف أبي زكريا دنخا النصراني[٢] مناظرات كثيرة ببغداد في الجانب الغربي بقطيعة أم جعفر وبمدينة تكريت في الكنيسة الخضراء حول الثالوث الأقدس وغيره[٣] .

ولم تكن حياة النساك والزهاد من أهل الذمّة بعيدة عن إثراء الساحة الفكرية ، فالحياة التي عاشوها وبالأخص الرهبان النصارى المتفردين في العبادة ضمن خلواتهم ، كانت قد زادت اهتمام الزهاد المسلمين بذلك ، لذا غدت ديارات الرهبان محطا لأنظارهم فذهبوا إليها ليرون عن الرهبان أقوالهم في التقرب إلى الله ﷻ ومعاندة أنفسهم في ترك اللذات [٤] [٤] ، ومن هؤلاء الزهاد الفقيه محمد بن إبراهيم البغدادي [٥] الذي أكثر من أسئلته للرهبان بغية الإفادة منهم[٦] ، وكذلك المتصوف عبد الواحد بن زيد (ت : ١٧٧هـ / ٩٧٣م) [٧] الذي طاف في بلاد الشام وبيت المقدس داعيا إلى عبادة الله ﷻ ، وتردد على بعض رهبان الأديرة التي

---

١ – المسعودي ، التنبيه ، ص٩٩ ؛ حمود ، منهج المسعودي ، ص٤٠ .

٢ – لا يعرف عنه سوى إنه فيلسوف نصراني . المسعودي ، التنبيه ، ص١٣٣ ؛ ترتون ، أهل الذمّة ، ص٤٥ .

٣ – المسعودي ، التنبيه ، ص١٣٣ .

٤ – ابن العماد الحنبلي ، شذرات ، ج٣ ، ص٩١ ؛ امين ، ضحى الاسلام ، ج١ ، ص٢٩٤ .

٥ – من فقهاء بغداد الذين عرفوا بالزهد والورع وقد ربطته علاقة وطيدة بالامام احمد بن حنبل . المناوي ، الكواكب الدرية ، ج١ ، ص٦٩٨ .

٦ – المناوي ، الكواكب الدرية ، ج١ ، ص٦٩٨ .

٧ – من زهاد الصوفية عرف بكثرة تردده على الرهبان ومحاورتهم وكان من الدعاة الى الزهد ومحبة الله . الاصبهاني ، حلية الاولياء ، م٦ ، ص٥٦ ؛ أبو شامة ، شهاب الدين ابو محمد (ت : ٧٦٤هـ / ١٢٦٥م) تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، تصحيح : محمد زاهد الكوثري ، نشره : عزت العطار الحسيني (بيروت ، ١٩٧٤م) ص١٧٢ .

مر بها سائلا إياهم عن كيفية التقرب إلى الله ﷻ من خلال الزهد [1] ، وهناك إشارة أخرى إلى ذي النون المصري الصوفي (ت : ٢٤٣هـ / ٨٦١م) [2] الذي حاور الكثير من الرهبان [3] ، وقد عد بعض الزهاد الرهبان كمعلمين لهم وأشاروا إلى ذلك بقولهم ، كقول إبراهيم بن ادهم (ت : ١٧٢هـ / ٧٨٨م) [4] : " تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان " [5] .

وبهذا كان للزهاد والرهبان أثر كبير في نفوس المسلمين وأهل الذمّة فعدّهم المسلمون من علماء التذكير [6] ، لما يحملون من خلال تصرفاتهم من نصح وإرشاد للناس وهداية لهم . ومنهم من جعل كثرة

---

١ - الاصبهاني ، حلية الاولياء ، م٦ ، ص٥٦ ؛ المناوي ، الكواكب الدرية ، ج١ ، ص٣٦١-٣٦٢ ؛ أبو شامة ، تراجم رجال القرنين ، ص١٧٢ .

٢ - من الزهاد الصوفية عاش بين اقباط مصر وكان يتردد على الكثير من رهبانهم يحاورهم حول الزهد وتكريس الذات لطاعة الله . الاصبهاني ، حلية الاولياء ، م٩ ، ص٣٧٩ ؛ نيكلسون ، ، د . ر . أ ، الصوفية في الاسلام ، ترجمة وتعليق : نور الدين شريبة (مصر ، ١٩٥١م) ص١٩ ؛ الفقي ، تاريخ الفكر ، ص٢٠ .

٣ - الاصبهاني ، حلية الاولياء ، م٩ ، ص٣٧٩ ؛ امين ، ظهر الاسلام ، ج١ ، ص١٧٤ .

٤ - بن منصور بن يزيد واصله من ملوك بلخ عاش في بغداد وعد من مشاهير الزهاد الصوفية . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٧ ، ص٣٠٠ ؛ المناوي ، الكواكب الدرية ، ج١ ، ص٢٠١ .

٥ - الاصبهاني ، حلية الأولياء ، م٨ ، ص٢٩ ؛ عفيفي ، ابو العلا ، التصوف الثورة الروحية في الإسلام (الإسكندرية ، ١٩٦٣م) ص٧٤ ؛ العراقي ، محمد عاطف ، ابراهيم بن ادهم رائد من رواد التصوف الإسلامي ، بحث منشور في مجلة العربي ، العدد ١٨٧ (الكويت ، ١٩٧٤) ص٩٢ ، ٩٦ ؛ علي ، صكبان ، جاسم ، النصرانية ونشأة التصوف الإسلامي ، بحث منشور في مجلة كلية الآداب ، جامعة البصرة ، العدد الثاني عشر ، السنة العاشرة (البصرة ، ١٩٧٧م) ص١٦٥ .

٦ - اخوان الصفا ، رسائل اخوان الصفا ، م١ ، ص٢٦٧ ؛ الغريري ، أثر أهل الذمّة ، ص١٠٨ .

التعبد لله سببا في صحة البدن وذكاء الذهن والقرب من عيش الملائكة وهذا ما وصف به المسلمون لرهبان أهل الذمة [1] .

الحوارات الدينية :

نعم أحبار اليهود بنفوذه القديم بعد الفتح الإسلامي بأمن وطمأنينة كما حفظ لهم الإسلام حرية التعلم ، فظلت مدارسهم التي يتعلمون فيها قائمة على ما كانت عليه ولم يتجاوز عليها احد ، فقد دعى بعض أحبار اليهود الرسول ﷺ للحضور إلى بيت المدارش وناقشوه ببعض المسائل الدينية كعقوبة الزنا بالتوراة والقران الكريم [2] . وكذلك فقد حفظ ﷺ لرجال الدين النصارى ما كانوا يتمتعون به من مكانة وتأثير بين اتباعهم فكفل حريتهم ومنحهم الحرية في إقامة شعائرهم [3] .

أما الصابئة والمجوس فلم يرد في المصادر عن طبيعة تعامل الرسول ﷺ معهم وذلك لقلة عددهم في تلك الحقبة قياسا بغيرهم من اليهود والنصارى ، إلا أن دور أهل الذمّة من الصابئة والمجوس في المجال الاجتماعي والاقتصادي والعلمي كان كبيرا لاسيما في العصر العباسي [4] . وربما كان هذا لكثرة أعدادهم بعد الفتوحات الإسلامية وخاصة في العراق . اطلع المسلمون على فكر أهل الذمّة ، وشارك بعضهم في ارتياد مدارسهم والاستماع إلى ما كانوا يتلقونه من علوم مختلفة . فقد

---

1 - ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج٣ ، ص٢١٨ ؛ الدينوري ، المجالسة ، ج٢ ، ص٣٥ .

2 - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص١٧٩ ؛ ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ج٢ ، ص٨٨ ؛ اتلفان ، جواد رفعت ، الخطر المحيط بالإسلام (الصهيونية وبروتوكولاتها) ترجمة : وهبي عز الدين ، مطبعة الجاحظ (بلا . م ، ١٩٦٥م) ص٣٢.

3 - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٠٤-٢٠٥ ؛ سرور ، محمد جمال الدين ، قيام الدولة العربية في حياة محمد ﷺ ، دار الفكر العربي (القاهرة ، ١٩٦٤م) ص٧٩ ؛ ارنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ص٦٥ ؛ العجلاني ، عبقرية الاسلام ، ص٤٢ .

4 - الغريري ، أثر أهل الذمّة ، ص٢٩ .

روي أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ كان يحضر مع اليهود عند تدارسهم التوراة[1].

وتتلمذ في عهده الكثير من الصبيان المسلمين على أيدي معلمين من أهل الذمّة ، فقد عرف عن جفينة النصراني أنه كان يعلم الصبيان في المدينة المنورة الكتابة باللغة العربية [2].

ووصلا إلى معرفة كتبهم السماوية المنزلة والاطلاع عليها ، فقد أقبل العديد من علماء المسلمين على قراءتها وفهمها ، ومنهم جبلان بن فروة المعروف بأبي الجلد [3] ، الذي كان يختم القرآن الكريم كل سبعة أيام والتوراة كل ستة أيام [4] .

وتلبية لطلب والي مصر عمرو بن العاص ﷺ من النصراني يحيى النحوي[5] أن يترجم له الإنجيل إلى اللغة العربية ليتسنى له قراءته [6] .

كما حظيت الحوارات الدينية بنصيبها الوافر من تلك المظاهر ، فقد وفد العديد من رجالات أهل الذمّة إلى مجالس الخلفاء الراشدين يسألونهم عن الإسلام ونبوة الرسول

١- ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج بن علي (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ،الوفا بأحوال المصطفى ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، دار الكتب الحديثة (القاهرة ، ١٩٦٦م) ج١ ، ص٥١ .

٢- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٣٥٦ .

٣- جبلان أبو فروة : وهو من الطبقة الثانية من الفقهاء والمحدثين والتابعين من أهل البصرة ، لا يوجد تحديد لوفاته ، يقال أنّه توفي في العصر الأموي . ينظر ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٢٢٧.

٤- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٢٢٢.

٥- يحيى النحوي: كان اسقفا في بعض الكنائس بمصر ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبية ثم رجع عما يعتقده النصارى في التثليث فاجتمع الأساقفة وناظروه فغلبهم، ثم استعطفوه وطلبوا منه الرجوع عما هو عليه من الاعتقاد ، وترك إظهاره فأقام على ما كان عليه وأبى ان يرجع فأسقطوه وعاش إلى أن فتحت مصر على يدي عمرو بن العاص ﷺ فدخل إليه وأكرمه ورأى له موضعا ، وقد فسر الكثير من الكتب . ينظر، ابن النديم، الفهرست ، ص٣١٤.

٦- ابن النديم ، الفهرست ، ص٣١٤-٣١٥.

ﷺ ، فقد حاور أحد أساقفة نجران الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كثير من القضايا الدينية [1] .

وقدم أسقف آخر طالبا الوعظ من الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فكان نتيجة ذلك الحوار أن أعلن ذلك الأسقف إسلامه بين يدي الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2] ، كما تردد إليه في الوقت نفسه العديد من اليهود ليناقشوه ويحاوروه في العديد من الأمور الدينية ، ومنها أمور تتعلق بماهية الله ﷻ وبعض المعجزات [3] .

وقد تولى الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم الرد على أسئلة أهل الذمّة التي كانت يدور فحواها حول ما يحدث بعد الموت وكيفية البعث والجزاء ، وهذا ما جرى بين الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه والخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين أحد رجال اليهود [4] .

والتقى بعض الصحابة رضي الله عنهم بزهاد أهل الذمّة في دور عباداتهم واستمعوا لنصحهم ومشورتهم ، فالتقى الصحابي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بإحدى الراهبات وهي الحرقة بنت النعمان بن المنذر ، فقال لها سعد : " يا حرقة ! ما كان شأنكم ؟ فقالت : كنا ملوك هذا المصر قبلك ، يجبى إلينا خراجه ، ويطيعنا أهله مدّة من المدد ، حتى صاح بنا صائح الدهر ، فشتت ملأنا ، والدهر ذو نوائب وصروف ، فلو رأيتنا في أيامنا ، لأرعدت فرائصك فرقا منا ، فقال لها سعد : فما أنعم ما تنعمتم به ؟ فقالت : سعة الدنيا ، وكثرة الأصوات إذا دعونا ، ثم أنشدت تقول:

وبينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة ليس ننصف

1- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، (ت:٩١١هـ/١٥٠٥م) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق: حمدي الدمرداش ، مكتبة نزار مصطفى الباز (بلا . م ، ٢٠٠٤م) ص١١٢ ؛ الأبشيهي ، أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد ، (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) المستطرف في كل فن مستطرف ، عالم الكتب (بيروت ، ١٩٩٨م) ص٨٧.

2- ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج بن علي (ت : ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ، تلبيس إبليس ، دار الفكر (بيروت ، ٢٠٠١م) ص١٦٤ .

3- الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، (ت : ٥٠٥هـ/١١١١م) ، مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والأمراء ، تحقيق : محمد جاسم الحديثي ، دار الحرية (بغداد ، ١٩٨٨م) ص١٨٧.

4- الغزالي ، مقامات العلماء ، ص١٦٥.

فتبا لدنيا لا يــــــــدوم نعيمها تقلب تـــارات بنـــا وتصـــرف

يا سعد ! إنه لم يكن أهل بيت بحبرة إلا والدهر يعقبهم عبرة ، حتى يأتي أمر الله على الفريقين بما أحب ، وعند سعد عمرو بن معدي كرب الزبيدي [١] ، فقال سعد لعمرو : أحفظ هذا الكلام حتى تأتي عمر غدا إذا قدمت عليه ، فقضى سعد حاجتها وأكرمها ، وأمر بردها إلى موضعها ، فلما أرادت القيام ، قالت له : يا سعد ! لا جعل الله لك إلى لئيم حاجة ، ولا أزال عن كريم نعمة ، ولا نزع عن عبد صالح نعمة ، إلا جعل لك سبيلا إلى ردها عليه ، قال: فقدم عمرو بن معدي كرب على عمر بن الخطاب ﷺ ، فحدثه ما حضر من حرقة ، قال : فلما بلغ من كلامها أنه لم يكن أهل بيت بحبرة إلا والدهر معقبهم عبرة ، قال : فبكى عمر بن الخطاب ﷺ " [٢]

. واستمرت المجادلات في العصر العباسي بين الرهبان المسيحين والفقهاء من المسلمين ومن هؤلاء الراهب الملكي ابراهيم الطبراني واصله من طبريا عاش في النصف الاول من القرن الثاني الهجري / التاسع الميلادي الذي لبى دعوة والي بيت المقدس عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح الهاشمي (١٧٤هـ - ١٩٤هـ / ٧٩٠-٨٩٠م) لمجادلة فقيه مسلم ، وتوجد هذه المجادلة في مخطوط محفوظ في الفاتيكان ومواضيع المجادلة هي : الشرك ، أبوة الله ، ولادة الابن المسيح ،

١- عمرو بن معدي كرب: عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي ، فارس العرب ، وصاحب الغارات المذكورة ، وفد على المدينة سنة (٩هـ/٦٣٠م) في عشرة من بني زبيد ، فأسلم وأسلموا وعادوا ، ولما توفي النبي ﷺ ارتد عمرو في اليمن ، ثم رجع إلى الإسلام ، فبعثه الخليفة أبو بكر ﷺ إلى الشام ، فشهد اليرموك ، وذهبت فيها إحدى عينيه ، وبعثه الخليفة عمر ﷺ إلى العراق ، فشهد القادسية ، وقد أبلى بلاءا حسنا ، وكان عصيّ النفس ، أبيّها ، فيه قسوة الجاهلية ، يكنى أبا ثور وأخبار شجاعته كثيرة ، توفي سنة (٢١هـ/٦٤٢م) . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٥٢٥ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤٦ ، ص٣٦٣-٣٩٩ ؛ الزركلي، الإعلام ، ج٥ ، ص٨٦.

٢- الدينوري ، المجالسة وجواهر العلم ، ج٢ ، ص٤٧٢ ؛ الغزالي ، مقامات العلماء ، ص١٧٨ ؛ ابن منقذ ، أسامة (ت : ٥٨٤هـ/١١٨٨م) العصا ، تحقيق : حسن عباس ، تقديم : مصطفى هدارة ، فرع الهيئة المصرية العامة للكتاب (الاسكندرية ، ١٩٧٨م) ص١٩٦.

الوضوء ، عبادة الصليب ، تفوق الأخلاق النصرانية ، انتشار النصرانية دون الرجوع إلى القوة ، إشارة الصليب تحمي من السموم [١] . كما روي لثاودورس أبو قره أسقف حران الملكي (١٢٣هـ - ٢٠٥هـ /٧٤٠-٨٢٠م) مجادلات لإثبات الدين المسيحي مع علماء مسلمين بحضور الخليفة العباسي المأمون [٢] ، كما اشتهر بين المسيحين بدفاعه عن الصور المقدسة [٣] ، ورسالة الجاحظ في الرد على النصارى تصور ما كان يثيره اليهود النصارى واليهود من شبهات وما كان يدفع به المسلمون تلك الشبهات ، كما ذكر الجاحظ في رسالته طرفا من اخبار اليهود مما يدل على مدى اتصال النصارى بالمسلمين في عصره [٤] .

الإسهامات الفكرية لمدارس أهل الذمّة :

لدور العبادة الدور الكبير والأهم في مجال التعليم عند أهل الذمّة وغيرهم ، إذ أنها المكان الأساس والأول الذي أقيمت فيه المدارس ، فتعلم فيها الصبيان الذميون على يد رجال الدين أصول عقيدتهم ، إضافة إلى تعليمهم العديد من العلوم المختلفة التي ساعدت على إثراء الساحة الفكرية بالعديد من المصنفات والنتاجات . وبرز دور أهل الذمّة بهذا المجال ، وأصبح لهم شأن كبير كونهم جزء رئيسي من مجتمع الدولة الإسلامية ، فقدموا الانجازات في العلوم التي أسهمت في التقدم في شتى الميادين . لذلك أطلق الخلفاء العباسيون العهود بالرعاية والاهتمام بالنفس والمال وأماكن العبادة لرؤساء أهل الذمّة [٥] ، فقدم لهم الخلفاء

---

١ - قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص٢٦٤ .

٢ - قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص٢٦٤ .

٣ - بيشه ، مناهضة الصور ، ص٦ .

٤ - رسائل الجاحظ ، ج٣ ، ص٣٠٣ ، ٣٥١ .

٥ - القلقشندي ، أحمد بن علي بن أبي العباس (ت : ١٢١هـ / ٧٣٨م) مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار احمد فراج ، عالم الكتب (بيروت ، بلا . ت) ج٣ ، ص٢٠٧ ؛ صبح الاعشى ، ص٢٩٨ ؛

المساعدات المالية لمدارسهم ، وذلك لحثهم على التطور والإبداع أسوة بالمسلمين ، ومن هذه المساعدات رواتب مجزية لرؤساء مدارس أهل الذمّة لإنفاق بعضها على احتياجات تلك المدارس ، والبعض الأخر لهم ، وبلغ راتب رئيس مدرسة سورا [١] اليهودية في العراق ألف وخمسمائة دينار سنويا بما يمثل أحد جوانب التمويل لمدارس اليهود بشكل عام ، فضلاً عن تبرعات اليهود أنفسهم [٢] . فقد قدم يهود العراق الذين استوطنوا مصر تبرعات كثيرة للمدارس اليهودية في العراق [٣].

أما مدارس أهل الذمّة في بلاد الشام فقد نالتها المساعدات أيضا لاسيما في أوقات الأزمات ، فقد قدم خمارويه بن احمد بن طولون (٢٥٠ - ٢٨٢هـ / ٨٦٤ - ٨٩٦م) [٤] والذي عرف بعلاقته الوطيدة مع أهل الذمّة وخاصة النصارى دعما ماديا كبيرا لإعادة اعمار إحدى الكنائس في دمشق بعد أن نشب فيها حريق ، وكذلك إعادة بناء المدرسة القائمة فيها لممارسة دورها الديني والتعليمي[٥] . وتعددت مصادر تمويل

---

١ - من المدن الواقعة على نهر الفرات ، سكنها جماعات كبيرة من اليهود . العامري ، اسماء المواضع القديمة ، ص١٢٢.

٢ - ابن يعقوب ، موجز تاريخ يهود بابل ، ص٤٣

٣ - قاسم ، اليهود في مصر ، ص٣٠ ؛ الغريري ، أثر أهل الذمّة ، ص١١٣ .

٤ - من امراء الدولة الطولونية في مصر تولاها بعد وفاة والده سنة (٢٧٠هـ / ٨٨٣م) ولد في سامراء وقتله غلمانه على فراشه في دمشق وحمل جثمانه الى مصر حيث دفن هناك . الكندي ، ابو عمر محمد بن يوسف ، الولاة وكتاب القضاة ، تصحيح : رفن كست (بيروت ، ١٩٠٨م) ص٢٣٣ .

٥- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م٢ ، ص٥٢٦-٥٢٧ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج٢ ، ص٥٠٢ ص٥٠٢ ؛ الدمشقي ، شمس الدين محمد بن علي (ت : ق٨هـ / ١٤م) البدور المسفرة في نعت الاديرة ، تحقيق : هلال ناجي ، دار الحرية للطباعة (بغداد ، ١٩٧٥م) ص٢٧ ؛ الخربوطلي ، علي حسني ، اليهود والمسيحيين في الجزيرة العربية ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية (بلا . م ، بلا . ت) ص١٧٠ ؛ الزيات ، حبيب ، خراج الاديار وجزية الرهبان ،

تمويل مدارس أهل الذمّة فمنها ما أنفقه الجاثليق طيمثاوس فقد انفق الكثير على المدارس النصرانية ووضع اللوائح المالية لها بما يضمن حسن إدارتها وتزويدها بمستلزمات الدراسة والمعيشة [1] ، وكذلك الجاثليق سبر يشوع الثاني (٢١٦ - ٢٢٠هـ / ٨٣١ - ٨٣٥م) [2] الذي ضيق على نفسه ليوفر الإنفاق على مدرسة الدير وعمارة البيع ومساعدة الفقراء من النصارى [3] ، لذا كان يدفع إلى رهبان دير عمر صليبا [4] في كل شهر أربعة دنانير وما تبقى له وللمقيمين فيه من رجال الدين [5] . وللمواريث دور كبير أيضا في مجال دعم مدارس أهل الذمّة فأوصت إحدى النساء النصرانيات بمالها للأديرة والمدارس التابعة لها الواقعة في الأنبار [6] . وكذلك انفق الطبيب بختشيوع بن جبرائيل ما ورثه عن والده وهو سبعمائة ألف دينار على الدير الذي دفن فيه والده في المدائن فعمره وأجرى على رهبانه الجرايات والنفقات [7] . وهناك نفقات داخلية تقوم بها بعض الأديرة كما حصل في دير مرماعوث [8] فقد كان لرهبانه مزارع ومباقل [9] ، ودير الزعفران [1] ولرهبانه يسر ونعم

بحث منشور في مجلة المشرق ، السنة السادسة والثلاثون (بيروت ، ١٩٣٨م) ص٤٠٢ ؛ بدر ، مصر الاسلامية ، ج١ ، ص١٢٦ .

[1] - ابونا ، تاريخ الكنيسة ، ج٢ ، ص١٣٢ .

[2] - وهو جاثليق النصارى في بغداد ، عرف عنه اهتمامه بالإنفاق على مدارسهم ورجال دينهم . ابن سليمان ، اخبار فطاركة ، ص٧٦-٧٧ .

[3] - ابن سليمان ، اخبار فطاركة ، ص٧٧ .

[4] - يقع في الجانب الغربي من بغداد . ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص٤٤٢ .

[5] - ابن سليمان ، اخبار فطاركة ، ص٧٧ .

[6] - التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٦ ، ص١٠٠ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، م٨ ، ص٢٥٨.

[7] - القفطي ، اخبار العلماء ، ص٩٩ .

[8] - ويقع في الجانب الغربي من نهر الفرات . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٣٦ .

[9] - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٣٦ .

فلهم المزارع والبساتين والرياض التي يمولون بها الدير ومدرسته [٢] ، ومما يؤكد ثراء الكثير من الأديرة وقدرتها على إعانة نفسها ومدارسها ودفع ما ترتب عليها من ضرائب ، إنه حمل من بعض هذه الأديرة في عهد الخليفة الرشيد إلى بيت المال أربعة وثلاثون ألف ألف درهم [٣] ، ومنها دير قني [٤] ودير سمعان [٥] .

أما مدارس الصابئة فالمعلومات عنها قليلة ولم تشر المصادر لها بشيء ، غير أن اسم دور العبادة التي يتعبدون بها تسمى بالمندا أو المندي وتعني بالعربية بيت العلم والمعرفة [٦] ، وهي بلا شك كانوا يتدارسون فيها علومهم ويمولها رجال دينهم وأغنيائهم للحفاظ عليها وإدامة تلقي العلم فيها .

تقول سيدة كاشف [٧] : " إن تعاليم الثقافة الإغريقية كان لها أثرها في اتجاه الفكر عند المسلمين " . ويؤيد ذلك جواد علي [٨] بقوله : " كان العراق مركز العالم الإسلامي في دراسة العلوم الشرعية والعقلية تنازعه

---

١ – ويسمى عمر الزعفران لأنه يقع قرب جزيرة ابن عمر في الموصل . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥١١ .

٢ – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥١١ ؛ العمري ، مسالك الابصار ، ج١ ، ص٢٥٥ .

٣ – الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص٢٨٥ .

٤ – يقع في الجانب الشرقي من بغداد بينه وبين دجلة ميل ونصف . الشابشتي ، الديارات ، ص٢٦٥ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٢٨ ؛ القزويني ، اثار البلاد ، ص٣٧٢ .

٥ – يقع بالقرب من دمشق . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥١٧ ؛ ترتون ، أهل الذمّة ، ص١٧٣ .

٦ – الليدي دروار ، الصابئة المندائيون ، ص٢٠٠ .

٧ – كاشف ، الوليد بن عبد الملك ، ص٢٢٥ .

٨ – علم ابن النديم باليهودية والنصرانية ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد العاشر (بغداد ، ١٩٦٢م) ص١٦٨ .

آراء ومذاهب عديدة فلسفية وكلامية وذلك بدخول الآراء الفلسفية اليونانية إليه ، وقد كانت هذه الآراء في الغالب مشوبة بآراء غربية نصرانية دخلت عليها " .

وكان بعض الولاة المسلمين يحبون الاجتماع بكبار رجال القبط وأعيانهم ، وإن والي مصر عبد العزيز بن مروان كان كثيرا ما يجتمع بالموظفين القبط ، كما كان يأنس كثيرا ببطركهم أنبا اسحق حتى بلغ به الأمر إنه كان كثيرا ما يدعوهم إلى تناول الطعام معه في قصره ، ويتجاذبون أطراف الكلام أثناء ذلك في مختلف النواحي [١] . كما كان يجتمع أيضا بكبار القبط في أعيادهم الدينية ، ويذكر أن الأصبغ بن عبد العزيز لما دخل على أبيه وجده مجتمعا مع بعض المسلمين وجماعة من كبار القبط وكان ذلك في يوم عيد الفصح [٢] . وأهتم الأطباء من أهل الذمّة بعقد المجالس العلمية التي غالبا ما كانت تتم بحضرة الخلفاء يتناقشون فيها بمختلف الأمور الطبية . ومن بين الخلفاء الذين حفلت مجالسهم بالأطباء الذميين الخليفة هارون الرشيد ، وكان جبرئيل بن بختيشوع من أهم حضورها كان يصحبه في حلة وترحاله [٣] . كما عقد العديد من المجالس مع زملائه الأطباء يتباحثون فيها بأمور الطب ومسائله [٤] . وكذا الحال بالنسبة لإبنه بختيشوع الذي كان يجالس الخليفة الخليفة المأمون ويقدم له النصح والإرشاد بما يقوم بدنه ومما قاله له مرة في إحدى جلساته : " لا تجالس الثقلاء فإننا نجد في كتب الطب أن

---

[١] –عامر ، تاريخ أهل الذمّة ، ج١ ، ص٤٥٦ .

[٢] – ابن المقفع ، سير الاباء البطاركة ، ج٢ ، ص١٨٧ ؛ عامر ، تاريخ أهل الذمّة ، ج١ ، ص٤٥٦ .

[٣] – القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص٣٠٦ ، ص٢٣٩؛ الجومرد ، هارون الرشيد ، ج١ ، ص٣٠٥

[٤] – القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص١٤٤.

مجالسة الثقيل حمى الروح "[1] . وضم مجلس الخليفة الواثق بالله الذي كان محبا للمناظرات ومكرما لأهلها ، أهل العلم من الفلاسفة والأطباء ، فمن الأطباء الذين اعتادوا التردد على مجلسه إبن بختيشوع وإبن ماسويه وحنين إبن إسحق وغيرهم[2] .

وفضلاً عن هذه المجالس، عقد أطباء أهل الذمّة مجالس علمية ضمتهم مع أطباء الملل الأخرى ، فقد كان يحضر مجلس الطبيب سهل الكوسج النصراني، يوحنا بن ماسويه وجورجيس بن بختيشوع وهما من النصارى والطبيب المسلم الحسن بن قريش وغيره من المتطببين[3] ، كما اعتاد يوحنا بن ماسويه عقد مجلس في بغداد يحضره العلماء على اختلاف ميولهم من فلاسفة وأطباء وأدباء ومتكلمين[4] ، فضلا عن تردده على مجالس الخليفة المتوكل[5] .

ومن الطريف التنويه إلى أن بعض المناظرات جرت بين القضاة المسلمين وأطباء أهل الذمّة ، فقد قام القاضي أحمد بن أبي داود بعقد مناظرات علمية في مجلسه مع الأطباء النصارى من مثل سلمويه وإبن ماسويه وبختيشوع بن جبرئيل[6] .

١- أبن قتيبة، عيون الأخبار، م٢، ص١٠٣- ١٠٤.

٢ - المسعودي، مروج الذهب ، ج٤، ص٣٠.

٣- أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٦٠.

٤ - القفطي، تاريخ الحكماء، ص٣٨٥ ؛ أمين ، ظهر الإسلام (القاهرة ، ١٩٥٢م) ص٢٢٩.

٥ - الخالديين ، التحف والهدايا ، تحقيق : سامي الدهان (القاهرة ، ١٩٦٥م) ص٢٩ ؛ أبن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج١، ص١٧٥- ١٧٦.

٦ - الجاحظ ، الحيوان ، ج٤ ، ص١٢٣- ١٢٤.

المبحث الثالث

علماء وشعراء وأدباء أهل الذمّة في مؤلفات المسلمين

لأهل الذمّة إسهام واضح أيضا في مجال الآداب والفنون ، ومن هذه الإسهامات ما سنعرضه في ثنايا هذا المبحث

تعلم أهل الذمة اللغة العربية :

كان المسلمون أقلية في بداية الفتوحات ، لأن سكان العراق وبلاد الشام من العرب وغيرهم لم يكونوا قد دخلوا الإسلام بعد [1] ، وكانت المجتمعات في البلدان المفتوحة تتألف من شعوب عديدة وتتكلم لغات مختلفة ، ولم تكن العربية مستخدمة من قبل إلا من قبل الحكام والقادة والجنود والمجموعات العربية المهاجرة إلى هذه البلدان أو التي كان من مواطنيها ومن قبل غير العرب الذين دخلوا في الإسلام وتعلموا اللغة

1- العوادات ، حسين ، العرب النصارى ، الأهالي للطباعة والنشر (دمشق ، ١٩٩٢م) ص٩٧.

العربية [1] ، ولما كانت الدواوين غير معربة فلم يكن أهل البلاد الأصليين في أصقاع الإمبراطورية من غير العرب بحاجة إلى تعلم اللغة العربية لأنهم يشكلون الأكثرية في السكان ويتكلمون بلغتهم التي هي لغة الإدارة أيضا [2] ، إلا أنه وبعد تعريب الدواوين وزيادة الجاليات العربية واختلاطها مع السكان الأصليين ، بدأ تحول المجتمع إلى الثقافة العربية الإسلامية ، وبدأ السكان يتحدثون اللغة العربية ، وأصبحت لغة التفاهم مع الناس في حياتهم اليومية ، ثم أصبحت اللغة العلمية والتعليمية فضلا عن كونها لغة الدواوين [3] ، فانتشرت وتوسع انتشارها ونفوذها وصارت لغة معظم السكان ، باستثناء فئات قليلة في الأرياف والمناطق البعيدة ، وسرعان ما أصبحت لغة وحيدة للناس خارج بيوتهم ، ولغة الصلوات والخدمة في الكنائس في بلاد الشام ابتداءً من القرن الثاني الهجري[4] .

وتأخرت شيئا قليلا في انتشارها بمصر ، وبذلك توسعت الدولة العربية الإسلامية على أيام الأمويين والعباسيين وغدت دولة مترامية الأطراف واقتضى توسعها وتنوع أثنيتها وثقافات شعوبها والتفاعل المتبادل بين هذه الثقافات وغناها ، وتعدد مصادر دخلها واختلاف بيئتها الجغرافية ، وعلاقاتها الخارجية [5] ، ذلك كله اقتضى تغيير بنية الدولة ونظامها ومهماتها وأساليب عملها ، ونشأ مجتمع جديد ودولة جديدة تختلف كليا عن مجتمع عصر الخلافة الراشدة ، فشعوبها أصبحت من العرب والفرس والأرمن والسريان والقبط وغيرهم ، واختلفت دياناتها وثقافاتها " إسلامية ، نصرانية ، يهودية ، مجوسية وديانات وثقافات

---

١ – لوبون ، حضارة العرب ، ص٧١٨ .

٢ – لوبون ، حضارة العرب ، ص٧٢٠ .

٣ – العوادات ، العرب النصارى ، ص٩٩ .

٤ – شيخو ، شعراء النصرانية ، ج٢ ، ص٢٤٤ .

٥ – العوادات ، العرب النصارى ، ص٩٥ .

شرقية أخرى " [١] ، وقد برز في هذا العهد النحويون من أهل الذمّة ، أمثال يوحنا النصراني في مصر ، وكان نحويا مشهورا ربطته علاقة وثيقة بمحرر مصر عمرو بن العاص ﷺ [٢] . ومن أدباء أهل الذمّة في الدولة العباسية أبا عبيدة معمر بن المثنى (ت : ٢٠٩هـ / ٨٢٤م) [٣] وقد تنوعت ثقافته وكان عالما بأيام العرب وأخبارهم وعلومهم وأنسابهم وبالثقافة الفارسية ومعارف اليهود حتى قيل فيه : " لم يكن في الأرض اعلم بجمع العلوم منه "[٤] ، استقدمه الخليفة الرشيد من البصرة إلى بغداد سنة (١٨٨هـ / ٨٠٣م) واخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام (ت : ٢٣٣هـ / ٨٤٧م) ، وأبو حاتم السجستاني (ت : ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) وغيرهما من علماء بغداد [٥] ، ويرجع له الفضل في أن مهّد الطريق لغيره من جامعي الأخبار ، فإن الأصفهاني لما وضع كتابه الأغاني اعتمد على كتابه أيام العرب [٦] . ويذكر له ابن النديم [٧] مؤلفات كثيرة كثيرة في اللغة والأمثال والفتوح والأنساب وبيوتات العرب وأيامهم وابرز كتبه كتاب مثالب العرب – معائب العرب وكتاب شعراء العرب ونقائض الفرزدق وجرير ، غير انه يؤخذ عليه تحامله الشديد على

---

١ –العوادات ، العرب النصارى ، ص٩٧ .

٢ – أبن النديم، الفهرست، ص٣١٤-٣١٥.

٣ – اختلف في نسبه فقيل من يهود فارس من قرية باجروان ، كان فاسد الاخلاق ، قتل مسموما في خلافة المأمون . ابن النديم ، الفهرست ، ص٧٩ .

٤ – قوت ياالحموي ، معجم الأدباء ، ج٦ ، ص٢٧٠٤ ؛ ابن خلّكان ، وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص٢٣٥ .

٥ – ابن خلّكان ، وفيات الاعيان ، ج٥ ، ص٢٣٥ .

٦ –البستاني ، بطرس ، ادباء العرب في العصور العباسية ، دار الجيل (بيروت ، ١٩٦٩م) ص١٩٠ .

٧ –الفهرست ، ص١٠٧ ، ١١٠ .

العرب فراح يطعن فيهم ويمزق في أعراضهم ونشر مخازيهم في كتاب مثالب العرب ، مما قلل من موضوعية شهادته وروايته عند البعض .

واقبل معظم أهل الذمّة على تعلم اللغة العربية ، مما أدى إلى تقارب كبير بينهم وبين العرب المسلمين وسائر أهالي الأمصار المفتوحة . واللغة العربية ليست كلمات أو حروف ، بل هي تعبير وشعور ، ووحدة اللغة تؤدي إلى وحدة الثقافة وإلى الوحدة العقلية والنفسية ، مما يحقق شخصية عربية واحدة [1] . وأدى تعميم استخدام اللغة العربية في هذه الأمصار إلى اندماج سائر الأجناس على اختلافها اندماجا قويا في الحياة القومية التي كان يحياها العنصر العربي الحاكم ، إذ ربطت اللغة العربية جميع البلاد برباط معنوي [2] ، كما إن أهل الأمصار قد أصبحوا شعبا إسلاميا فإنهم كانوا يزدادون إسلامية كلما اقتربت لغتهم من لغة القرآن الكريم [3] .

واقبل أهل الذمّة على تعلم اللغة العربية وإتقانها ، فقد كانت رغبة هذه العناصر في قراءة القرآن الكريم ، دستور الدولة الإسلامية وتولي المناصب من العوامل المهمة التي دفعتهم إلى تعلم وإجادة اللغة العربية[4] ، كما كانت رحمة العرب الفاتحين بأهل الذمّة وتسامحهم معهم معهم من أهم العوامل أيضا في تشجيعهم على إتقانها والتمسك بالنظم العربية[5] .

ولبقاء إمارة الحيرة العربية على حدود دولة الفرس وإمارة الغساسنة على حدود دولة بيزنطة دور مهم في إبقاء العروبة واللغة العربية والتمكين لها في المشرق الإسلامي ، وكانت هاتان الإمارتان قبل

١ – الخربوطلي ، الإسلام وأهل الذمّة ، ص١١٤ .

٢ – ارنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص٦٨ .

٣ – ديمومبين ، النظم الإسلامية ، ص١١ .

٤ –حتي ، تاريخ العرب ، ج١ ، ص٩ .

٥ – لوبون ، حضارة العرب ، ص٧٢٠ .

الإسلام على صلة دائمة بالجزيرة العربية [١] . وقد سار المسلمون بعد الفتوحات الإسلامية على نشر لغتهم ودينهم فلم يحاربوا لغات البلدان التي دخلت في نفوذهم وتحت سيطرتهم ، بل على العكس ، فقد ساروا في نشر لغتهم ، وراعى المسلمون سنن الطبيعة والنشوء ، فبقي ما هو مفيد للناس في مصالحهم على اختلاف نحلهم ومللهم [٢] ، وإن غلبة اللغة العربية على تلك الأمصار كانت باختيار الناس لا بسلطان الدولة ، وإن تسامح العرب الفاتحين أدى إلى انتشار اللغة العربية ، إذ أنهم لم يعتمدوا على قوة السلاح مثل غيرهم من الأمم كالجرمان والمغول والفرس [٣] . وكان أهل الذمّة مضطرين إلى تعلم اللغة العربية ، إذ أنهم يتصلون بالعرب المسلمين في شؤون الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها ، كما أدى تعريب الدواوين في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى انتشارها على نطاق واسع بين أهل الذمّة فقد كان عليهم تعلمها وإتقانها خوفا على وظائفهم من الزوال ، وبذلك أرادوا الاحتفاظ بهذه الوظائف . وقد تحدث توماس ارنولد [٤] عن نتائج هذا الانتشار الكبير والواسع للغة العربية بين الذميين فقال : " كان لتعميم استعمال اللغة العربية في كافة أرجاء البلاد الخاضعة للخلافة الإسلامية ، وبخاصة المدن والمراكز الكبرى الآهلة بالسكان ، كما كان كذلك للتماثل الذي تم تدريجيا في الأخلاق والعادات والذي أدى في خلال ما يقرب من القرنين إلى اندماج الأجناس المغلوبة على اختلافها اندماجا قويا في الحياة القومية التي كان يحياها العنصر العربي الحاكم ، كان لهذا كله من غير شك إسهام في الحياة الدينية والفكرية لدى الكثير من أفراد الديانات التي دخلت في حماية العرب الفاتحين ، ومن المحتمل جدا أن

---

١ – الخربوطلي ، الإسلام وأهل الذمّة ، ص١١٥ .

٢ – كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، ج١ ، ص١٨٠ .

٣ – بارتولد ، الحضارة الإسلامية ، ص٣٠ .

٤ – الدعوة الى الاسلام ، ص٩٢ .

تكون الحركة الفكرية قد أثرت في المفكرين المسيحيين وصرفتهم عن ديانة كانت روح عقيدتها السائدة تلوح في ذلك الوقت أنها عقيدة مستحيلة من الناحية العملية " .

وقد فرضت اللغة العربية كتاباتها على الفرس وغيرهم من الأمم الأخرى ، وقضت نهائيا على الألف باء القديمة لهذه اللغات القديمة ، فقد اقتبست اللغة الفارسية ثلث ألفاظها من اللغة العربية وأضافتها إلى مجموعة كلماتها الهندو – أوربية [١] . وكان الزرادشتيون هم أول من اتخذوا الحروف العربية واوجدوا لغة فارسية حديثة محتوية على كثير من الكلمات العربية [٢] . وهذا بحد ذاته إسهام واضح وكبير في مجال اللغة العربية كان لأهل الذمّة دور كبير فيه .

وأدت أقامة العرب في المدن الإسلامية الجديدة في الأمصار المفتوحة إلى امتزاجهم بأهالي البلاد المفتوحة وأهل الذمّة فقد تعاونوا جميعا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ولم تكن عناصر الأمصار المفتوحة غريبة على العرب الفاتحين ، كما إن فروقهم الدينية لم تقف حائلا في سبيل تكوين مجتمع سرعان ما تكلم اللغة العربية واعتنق الإسلام[٣] . فتبحر أهل الذمّة وتعمقوا في مفرداتها ووضعوا المؤلفات النحوية والأدبية حولها وتركت اللغة العربية أثرا كبيرا على علماءهم إذ عُد سعديا الفيومي أبا النحو العربي ، وذلك لشغفه باللغة العربية وآدابها ، إذ إن نشأته بالعراق وتعلمه فيه قبل رحيله إلى مصر جعله يتأثر بمذهب البصريين [٤] في الأخذ بالقياس في الأمور الدينية وبمذهب

---

١ – ديمومبين ، النظم الاسلامية ، ص١٢-١٣ .

٢ – بارتولد ، الحضارة الاسلامية ، ص٦٨ .

٣ – ديمومبين ، النظم الاسلامية ، ص٩ ؛ الخربوطلي ، الإسلام وأهل الذمّة ، ص١١٧ .

٤ – ويتميز هذا المذهب بتشدده في فصاحة العربي الذي يأخذ عنه اللغة والشعر حيث اعتمد علماء هذا المذهب على ما سمعوه من كلام العرب الفصحاء الذين سلمت فصاحتهم من شوائب التحضر وآفاتها وهم سكان بوادي نجد والحجاز وتهامة . ابراهيم ، محمد حسن ، النحو

الكوفيين في المسائل النحوية [1] ، فعمد إلى كتابة المؤلفات العبرية اللغوية التي صنفها باللغة العبرية فكتبها بأسلوب اللغة العربية المؤلفة آنذاك [2] ، وبذلك امتد تأثير اللغة العربية في لغة اليهود وهي اللغة العبرية وطال هذا التأثير البلاغة والشعر اليهوديتين فكتب اليهود نحوهم وبلاغتهم على غرار النحو والبلاغة العربيتين وكذلك وزنوا اشعارهم على بحور الشعر العربي ، وألفوا من خلال ذلك العديد من الكتب الأدبية وتأثروا بالمقامات العربية فترجموها إلى اللغة العبرية [3] ، كما أهتم النصارى الذميون بدراسة اللغة العربية وآدابها وفهموا مقاصدها ومعانيها ونظموا القصائد وألفوا الكتب وحرصوا على تعليمها لأهل ملتهم إلى جانب لغاتهم الأصلية العبرية والسريانية [4] ، ووضع النصارى المهتمين باللغة العربية وآدابها أيضا الكثير من المعاجم اللغوية فألف حنين بن اسحق الطبيب النصراني معجما سريانيا عربيا أثنى الناس عليه لأحكامه وترتيبه [5] .

ومن كل ما تقدم وجدنا أن هناك أدلة واضحة وكثيرة وفي مختلف الأماكن والسنين لإسهامات واضحة لأهل الذمّة ومن مختلف طوائفهم ومللهم في المجال الأدبي واللغوي ، اذ اثروا الساحة الفكرية

العربي واثره في نشوء النحو العبري وتطوره ، بحث منشور في مجلة المورد ، العدد الاول (بغداد ، ١٩٨٥م) ١٦

1 - ابراهيم ، النحو العربي ، ص٣٠ .

2 - ابراهيم ، النحو العربي ، ٣٤ .

3 - ابراهيم ، النحو العربي ، ٣٦ .

4 - اصدر الخليفة العباسي المتوكل سنة ٢٤٠هـ / ٨٥٤م مرسوما يمنع ابناء أهل الذمّة من تعلم اللغة العربية وقصر تعليمهم على اللغتين العبرية والسريانية مما دفع الكثير منهم لإعلان اسلامهم غير إن هذا المرسوم لم يكن سوى اجراء مؤقت اقتضاه ظرف معين . ابن العماد ، شذرات ، ج٢ ، ص٩٢ ؛ بدر ، مصر الاسلامية ، ج١ ، ص٩٤ ؛ بابو اسحق ، احوال نصارى بغداد ، ص١٣٥

5 - دوفال ، تاريخ الادب السرياني ، ص٣١٧ -٣١٨ ؛ ابونا ، تاريخ الكنيسة ، ج٢ ، ص١٨٧.

بالكثير من الاشعار والمسائل النحوية المهمة في مجال اللغة العربية وآدابها ، مما اثر تأثيرا واضحا على تطور الحضارة الإسلامية فيها . ولابد من الإشارة هنا إلى دور التسامح الديني مع أهل الذمّة وما له من الأثر الواضح على إقبالهم نتيجة حبهم للعرب والمسلمين إلى التقرب إليهم ووجدوا إن أولى هذه الوسائل هو تعلم لغتهم ، والتقلد بنظمهم العربية وتقاليدهم فأصبحت اللغة العربية بمرور الزمن لغة جميع النصارى في حوض دجلة والفرات [1] .

وبعد أن قطع أهل الذمّة مرحلة كبيرة في تعلم اللغة العربية وآدابها ، اخذوا ينقلون علومهم إلى العربية ، فاستطاعوا بذلك إضافة هذه العلوم والأفكار إلى ما عند العرب المسلمين ، فامتزجت بذلك الحضارات وأصبحت في ذاتها تختلف عن غيرها من الحضارات السابقة ، فقد صيغت بالطابع العربي والأسلوب الإسلامي فسميت بالحضارة العربية الإسلامية ، التي أخذت بالنمو والازدهار منذ فجر الإسلام ، حتى أصبحت بغداد حاضرة الدولة العباسية ، فقصدها رجال العلم والمعرفة والثقافة والأدب والاقتصاد ، لما تمتعت به في المجال العلمي والسياسي والاقتصادي ، فبرز فيها اعداد كبيرة من الشعراء والأدباء والعلماء والفلاسفة ، وأجدرهم في هذا المجال النصارى والفرس [2] .

مجالس الغناء والطرب :

عرف ابن خلدون [3] علم الموسيقى بقوله : إن علم الموسيقى هي تلحين الاشعار الموزونة يقطع الاصوات على نسب منتظمة معروفة ، يوقع على كل صوت منها توقيعا عند قطعة فيكون نغمة ، والمشهور ان العرب كان عندهم من الالحان مايوافق مزاجهم ، فلما ظهر الاسلام واختلطوا بالروم والفرس اقتبسوا عن تلك الامم

١- اليوزبكي ، أهل الذمّة ، ص١٠٩ .

٢ - رفائيل ، احوال نصارى بغداد ، ص١٣٥ .

٣ - العبر ، ج١ ، ص٥١٢ .

[1] ، ويرجع دخول الموسيقى إلى أسرى الحرب الذين وفدوا إلى مكة بكثرة وعلموا العرب الغناء على نغمات الآلات الموسيقية وهي الدف والطنبور والناي والعود ، ويذكر أن ابن مسجح هو أول من ادخل الموسيقى الفارسية إلى بلاد العرب [2] ، وقد أتي الفرس إلى العرب بفن الغناء والموسيقى والذي لاقى عطفا كبيرا في بلاط دمشق ، والحقيقة إن رجالا ونساءً وأحسنهم غناءا كانوا أما من أصل فارسي أو تلاميذ لمعلمين من الفرس [3] ، ودرّس فن الموسيقى في مدارس الحيرة ، وأرسل بهرام جور إليها وبرع في العلوم العربية والموسيقى ، وتعلم في الحيرة النادر بن الحارث الموسيقى وأجاد الضرب على العود [4] .

أما الغناء فقد اشتهرت به الحيرة وطارت شهرتها في الأفاق ، فكانت تبعث القيان اللواتي تتقن الغناء إلى الملوك والأمراء ، فكان لجبلّة بن الأيهم الغساني عشر قيان ، خمس يغنين بالعيدان الرومية ، وخمس يغنين غناء أهل الحيرة [5] ، وعرف مغني أهل الحيرة في صدر الإسلام بأغانيهم الرخيمة وضربهم على الأوتار واخصهم برصوما المزمر وعون العبادي الحيري والشاعر والمغني حنين بن بلوع الحيري وغيرهم [6] ، وبدى اهتمام الخلفاء بالموسيقى والغناء منذ العصر الأموي حتى قيل : إن الوليد بن عبد الملك أول ما جلب المغنين من البلدان إليه [7] ، وكان الغناء في العصر العباسي امتدادا لما كان عليه في العصر الأموي مثله كبقية

---

[1] – جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، ص٢١٨ ؛ نوارة ، دغيش ، و جعيجع ، ابتسام ، التواصل الثقافي بين أهل الذمّة والمسلمين في كنف الخلافة العباسية ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير اكاديمي في التاريخ (الجمهورية الجزائرية ، جامعة محمد بوضياف – المسيلة ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، ٢٠١٦م) ص٧٣ .

[2] –الاصفهاني ، الاغاني ، ج١ ، ص١٩٤ ؛ كريمر ، الحضارة الاسلامية ، ص٢٦ .

[3] – الاصفهاني ، الاغاني ، ج١ ، ص٩٨ ؛ كريمر ، الحضارة الاسلامية ، ص٩٣ .

[4] – الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٥٣ .

[5] – الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٤ ، ص٥ ؛ الشابشتي ، الديارات ، ص٩٠ .

[6] – الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢ ، ص١١٦ ، ١٢٤ ، ج٥ ، ص٣٤ ، ج١٠ ، ص١٢٨ .

[7] – المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص٢٧١ .

العلوم والآداب التي ورثها العباسيون عنهم ، ويظهر إن صناعة الغناء والموسيقى تطورت بشكل ملحوظ في العصر العباسي وذلك لتأثرهم بالروم والفرس الذين أصبحوا موالي للعرب المسلمين بعد الفتوحات ، فغنوا بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير ، إذ سمع العرب تلحينهم للأصوات فلحنوا عليها أشعارهم فوصلت إلى أيام بني العباس ، كما اتخذت آلات للرقص مثل الكرج وهي تماثيل خيل مسرجة من الخشب معلقة بأطراف أقبية تلبسه النساء ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكرون ويفرون ويثاقفون كاللعب في الأفراح وأيام الأعياد ومجالس اللهو والفراغ[1].

وقد تجلى هذا الترف في بلاط الخلفاء وكان وجوده يخالف كل المخالفة البساطة التي كان عليها الخلفاء الأولون الذين كانوا في مظهرهم وصبغة حياتهم العامة لا يمتازون في شيء عن جمهور الناس [2].

يقول الدكتور لاند [3] : " إن الاقتباس الموسيقي من الروم والفرس لم يقض على الموسيقى السائدة ، بل دخلها وغذيت جذورها به وبقيت محتفظة بطابعها الأصيل " . وتبدو بوضوح الآثار المسيحية والفارسية في الناحية الاجتماعية فالخمر والموسيقى والثياب الحريرية الجميلة شاع استعمالها [4] ، وإن الموسيقى ارتبطت بفن الطرب والغناء من خلال ما قام به بعض علماء بغداد من أهل الذمّة من تأليف وترجمة لمصنفات اليونان ، إذ صنف ثابت بن قرة الصابيء (ت ٢٨٨هـ /٩٠٠م) عدة كتب في علم الموسيقى أهمها كتاب في آلة الزمر وآخر في الموسيقى يشتمل على خمسة عشر فصلا عن رسالة في :

---

١ -ابن خلدون ، العبر ، ص٤٢٧ .

٢ -الفخري ، الآداب السلطانية ، ص٨٩ ؛ كريمر ، الحضارة الاسلامية ، ص٩٤ .

٣ - نظرات في اوائل تطور الموسيقى العربية ، ١٨٨٠م (ترجم الى الانكليزية في ليدن ، ١٨٩٣م) ص٦٧ ؛ ارنولد ورفاقه ، تراث الاسلام ، ص٥١٩ .

٤ -كريمر ، الحضارة الإسلامية ، ص٢٥ .

علم الموسيقى [1] . وكذلك قسطا بن لوقا الطبيب المسيحي البغدادي (ت : ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) ويعد من أبرز من برع في علم الموسيقى وكان أيام الخليفة العباسي المقتدر ومن أهم كتبه كتاب الموسيقى[2] .

ولعل هذه المؤلفات وغيرها من الكتب والتي صنفت من قبل علماء أهل الذمّة قد أرست قواعد لعلم الموسيقى قائما بذاته له أوزانه وضوابطه بعد أن كان من قبل عبارة عن أصوات ينقصها الضبط الإيقاعي وتوازن ألحانها ، إلا ما عرفه الإنسان العربي بفطرته الطبيعية . وإن كنا نعد ذلك من عوامل الارتقاء بفن الموسيقى والطرب ، فأن هناك عاملا أخر لا يقل أهمية وهو ما كان موجود من أصوات غنائية جميلة ، ووجود الجواري الروميات ساهم أيضا في ازدهار الفنون الجميلة ولاسيما الموسيقى لأن الناس حرصوا على أن تجمع الجواري بين الجمال الخلقي والجمال الفني ، فأتقن الأشعار الرقيقة والعبارات اللطيفة ، وادخلن نغمات رومية في الموسيقى العربية والإسلامية [3] . وبذلك احتفظت الموسيقى العربية والإسلامية لنفسها بطابع عربي شرقي في الإيقاع والنغم بفضل جهود بعض العلماء المسلمين ، ومنهم الكندي (ت : ٢٥٢هـ /٨٦٦م) صاحب أول مدرسة موسيقية في التاريخ الإسلامي من خلال رسائله في هذا العلم[4] .

وكان للجواري في هذا الجو المشبع بالموسيقى والغناء اثر كبير في شيوع الطرف والرقة ، فكانت تعقد مجالس للمنادمة والشرب والسقاة

---

[1] – ابن القفطي ، اخبار الحكماء ، ص٨٣ ؛ ابن ابي اصيبعة ، طبقات الاطباء ، ص٢٩٩ ؛ فامر ، هنري ، تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي ، ترجمة : فتح الله المحامي ، دار مكتبة الحياة (بيروت ، بلا . ت) ص٢٥٣ .

[2] –ابن النديم ، الفهرست ، ص٥٨٨ ؛ فامر ، تاريخ الموسيقى العربية ، ص٢٥٤ .

[3] – التوحيدي ، ابو حيان (ت : ٤١٤هـ /١٠٢٣م) الامتاع والمؤانسة ، المكتبة العصرية (بيروت ، ٢٠٠٤م) ج٢ ، ص١٧٠ ؛ طبي ، دور أهل الذمّة ، ص١٠٢ .

[4] – ابن النديم ، الفهرست ، ص٥٢٤ .

والساقيات من الغلمان والجواري من حولهم يزينون مجالس الشرب بالورود والرياحين ورؤوسهم بأكاليل الزهر[1] .

وقد أخذ العباسيون نظام مجالسهم عن الفرس ، وقد وصف الجاحظ في كتابه التاج في أخلاق الملوك[2] في باب المنادمة هذه المجالس في عهد اردشير بن بابك ، فقال : " إنه كان أول من رتّب الندماء وأخذ بزمام سياستهم وإنه جعلهم ثلاث طبقات " ، تعد الموسيقى إحدى الوسائل الترفيهية لدى الشعوب والأمم ، فقد استخدم أهل الذمّة الموسيقى والغناء في مناسباتهم الاجتماعية وأعيادهم الدينية ، لاسيما النصارى وكان للموسيقى تأثيراً كبيراً في حياتهم الاجتماعية ، إذ أنهم استعملوا الآلات الموسيقية والألحان والنغمات في مناسباتهم ومراسيم الأعراس ومجالسهم المعتادة وأيام الجنائز [3] . وذكرت بعض المصادر إن لكل دير ومدرسة الحان ومقامات خاصة [4] ، وكان رهبان الكنيسة يمجدون الله تعالى ضمن الحان شجية ونغمات ويبكون على خطاياهم ويتذكرون نعيم الآخرة [5] .

ونستدل من خلال هذا النص إن رجال الدين في الكنائس والأديرة غذّوا الأغاني واستخدموا الآلات مع اللحن والغناء في المناسبات الدينية . يؤيد ذلك أن الأدباء والرهبان والقساوسة قد انشدوا في البيع والكنائس الألحان والأناشيد وتغنوا في صناعتها وفي عدّة مناسبات وتختلف

---

١ – الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢٢ ، ص٢١٧ .

٢ – ينظر : حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، ج٢ ، ص٣٤٠ وما بعدها .

٣ – برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص٥٥-٥٦ ؛ بابو اسحاق ، اخبار النصارى ، ص٢٨ .

٤ – المرجي ، توما ، الرؤساء ، ترجمة : البير ابونا ، مطبعة ديانا (بغداد ، ١٩٩٠م) ص١٢٦.

٥ – الأبشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، ج٢ ، ص١٧٠ .

الألحان والأناشيد بحسب المناسبات الموجودة لديهم [1] ، وقد أصبحت هذه الأناشيد تقليدا واستعملها أهل الذمّة النصارى في ديار بكر والرها [2] ، ولا زالت الأديرة في العراق مأوى للعبادة عند النصارى ومبعثا للدراسة والبحث والتأليف ومنبعا للزهد والتقوى [3].

ومن المآثر الفنية عند النصارى الموسيقى والغناء ويرجع ازدهار الموسيقى إلى أنها جزء من الطقوس الدينية عندهم وكانوا يطلقون عليها " بالموسيقى الكنسية " [4] . فقد استعملوا آلات الطرب في ألحانهم الدينية ووضع أدباؤهم أناشيد البيع ، ونظموا موشحات موزونة ومضبوطة القياس فضلا عن الطقوس الأخرى التي تتلى في الصباح والمساء في كنائسهم ذات أنغام شجية تسمى الليتورجيات أو النافورات [5] والحاسيات [6] .

ولم يقتصر استعمال الموسيقى للأغراض الدينية فقد استعملها أول الأمر نصارى الحيرة في أعراسهم ومجالسهم ومآدبهم ، وشملت فيما بعد جميع نصارى العراق وتعداها إلى عامة الناس وفي مختلف الأديان ، وقد استعمل نصارى الحيرة أيضا الطبول والدفوف والصنوج والجلابل والأبواق والنواقيس واقتبسوا من البيزنطيين

---

[1] – المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت : ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م) اخبار الزمان ، أشرف على الطبع والتصحيح : لجنة من الأساتذة ــ مكتبة النجف الأشرف الشياح – القبيري – ، دار الاندلس للطباعة والنشر ، ط٢ (بيروت ، ١٩٥١م) ص١٠٠ ؛ برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص٥٦ .

[2] – برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص٥٦ .

[3] –اليوزبكي ، أهل الذمّة ، ص٢٧٧ .

[4] – رفائيل ، تاريخ نصارى العرب ، ص٢٦ .

[5] – مفردها الليتورجية او النافورة كلمتان يونانيتان ومعناهما خدمة او صلوات القداس . رفائيل ، تاريخ نصارى العرب ، ص٢٦ .

[6] – مفردها الحاسية كلمة آرامية يراد بها صلاة الاستغفار او الدعاء . رفائيل ، تاريخ نصارى العرب ، ص٢٦ .

الأرغن والبريط [1] والسنطور والقانون والقيثار واخذوا من الحجازيين المزهر والمعزف والقصبة [2] . ولكن بمرور الزمن أصبحت أماكن للنزهة ومأوى للشعراء والمجّان حيث يلجأون إليها لإحتساء الخمر ، ويقيمون فيها مجالس الأدب ليتغنوا بها بأحلى قصائدهم لاسيما في العصر العباسي [3] . ويمكن القول إن أصحاب الأديرة ابتعدوا كثيرا عن الهدف الأساس وهو العبادة . وليس غريبا إذا قلنا إن الأديرة كانت مرافئ ومحطات استراحة لوقوعها في أنزه مكان وما يحيط به من البساتين والمزارع ومن الجانب الترفيهي يقصد العاطلون عن العمل هذه الأديرة [4] .

ومن جانب أخر ، فقد كانت في بعض هذه الأديرة بيوت مخصصة للضيافة وحانات لتلبية رغبات بعض الزوار مثل دير مريحنا قرب تكريت وهو دير للنساطرة [5] ، كما إن برصوما الزامر طالما عزف أمام هارون الرشيد [6] ، ولحّن ابن مشج ابو عثمان سعيد ابياتا للشاعر اليهودي ابي زناد [7] .

كما أثرت الفنون الفارسية في الفنون العربية ، وكان هذا التأثير واضحا في الموسيقى والغناء عند الفرس ، وعرف الفرس الموسيقى الدينية أو الموسيقى المقدسة التي كانت معروفة في معابد اليهود وبيع

---

[1] – آلة تشبه العود والمزهر . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٦ ، ص٤٤ .

[2] – رفائيل ، تاريخ نصارى العرب ، ص٢٨ .

[3] –الاصبهاني ، الديارات ، ص٦٨ ؛ اسماعيل ، بناز عدو ، أهل الذمّة في بلاد الكرد في العصر العباسي ١٣٢-٤٤٧هـ / ٧٤٩-١٠٥٥م دراسة تاريخية تحليلية ، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر (اربيل، ٢٠١١م) ص١٠٣ .

[4] – الاصبهاني ، الديارات ، ص٢٧ ؛ اسماعيل ، أهل الذمّة ، ص١٠٤ .

[5] –العمري ، مسالك الابصار ، ج١ ، ص٣٠٩ .

[6] – الاصفهاني ، الاغاني ، ج٧ ، ص٤٠ ؛ ترتون ، أهل الذمّة ، ص١٧٦ .

[7] – الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٩، ص١٠٢ .

وأديرة النصارى [1] ، فتأثروا بها ثم لم يلبثوا عندما اختلطوا بالعرب بعد الفتوحات الإسلامية التي شملت مناطقهم أن نقلوا هذه الفنون إلى المجتمع العربي الإسلامي ، فشاع عند خلفاء بني العباس استخدامها ، وهذا ما أيده هنري جورج [2] إذ يقول : " ففي عصر الرشيد لعب البرامكة دورا هاما في نشر الفنون الفارسية وخاصة الموسيقى ، وقرّبوا الشعراء والموسيقيين " ، وإن الفرس هم الذين ادخلوا الغناء والطرب إلى مجالس الخلفاء ورتبوا هذه المجالس ، واقتبس العباسيون هذا الترتيب منهم [3] ، وقد تسربت ضروب الفنون الفارسية في الموسيقى والغناء إلى الموسيقى العربية[4] . ونقل المجوس ما عندهم من الأدب والقصة والنثر والموسيقى والغناء بالدرجة الأولى من الفارسية والهندية إلى العربية ، فالفضل يعود للجميع في مساهمتهم في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية في الأدب والفنون والموسيقى وكل ما يُخص هذا المجال [5] ، ويبدو إن أكثر المغنيات هن من الجواري اللواتي أخذن كسبايا في الحروب واغلبهن من بلاد الروم وفارس ، وممن اشتهرن بالجمال البارع والصوت الجميل ، وقد بالغ الخلفاء العباسيون في تقريب المغنيات والمغنيين والموسيقى إلى مجالسهم ، وأجزلوا للمغنين الهدايا والعطاء ، مما أدى إلى ارتفاع منزلتهم وإقبال المجتمع إلى الإستماع لهم ، وفي رواية للطبري [6] يقول فيها : " إن الخليفة الهادي كان يُشتهي الغناء الوسط ، وكان إذا أعجبه الغناء وطرب ، قال لمغنيه : أحسنت

---

1 – الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ ، ص١٥٠ .

2 – تاريخ الموسيقى العربية ، ص١١٠ .

3 – الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت : ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) التاج في اخلاق الملوك ، تحقيق : احمد زكي ، المطبعة الاميرية (القاهرة ، ١٩١٤م) ص٣٣ .

4 – محمود ، حسن احمد ، الاسلام والحضارة العربية في اسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي ، دار النهضة العربية (القاهرة ، ١٩٦٧م) ص٩٢ .

5 – جورج ، تاريخ الموسيقى العربية ، ص١١٠ .

6 – تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص٦١٦ .

أحسنت ، وأجزل له العطاء " . وقد حضي إبراهيم الموصلي وابنه اسحق برعاية الرشيد وجعلهم في المرتبة الأولى وكانا من رجال الأدب ، إلا إن الغناء غلب عليهما ، وقد أبدع إبراهيم الموصلي في الألحان وتنسيقها حتى توهم أن الأرواح هي التي تعلمها الأصوات ولم يكن الموصلي وحده متأثرا بهذا الشعور بل ورثه عنه ابنه اسحق (١) .

وقد اقتدى الوزراء والأمراء بالخلفاء في إقامة مجالس الطرب والغناء وشاع عند العامة أيضا ، وكان مجلس جعفر البرمكي حين كان يجلس للشراب مع ندمائه ، كانوا يلبسون الثياب المصبغة بالأحمر والأصفر والأخضر وغيرها من الألوان ، ثم يجلسون يشربون الخمر ، وقد فاق الأمين الخلفاء العباسيين في عطائه لمغنيه وجواريه وندمائه (٢) ، وكانت هذه المجالس تقام في المناسبات والأعياد كالنيروز والمهرجان (٣) ، وكذلك في مناسبات الأعراس والختان وفي أعياد النصارى إذ يشترك فيها المسلمون والنصارى وحتى الخلفاء (٤) ، فقد جلس المأمون في عيد الشعانين وبين يديه عشرون وصيفة رومية خرجن بالديباج الرومي وقد علقن في أعناقهن صلبان الذهب وفي أيديهن أغصان الخوص والزيتون وغنى إبراهيم الموصلي في ذلك:

ظباء كالدنانير ملاح في المقاصير

جلاهن الشعانين علينا في الدنانير

ورقصت الجواري أنواع الرقص ثم أعطى المأمون المغني ألف دينار ووزع على الجواري ثلاثة آلاف دينار (٥) . واستطاع أهل الذمّة من المجوس أن ينقلوا تراثهم اللغوي إلى العربية فاقتبست العربية منها بعض الكلمات ، وكان عامة أهل العراق

---

١ – المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٢٧٧-٢٧٨ .

٢ – ابن الطقطقي ، الفخري ، ص١٨٧ .

٣– رحمة الله ، مليحة ، المجالس الاجتماعية في العصر العباسي ، بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية ، العدد الخامس عشر (القاهرة ، ١٩٦٩م) ص٩٥ .

٤ – رحمة الله ، المجالس الاجتماعية ، ص٩٦ .

٥ – الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٩ ، ص١٣٨ .

يستخفون هذه اللغة [١] ، فانتشرت اللغة الفارسية بين العرب في العراق مع فشو اللحن ، فكان عبيد الله بن زياد والي العراق ممن اشتهر باللكنة الفارسية [٢] .

وأدى تفشي اللحن عند العرب إلى استئذان أبي الأسود الدؤلي من زياد بن أبيه في وضع علم النحو [٣] ، وكان من أثر ذلك أن انغمر الأدب العربي بالحكم الفارسية والقصص والخيال الفارسي[٤] . كل ذلك كان بفعل الترجمة والنقل إلى العربية . وتأثر المجتمع في العراق بالفنون الفارسية ، وخاصة الموسيقى والغناء ، فجلبوا المغنين والموسيقيين [٥] ، فانتشرت المنتديات [٦] والمجالس الاجتماعية في بغداد والبصرة والكوفة وتأثرت بأساليب الفرس ، فأقامها الخلفاء والوزراء والأمراء والأغنياء في قصورهم ، واشتهرت على نطاق واسع في عصر العديد من الخلفاء العباسيين كالخليفة المهدي والرشيد والمأمون والمتوكل ، وكانت تقام هذه المجالس للتسلية وللاستماع بالغناء والموسيقى ، فكان عصر المهدي كما يقول المستشرق فارمر [٧] : " تزينه مجالس الموسيقى .... " . وكانت هذه المجالس تقام في المناسبات والأعياد كالنيروز والمهرجان ، أو في أعياد النصارى إذ يشترك المسلمون في تلك المناسبات وحتى الخلفاء [٨] .

وعقدت مجالس الغناء أيضا في بيوت الوزراء والأمراء والأغنياء والتي لا تقل أبهة وروعة وبذخا عن مجالس الخلفاء [٩] ، ومن العوامل التي ساعدت على ازدهار

---

١ – الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص١١ .

٢ – الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص١١ .

٣ – الاصفهاني ، الاغاني ، ج١١ ، ص١٢١ .

٤ – امين ، فجر الاسلام ، ص١٢١ .

٥ – فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ، ص١١٠ .

٦ – مفردها نادي والنادي مجتمع القوم وأهل المجلس فيقع على المجلس واهله والجمع اندية . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، ص١١٨ .

٧ – فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ، ص١١٠ .

٨ – رحمة الله ، المجالس الاجتماعية ، ص٩٥-٩٦ .

٩ – رحمة الله ، المجالس الاجتماعية ، م١٥ ، ص٩٨ .

المجالس كثرة المغنيين والمغنيات الروميات والفارسيات وقام اليهود بالتجارة بهن فبرزن بالرقص والغناء والشعر وأقيمت لبيعهن الأسواق ، وسرت عادة إقامة الأندية ومجالس الغناء لدى عامة الناس وبرز فيها الشعراء الذين كانت تغنى قصائدهم فيها منهم أبو نواس وبشار بن برد حيث امتازوا بإقامة أندية الشعر ومجالس الشراب والخلاعة والمجون ، وكان لهم اثر كبير في انتشار هذه الاندية في الكوفة والبصرة وبغداد [١] . ولكل طائفة من طوائف أهل الذمّة مجالس اجتماعية خاصة بهم ، فكان النصارى يعقدون مجالس الأنس في أعيادهم وأعراسهم ويحيون فيها الليل بالرقص والغناء [٢] . ويقول المستشرق فارمر [٣] : " وقد جلبت الفتوحات الرقيق من المجوس المجوس إلى العراق وسرعان ما استرعى غنائهم الأنظار ، وتأثر المغنون العرب بالألحان الفارسية منهم ابن مسجح الذي يقال عنه إنه – أول من نقل الغناء الفارسي من الفارسية إلى العربية – ".

شعراء أهل الذمّة:

برز من شعراء أهل الذمة الشاعر كعب بن جميل التغلبي فقد كان مواليا لبني أمية كالشاعر الأخطل وحارب مع قومه في معركة صفين (٣٧هـ / ٦٥٧م) واتصل كعب بالصحابي سعد بن أبي وقاص وكان أميرا على الكوفة في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ وامتدحه بشعره وعاصر الدولة الأموية إلا أنه كان حسنا أيام خلافة معاوية وأبنه يزيد وقد ضاع ديوان شعره [٤] ، وقد طلب منه الخليفة يزيد بن معاوية أن يهجو الأنصار فقال له كعب : " أراد أنت إلى الكفر بعد الإسلام ، لا اهجوا قوما نصروا رسول الله ﷺ وآووه ، ولكني سأدلك على غلام في الحي كافر كأن لسانه لسان ثور " [٥] ، ويقصد بذلك الشاعر الأخطل.

---

١ – الاصفهاني ، الاغاني ، ج٥ ، ص١٦٦ .

٢ – الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢ ، ص١٢١ ؛ شيخو ، النصرانية وآدابها ، ص٤٧٨ .

٣ – الموسيقى العربية ، ص٨٥ .

٤ – شيخو ، شعراء النصرانية ، ص٢٠٣ .

٥ – الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص٦٣ .

ومن أشهر الشعراء النصارى في العصر الأموي الأخطل الملقب " بذي الصليب " لأنه كان يعلق صليبا على صدره وهو من أهل الحيرة ، وكان واحدا ممن اصطفاهم الخليفة يزيد بن معاوية لمنادمته في لهوه وهم سرجون وقاسم بن طويل العبادي ، وقد لقبه الخليفة عبد الملك بن مروان " بأشعر العرب " وقال فيه : " لكل قوم شاعر وإن شاعر بني أمية الأخطل"[1] ، وقد هجا أعداء الأمويين من القيسيين والزبيريين فقيل فيه : يا عجبا للأخطل النصراني يهجو المسلمين ، وكان يدخل على الخليفة عبد الملك بن مروان دون استئذان وفي عنقه سلسلة ذهب فيها صليب وتنفض لحيته خمرا [2] .

وقد ذكر الخليفة الرشيد إن أعظم واجل بيت في المديح والفخر بخليفة هو بيت الشعر الذي قاله الأخطل [3] :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم   وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا

واشتهر من شعراء أهل الذمّة النصارى في العصر الأموي أعشى بني تغلب [4] وكان مكرما من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك وأقام مع قومه بنواحي الموصل وديار ربيعة [5] ، وعلى الرغم من إن بعض العرب كانوا يزدرون النصارى إلا أن ذلك لم يمنع الأخطل من أن يسلك إزاء الخليفة مسلكا جريئا كأي شاعر مسلم ، حتى كان من بين ما اتهم به الوليد بن عقبة صداقته لهذا الرجل وما ترتب عليها من العواقب [6] ، واشتهر أيضا الشاعر أعشى ربيعة واسمه أبي ربيعة وهو من ساكني الكوفة وكان مرواني المذهب شديد التعصب لبني أمية رحل إلى بلاد الشام ، ومدح

---

[1] – الاصفهاني ، الاغاني ، ج٦ ، ص١٢٨ ، ج٧ ، ص١٦٢-١٦٣ ؛ رفائيل ، تاريخ نصارى العراق ، ص٩٥ .

[2] – الاصفهاني ، الاغاني ، ج٧ ، ص١٦٩ .

[3] – الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٠ ، ص٤ ؛ ترتون ، أهل الذمّة ، ص١٧٧ .

[4] – قيل اسمه ربيعة وقيل النعمان بن يحيى بن معاوية بن تغلب . الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٠ ، ص٩٣.

[5] – الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٠ ، ص٩٣ .

[6] – الاصفهاني ، الاغاني ، ج٤ ، ص١٨٠ ؛ ج١١ ، ص٢٣ ؛ ترتون ، أهل الذمّة ، ص١٥٢ .

الخلفاء الأمويين كالخليفة عبد الملك والخليفة سليمان ونال صلاتهم[1]. ومن شعراء أهل الذمّة أيضا العديل بن الفرج البكري وكان نصرانيا عاصر ولاية الحجاج الثقفي على العراق وعاش في البصرة وكان ينادم الشاعر الفرزدق ويصاحبه [2] ، وكذلك الشاعر العجاج بن رؤية وهو من تميم عاش في البصرة منذ أيام الراشدين والأمويين ومدح من خلفاء بني أمية يزيد وسليمان ومدح بشر بن مروان والحجاج بن يوسف وعاش إلى أيام الوليد وتوفي سنة (٩٠هـ /٧٠٨م) [3] .

ومن الشعراء الذميين أيضا مرقس الطائي واسمه عبد الرحمن ظهر في العصر الأموي ، وحنين الحيري الشاعر المغني وكان من نصارى الحيرة وهو من مشاهير أهل الموسيقى ومن سراة أهل الغناء ، وإليه تنسب الحنينيات في شعر دعبل الخزاعي [4] ، وذكره الأصفهاني [5] فقال : " كان شاعرا ومغنيا ، أما شعره فلم يبق منه إلا القليل وأما غناؤه فكثير ، وله الأصوات المتعددة " . وبرز منهم أيضا الشاعر القطامي التغلبي (ت : ١٠١هـ / ٧١٩م)[6] ، ابن أخت الشاعر الأخطل كان أبوه من أصحاب خالد بن عبد الله القسري والي الكوفة وهو نصراني وشاعر إسلامي عاش في العصور الإسلامية وذكر ديوانه حاجي خليفة (ت : ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م) في كتابه كشف الظنون [7] . وظهر بعض الشعراء اليهود الذين كتبوا قصائدهم باللغة العربية ، وأشهرهم الشاعر أبو عبيد (ت : ٢٠٩هـ / ٨٢٤م) وهو من اليهود

---

[1] – الجاحظ ، التاج ، ج٤ ، ص١٦٣ ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٦ ، ص١٦٠ .

[2] – الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢ ، ص١٩ .

[3] – شيخو ، شعراء النصرانية ، ص٢٢٨-٢٢٩ .

[4] – شيخو ، شعراء النصرانية ، ص١٦٢ .

[5] – الأغاني ، ج٢ ، ص١٢٢ .

[6] –اسمه عمير بن شييم بن عمرو وهو من بني بكر بن تغلب والقطامي لقب له وهو من اسماء الصقر .الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢٠ ، ص١١٨ .

[7] – حاجي ، كشف الظنون ، ج٣ ، ص٣٠٢ .

الفرس وله كتاب المثالب [1] ، ولما كان بعض النصارى عربا لذلك التفوا حول المسلمين للروابط القومية واللغوية التي تربطهم بإخوانهم العرب المسلمين ، فاقبلوا على بعث التراث العربي وذلك بالعناية باللغة العربية وآدابها ، فأخذوا ينقلون منها إلى العربية ، ولأن اللغة العربية أوسع من السريانية بدليل إن فيها أسماء كثيرة وليس عند السريانيين ولا عند غيرهم إلا اسم واحد فقط [2] ، كما عنى النصارى بدراسة الأدب العربي ، فلما قامت الدولة الأموية فقد اعتمدوا على الأحزاب السياسية لضرب خصومهم ، قربوا الشعراء والأدباء وأغدقوا عليهم الأموال والهبات لمدحهم ولتأييد حقهم بالخلافة [3] .

أما أبو قابوس النصراني [4] الذي عاش في القرن الثاني الهجري فكان هو الأخر غزير الشعر فصيح اللسان عظيم الشأن كان لبني العباس مثل الأخطل لبني أمية إذ كان لا يمدح سواهم وأكثر مدحه في البرامكة وتقرب بهم إلى الخليفة الرشيد حتى صار شاعر البلاط العباسي وهو القائل في يحيى بن خالد البرمكي[5] :

رأيت يحيى أتم الله نعمته   عليه يأتي الذي لم يأتيه احد

كما كان لشعره يد في نصرة العباسيين والرد على خصومهم ، وتناقل شعره العديد من الشعراء ، وقد ذكر له شيخو [6] عدة قصائد شعرية قالها في مناسبات عدة . وكذلك هارون بن الحائك (ت : ٢٩٠هـ / ٩٠٢م) وهو يهودي من أهل الحيرة

١- كامل ، مراد ، تاريخ الادب السرياني من نشأته الى الفتح الاسلامي ، مقالة في مجلة المقتطف ، العدد الرابع والاربعون (بلا . م ، ١٩٤٩م) ج٢ ، ص١٢٧ .

٢ - اليوزبكي ، أهل الذمّة ، ص٣٧٠ .

٣ - رفائيل ، تاريخ نصارى العراق ، ص٩٥ .

٤ -اسمه عمرو بن سليمان وقيل عمر بن سليم الحيري العبادي من بني الحارث بن كعب ، لزم وزراء بني العباس وكان كثير المدح للبرامكة . المرزباني ، الإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت : ٣٨٤هـ / ٩٩٤م) معجم الشعراء ، تصحيح وتعليق : الاستاذ ف كرنكو ، مكتبة القدس (القاهرة ، ١٩٣٧م) ص ٢١٨-٢١٩ .ض

٥ - ابن خلّكان ، وفيات الاعيان ، ج٦ ، ص٢٢٥ ؛ المرزباني ، معجم الشعراء ، ص٢١٩ .

٦ -شعراء النصرانية بعد الاسلام ، ج٢ ، ص٢٤٣ .

كان عارفا بالنحو على مذهب أهل الكوفة [١] . وصنف عدة كتب أهمها كتاب العلل في النحو [٢] .

وقد ازدهرت العلوم والآداب والفنون في العصر وشجعهم على ذلك الخلفاء العباسيون ، كما اهتموا أيضا بدراسة اللغة العربية وآدابها وأدى هذا الاهتمام إلى ظهور العديد من الكتاب كانوا قد تنافسوا في صناعة الإنشاء العربي وتفننوا في أساليبه ومقاصده ومعانيه [٣] . ومن شعراء أهل الذمّة النصارى في العصر العباسي أبو قابوس عاش في عهد الخليفة الرشيد وكان منقطعا إلى شعر البرامكة كالرقاشي وأشجع السلمي وجحظة البرمكي وتقرب بهم إلى الخليفة الرشيد ، يقول البغدادي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) [٤] : " دخل أبو قابوس على جعفر البرمكي في يوم بارد فقال : فقال جعفر : يا غلام اطرح عليه كساء فطرح عليه كساء من خز قيمته ألف دينار " . ومن أشهرهم أيضا أبو تمام الطائي وهو حبيب بن أوس الطائي ويكنى بأبي تمام وتمام ابنه كان يعمل بدمشق عند حائك ثم رحل الى العراق وبلغ الخليفة المعتصم خبره فحمل اليه فمدحه ابو تمام بقصائد عدة ، فأجازه المعتصم وقدمه على شعراء عصره [٥] . وهناك شعراء وأدباء آخرين من النصارى بعد عصر المتوكل منهم ثابت بن هارون وبشر بن هارون وعيسى بن فرخنشاه الذي اشتهر في أيام الخلفاء المستعين والمهتدي والمعتز والمعتمد وأسمه يدل على إنه من النصارى العجم [٦] .

---

[١] – حاجي ، كشف الظنون ، ج٦ ، ص٥٠٣ .

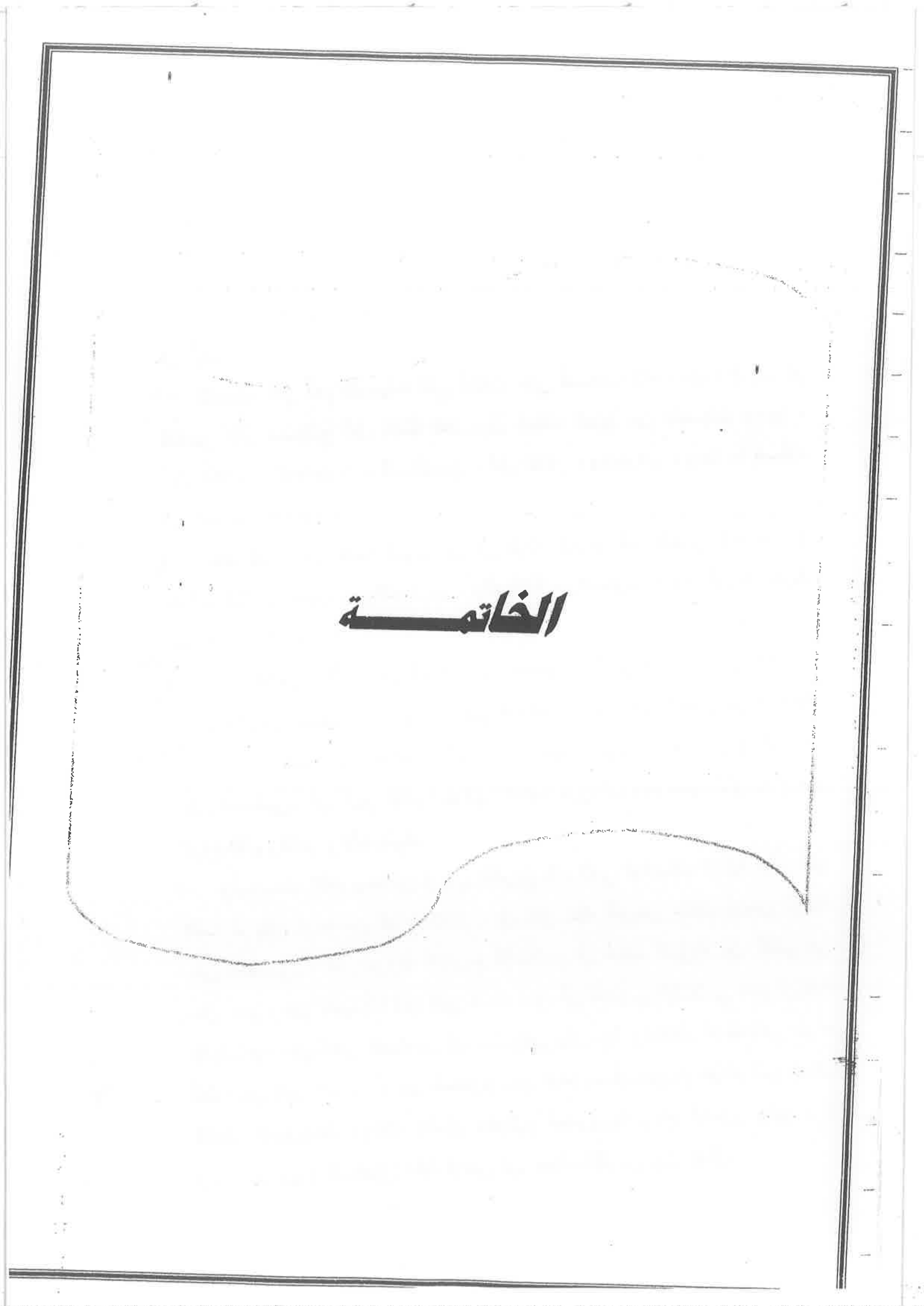
[٢] –ابن النديم ، الفهرست ، ص١٤٧ .

[٣] – رفائيل ، تاريخ نصارى العراق ، ص٩٦ ؛ شيخو ، شعراء النصرانية ، ص٢٤١ .

[٤] – تاريخ بغداد ، ص٨٣ .

[٥] – شيخو ، شعراء النصرانية ، ص٢٥٧ .

[٦] – شيخو ، شعراء النصرانية ، ص٢٧٤



الخاتمـــــة

الخاتمـــــة

مما تقدم نستطيع أن نجمل أهم النتائج التي خرجت بها الاطروحة وهي كما يأتي :

١- أوضحت الاطروحة مفهوم أهل الذمّة وعلى من أطلق هذا المصطلح ، وما هي أبعاده .

٢- التعرف على أهم التسميات التي أطلقت على أصحاب تلك الملل ، إذ أنها لم تقتصر على مصطلح أهل الذمّة فقط ، بل شملت العديد من التسميات ومنها ، أهل الكتاب ، المعاهدون ، المستأمنون ، أهل الذكر ، والجوالي ، وهذا ما فصلناه في ثنايا هذه الدراسة .

٣- تعدد أقسام أهل الذمّة الموجودين في البلاد العربية قبل ظهور الإسلام ، إذ شملت كلاً من اليهود ، والنصارى ، والصابئة ، والمجوس ، وقد أوردنا تعريفا مفصلاً عن كل مفردة .

٤- بينت الاطروحة أن أهل الذمة منحوا حقوقهم كافة في ظل دولة الإسلام ، إذ لم يتم التجاوز عليهم أو ظلمهم من قبل المسلمين ، بل على العكس من ذلك فقد أصبحوا من ضمن من مواطني الدولة الإسلامية ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، أي أنهم عاشوا حياتهم العامة دون أن يتعرضوا لأي نوع من أنواع الذل والقهر والأضطهاد.

٥- وأوضحت الاطروحة إن فرض التشريع الإسلامي الواجبات المالية على أهل الذمّة لم يكن نوعا من أنواع الظلم ، بل كان ذلك الفرض مقابل فرض الزكاة على المسلمين ، فمن مرونة التشريع الإسلامي أن أسقط الجزية عن الذمّي في حال عجزه عن دفعها أذا كان فقير الحال ، بل أن التشريع الإسلامي منح الرعاية الاجتماعية حتى لغير المسلمين فهم مشمولين بالرعاية والتكافل الاجتماعي سواء أكانوا من كبار السن ، أو من العاجزين عن العمل ، أو ممن لم تتوافر لهم وسائل الكسب المشروعة ، وذلك بتأمين حاجاتهم الضرورية ودفع الضرر عنهم ، لا فرق بينهم وبين المسلمين ، فقد فرض لهم عطاء دائم من بيت المال .

٦- إن ما ميز المجتمع الإسلامي ، هو أنه تكون من اجناس مختلفة في عاداتها وتقاليدها وتراثها الحضاري ، فضلا عن ذلك التسامح الديني الذي مكن عناصر غير مسلمة أن تحظى بحرية تامة في ممارسة طقوسها الدينية ، مقابل دفع الجزية للمسلمين.

٧- بينت الدراسة بأن لأهل الذمّة إسهاماً بارزاً في النشاط الاقتصادي كونهم أحدى المكونات الاجتماعية في الدولة الإسلامية ، إذ تمتعوا بحقوق متساوية مع المسلمين في الوظائف العامة كاختيارهم للعمل المناسب للتكسب ، عن طريق مزاولتهم لشتى أنواع النشاط الاقتصادي وسائر العقود والمعاملات المالية ، ولم يستثن من ذلك إلا عقد الربا فإنه محرم عليهم كالمسلمين ، وهذا ما جرى عليه الحال في جميع الأمصار الإسلامية.

٨- أوضحت الدراسة أن اليهود لم يكن لديهم اهتمام واضح في إدارة شؤون الدولة ولم يتولوا مناصب هامة ، ولم يشاركوا في الجيوش والأنشطة الثقافية والعلمية ، لكنهم كانوا يسيطرون على جوانب هامة من الحياة الاقتصادية مثل تجارة الذهب والعبيد وبعض الصناعات والحرف والمهن كالصيرفة والجهبذة وغيرها .

٩- كما بينت الدراسة إن أهل الذمّة ساهموا مساهمة كبيرة في دعم الاقتصاد وفي مقوماته كافة الزراعة والصناعة والتجارة ، فكانوا عنصرا نشيطا وسببا في رواج التجارة الداخلية والخارجية .

١٠- أوضحت في البحث الإسهامات المالية الكبيرة التي برع فيها أهل الذمّة في مجال المال والأعمال المصرفية ، واستطاعوا عن طريق ذلك أن يملكوا رؤوس الأموال الكبيرة ، فترتب جراء ذلك ظهور طبقة غنية منهم ساهمت في منح مساعدات مالية للدولة عند حاجتها للمال ، كما إنهم ساعدوا في تنشيط الصناعة نظرا لاحترافهم صناعات كثيرة وامتهانهم بها فنشطوا حركة الأسواق وساهموا في حيوية المدن وعمليات البيع والشراء .

١١- إن المسلمين الأوائل ارسوا في البلدان المفتوحة مبادئ الدين الإسلامي الحنيف ، ومع تعدد ثقافات شعوب تلك البلدان وتنوع تراثها تشكلت حضارة

جديدة ميزت مجتمعات العالم الإسلامي التي وجدت طريقها لتحقيق منجزات حضارية عظيمة في التاريخ البشري ففسحت الدولة المجال لعناصر من تلك الأجناس فاحتلت الصدارة في المجتمع .

١٢- كان نصيب أهل الذمّة ملحوظا في الجانب الفكري لاسيما في حقل الترجمة والتعريب وهذا يعود إلى العمل الذي قام به قسم من الخلفاء الذين شجعوا الترجمة والمترجمين الذين ترجموا وعرّبوا العديد من المؤلفات وفي شتى العلوم فقد كانوا أصحاب سبق في هذا المجال لاسيما النصارى ، لأن الرهبان كانوا معتادين على قراءة النصوص السريانية ونسخها .

١٣- ظهور عدد من العلماء والأطباء والموظفين من أهل الذمّة في القرون الإسلامية الأولى وكان لهم إسهام كبير في رفد الحضارة الإسلامية بمنجزات كثيرة.

١٤- شجع بعض الخلفاء والأمراء على بناء مؤسسات ومنشآت ثقافية وعلمية ، وكان لهم تأثير واضح على ظهور العديد من العلماء والأطباء والموظفين المهرة من أهل الذمّة بين ظهراني المسلمين ، وكان إسهامهم ملحوظ في رفد الحضارة الإسلامية بالعديد من الانجازات المهمة وعلى كل الأصعدة .

١٥- أبرزت هذه الدراسة دور أهل الذمّة في الحياة العلمية في المشرق الإسلامي ، إذ ظهر منهم العلماء وفي مختلف المجالات الطبية وغيرها من العلوم الطبيعية ، كما كان منهم الفلاسفة والأدباء والشعراء والمهتمين باللغة العربية ، وكان لهؤلاء تلاميذهم ومؤلفاتهم التي أسهمت بتطور الحياة العلمية .

١٦- إن عمل أهل الذمّة في مؤسسات الدولة الإدارية وغيرها فتح مجالا كبيرا للتنافس بينهم وبين المسلمين ، مما أدى إلى نشوب بعض المناوشات والتي تعرضت من خلالها الكنائس والمعابد في بعض الأحيان للهدم والحرق والنهب والسرقة .

١٧- أخذ أهل الذمّة قسطا كبيرا من الحرية في ترميم وإعادة بناء الكنائس والمعابد ، إذ سمحت لهم الدولة الإسلامية في ظروف عُدة من أعادة ترميم وإصلاح تلك الكنائس والمعابد ، بل أنها قدمت لهم المساعدات المالية لأجل ذلك ، فهي بذلك وضعتهم بالمستوى ذاته الذي كان يعيشه المسلمون ، إلا أن الدولة حسب نصوص العقد الأول من العهدة العمرية منعتهم من إنشاء أماكن عبادة جديدة .

١٨- تميزت هذه الحقبة بظهور بعض المنشآت العمرانية والدينية لطوائف أهل الذمة من اليهود والنصارى والصابئة والمجوس متمثلة بالكنائس والأديرة والصوامع وبيوت النار والقصور وغيرها من المنشآت ، والتي تعد من الآثار الحضارية التي لا تتجزأ عن حضارة المشرق الإسلامية ، وظلت آثار بعضها شاخصة للعيان منذ الفتح الإسلامي إلى يومنا هذا.

وفي الختام هذه أهم ما توصلت إليه الأطروحة من نتائج ، نسأل الله عز وجل أن يجعل جهدنا هذا خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به المسلمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع :

- **الأبشيهي ، أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد (ت : ٨٥٢هـ /١٤٤٨م) :**

- المستطرف في كل فن مستطرف ، عالم الكتب (بيروت ، ١٩٩٨م) .

- **ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت : ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) :**

- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٨٨م) .

- الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي (بيروت ، ١٩٩٧م) .

- **ابن الأثير ، مجد الدين أبي السعادات (ت :٦٠٦هـ/١٢٠٩م) :**

- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق : طاهر أحمد ومحمود محمد (بيروت، بلا . ت).

- **ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن احمد القرشي (ت : ٧٢٩هـ /١٣٢٨م) :**

- معالم القربة في أحكام الحسبة ، دار الفنون (كمبرج ، بلا . ت) .

- **ابن آدم ، أبو زكريا يحيى (ت : ٢٠٣هـ/٨١٨م) :**

- الخراج ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٦٤م) .

- **أبن إسحاق ، حنين (ت : ٢٦٠هـ / ٨٧٣م) :**

- المولودين ، تحقيق : يوسف حبي (بغداد ، ١٩٧٨م) .

- **ابن أبي أصيبعة ، أحمد بن القاسم بن خليفة (ت: ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) :**

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق : الدكتور نزار رضا ، دار مكتبة الحياة (بيروت ، بلا . ت) .

- **ابن أعثم ، أبو محمد احمد الكوفي (٣١٤هـ / ٩٢٦م) :**

- كتاب الفتوح ، دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد ، ١٩٦٨م) .

- **أبن الأزرق ،أبو عبد الله شمس الدين محمد بن علي (ت:٨٩٦هـ /١٤٩٠م):**

- بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق : علي سامي النشار (بغداد ، ١٩٧٧م).

- **الأخطل ، أبو مالك التغلبي (ت : ٩٢هـ / ٧١٠م) :**

- ديوان الأخطل ، شرح راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي (لبنان، ١٩٩٢م) .

- **إخوان الصفا :**
  - رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا (القرن الرابع الهجري) دار صادر (بيروت ، ١٩٥٧م) .
- **الأدفوي ، كمال الدين أبو الفضل (ت : ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) :**
  - الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ، مطبعة الإعتماد (القاهرة ، ١٩١٤م) .
- **الأرمني ، أبو صالح (ت : ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م) :**
  - تاريخ الشيخ أبي صالح المعروف ب(كنائس وأديرة مصر) تحقيق وترجمة : Evetts (طبعة أكسفورد ، ١٨٩٤م) .
- **الأزدي ، يزيد بن محمد (٣٢٤هـ /٩٤٥م) :**
  - تاريخ الموصل ، تحقيق : علي حبيبة (القاهرة ، ١٩٦٧م) .
- **الأزهري ، أبو منصور محمد بن احمد (ت : ٣٧٠هـ /٩٨٠م) :**
  - تهذيب اللغة ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٩٨م).
- **الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت : ٣٥٦هـ / ٩٦٦م) :**
  - الأغاني ، تحقيق : سمير جابر ، دار الفكر ، ط ٢ (بيروت ، بلا . ت) .
- **الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ/١١٠٨م) :**
  - المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم ، الدار الشامية (دمشق ، بيروت ، ١٩٩٢م) .
- **الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم (ت : ٣٢٨ هـ/ ٩٣٩م) :**
  - الزاهر في معاني كلمات الناس ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة (بيروت ، ١٩٩٢م) .
- **البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت : ٢٥٦هـ / ٨٦٩هـ) :**
  - صحيح البخاري ، تحقيق : محمد زهير ناصر الناصر ، دار طوق النجاة (بيروت ، ٢٠٠١م) .
- **ابن البطريق ، سعيد (افتيشيوس) ، (ت : ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) :**

- كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، ويليه تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي ، مطبعة الآباء اليسوعيين (بيروت ، ١٩٠٩م) .
- **البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت : ٥١٦هـ / ١١٢٢م) :**
- شرح السنة ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي (دمشق ، ١٩٨٣م) .
- معالم التنزيل ، تحقيق : محمد عبد الله النمر وآخرون ، دار طيبة ، ط٤ (الرياض ، ١٩٩٧م) .
- **ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد اللواتي (ت : ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) :**
- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأبصار،دار صادر(بيروت،بلا. ت).
- **البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت : ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) :**
- المسالك والممالك ، تحقيق : أدريان فان وأندري فيري ، الدار العربية للكتّاب (بلا . ت ، ١٩٩٢م) .
- **أبو البقاء ، صالح بن الحسين (ت : ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) :**
- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ، تحقيق : محمود عبد الرحمن قدح ، مكتبة العبيكان (الرياض ، ١٩٩٨م) .
- **البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت : ٢٧٩هـ/٨٩٢م) :**
- فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال (بيروت ، ١٩٨٨م) .
- أنساب الأشراف ، تحقيق : سهيل زكار ورياض الزركلي ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٩٦م) .
- **البلوي ، أبو محمد عبد الله بن محمد المدني (ق٤هـ / ١٠م) :**
- سيرة احمد بن طولون ، تحقيق : محمد كرد علي ،مطبعة الترقي (دمشق ، ١٩٣٩م).
- **البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت : ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م):**
- القانون المسعودي (بلا . ت ، بلا . م) .
- الآثار الباقية عن القرون الخالية (ليدن ، ١٩٢٣م) .
- **البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي (ت : ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) :**

- السنن الكبرى ، تحقيق : محمد بن عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠١م) .

- **الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت : ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) :**
- الجامع الصحيح ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة ، ١٩٧٦م) .

- **التطيلي ، الرابي بنيامين بن الرابي يونة (ت : ٥٦٩هـ /١١٧٣م) :**
- رحلة بنيامين التطيلي ، المجمع الثقافي (أبو ظبي ، ٢٠٠٢م) .
- التعريفات ، ضبطه وصححه : مجموعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية (بيروت ، بلا . ت) .

- **التلمحري ، ديونيسيوس (ت :٢٣١هـ /٨٤٥م) :**
- التاريخ المنحول ، ترجمة يوسف بن اسحق ، الجامعة الأمريكية (بيروت ، ١٩٧٩م).

- **التنوخي ، المحسن بن علي (٣٨٤هـ / ٩٩٤م) :**
- الفرج بعد الشدة ، عناية : عبود الشالجي ، دار صادر (بيروت ، ١٩٨٧م) .

- **التوحيدي ، أبو حيان (٤١٤هـ /١٠٢٣م) :**
- الرسالة البغدادية ، تحقيق : عبود الشالجي (بيروت ، ١٩٨٠م) .
- الإمتاع والمؤانسة ، المكتبة العصرية (بيروت ، ٢٠٠٣م) .

- **ابن تغري بردي ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) :**
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دار الكتب (مصر ، بلا . ت) .

- **الثعالبي ، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت: ٤٢٩هـ /١٠٣٧م) :**
- لطائف المعارف ، تحقيق : ابراهيم الأبياري ، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة ، بلا. ت) .
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، ط٢ (بيروت ، ١٩٧٣م) .

- **الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت : ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) :**

- التاج في اخلاق الملوك ، تحقيق : احمد زكي ، المطبعة الأميرية (القاهرة ، ١٩١٤م) .
- التبصر بالتجارة ، تحقيق : حسن حسني ، مطبعة الرحمانية (القاهرة ،١٩٣٥م) .
- البيان والتبيين ، تحقيق : فوزي عطوي ، دار صعب (بيروت ، ١٩٦٨م) .
- رسائل الجاحظ ، دار النهضة الحديثة (بيروت ، ١٩٧٢م) .
- الحيوان ، دار الكتب العلمية ، ط٢ (بيروت ، ٢٠٠٣م) .
- **ابن جبير ، أبو الحسين محمد بن احمد (ت: ٦١٤هـ / ١٢١٧م) :**
- رحلة ابن جبير ، دار صادر للطباعة ودار بيروت للطباعة والنشر (بيروت ، ١٩٦٤م) .
- **الجريري ، أبو الفرج المعافى بن زكريا (٣٩٠هـ / ١٠٠٠م) :**
- تهذيب الجليس الصالح الكافي والأنس الناصح الشافي ، تحقيق : صالح بن عثمان اللحام (عمان ، ٢٠٠٣م) .
- **الجصاص ، أبو بكر أحمد بن علي (ت :٣٧٠هـ / ٩٨٠م) :**
- أحكام القرآن ، تحقيق : عبد السلام محمد شاهين ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٤م) .
- **جعفر بن علي (ألف في سنة ٥٧٠هـ / ١١٧٤م) :**
- الإشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة الأعراض ورديئها وغشوش المدلسين فيها ، تحقيق وتقديم : فهمي سعد ، دار ألف باء للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت ، ١٩٨٣م) .
- **الجهشياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت : ٣٣١هـ /٩٤٢م) :**
- الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري وآخرون ، شركة الأمل للطباعة والنشر (القاهرة ، ٢٠٠٤م) .
- **ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج بن علي ، (ت : ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) :**
- مناقب بغداد ، تحقيق : محمد بهجة الأثري (بغداد ، ١٩٢٣م) .
- الوفا بأحوال المصطفى ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، دار الكتب الحديثة (القاهرة ، ١٩٦٦م) .

- غريب الحديث ، تحقيق : عبد المعطي أمين القلعجي ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٨٥م) .
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٢م) .
- صفوة الصفوة ، تحقيق : أحمد علي ، دار الحديث (القاهرة ، ٢٠٠٠م) .
- تلبيس إبليس ، دار الفكر (بيروت ، ٢٠٠١م) .
- أخبار الأذكياء ، اعتنى به : بسام عبد الوهاب الجابي (بيروت ، ٢٠٠٣م) .
- **الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت : ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) :**
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : احمد عبد الغفور ، عطار دار العلم للملايين (بيروت ، ١٩٨٦م) .
- **الجُويني ،إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف(ت: ٤٧٨ هـ/١٠٨٥م):**
- نهاية المطلب في دراية المذهب ، تحقيق : عبد العظيم محمود الديب ، دار المنهاج (الرياض ، ٢٠٠٧م) .
- **ابن جلجل ، سليمان بن حسان (ت : ٣٨٣هـ / ٩٩٤م) :**
- طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق : فؤاد سيد (القاهرة ، بلا . ت) .
- **حاجي ، خليفة ، مصطفى بن عبد الله (١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م) :**
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (بلا . م ، بلا . ت) .
- **ابن الحاج ، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري (ت : ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م):**
- المدخل إلى الشرع الشريف ، المطبعة المصرية بالأزهر (القاهرة ، ١٩٢٩م) .
- **ابن أبي الحديد ، عبد الحميد هبة الله بن محمد (ت : ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) :**
- شرح نهج البلاغة ، تحقيق : لجنة احياء الذخائر ، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت ، ١٩٨٣م) .
- **أبو الحسين ، محمد بن أبي يعلى (٥٢٦هـ / ١١٣١م) :**
- طبقات الحنابلة ، تصحيح : محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية (القاهرة ، بلا . ت) .

- **الحصكفي ، محمد بن علي بن محمد الحِصْني (ت : ١٠٨٨هـ / ١٦٧٧م) :**
- الدر المختار شرح تنوير الأبصار ، تحقيق :عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠٢م) .
- **الحلبي ، أبو الفرج علي بن إبراهيم(ت: ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م) :**
- السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ، دار الكتب العلمية ، ط٢ (بيروت ، ٢٠٠٦م) .
- **الحميري ، محمد بن عبدوس (ت : ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م) :**
- الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط٢ (بيروت ، ١٩٨٤م) .
- **ابن حبيب ، أبو جعفر محمد البغدادي (ت: ٢٤٥هـ / ٨٥٩م) :**
- المحبّر ، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، تحقيق : ليلزة لتمن شنيتر ، منشورات دار الآفاق (بيروت ، بلا . ت) .
- **ابن حجة الحموي ، تقي الدين بن علي(ت : ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) :**
- ثمرات الأوراق في المحاضرات (القاهرة ، ١٩٤٢م) .
- **ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي (ت : ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) :**
- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، تخريج وتصحيح ، محب الدين الخطيب ، دار المعرفة (بيروت ، ١٩٥٩م) .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٤م) .
- بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، تحقيق : سمير أمين الزهري ، دار أطلس ، ط٣ (الرياض ، ٢٠٠٠م) .
- **ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد (ت : ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) :**
- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق : محمد إبراهيم وعبد الرحمن عميرة ، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع (بلا . م ، ١٩٨٢م) .
- **ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (ت : ٢٤١هـ / ٨٥٥م) :**

- مسند أحمد بن حنبل ، تحقيق : السيد أبو المعاطي النوري ، عالم الكتب (بيروت ، ١٩٩٨م) .
- **الحنفي ، عبد القادر بن محمد أبي الوفاء القرشي المصري (ت : ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م):**
- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، دار هجر ، ط٢ (بلا . م ، ١٩٩٣م) .
- **ابن حوقل ، أبو القاسم محمد البغدادي(ت: بعد ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) :**
- صورة الأرض ، دار صادر ، أفست ليدن (بيروت ، ١٩٣٨م) .
- **الخالدي ، بهاء الدين محمد بن لطف الدين الله (٨٦٨هـ / ١٤٦٤م) :**
- المقصد الرفيع المنشا الحاوي إلى صناعة الإنشا ، مخطوط مصور ، جامعة القاهرة (القاهرة ، بلا . ت) .
- **الخالديان ، أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي (ت : نحو ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) ، وأبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (ت : ٣٧١هـ / ٩٨١م) :**
- التحف والهدايا ، تحقيق : سامي الدهان (القاهرة ، ١٩٦٥م) .
- **ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت : ٣٠٠هـ /٩١٢م) :**
- المسالك والممالك (ليدن ، ١٨٨٩م) .
- **الخصّاف ، احمد بن عمر (ت : ٢٦١هـ / ٨٧٤م) :**
- الحيل والمخارج ، نشره وصححه : يوسف شخت (هنوفر ، ١٩٢٣م) .
- **الخطابي ، أبي سلمان حمد (ت : ٣٨٨هـ / ٩٩٨م) :**
- معالم السنن ، المكتبة العلمية ، ط٢ (بيروت ، ١٩٨١م) .
- **الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (ت : ٤٦٣هـ /١٠٧٠م) :**
- تاريخ بغداد ، تحقيق : بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي (بيروت ، ٢٠٠٢م) .
- **الخلال ، الإمام أبي بكر احمد بن محمد (ت : ٣١٨هـ /٩٣٠م) :**
- أحكام أهل الملل من الجامع لمسائل الإمام احمد بن حنبل ، تحقيق : سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٤م) .

- **الخوارزمي ، جمال الدين ، أبو بكر (٣٨٣هـ /٩٩٣م) :**
- مفيد العلوم ومبيد الهموم ، المطبعة العلمية (القاهرة ، ١٨٩٢م) .
- **الخوارزمي ، محمد بن أحمد بن يوسف (ت : ٣٨٧هـ / ٩٩٧م) :**
- مفاتيح العلوم ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي ، ط٢ (بيروت ، ١٩٨٨م) .
- **خليفه بن خياط ، أبو عمرو (ت : ٣٤٠هـ / ٩٥١م) :**
- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمري، دار القلم(دمشق،١٩٧٦م) .
- **ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت : ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م) :**
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق : خليل شحاذه ، دار الفكر ، ط٢ (بيروت ، ١٩٨٨م) .
- **ابن خلّكان ، شمس الدين احمد (ت : ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) :**
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : محمد محي الدين (القاهرة ، ١٩٨٤م) .
- **ابن الداية ، أحمد بن يوسف الكاتب (ت :٣٤٠هـ / ٩٥١م) :**
- المكافأة وحسن العقبى ، مؤسسة ناصر للثقافة دار الوحدة (مصر ، ١٩٧٥م) .
- **الدمشقي ، شمس الدين محمد بن علي (ت : ق ٨هـ / ١٤م) :**
- البدور المسفرة في نعت الاديرة ، تحقيق : هلال ناجي ، دار الحرية للطباعة (بلا . م ، ١٩٧٥م) .
- **الدينوري ، ابو بكر احمد بن مروان (٣٣٣هـ / ٩٤٤م) :**
- المجالسة وجواهر العلم ، ط١١ (بيروت ، ٢٠٠٢م) .
- **ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت : ٣٢١هـ /٩٣٣م) :**
- الاشتقاق ، القاهرة (دار الكتب ، ١٩٩٩م) .
- جمهرة اللغة ، مكتبة المثنى (بغداد ، بلا . ت) .
- **أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت: ٢٧٥ هـ/٨٨٨م) :**

- سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية (بيروت ، بلا . ت) .

- **الدينوري ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت : ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) :**
- غريب الحديث ، تحقيق عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني (بغداد ، ١٩٧٦م) .
- عيون الأخبار ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٧م) .

- **الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت : ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م):**
- العبر في خبر من غبر ، تحقيق : فؤاد سيد (الكويت ، ١٩٦١م) .
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط٢ (بيروت ، ١٩٩٣م) .
- تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٨م) .
- سير أعلام النبلاء ، دار الحديث (القاهرة ، ٢٠٠١م) .

- **ابن رستة ، أبو علي احمد بن عمر (ت : نحو ٣٠٠هـ / ٩١٢م) :**
- الاعلاق النفيسة ، دار صادر (بيروت ، ١٩٩٠م) .

- **الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي (ت : ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) :**
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، تحقيق : علي سامي النشار ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠١٠م) .

- **الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٧٢١هـ / ١٣٢١م) :**
- مختار الصحاح ، تحقيق : احمد شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٤م) .
- رسائل فلسفية ، جمعها وصححها : ب . كراوس (القاهرة ، ١٩٣٩م) .

- **الرحبي ، عبد العزيز بن محمد الحنفي البغدادي (ت : ٧٤٩هـ / ١١٨٤م) :**
- فقه الملوك ومفتاح الرتاج ، تحقيق : أحمد عبيد الكبيسي ، مطبعة الإرشاد (بغداد ، ١٩٧٥م) .

- **الرفاء ، السري بن احمد (٣٦٦هـ /٩٧٦م) :**
- ديوان السري الرفاء ، تحقيق : حبيب جسين الحسيني (بغداد ، ١٩٨١م) .

- **أبو الربيع ، سليمان بن موسى بن سالم (ت : ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦م) :**

- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٩م) .

- **ابن الرومي ، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج(ت: ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) :**
- ديوان ابن الرومي ، تحقيق : حسين نصار ، مطبعة دار الكتب (مصر ، ١٩٧٦م).

- **الزبيدي ، محمد مرتضى (ت : ١٢٠٥هـ /١٧٩٠م) :**
- تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الحياة (الكويت ، ١٩٧٠م) .

- **الزمخشري ، محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ / ١١٤٣م) :**
- كتاب الأمكنة والمياه والجبال ، تحقيق : إبراهيم السامرائي ، مطبعة السعدون (بغداد ، ١٩٦٨م) .

- **الزيلعي ، عثمان بن علي بن محجن (ت : ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) :**
- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق :المطبعة الكبرى الأميرية ، بولاق (القاهرة ، ١٨٩٥م).

- **ابن زنجويه ، أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة (ت : ٢٥١هـ / ٨٦٥م) :**
- الأموال ، تحقيق : شاكر ذيب فياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٦م) .

- **ابن زين القاضي ، أبو محمد عبد الله بن احمد (٣٢٩هـ /٩٤٠م) :**
- شروط النصارى ، مخطوط بدار الكتب (القاهرة ، بلا . ت) .

- **ساويرس ، ابن المقفع (ت : ق٤هـ /١٠م) :**
- سير البطاركة ، تحقيق : سيبولد (لوفان ، ١٩٠٤م) .

- **السبكي ، علي عبد الكافي (ت : ٧٥٦هـ / ١٣٥٦م) :**
- فتاوى السبكي ، نشر مكتبة القدسي (القاهرة ، ١٩١٨م) .

- **السرخسي ، أبو بكر محمد (ت: ٤٩٠هـ / ١٠٩٦م) :**
- شرح السير الكبير (الهند ، ١٩١٦م) .

- المبسوط ، دار المعرفة (بيروت ، ١٩٨٩م).
- **السفاريني ، شمس الدين ، أبو العون محمد بن أحمد (ت : ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م):**
- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب المؤلف ، مؤسسة قرطبة ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٩٣م) .
- **السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد (ت : ٣٧٣هـ / ٩٨٣م) :**
- بحر العلوم ، تحقيق : محمد مطرجي ، دار الفكر (بيروت ، بلا . ت) .
- **السمرقندي ، علاء الدين (ت : ٥٣٩هـ /١١٤٤م) :**
- تحفة الفقهاء ، تحقيق : محمد زكي عبد البر (مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٥٩م) .
- **السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت : ٥٨١هـ / ١١٨٥م) :**
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار إحياء التراث العربي (بيروت ، ٢٠٠٠م) .
- **السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت : ٩١١هـ / ١٥٠٥م) :**
- صون المنطوق الكلام عن فن المنطق والكلام ، نشر وتعليق ، علي سامي النشار ، مطبعة السعادة (مصر ، بلا . ت) .
- تاريخ الخلفاء ، تحقيق: حمدي الدمرداش ، مكتبة نزار مصطفى الباز (بلا . م ، ٢٠٠٤م) .
- **ابن الساعي ، أبي طالب علي بن أنجب تاج الدين (ت:٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) :**
- الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، تحقيق : مصطفى جواد ، المطبعة السيريانية الكاثوليكية (بغداد ، ١٩٣٤م) .
- **ابن سعد ، أبو عبد الله محمد (ت : ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) :**
- الطبقات الكبرى ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر (بيروت ، ١٩٦٨م) .
- **ابن سليمان ، ماري (ت : ق ٦هـ / ١٢م) :**
- أخبار فطاركة كرسي المشرق ، تحقيق : جيسموندي (روما،١٨٩٩م).
- **ابن سيد الناس ، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد (ت: ٧٣٤هـ/١٣٣٣م) :**

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، تعليق : إبراهيم محمد رمضان ، دار القلم (بيروت ، ١٩٩٣م) .

- **ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (ت : ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) :**

- المخصص ، المكتب التجاري للطباعة (بيروت ، بلا . ت) .

- **ابن شبّة ، أبو زيد عمر (ت : ٢٦٢هـ /٨٧٥م) :**

- تاريخ المدينة ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٨٩م) .

- **ابن شداد ، عز الدين أبو عبد الله محمد (ت: ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) :**

- الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة ، تحقيق : سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية (بيروت ، بلا. ت) .

- **ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت : ٢٣٥هـ / ٨٤٩م) :**

- مصنف ابن أبي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشيد (الرياض ، ١٩٨٨م) .

- **ابن الشحنة ، محمد بن محمود بن الشهاب الحلبي (ت :٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) :**

- الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، تقديم عبد الله الدرويش ، دار الكتاب العربي (دمشق ، ١٩٨٤م) .

- **أبو شامة ، شهاب الدين أبو محمد (ت : ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) :**

- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، تصحيح : محمد زاهد الكوثري ، نشره : عزت العطار الحسيني (بيروت ، ١٩٧٤م) .

- **أبو شجاع ، الوزير أبي شجاع محمد بن الحسين الملقب ظهير الدين الروذراوري (ت: ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) :**

- ذيل كتاب تجارب الأمم ، مطبعة شركة التمدن (مصر ، ١٩١٦م) .

- **الشابشتي ، علي بن محمد (ت : ٣٨٨هـ / ٩٩٨م) :**

- الديارات ، تحقيق : كوركيس عواد (بغداد ، ١٩٥١م) .

- **الشافعي ، محمد بن ادريس (ت: ٢٠٤هـ / ٨١٩م) :**

- كتاب الرسالة ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، المكتبة العلمية (بيروت، بلا.ت) .

- السنن ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٧٩م) .
- الأم ، دار المعرفة ، ط٢ (بيروت ، ١٩٩٠م) .
- **الشامي ، محمد بن يوسف الصالحي (ت : ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م) :**
- سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٣م) .
- **الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت : ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) :**
- الملل والنحل ، تحقيق : احمد حجازي السقا ، محمد رضوان مهنا ، مكتبة جزيرة الورد (القاهرة ، ٢٠٠٦م).
- **الشوكاني ، محمد بن علي بن عبد الله (ت : ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) :**
- نيل الأوطار ، تحقيق : عصام الدين الصبايطي ، دار الحديث (مصر ، ١٩٩٣م) .
- فتح القدير ، دار ابن كثير (دمشق ، ١٩٩٤م) .
- **الشيباني ، محمد بن الحسن (ت : ١٨٩هـ / ٨٠٤م) :**
- المخارج في الحيل ، نشره وصححه : يوسف شخت (ليبزج ، ١٩٣٠م) .
- **الشيرازي ، إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق (٤٧٦هـ / ١٠٨٣م) :**
- طبقات الفقهاء ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الرائد العربي (بيروت،١٩٧٠م) .
- المهذب في فقه الإمام الشافعي ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠١٠م) .
- **الشيزري ، عبد الرحمن نصر بن عبد الله (ت : ٤٨٩هـ / ١٠٩٥م) :**
- نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة ، قام على نشره الباز العريني ، إشراف : محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والترجمة (القاهرة ، ١٩٤٦م) .
- **الصابي ، أبو الحسن الهلال بن محسن (٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) :**
- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق : عبد الستار احمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية (حلب ، ١٩٥٨م) .
- **الصاحب بن عباد ، إسماعيل (ت : ٣٨٥هـ / ٩٩٥م) :**

- المحيط في اللغة ، تحقيق : محمد آل ياسين ، عالم الكتب (بيروت ، بلا .ت) .
- **صالح بن يحيى ، صالح بن الحسين (ت : ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) :**
- تاريخ بيروت ، تحقيق : فرنسيس هورس اليسوعي ، وكمال الصليبي ، دار المشرق (بيروت ،١٩٦٧م) .
- **الصفاني ، الحسن بن محمد بن الحسن (ت : ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م) :**
- التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : إبراهيم إسماعيل الأبياري ، دار الكتب (القاهرة ، ١٩٧١م) .
- **الصفدي ، صلاح الدين خليل بن آيبك (ت : ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) :**
- الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الارنؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث (بيروت ، ٢٠٠٠م) .
- **الصنعاني ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت : ٢١١هـ / ٨٢٦م) :**
- المصنف ، تحقيق : حبيب عبد الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي (بيروت ، ١٩٨٢م) .
- **الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب (ت : ٣٦٠هـ /٩٧٠م) :**
- المُعجم الأوسط ، تحقيق : طارق عوض محمد وعبد المحسن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين (القاهرة ، ١٩٩٥م) .
- **الطبرسي ، أبو علي الفضل بن حسن (ق٦هـ / ١٢م) :**
- مجمع البيان في تفسير القران ، دار المعرفة (بيروت ، ١٩٨٦م) .
- **الطبري ، محمد بن جرير (ت : ٣١٠هـ / ٩٢٢م) :**
- تاريخ الرسل والملوك ، دار التراث ، ط٢ (بيروت ، ١٩٧٦م) .
- جامع البيان عن تأويل آي القران ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة (بيروت ،٢٠٠٠م) .
- **الطرطوشي ، محمد بن الوليد (ت : ٥٢٠هـ / ١١٢٠م) :**
- سراج الملوك ، المطبعة المحمدية (مصر ، ١٩٣٥م) .
- **ابن الطقطقي ، محمد بن علي (٧٠٩هـ / ١٣٠٩م) :**
- الفخري في الآداب السلطانية (بيروت ، ١٩٦٦م) .

- **ابن طولون ، شمس الدين محمد بن علي (ت : ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م) :**
- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، تحقيق : محمد دهمان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، ط٢ (دمشق ، ١٩٨٠م) .
- **ابن طيفور ، أحمد بن طاهر (ت:٢٨٠هـ / ٨٨١م) :**
- بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ، تحقيق : محمد زاهد ، نشره : عزت العطار ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية (بلا . م ، ١٩٤٩م) .
- **ابن العبري ، أبو الفرج يوحنا بن هارون (ت : ٦٨٥هـ /١٢٨٦م) :**
- تاريخ مختصر الدول ، تحقيق : أنطون صالحاني اليسوعي ، دار الشرق ، ط ٣ (بيروت ، ١٩٩٢م) .
- تاريخ الزمان ، ترجمة ، اسحق أرملة ، تقديم : جان موريس فييه (بيروت ، ١٩٨٦م) .
- **ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أحمد (ت : ٦٦٠هـ /١٢٦١م) :**
- بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق : سهيل زكار، دار الفكر (بيروت،بلا.ت) .
- **أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت :٥٦٠هـ / ١١٦٤م) :**
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، تحقيق : مجموعة من العلماء ، نشر ايطاليا نابولي (روما ، ١٩٧٠ -١٩٧٧م) .
- **أبو عبيد ، القاسم بن سلام بن عبد الله (ت : ٢٢٤هـ / ٨٣٨م) :**
- غريب الحديث ، تحقيق : محمد عبد المعين خان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد الدكن ، ١٩٦٤م) .
- الأموال ، تصحيح : محمد حامد (القاهرة ، ١٩٣٤م) .
- **العظيم آبادي ، محمد أشرف أمير علي (ت : ١٣٢٩هـ / ١٩١١م) :**
- العقد الفريد للملك السعيد (القاهرة ، ١٨٨٨م) .
- **علي ، شمس الدين محمد بن علي (رجل من ق٨هـ /١٤م) :**
- البدور المسفرة في نعت الأديرة ، تحقيق : هلال ناجي ، دار الحرية للطباعة ، مطبعة الجمهورية (بغداد ،١٩٧٥م) .

- **العليمي الحنبلي ، أبو اليمن القاضي مجير الدين المقدسي (ت: ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م):**
- الأنس الجليل بتاريخ القدس والجليل ، مكتبة المحتسب (عمان ، ١٩٧٣م) .
- **العمري ، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي (ت:٧٤٩هـ /١٣٤٨م):**
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، المجمع الثقافي (أبو ظبي ، ٢٠٠٣م) .
- عون المعبود شرح سنن أبي داود ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٤م) .
- **العيني ، محمود بن أحمد (ت : ٨٥٥هـ / ١٢٤٨م) :**
- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ، تحقيق : فهيم محمد (القاهرة ، ١٩٦٦م) .
- **ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت : ٤٦٣هـ /١٠٧٠م):**
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل (بيروت ، ١٩٩٢م) .
- الاستذكار ، تحقيق : سالم محمد عطا و محمد علي معوض ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠٠م) .
- **ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن (ت: ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) :**
- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية (بيروت ، ١٩٥٤م) .
- **ابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت : ٢٥٧هـ / ٨٧٠م):**
- فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق : محمد الحجيري ، دار الفكر(بيروت، ١٩٩٦م).
- **ابن عبد الحكم ، أبي محمد عبد الله (ت : ٢١٤هـ / ٨٢٩م) :**
- سيرة سيدنا عمر بن عبد العزيز ، المطبعة الرحمانية (القاهرة ، ١٩٢٧م) .
- **ابن عبد ربه الأندلسي ، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت:٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) :**
- العقد الفريد ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٨٣م) .
- **ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت:٥٧١هـ/١١٧٥م) :**
- تاريخ دمشق ، تحقيق : عمرو بن غرامة العمروي،دار الفكر(بيروت،١٩٩٥م).

- **ابن عماد الحنبلي ابو الفلاح عبد الحي :**
  - شذرات الذهب في اخبار من ذهب (بيروت ، بلا . ت) .
- **غرس النعمة ، ابو الحسن محمد بن هلال (ت : ٤٨٠هـ / ١٠٨٦م) :**
  - الهفوات النادرة ، تحقيق : صالح الاشتر ، مطبوعات مجمع اللغة العربية (دمشق ، ١٩٦٧م) .
- **الغزالي ، الإمام أبو حامد محمد بن محمد (٥٠٥هـ / ١١١١م) :**
  - إحياء علوم الدين ، مؤسسة الحلبي (دمشق ، ١٩٦٧م) .
  - مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والأمراء ، تحقيق : محمد جاسم الحديثي ، دار الحرية (بلا . م ، ١٩٨٨م) .
- **الغيتابي ، أبو محمد محمود بن احمد بن موسى (ت : ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) :**
  - عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، دار إحياء التراث العربي (بيروت ، بلا.ت) .
- **الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت : ١٧٠ هـ / ٧٨٦م) :**
  - العين ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد ، ١٩٨٦م) .
- **الفيروزآبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد (ت : ٨١٧هـ / ١٤١٤م) :**
  - القاموس المحيط ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف : محمد نعيم العرقسُوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٨ (بيروت ، ٢٠٠٥م) .
- **ابن الفقيه ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني(٣٦٥هـ/٩٧٥م):**
  - بغداد مدينة السلام ، تحقيق : صالح العلي (باريس ، ١٩٧٧م) .
  - البلدان ، تحقيق: يوسف الهادي ، عالم الكتب (بيروت ، ١٩٩٦م) .
- **ابن الفقيه ، أبو بكر احمد بن محمد الهمذاني (ت : ٢٩٠هـ / ٩٠٢م) :**
  - مختصر كتاب البلدان ، بريل (ليدن ، ١٨٨٤م) .
- **ابن الفوطي ، كمال أبو الفضل عبد الرزاق (ت : ق٩هـ / ١٣م) :**

- الحوادث الجامعة والتجارب الناصعة في المائة السابعة ، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر (بيروت ، ١٩٨٧م) .

- **ابن فارس ، أبو الحسين ، احمد بن زكريا (ت : ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤م) :**
- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر(بيروت ١٩٧٩م) .

- **ابن فرحون المالكي ، إبراهيم بن علي بن محمد (ت : ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م) :**
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق وتعليق : محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث للطبع والنشر (القاهرة ، ٢٠١١م) .

- **أبو الفدا ، إسماعيل بن علي عماد الدين (ت : ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) :**
- تقويم البلدان ، تصحيح : رينودو (باريس ، ١٨٤٠م) .
- المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية) القاهرة ، بلا . ت) .

- **ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت : ٢٧٦هـ / ٨٨٩ م) :**
- المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٩٢م) .
- الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها ، تحقيق : محمد كرد علي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي (دمشق ، ١٩٤٧م) .

- **ابن قدامة ، أبو محمد موفق الدين عبد الله (ت : ٦٢٠هـ/١٢٢٣م) :**
- المغني ، مكتبة القاهرة (القاهرة ، ١٩٦٨م) .

- **ابن القيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت :٧٥١هـ /١٣٥٠م) :**
- أحكام أهل الذمّة ، تحقيق : يوسف بن أحمد البكري وشاكر توفيق العاروري ، رمادي للنشر (الدمام ، ١٩٩٨م) .

- **قدامة بن جعفر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد (ت:٣٣٧هـ / ٩٤٨م) :**
- الخراج وصناعة الكتابة ، دار الرشيد (بغداد ، ١٩٨١م) .

- **القرشي ، عبد القادر بن محمد (ت : ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م) :**
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، دار هجر للطباعة والنشر ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٩٣م) .

- **القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت : ٦٧١هـ / ١٢٧٢م) :**

- الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٦٤م) .
- **أبو القاسم الغساني ، محمد بن إبراهيم المشهور بالوزير (ت : ق١٣هـ / ١٩م):**
- حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار ، تحقيق : محمد الخطابي ، دار العربي (بيروت ، ١٩٨٥م) .
- **أبو القاسم المصري ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت : ٢٥٧هـ / ٨٧٠م) :**
- فتوح مصر والمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية (بلا . م ، ١٩٩٦م) .
- **القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت : ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) :**
- آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر (بيروت ، بلا . ت) .
- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، المكتبة الأموية (بلا . م ، بلا . ت).
- **القسطلاني ، أبو العباس شهاب الدين أحمد (ت : ٩٢٣هـ /١٥١٧م) :**
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، المكتبة التوفيقية (القاهرة ، بلا . ت) .
- **قسطوس بن لوقا الرومي (ت : ٣٠٠هـ /٩١٢م) :**
- الفلاحة الرومية ، ترجمة : سرجس ابن هليا الرومي (بلا. م ، بلا . ت) .
- **القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت:٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) :**
- أخبار العلماء بأخيار الحكماء ، تحقيق :إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠٥م) .
- **القلقشندي ، أحمد بن علي بن أبي العباس (ت : ١٢١هـ / ٧٣٨م) :**
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، دار الكتب العلمية (بيروت ، بلا . ت) .
- مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار احمد فراج ، عالم الكتب (بيروت ، بلا . ت) .
- **الكاساني ، علاء الدين أبو بكر الملقب بملك العلماء (ت:٥٨٧هـ/ ١١٩١م) :**
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، المطبعة الجمالية (القاهرة ،١٩١٠م) .
- **ابن كثير ، أبو الفدا اسماعيل بن عمر (ت :٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) :**

- تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، منشورات محمد علي بيضون (بيروت ، ١٩٩٨م) .
- السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة (بيروت ، ١٩٧٦م).
- البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، دار إحياء التراث العربي (بيروت ، ١٩٨٨م).
- **الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت : بعد٣٥٥هـ/ ٩٦٥م) :**
- الولاة وكتاب القضاة ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، وأحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠٣م) .
- **ابن الكازوروني ، ظهير الدين (٦٧٥هـ/١٢٧٦م) :**
- مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس ، تحقيق : مصطفى جواد (بغداد ، ١٩٧٠م) .
- **الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب (ت : ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م) :**
- الحاوي الكبير ، تحقيق : علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٩م) .
- الأحكام السلطانية ، دار الحديث ، القاهرة ، بلا . ت .
- **ابن مالك ، أنس (ت : ١٧٩هـ / ٧٩٥م) :**
- الموطأ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي (بيروت ، ١٩٨٥م).
- **ابن متى ، عمرو (ت : ٨هـ /٦٢٩م أو ١٤هـ /٦٣٥م) :**
- أخبار فطاركة كرسي المشرق، تحقيق: جيسموندي (روما ، ١٨٩٦م) .
- **ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي (ت : ٧١١هـ /١٣١١م) :**
- لسان العرب ، دار صادر ، ط٣ (بيروت ، ١٩٩٩م) .
- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، تحقيق : مأمون الصاغرجي ، دار الفكر (دمشق ، ١٩٨٩م) .
- **ابن منقذ ، أسامة (ت : ٥٨٤هـ/١١٨٨م) :**

- العصا ، تحقيق : حسن عباس ، تقديم : مصطفى هدارة ، فرع الهيئة المصرية العامة للكتاب (الإسكندرية ، ١٩٧٨م) .

- **المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد (ت : ٢٨٥هـ / ٨٩٨م) :**
- الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق : تغاريد بيضون ، نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٨٩م) .

- **مؤلف مجهول (ق١١هـ) :**
- تاريخ الخلفاء ، نشر النسخة المصورة للمخطوطة الوحيدة بطرس فرياز ينويج ، ضمن سلسلة آثار الآداب الشرقية رقم (١١) دار العلوم (موسكو ، ١٩٦٧م) .

- **مؤلف مجهول (ت : ٥هـ / ٦٢٦م) :**
- التاريخ السعردي ، تحقيق : أدي شير (بلا. م ، بلا. ت) .

- **مؤلف مجهول (مؤلف من القرن السادس الهجري) :**
- العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم ، نشر ديه غويه ، مطبعة بريل (ليدن ، ١٨٧١م) اوفسيت مكتبة المثنى (بغداد ، بلا. ت) .

- **المرزباني ، الإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران (ت : ٣٨٤هـ / ٩٩٤م) :**
- معجم الشعراء ، تصحيح وتعليق : الأستاذ ف كرنكو ، مكتبة القدس (القاهرة ، ١٩٣٧م) .

- **المروزي ، شرف الزمان طاهر (ألف الكتاب سنة ٥١٤هـ / ١١٢٠م) :**
- أبواب في الصين والترك والهند منتخبة من كتاب طبائع الحيوان ، تحقيق : مينور سكي (لندن ، ١٩٤٢م) .

- **المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م) :**
- التنبيه والأشراف ، تصحيح : عبد الله إسماعيل الصاوي ، دار الصاوي (القاهرة ، بلا . ت) .
- أخبار الزمان ، أشرف على الطبع والتصحيح : لجنة من الأساتذة ـ مكتبة النجف الأشرف الشياح - الفبيري - دار الأندلس للطباعة والنشر ، ط٢ (بيروت ، ١٩٥١م) .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : شارل بلا ، منشورات الجامعة اللبنانية ، المطبعة الكاثوليكية (بيروت ، ١٩٦٥م) .
- **مسلم ، أبو الحسن بن الحجاج النيسابوري (ت : ٢٦١هـ / ٨٧٤م) :**
- صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت ، بلا . ت) .
- **المطرزي ، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم (ت : ٦١٠هـ / ١٢١٣م) :**
- المغرب في ترتيب المعرب ، دار الكتاب العربي (بيروت ، بلا . ت) .
- **المغربي ، السموأل بن يحيى بن عباس (ت : ٥٧٠هـ / ١١٧٤م) :**
- بذل المجهود في إفحام اليهود ، تحقيق : محمد عبد الله الشرقاوي ، دار الجيل ، ط٣ (بيروت ، ١٩٩٠م) .
- **المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت : ٣٧٥هـ /٩٨٥م) :**
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن ، ١٩٦٠م) .
- **المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الحنبلي (ت : ٥٦٧هـ / ١١٧١م):**
- الأحاديث المختارة ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة (مكة المكرمة ، ١٩٨٩م) .
- **المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح (ت:٧٦٣هـ/ ١٣٦١م):**
- الفروع ، تحقيق : عبد الله عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة (بيروت ، ٢٠٠٣م) .
- **المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت : ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) :**
- الخطط المقريزية (بيروت ، بلا . ت) .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٩٧م) .
- تاريخ الأقباط ، تحقيق : عبد المجيد دياب ، دار الفضيلة (القاهرة ، ١٩٩٨م) .
- إمتاع الإسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، تحقيق : محمد عبد الحميد ألنمسي ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٩م) .
- النقود الإسلامية ، تحقيق : محمد السيد ، ط٥ (النجف ، ١٩٦٧م) .

- **المناوي ، زين الدين محمد الرؤوف (ت : ١٠٣١هـ / ١٦٢١م) :**
  - الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية الطبقات الكبرى ، تحقيق : محمد اديب الجادر (بيروت ، ١٩٩٩م) .
- **المنذري ، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (ت : ٦٥٦هـ ١٢٥٨م) :**
  - مختصر صحيح مسلم ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، دار إحياء التراث الإسلامي (الكويت ، بلا . ت) .
- **ابن المقفع ، عبدالله (ت : ق٤هـ) :**
  - تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، المعروف بسير البيعة المقدسة ، قام على نشره مسى عبد المسيح واسولد برمستر ، مطبوعات جمعية الآثار القبطية (القاهرة ، ١٩٤٣م) .
  - رسالة الصحابة ، مكتبة البيان ، ط٤ (بيروت ،١٩٧٠م) .
- **ابن النابلسي ، عبد الغني بن اسماعيل (ت : ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م) :**
  - الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام والحجاز ، تحقيق : رياض مراد ، دار المعرفة (دمشق ، ١٩٨٩م) .
- **ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت : ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م) :**
  - الفهرست ، تحقيق : إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ، ط٢ (بيروت ، ١٩٩٧م).
- **أبو نعيم الأصبهاني ، أحمد بن عبد الله ، (ت :٤٣٠هـ/١٠٣٨م) :**
  - معرفة الصحابة ، تحقيق : عادل يوسف العزاوي ، دار الوطن (الرياض ، ١٩٩٨م).
- **ناصر خسرو ، أبو معين الدين الحكيم المروزي (ت : ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) :**
  - سفر نامه ، تحقيق : يحيى الخشاب ، دار الكتاب الجديد، ط٣ (بيروت،١٩٨٣م).
- **النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت : ٣٠٣هـ /٩١٥م) :**
  - السنن الكبرى ، تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩١م) .
- **النووي ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت : ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) :**
  - بستان العارفين ، دار الريان للتراث (بلا .م ، بلا . ت) .

- **النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت : ٧٣٣ هـ/١٣٣٢م) :**
- نهاية الإرب في فنون الأدب ، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة ، ٢٠٠٢م).
- **ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك (ت : ٢١٣هـ / ٨٢٨م) :**
- السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٥٠م) .
- **الواسطي ، اسلم بن سهل الرزاز (٢٩٢هـ/٩٠٤م):**
- تاريخ واسط ، تحقيق : كوركيس عواد (بغداد ، ١٩٦٧م) .
- **ابن وحشية ، أبو بكر احمد بن علي بن قيس الكسداني (ت : ق٤هـ / ١٠م):**
- الفلاحة النبطية ، تحقيق : توفيق مهند (دمشق ، ١٩٩٥م) .
- **أبو الوفاء ، علي بن عقيل البغدادي الحنبلي (٥١٣هـ / ١١١٩م) :**
- الفنون ، تحقيق : جورج المقدسي ، دار المشرق (بيروت ، ١٩٧٠م) .
- **وكيع ، محمد بن خلف بن حيان (ت : ٣٠٦هـ / ٩١٨م) :**
- أخبار القضاة ، بيروت ، عالم الكتب (بيروت ، بلا . ت) .
- **ابن الوردي ، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد (ت : ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) :**
- تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٦م) .
- **ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله (ت: ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م):**
- المشترك وضعا والمختلف صقعا (بريل ، ليدن ، ١٨٤٦م) .
- معجم الأدباء المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تصحيح واعتناء : مرجيلوت ، مطبعة هندي بالموسكي ، ط٢ (بلا ، ت ، ١٩٢٣م) .
- معجم البلدان ، دار صادر ، ط٢ (بيروت ، ١٩٩٥م) .
- **اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت : ق ٢٩٢هـ / ٩٠٤م) :**
- تاريخ اليعقوبي ، دار صادر (بيروت ، بلا . ت) .
- مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق : وليم ملورد ، دار الكتاب الجديد (بيروت، ١٩٦٢م).
- البلدان ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠٢م) .
- **أبو يعلى ، القاضي محمد بن الحسين بن خلف (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) :**

- الأحكام السلطانية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، ط٢ (بيروت ، ٢٠٠٠م) .

• **أبو يوسف ، القاضي يعقوب بن إبراهيم (ت : ١٨٢ هـ/ ٧٩٨م) :**

- الخراج ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد ، المكتبة الأزهرية للتراث (القاهرة ، بلا . ت) .

المراجـــع :

• **اتلفان ، جواد رفعت :**

- الخطر المحيط بالإسلام (الصهيونية وبروتوكولاتها) ترجمة : وهبي عز الدين ، مطبعة الجاحظ (بلا . م ، ١٩٦٥م) .

• **احمد تيمور باشا :**

- أعلام المهندسين في الإسلام (القاهرة ، ١٩٥٧م) .

• **الأربلي ، عبد الرحمن سنبط قنيتو :**

- خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، تصحيح : مكي السيد جاسم (بغداد ، بلا . ت) .

• **اسعد ، منير :**

- تاريخ حمص ، مطرانية حمص الأرثوذكسية (دمشق ، ١٩٨٤م) .

• **اسماعيل ، بناز عدو :**

- أهل الذمّة في بلاد الكرد في العصر العباسي ١٣٢-٤٤٧هـ / ٧٤٩-١٠٥٥م دراسة تاريخية تحليلية ، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر (اربيل ، ٢٠١١م).

• **اسماعيل ، عز الدين :**

- المكونات الأولى للثقافة العربية (بغداد ، ١٩٨٦م) .

• **الأعظمي ، عواد مجيد :**

- الأمير مسلمة بن عبد الملك ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، ١٩٨٠م .

- الزراعة والإصلاح الزراعي في عصر صدر الإسلام والخلافة الأموية ، مطبعة الجامعة (بغداد ، ١٩٨٧م) .

- **آل تقي الدين ، محمد اديب :**
- كتاب منتخبات التواريخ لدمشق ، تقديم : كمال الصليبي ، دار الآفاق الحديثة (بيروت ، ١٩٧٩م) .
- **الألفي ، أبو صالح :**
- الفن الإسلامي ، دار المعارف ، ط٢ (لبنان ، ١٩٦٧م) .
- **الآلوسي ، محمد شكري البغدادي :**
- بلوغ الإرب في معرفته أحوال العرب ، تحقيق : محمد بهجة الأثري ، دار الكتاب المصري ، ط٣ (القاهرة ، ٢٠١٢م) .
- **أمين ، احمد :**
- فجر الإسلام ، دار الشروق ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٩٩م) .
- ضحى الإسلام ، مطبعة لجنة التأليف (القاهرة ، ١٩٤٦م) .
- ظهر الإسلام (القاهرة ، ١٩٥٢م) .
- **بدر ، مصطفى طه :**
- مصر الإسلامية (من الفتح الإسلامي حتى زوال الدولة الإخشيدية) (القاهرة ، ١٩٥٩م) .
- **البدري ، السيد سامي :**
- الدراسات الإسلامية – المسيحية – اليهودية المقارنة ، دار الفقه للطباعة والنشر ، ط٢ (بلا . م ، ٢٠٠٢م) .
- **بدري ، عبد الرحمن :**
- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، ط٤ (بيروت ، ١٩٨٠م) .
- **البدري ، عبد اللطيف :**
- الطب عند العرب ، الموسوعة الصغيرة ، منشورات وزارة الثقافة (بغداد ، ١٩٧٨م) .
- **بدوي ، عبد الرحمن :**
- دور العرب في تكوين الفكر الأوربي (بيروت ، ١٩٦٥م) .
- شخصيات قلقة في الإسلام ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٦٤م) .

- **البراوي ، راشد :**
  - حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، ١٩٤٨م) .
- **البستاني ، بطرس :**
  - دائرة المعارف (بيروت ، بلا . ت) .
  - أدباء العرب في العصور العباسية ، دار الجيل (بيروت ، ١٩٦٩م).
- **بشير ، شحاده :**
  - موسوعة الكتاب المقدس (بلا . م ، بلا . ت) .
- **البطاينة ، محمد ضيف الله :**
  - الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى ، دار طارق ، دار الكندي (بلا.م ، بلا . ت).
  - الحياة الاجتماعية في صدر الإسلام ، مكتبة دار التراث (المدينة المنورة ، ١٩٨٨م).
- **البغدادي ، اسماعيل باشا :**
  - هدية العارفين (اسطنبول ، ١٩٥٥م) .
- **بلبع ، عبد الحكيم :**
  - أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري (القاهرة ، ١٩٥٩م) .
- **بلدي ، نجيب :**
  - تمهيد لتاريخ مدرسة الاسكندرية وفلسفتها ، دار المعارف (مصر ، ١٩٦٢م) .
- **التركي ، عبد الله عبد المحسن عبد الرحمن :**
  - الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام ، وزارة الأوقاف السعودية (بلا.م ، بلا . ت) .
- **التكريتي ، ناجي :**
  - الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع ، ط٢ (بيروت ، ١٩٨٠م) .
- **ثابت ، نعمان :**
  - العسكرية في عهد العباسين ، تقديم: حامد أحمد (بغداد ، ١٩٨٧م).

- **الجار ، خالد :**
- لمحات عن الفن العراقي (بغداد ، بلا . ت) .
- **الجلعود ، محاسن عبد الله محمد :**
- الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، دار اليقين ، المنصورة (مصر ، ١٩٨٧م).
- **جميل ، نخلة :**
- حضارة الإسلام في دار السلام ، المطبعة الأميرية (بولاق ، ١٩٣٥م) .
- **جواد ، مصطفى ، احمد ، سوسة :**
- دليل خارطة بغداد (بغداد ، ١٩٥٨م) .
- **جودت ، جمال محمد داود :**
- العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام ، جمعية المطابع التعاونية (عمان ، ١٩٧٧م) .
- **جودي ، محمد :**
- الفن العربي الإسلامي ، عمان ، دار الميسرة للطباعة والنشر (بلا . م ، ١٩٩٨م) .
- **الجومرد ، جزيل عبد الجبار :**
- داهية العرب أبو جعفر المنصور مؤسس دولة بني العباس (بيروت ، ١٩٦٣م).
- **حدّاد ، بطرس :**
- كنائس بغداد ودياراتها ، شركة الديوان للطباعة (بغداد ، ١٩٩٤م).
- **حداد ، رشيد :**
- الوجه النصراني للحضارة العربية ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الرابع (بغداد ، ١٩٧٧م) .
- **الحديثي ، عطا :**
- سقايا بغداد ، مجلة سومر (بغداد ، ١٩٧٣م) .
- **حسن ، إبراهيم حسن :**

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ط١٠ (القاهرة ، ١٩٨٣م) .
- **حسن ، زكي محمد :**
- فنون الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، ١٩٤٨م) .
- **حسن ، علي حسن :**
- أهل الذمّة في مصر الإسلامية (بلا . م ، بلا . ت) .
- **حسن، نبيلة :**
- تاريخ الدولة العباسية (الإسكندرية، ١٩٨٨م) .
- **الحسني ، عبد الرزاق :**
- الصابئون في حاضرهم وماضيهم ، مطبعة الوفاق (صيدا ، ١٩٧٠م) .
- **حسني ، نادية :**
- سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه أهل الذمة ، مكتبة الملك فهد الوطنية (الرياض ، ١٩٨٤م) .
- **حسنين ، عبد المنعم محمد :**
- سلاجقة إيران والعراق (القاهرة ، ١٩٥٩م) .
- **حسين ، الحاج حسن :**
- حضارة العرب في العصر العباسي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (بيروت ، ١٩٩٤م) .
- **حسين ، فالح :**
- الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي ، نشر بدعم من الجامعة الأردنية (عمان ، ١٩٧٨م) .
- **الحسين ، قصي :**
- من معالم الحضارة العربية الإسلامية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (بيروت ، ١٩٩٣م) .
- **حمود ، هادي حسين :**
- منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية (بغداد ، ١٩٨٤م) .

- **الحنفي ، كامل بن حسين بن محمد الغزي :**
- جلاء الظلمة عن حقوق أهل الذمّة ، دار الكتب المصرية ، المكتبة التيمورية برقم ٣٢٤ ، عقائد (ألفه سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م) بأسم السلطان عبد الحميد .
- **الخربوطلي ، علي حسني :**
- تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ، دار المعارف (مصر ، ١٩٥٩م) .
- الإسلام وأهل الذمّة ، التعريف بالإسلام مجلة يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، يشرف على إصدارها ، محمد توفيق عويضة ، الكتاب التاسع والأربعون (القاهرة ، ١٩٦٩م).
- المجوسية والمجوس ، دار الباسل للنشر والتوزيع (بلا . م ، ٢٠١٧م) .
- اليهود والمسيحيين في الجزيرة العربية ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية (بلا . م ، بلا . ت) .
- **خصباك ، جعفر حسين :**
- العراق في عصر المغول الايلخاني (بغداد ، ١٩٦٨م) .
- **الخضري بك :**
- إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، ط٧ (القاهرة ، ١٩٦٠م) .
- **خلاف ، عبد الوهاب :**
- السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية ، اعتنى به : الدكتور عاصم الكيالي ، دار ناشرون (بيروت ، بلا . ت) .
- **خليل ، عماد الدين :**
- صفحات من حضارة الإسلام ، جامعة الموصل (الموصل ، بلا . ت) .
- **خليل ، محسن :**
- في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي (بغداد ، ١٩٨٢م) .
- **الخياط ، أبو الحسين عبد الرحيم :**
- الانتصار (بيروت ، ١٩٥٧م) .
- **الدباسي ، عبد الرحمن :**
- احكام الصلح في الشريعة الإسلامية ، دار الوراق (الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٤م).

- **الدبس ، المطران يوسف الياس :**
  - من تاريخ سوريا الديني والدنيوي ، المطبعة العمومية (بيروت، ١٨٩٣م) .
- **الدخيل ، سليمان :**
  - الفوز بالمراد من تاريخ بغداد ، تعليق : محمد عزب ، دار الآفاق العربية (بلا.م ، ٢٠٠٣م) .
- **دروزة ، محمد عزة :**
  - تاريخ بني إسرائيل من اسفارهم وأحوال واخلاق ومواقف اليهود في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبيئته من القرآن الكريم (بيروت ، ١٩٦٩م) .
- **الدفاع ، علي عبد الله :**
  - العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ (بيروت ، ١٩٨٣م) .
- **الدهلوي ، عبد العزيز :**
  - مختصر التحفة الأثني عشرية ، ترجمة : محمد بن محيي الدين، تحقيق: محب الدين الخطيب (القاهرة ، ١٩٥٣م) .
- **الدوري ، عبد العزيز :**
  - تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت ، ٢٠٠٦م) .
  - مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت ، ٢٠٠٧م) .
  - النظم الإسلامية ، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت ، ٢٠٠٨م) .
  - العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي ، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت ، ٢٠٠٨م) .
  - اوراق في التاريخ والحضارة اوراق في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت ، ٢٠٠٩م) .
- **الدوميلي ، الايطالي :**

- العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي ، ترجمة : عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى ، دار القلم (القاهرة ، ١٩٦٢م) .

- **الديوه جي ، سعيد :**
- تاريخ الموصل ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي (بغداد ، ١٩٨٢م).

- **راهب من الكنيسة القبطية :**
- الكنائس الشرقية وأوطانها (القاهرة ، ٢٠٠٠م) .

- **الراوي ، ثابت إسماعيل :**
- العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والإدارية والاجتماعية ، مطبعة الإرشاد (بغداد ، ١٩٦٥م) .

- **رزق ، عاصم محمد :**
- معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، مكتبة مدبولي (القاهرة ، ٢٠٠٠م).

- **رستم ، أسد :**
- كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ، منشورات المكتبة البولسية (لبنان ، ١٩٨٨م) .

- **رضا ، محمد رشيد :**
- المجالس المالية ، مجلة المنار (القاهرة ، ١٩٢٨م) .

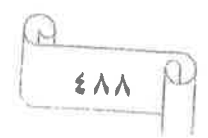
- **ابن رضوان ، علي :**
- الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب ، تحقيق : كمال السامرائي ، مطبعة جامعة بغداد (بغداد ، ١٩٨٦م) .

- **الرفاعي ، احمد فريد :**
- عصر المأمون (القاهرة ، ١٩٢٧م) .

- **رمضان ، هويدا عبد العظيم :**
- المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي (القاهرة ، ١٩٩٩م) .

المصادر والمراجع

- **رهبنة دير مارجرجس الحرف :**
  - أصول الحياة الروحية ، مطبعة النور (بلا.م ،١٩٧١م) .
- **الريس ، محمد ضياء الدين :**
  - الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، دار المعارف ، ط٣(القاهرة، ١٩٦٩م) .
- **الزاوي ، طاهر احمد :**
  - ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير ، مطبعة عيسى البابي الحلبي (القاهرة ، ١٩٧٢م) .
- **الزبيدي ، فخري :**
  - هارون الرشيد (بلا. ت ، بلا . م) .
- **الزركلي ، خير الدين محمود محمد :**
  - الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط١٥ (بيروت ، ٢٠٠٢م) .
- **زكي ، احمد كمال :**
  - الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، دار الفكر (دمشق ، ١٩٦١م) .
- **الزهيري ، عبد الفتاح :**
  - الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين العرب البائدة ، تنقيح : فريدة المنصور (بغداد ، ١٩٨٣م) .
- **الزيات ، حبيب :**
  - خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ، دمشق ، مطابع ألف باء للأديب (بلا . م ، بلا . ت) .
  - الديارات النصرانية في الإسلام ، دار المشرق ، ط٤ (بلا.م ، ٢٠١٠م) .
- **أبو زهرة ، محمد :**
  - كتاب مالك حياته وعصره آراؤه الفقهية ، دار الفكر العربي ، ط٢ (القاهرة ، ٢٠٠٨م) .
  - المذاهب الإسلامية ، المطبعة النموذجية (مصر ، بلا . ت) .
- **أبو زيد ، محمد محمود علي :**



- النيل ومصر دراسة لأثر النيل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر من الفتح الإسلامي حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، دار الهلال (بلا.م ، بلا . ت) .
- **زيدان ، عبد الكريم :**
- أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ، بغداد ، جامعة بغداد (بغداد ، ١٩٦٣م).
- **زينهم ، محمد :**
- التواصل الحضاري للفن الاسلامي وتأثيره على فناني العصر الحديث ، المجلس الاعلى للثقافة (القاهرة ، ٢٠٠٢م) .
- **سالم ، السيد عبد العزيز :**
- تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي (الإسكندرية ، ١٩٦١م) .
- القيم الجمالية في فن العمارة الإسلامية (بيروت ، ١٩٦٣م) .
- التاريخ والمؤرخون العرب (بيروت ، ١٩٨٦م) .
- مساجد الشام ، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار ، القسم الثاني ، دار الغرب الإسلامي (بيروت ، ١٩٩٢م) .
- تخطيط مدينة الإسكندرية وعمرانها في العصر الإسلامي ، دار المعارف (لبنان ، بلا. ت) .
- محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة (بلا.م ، ٢٠١م) .
- **سامح ، كمال الدين :**
- العمارة في صدر الإسلام ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (القاهرة ، بلا . ت) .
- **السامرائي ، حسام قوام :**
- المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية ، مكتبة دار الفتح (دمشق ، ١٩٧١م) .
- **السامرائي ، كمال :**
- مختصر تاريخ الطب العربي ، دار النضال للطباعة والنشر (بغداد ، ١٩٩٠م).

- **السامرائي ، يونس ابراهيم :**
  - تاريخ مدينة سامراء ، المجمع العلمي العراقي (بغداد ، بلا . ت) .
- **ساوا ، ابلحد افرام :**
  - تاريخ الكلدان (دهوك ، ٢٠٠٤م) .
- **السحيم ، محمد عبد الله صالح :**
  - الإسلام أصوله ومبادئه ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٠م) .
- **السراج ، احمد :**
  - العمارة الإسلامية خصائص وآثار ، تقديم : احمد عابد (غزة ، فلسطين ، ٢٠١٥م).
- **سرور ، أمين :**
  - حسن الأثر في التعريف برجال الأثر ، المطبعة الأزهرية (القاهرة ، ١٩٣٩م).
- **سرور ، محمد جمال :**
  - قيام الدولة العربية في حياة محمد ﷺ، دار الفكر العربي (القاهرة ، ١٩٦٤م) .
  - تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، دار الثقافة العربية للطباعة (القاهرة ، ١٩٦٥م) .
- **السرياني ، يوسف داود :**
  - مختصر المختصر في تواريخ الكنيسة (الموصل ، ١٨٧٧م) .
- **سعد ، فهمي عبد الرزاق :**
  - العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، طبع على نفقة وزارة الثقافة لمشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية ، اتحاد الناشرين العراقيين (بغداد، ٢٠١٣م) .
- **السعدي ، أبو جيب :**
  - القاموس الفقهي ، دار الفكر ، ط٢ (دمشق ، ١٩٨٨م) .
- **سوادي ، عبد محمد :**

- الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة.– آفاق عربية (بغداد ، ١٩٨٩م) .

- **سوسة ، أحمد :**
- ري سامراء في عهد الخلافة العباسية ، مطبعة المعارف (بغداد ، ١٩٤٨م) .
- العرب واليهود في التاريخ (بغداد ، ١٩٧٢م) .
- حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور ، مطبعة وزارة الإعلام (بغداد ، ١٩٧٩م) .

- **السيد ، علي :**
- القدس في العصر المملوكي ، القاهرة ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٨٦م) .

- **الشاعر ، محمد فتحي :**
- الصلات الحضارية بين بيزنطة والمشرق الإسلامي في القرنين الثامن والتاسع للميلاد (القاهرة ، ١٩٨٩م) .

- **شافع ، راوية عبد الحميد حسانين :**
- معاملة الفاتحين المسلمين لأقباط مصر ، جامعة حلوان ، كلية الآداب (مصر ، بلا . ت) .

- **شافعي ، فريد :**
- العمارة العربية في مصر الإسلامية في عصر الولاة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، ١٩٩٤م) .

- **شاكر ، مصطفى :**
- دولة بني العباس ، وكالة المطبوعات (الكويت ، ١٩٧٤م) .

- **شاهين – ى – أ :**
- أثر العرب في الطب (لونجمان لجامعة اسكس ، ١٩٧١م) .

- **الشرباصي ، أحمد :**
- المعجم الاقتصادي ، دار الجيل (بلا مكان ، بلا . ت) .

- **الشرقاوي ، محمود :**

- التطور روح الشريعة الإسلامية (بيروت ، بلا . ت) .

- **الشريف ، عون :**
  - نشأة الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ ، دار الطباعة ، جامعة الخرطوم (السودان ، بلا ، ت) .
- **شلبي ، أبو زيد :**
  - تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، مكتبة وهبة (القاهرة ، ٢٠١٢م).
- **الشنتاوي ، احمد وآخرون :**
  - مادة انقرة ، دائرة المعارف الإسلامية ، (طهران ، بلا . ت) .
- **الشيال ، جمال الدين :**
  - تاريخ مصر الإسلامية ، دار المعارف (القاهرة ، بلا . ت) .
- **الشيخلي ، صباح إبراهيم :**
  - الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطورها (بغداد ، ١٩٧٦م) .
- **شيخو ، لويس اليسوعي :**
  - النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، مطبعة الآباء اليسوعيين (بيروت ، ١٩١٩م) .
- **الصالح ، صبحي :**
  - النظم الإسلامية ، دار العلم للملايين ، ط١٣ (بيروت ، ٢٠٠١م) .
- **الصبحي ، محمد إبراهيم :**
  - التجارة والاقتصاد عند العرب ، مكتبة الوعي العربي (القاهرة ، ١٩٦٩م) .
- **صفوت ، احمد زكي :**
  - جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة (مصر ، ١٩٣٧م) .
- **الصلابي ، علي محمد :**
  - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، دار المعرفة ، ط٥(بيروت، ٢٠٠٦م) .
- **ضيف ، شوقي :**
  - العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، ط٢ (مصر ، بلا . ت) .

- العصر الجاهلي ، دار المعارف (مصر ، ١٩٦٥م) .
- **الطايش ، علي احمد :**
- الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة في العصرين الأموي والعباسي ، مكتبة زهراء الشرق (القاهرة ، بلا.ت) .
- **الطريحي ، محمد سعيد :**
- الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها (بيروت ، ١٩٨١م) .
- **طه ، عبد الواحد ذنون :**
- العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، مطابع جامعة الموصل (الموصل ، ١٩٨٥م) .
- **طوقان ، قدري حافظ :**
- تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك (بلا . م ، ١٩٤٢م) .
- **ظاظا ، حسن :**
- الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ، معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة ، ١٩٧١م) .
- **ظاظا ، حسن ، وعاشور ، السيد محمد :**
- شريعة الحرب عند اليهود (القاهرة ، ١٩٧٦م) .
- **عامر ، فاطمة مصطفى :**
- تاريخ أهل الذمّة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي ، الهيئة المصرية العامة للطباعة والنشر (القاهرة ، ٢٠٠٠م) .
- **ابن عابدين ، محمد أمين بن عمر (ت : ١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م) :**
- رد المحتار على الدر المختار ، دار الفكر ، ط٢ (بيروت ، ١٩٩٢م) .
- **ابن عاشور ، محمد الطاهر :**
- تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر (تونس ، ١٩٨٤م) .
- **العبادي ، احمد مختار :**
- تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية ، ١٩٩٩م).

- **عبد الباقي ، احمد :**
  - عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين سامراء ، الدار العربية للموسوعات (لبنان ، ٢٠٠٧م) .
- **عبد الباقي ، أحمد :**
  - معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري ، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت ، ١٩٩١م) .
- **عبد الحميد ، سعد زغلول :**
  - العمارة والفنون في دولة الإسلام ، منشأة المعارف (الإسكندرية ، ١٩٨٦م) .
- **عبد الرؤوف ، عصام الدين :**
  - الحواضر الإسلامية الكبرى ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٧٦م) .
- **عبد الستار ، لبيب :**
  - الحضارات ، دار المشرق (بيروت ، ١٩٨٦م) .
- **عبد الفتاح ، صفاء :**
  - الإدارة المحلية في مصر في عصر الولاة (القاهرة ، ١٩٩١م) .
- **عبد القادر ، حامد :**
  - الأمم السامية مصادر تاريخها وحضارتها (القاهرة ، ١٩٨١م) .
- **عبد اللطيف ، عبد الشافي محمد :**
  - السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، دار السلام (القاهرة ، ٢٠٠٧م) .
- **العبيدي ، صلاح حسين :**
  - الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي من المصادر التاريخية والأثرية ، دار الرشيد للنشر (بغداد ، ١٩٨٠م) .
- **عثمان ، محمد عبد الستار :**
  - المدينة الإسلامية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت، ١٩٨٩م).
- **العجلاني ، منير :**
  - عبقرية الإسلام في أصول الحكم ، ط٢ (بيروت ، ١٩٨٨م) .
- **عجيبة ، احمد علي :**

- نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة ، دار الآفاق العربية (بلا.م ، ٢٠٠٤م) .
- **العزاوي ، عباس :**
- التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان (٦٠١- ٩٤هـ / ١٢٠٤ – ١٥٣٤م) (بغداد ، ١٩٥٧م) .
- **العش ، ابو الفرج :**
- أثارنا في الإقليم السوري ، المطبعة الجديدة (دمشق ، ١٩٦٠م) .
- **العش ، يوسف :**
- الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءا من فتنة عثمان ، دار الفكر ، ط٢ (بيروت ،١٩٨٥م) .
- **عطية ، بديع :**
- التاريخ القديم ، بحث في الموسوعة الأردنية (عمان ، ١٩٨٩م) .
- **عطية الله ، احمد :**
- القاموس الإسلامي (القاهرة ، ١٩٦٦م) .
- **عفيفي ، أبو العلا :**
- التصوف الثورة الروحية في الإسلام (الإسكندرية ، ١٩٦٣م) .
- **العقاد ، عباس محمود :**
- أبو الأنبياء (بيروت ، ١٩٦٧م) .
- **علام ، نعمت إسماعيل :**
- فنون الشرق الأوسط – الفنون الإسلامية ، دار المعارف (مصر ، بلا . ت) .
- **العلبي ، اكرم حسن :**
- خطط الشام ، دار الطباع (دمشق ، ١٩٨٩م) .
- **العلوجي ، عبد الحميد :**
- تاريخ الطب العراقي ، مطبعة اسعد (بغداد ، ١٩٦٧م) .
- **علي ، أمير :**
- مختصر تاريخ العرب ، ترجمة : عفيف البعلبكي ، دار العلم للملايين ، ط٢ (بيروت ، ١٩٦٧م) .

- **علي ، جواد :**
  - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار الساقي ، ط٤ (بيروت ، ٢٠٠١م).
- **العلي ، صالح احمد :**
  - التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الأول الهجري ، دار الطليعة ، ط٢ (بيروت ، ١٩٦٩م) .
  - بغداد تأسيسها ونموها (بغداد ، ١٩٨٣م) .
- **عليان ، رشدي :**
  - الصابئون حرانيين ومندائيين (بغداد ، ١٩٧٦م) .
- **عمر ، أحمد مختار وآخرون :**
  - معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب (بيروت ، ٢٠٠٨م).
- **عمر ، فاروق وآخرون :**
  - النظم الإسلامية دراسة تاريخية ، مطبعة جامعة بغداد (بغداد ، ١٩٨٧م) .
- **العمري ، محمد أمين :**
  - في الرد على النصارى ، مخطوطة مصورة عن نسخة د. محمود الجليلي في المجمع العلمي العراقي برقم ١٥ ، ٢٧- أ (بغداد ، بلا.ت).
- **العميد ، طاهر مظفر :**
  - العمارة العباسية في سامراء (بغداد ، ١٩٧٦م) .
- **العوادات ، حسين :**
  - العرب النصارى ، الأهالي للطباعة والنشر (دمشق ،١٩٩٢م) .
- **عيسى ، احمد :**
  - تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ط٢ (بيروت ، ١٩٨١م) .
- **عيسى ، احمد :**
  - معجم الأطباء (بيروت ، ١٩٤٢م) .
- **غزالة ، هديب :**
  - الدولة البابلية الحديثة (٦٢٦-٥٣٩ ق.م) (دمشق ، ٢٠٠١م) .
- **الغزي ، كامل البالي :**

- نهر الذهب في تاريخ حلب ، تقديم وتصحيح : شوقي شعث ، دار القلم العربي ، ط٢ (حلب ، ١٩٩١م).
- **الغلاييني ، مصطفى :**
- الإسلام روح المدينة ، بيروت ، ١٩٦٠م .
- **غنيمة ، يوسف رزق الله :**
- نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ، مطبعة الفرات (بغداد ، ١٩٢٤م) .
- **غوانمة ، يوسف :**
- التاريخ الإسلامي ، الموسوعة الأردنية (عمان ، بلا . ت) .
- **فرغلي ، أبو الحمد محمود :**
- التصوير الإسلامي ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩١م .
- **فروخ ، عمر :**
- تاريخ العلوم عند العرب ، ط٣ (بيروت ، ١٩٨٠م) .
- الحضارة الإنسانية وقسط العرب فيها ، بيروت، ط٢ ، ١٩٨٠م .
- **فكري ، احمد :**
- التأثيرات الفنية الإسلامية العربية على الفنون الأوربية،سومر (بلا.م ، ١٩٦٧م).
- المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها (الإسكندرية ، ١٩٦١م) .
- **فهمي ، علي محمود :**
- التنظيم البحري في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي ، ترجمة : قاسم عبدة (القاهرة ، ١٩٦٧م) .
- **فهمي ، نعيم زكي :**
- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، ١٩٧٣م) .
- **قاسم ، عبدة قاسم :**
- اليهود في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى الغزو العثماني ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات (بلا.م ، ١٩٨٠م) .
- **قاشا، سهيل :**

- لمحات من تاريخ نصارى العراق (بغداد ،١٩٨٢م) .
- **القاضي ، مختار :**
- أثر المدينة الإسلامية في الحضارة الغربية (القاهرة ، ١٩٧٤م) .
- **القرضاوي ، يوسف :**
- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، دار المعارف (القاهرة ، بلا . ت) .
- **القسطالي ، نعمان :**
- الروضة الغناء في دمشق الفيحاء (بلا.م ، ١٨٧٩م).
- **قلعجي ، محمد رواس وحامد صادق قنيبي :**
- معجم لغة الفقهاء ، دار النفائس ، ط٢ (بيروت ، ١٩٨٨م) .
- **قنواتي ، جورج شحاته :**
- المسيحية والحضارة العربية ، بغداد : المكتبة العالمية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط٣ (بيروت ، ١٩٨٤م) .
- **كاشف ، سيدة اسماعيل :**
- الوليد بن عبد الملك ٨٦هـ -٩٦هـ /٧٠٥م-٧١٥م ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر (القاهرة ، ١٩٦٢م) .
- مصر في عصر الولاة من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية ، الهيئة المصرية العامة للطباعة والنشر (القاهرة ، ١٩٨٨م) .
- مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي الى قيام الدولة الطولونية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، ١٩٩٤م) .
- عبد العزيز بن مروان ، الهيئة المصرية العامة للطباعة والنشر(القاهرة،٢٠٠٥م).
- **الكبيسي ، حمدان ، الاعظمي ، عواد :**
- دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الإسلامي ، مطبعة التعليم العالي (بغداد ، ١٩٨٩م) .
- **الكبيسي ، حمدان عبد المجيد :**
- الخراج أحكامه ومقاديره ، دار الحكمة للطباعة والنشر (بغداد ، ١٩٩١م) .
- **الكبيسي ، حمدان وآخرون :**

- الحضارة العربية الإسلامية ، مطبعة التعليم العالي (بغداد ، ١٩٨٨م) .
- **الكبيسي ، عبد المجيد محمد صالح :**
- عصر هشام بن عبد الملك ، مطبعة سلمان الاعظمي (بغداد ، ١٩٧٥م) .
- **الكتاني ، عبد الحي :**
- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية (بيروت ، بلا . ت) .
- **كرد علي ، محمد :**
- الإدارة الإسلامية في عز العرب ، مطبعة مصر (القاهرة ، ١٩٢٤م) .
- الإسلام والحضارة العربية ، دار العلم للملايين ، ط٢ (بيروت ، ١٩٧٠م) .
- خطط الشام ، دار العلم للملايين ، بيروت ومكتبة النوري (دمشق ، ١٩٨٣م) .
- غوطة دمشق ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٨٤م) .
- **الكروي ، إبراهيم سليمان ، وشرف الدين ، عبد التواب :**
- المرجع في الحضارة العربية الإسلامية ، مطبعة ذات السلاسل (الكويت، ١٩٨٧م) .
- **الليثي ، سميرة مختار :**
- الشعوبية والزندقة وانتصار الإسلام والعروبة عليهما ، مكتبة الانجلو مصرية (القاهرة ، ١٩٦٨م) .
- **ماجد ، عبد المنعم :**
- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، دار الفكر (بيروت، ٢٠١٠م).
- **مجموعة مؤلفين :**
- نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، اشراف : صالح عبد الله ، دار الوسيلة ، ط٤ (جدة ، بلا .ت) .
- **محمد ، حميد الله :**
- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، دار النفائس (بيروت ، ١٩٨٥م) .
- **محمد ، فتحي عثمان :**
- المدخل إلى التاريخ الإسلامي ، دار النفائس (بيروت ، ١٩٩٢م) .

- **محمد ، محمد أبو زهو :**
  - الحديث والمحدثون ، دار الفكر العربي (القاهرة ، ١٩٥٦م) .
- **محمود ، حسن احمد ، والشريف ، أحمد إبراهيم :**
  - العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر (بيروت ، بلا . ت) .
- **محمود ، حسن احمد :**
  - الإسلام والحضارة العربية في أسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي ، دار النهضة العربية (القاهرة ، ١٩٦٧م) .
- **محمود ، لؤي و منصور ، احمد :**
  - الأقباط في المجتمع المصري قبل وبعد الفتح الإسلامي ، دراسات أثرية – تاريخية – تطبيقية ، مركز دراسات الخطوط (بلا.م ، بلا.ت).
- **المدور ، جميل نخلة :**
  - حضارة الإسلام في وادي السلام ، المطبعة الأميرية (بولاق ، ١٩٣٥م) .
- **مراش ، عبد الله :**
  - مختصر تاريخ حلب ، دار الكتب (القاهرة ، ١٩٥٦م) .
- **مراني ، ناجيه :**
  - مفاهيم صابئية مندائيه ، ط٢ (بغداد ، ١٩٨١م) .
- **مرزوق ، محمد عبد العزيز :**
  - العراق مهد الفن الإسلامي ، مديرية الثقافة العامة (بلا . م ، ١٩٧١م) .
- **مظهر ، إسماعيل :**
  - تاريخ الفكر العربي ، مجلة العصور (بلا.م ، ١٩٢٨م) .
- **المعاضيدي ، عبد القادر سلمان :**
  - واسط في العصر العباسي دراسة في تنظيماتها الإدارية وحياتها الاجتماعية والفكرية (٣٢٤ – ٦٥٦هـ / ٩٥٣ – ١٢٥٨م) (بغداد ، ١٩٨٣م) .
- **معروف ، ناجي :**
  - مستشفيات بغداد في العصر العباسي ، مجلة كلية الشريعة (بغداد ، ١٩٦٨م) .
- **المناصر ، محمد عبد الحفيظ :**

- الجيش في العصر العباسي الأول ١٣٢- ٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٦م ، دار مجدلاوي (الأردن ، ٢٠٠٠م) .

- **المنبجي ، أغابيوس :**
- المنتخب من تاريخ المنبجي ، تحقيق: عمر عبد السلام(لبنان ، ١٩٨٦م).

- **المودودي ، أبو الأعلى :**
- حقوق أهل الذمّة ، رسالة منشورة في مجلة ترجمان القران (بلا مكان ، ١٩٨٤م).

- **الموسوعة الفقهية الكويتية :**
- مادة : ذمّة ، دار السلاسل (الكويت ، ١٩٨٣م) .

- **الموسوعة الفلسطينية :**
- القسم الثاني ، الدراسات الخاصة (فلسطين ، ١٩٩٠م) .

- **الموسوي ، مصطفى عباس :**
- العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية ، دار الرشيد (بغداد ، ١٩٨٢م) .

- **ميخائيل ، عواد :**
- صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد ، ١٩٨٦م) .

- **ناجي ، عبد الجبار :**
- دراسات في المدن العربية الإسلامية ، طبع على نفقة جامعة البصرة ، مطبعة الجامعة (البصرة ، بلا. ت) .

- **النبراوي ، فتحية :**
- تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، دار المعارف (القاهرة ، ٢٠٠٨م) .

- **الندوي ، أبو الحسن علي عبد الحي :**
- رجال الفكر والدعوة في الإسلام (الكويت ، ١٩٦٩م) .
- السيرة النبوية ، دار ابن كثير ، ط٢ (دمشق ٢٠٠٤) .

- **نصري ، بطرس :**
  - ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة من السريان (الموصل،١٩٩٥م) .
- **أبو النصر ، عمر :**
  - الحضارة الأموية العربية في دمشق (بيروت ، ١٩٤٨م) .
- **النصولي ، انيس زكريا :**
  - الدولة الأموية في الشام (بغداد ، ١٩٧٢م) .
- **نعمة ، عبد الله :**
  - هشام بن الحكم استاذ القرن الثاني في الكلام والمناظرة (بلا . م ، ١٩٥٩م) .
- **النعيمي ، عماد اسماعيل :**
  - مدرسة البصرة الاعتزالية ، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر(بغداد ، ١٩٩٠م).
- **هادي ، بلقيس محسن :**
  - تاريخ الفن العربي الإسلامي ، مطبعة التعليم العالي (بغداد ، ١٩٩٠م) .
- **هندي ، إحسان :**
  - أحكام الحرب والسلام في دولة الإسلام ، دار النمير (دمشق ، ١٩٩٣م) .
- **وافي ، علي عبد الواحد :**
  - اليهودية واليهود ، مكتبة غريب (القاهرة ، ١٩٧٠م) .
- **وجدي ، محمد فريد :**
  - دائرة معارف القرن العشرين ، ط٣ (بيروت ، ١٩٧١م) .
- **ياسين ، عبد الناصر :**
  - الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر حتى نهاية العصر الفاطمي ، دار الوفاء للطباعة والنشر (الإسكندرية ، ٢٠٠٢م) .
- **اليافعي ، عبد الفتاح بن صالح :**
  - التعايش الإنساني والتسامح الديني في الإسلام ، مؤسسة الرسالة ناشرون (بلا . م ، بلا . ت) .
  - علم لاهوت الاديان (دار المشرق ، ٢٠١٨م) .
- **اليسوعي ، لويس معلوف :**

- المنجد ، المطبعة الكاثوليكية ، ط٩ (بيروت ، ١٩٣٧م) .
- **يعقوب ، اغناطيوس :**
- دفقات الطيب في تاريخ دير القديس مار متي العجيب ، مطبعة الراسي (دمشق ، ١٩٦١م) .
- **اليوزبكي ، توفيق سلطان :**
- تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي ، نشر مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل (الموصل ، ١٩٧٥م) .
- دراسات في النظم الإسلامية ، مؤسسة دار الكتب ، ط٢ (الكويت ، ١٩٧٩م) .

المراجــع الأجنبية

- **أبونا ، البير :**
- تاريخ الكنيسة الشرقية ، المطبعة العصرية (الموصل ، ١٩٧٣م).
- **أدي ، شير :**
- الألفاظ الفارسية المعربة (بيروت ، ١٩٠٨م) .
- **اربري ، أ . ج :**
- تراث فارس ، ترجمة : محمد كفافي ، دار إحياء الكتب العربية(بيروت، ١٩٥٩م) .
- **أرنولد ، توماس :**
- الدعوة إلي الإسلام ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن وآخرون ، مكتبة النهضة (القاهرة ، ١٩٧٠م) .
- **ارنولد ، سير توماس ورفاقه :**
- تراث الإسلام ، ترجمة : جرجيس فتح الله ، دار الطليعة ، ط٣ (بيروت ، ١٩٧٨م).
- **آشتور ، الياهو :**

- التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى ، ترجمة : عبد الهادي عيلة ، مراجعة احمد سبانو ، دار قتيبة للطباعة والنشر (دمشق ، ١٩٨٥م) .

- **اوليري ، ديلاسي :**
- الفكر العربي ومكانه في التاريخ (بلا . م ، ١٩٦١م) .

- **بابو اسحق ، رفائيل :**
- مدارس العراق قبل الإسلام (بغداد ، ١٩٥٥م) .

- **بابو أسحق ، رفائيل :**
- تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العربية إلى أيامنا (بغداد ، ١٩٤٨م) .
- أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية (بغداد ، ١٩٦٠م) .

- **بارتولد ، فاسيلي :**
- تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة : حمزة طاهر ، تقديم : عبد الوهاب عزام ، دار المعارف ، ط٢ (القاهرة ، بلا . ت) .

- **برصوم ، اغناطيوس افرام :**
- اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية ، دار ومكتبة بيبلون ، ط٦ (بلا.م ، ١٩٩٦م) .

- **بليابيف ، ي . أ :**
- العرب والإسلام والخلافة العربية ، ترجمة : انيس قريحة ، الدار المتحدة للنشر (بيروت ، ١٩٧٢م) .

- **ترتون :**
- أهل الذمّة في الإسلام ، ترجمة ، حسن حبشي ، دار المعارف ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٦٧م) .

- **جاك ، ريسلر :**
- الحضارة العربية ، ترجمة غنيم عبدون ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (القاهرة ، ١٩٦٦م) .

- **جروهمان ، ادولف :**
  - أوراق البردي العربية ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن ، دار الكتب المصرية (القاهرة ، ١٩٥٥م) .
- **جلوب ، جون باجوت :**
  - إمبراطورية العرب ، دار الكتاب العربي (القاهرة ، ١٩٦٦م) .
- **جانسون ، هورت :**
  - تاريخ الفن (العالم القديم) ترجمة : عصام التل ، شركة الكرمل للإعلان (عمان ، ١٩٩٥م) .
- **حتي ، فيليب :**
  - تاريخ العرب المطول ، ترجمة : ادوارد جرجي وجبرائيل جبور ، دار الكشاف ، ط٤ (بيروت ، ١٩٦٥م) .
- **د . ب . ماكدونالد :**
  - دائرة المعارف الإسلامية ، الذمة ، ترجمة : احمد الشنتناوي وآخرون ، دار الشعب (القاهرة ، بلا . ت) .
- **دوفال ، روبنس :**
  - تاريخ الأدب السرياني ، ترجمة : الأب لويس قصاب ، مراجعة : الأب البير أبونا ، شركة الاعتدال للطباعة الفنية (بغداد ، ١٩٩٢م) .
- **ديماند ، أ . س :**
  - الفنون الإسلامية ، ترجمة : احمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم : احمد فكري ، دار المعارف ، ط٣ (القاهرة ، ١٩٨٢م) .
- **ديمومبين ، مورس غودفروا :**
  - النظم الإسلامية ، ترجمة : فيصل السامر وصالح الشماع ، دار النشر للجامعيين (، بيروت ، ١٩٦١م) .
- **دينيت ، دانييل :**
  - الجزية والإسلام ، ترجمة وتقديم : فوزي جاد الله ، مراجعة : إحسان عباس ، منشورات مكتبة الحياة (بيروت ، بلا . ت) .

- **ديورانت ، ول :**
  - قصة الحضارة ، ترجمة : الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة ، بلا . ت) .
- **سوفاجيه ، جان :**
  - دمشق الشام ، ترجمة : افرام البستاني ، تحقيق : أكرم العلبي ، المطبعة الكاثوليكية (بيروت ، ١٩٣٦م) .
- **شابو :**
  - اللغات الآرامية وآدابها (القدس ، ١٩٣٠م) .
- **شيدر ، هانز هيرش :**
  - روح الحضارة العربية ، ترجمة عبد الرحمن بدوي (بيروت ، ١٩٤٩م) .
- **غلوب ، جون باجوت :**
  - الفتوحات العربية الكبرى ، ترجمة : خيري حماد (القاهرة ، ١٩٦٣م) .
- **فامر ، موير :**
  - تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي ، ترجمة : فتح الله المحامي ، دار مكتبة الحياة (بيروت ، بلا . ت) .
- **الفرد ، ج ، بتلر :**
  - فتح العرب لمصر ، ترجمة : محمد فريد ابو حديد بك ، مكتبة مدبولي ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٩٦م) .
- **فلهاوزن، يوليوس :**
  - تاريخ الدولة العربية ، ترجمة: محمد عبد الهادي (القاهرة ، ١٩٥٨م) .
- **فييه ، جان موريس الدومنيكي :**
  - الآثار المسيحية في الموصل ، ترجمة : نجيب قاقو، تصحيح: البير أبونا (الموصل ، ١٩٩٤م) .
- **كاهن ، كلود :**

- تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الامبراطورية ، ترجمة : بدر الدين قاسم ، دار الحقيقة للطباعة والنشر ، ط٢ (بيروت،١٩٧٧م).

- **كرلونلينو :**
  - علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى (روما ، ١٩١١م) .
- **كريستي ، أ . هـ :**
  - الفنون الإسلامية الفرعية وتأثيرها في الفنون الأوربية ، في تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة ، ترجمة : زكي حسن ، دار الكتاب العربي ، طرابلس ، مكتبة السائح (١٩٨٤م ، دمشق) .
- **كريمر ، فون :**
  - الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية ، ترجمة : مصطفى طه بدر ، دار الفكر العربي (القاهرة ، ١٩٤٧م) .
- **كوك ، ريجارد :**
  - بغداد مدينة السلام ، ترجمة : فؤاد جميل (بغداد ، ١٩٦٢م) .
- **لاند :**
  - نظرات في اوائل تطور الموسيقى العربية (ترجم الى الانكليزية في ليدن ، ١٨٩٣م).
- **لسترانج ، كي :**
  - بغداد في عهد الخلافة العباسية ، تعريب : بشير يوسف فرنسيس (بغداد ، ١٩٣٦م).
  - بلدان الخلافة الشرقية ، ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة (بغداد ، ١٩٥٤م) .
- **لوبون ، غوستاف :**
  - حضارة العرب ، ترجمة : عادل زعيتر (القاهرة ، ١٩٦٩م) .
- **لومبارد ، موريس :**
  - الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى ، ترجمة : عبد الرحمن حميده ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٧٩م) .

- الإسلام في مجده الأول (القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري ، ترجمة : إسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للفنون (الجزائر ، ١٩٨٤م) .

• **لويس ، ارشبيالد :**
- القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط (القاهرة ، ١٩٦٠م) .

• **الليدي دراور :**
- الصابئة المندائيون ، ترجمة : نعيم بدوي وغضبان رومي ؛ ط٢ (بغداد ، ١٩٨٧م) .

• **ليونهارت ، راوولف :**
- رحلة المشرق إلى العراق وسوريا وفلسطين ، تاريخ الرحلة سنة (٩٨١هـ / ١٥٧٣م) ترجمة : سليم التكريتي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون (العراق ، ١٩٧٨م) .

• **م . ت . هوتسما – ت . و . أرنولد – ر. باسيت – ر . هارتمان :**
- موجز دائرة المعارف الإسلامية ، تحقيق : إبراهيم زكي خورشيد ، أحمد الشنتناوي ، عبد الحميد يونس ، حسن حبشي ، عبد الرحمن الشيخ ، محمد عناني ، مركز الشارقة للإبداع الفكري (دبي ، ١٩٩٨م) .

• **مار ميخائيل :**
- تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير ، ترجمة مارغريوريوس صليبا شمعون ، متروبوليت (حلب ، ١٩٩٦م) .

• **ماسينيون ، المسيو لويس :**
- خطط الكوفة ، ترجمة : كامل سلمان الجبوري ، جمعية منتدى النشر (النجف ، ١٩٧٩م) .

• **متز ، آدم :**
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري " أو عصر النهضة في الإسلام " ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار الكتاب العربي (بيروت ، بلا . ت).

• **المرجي ، توما :**
- الرؤساء ، ترجمة : البير ابونا ، مطبعة ديانا (بغداد ، ١٩٩٠م) .

- **مور، لامونت :**
- العمارة ، ترجمة : محمد توفيق محمود ، تقديم : كمال الدين سامح ، دار المعارف (مصر ، ١٩٦٩م) .
- **نيكلسون ، ، د . ر . أ :**
- الصوفية في الإسلام ، ترجمة وتعليق : نور الدين شريبة (مصر ، ١٩٥١م) .
- **هانتز ، فالتر :**
- المكاييل والأوزان الإسلامية (عمان ، ١٩٧٠م) .
- **هايد ، ف :**
- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ترجمة : احمد رضا ، مراجعة وتقديم : عز الدين فودة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب(القاهرة ، ١٩٨٥م).
- **هرتسفيلد ، ارنست :**
- تنقيبات سامراء ، حلية جدران المباني في سامراء وفن زخرفتها ، ترجمة : علي يحيى منصور ، المؤسسة العامة للآثار والتراث (بغداد ، ١٩٨٥م) .
- **هفننج :**
- مادة التجارة ، دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة محمد ثابت واحمد الشنتاوي وآخرون (طهران ، ١٩٣٣م) .
- **هونكة ، سيغرد :**
- شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة : فاروق بيضون وكمال دسوقي ، دار الافاق الجديدة ، ط٦ (بيروت ، ١٩٨١م) .
- **اليسوعي ، هـ ، بوتمان :**
- البطريرك طيمثاوس الأول أو الكنيسة والإسلام في العصر العباسي الأول دراسة تاريخية وتحقيق لنص المحاورة بين البطريرك والخليفة المهدي (بيروت ، ١٩٧٧م).

www.wikipedia.org*

الرسائل والأطاريح:

- **التميمي ، عبد الخالق خميس :**
  - أهل الذمّة ومؤسساتهم في دولة المماليك البحرية ٦٤٦-٧٨٤هـ / ١٢٥٠-١٣٨٢م ، دار الكتب والوثائق العراقية (بغداد ، ٢٠٠٤م) .
- **الجبوري ، بهاء حسين حميد :**
  - أهل الذمّة في صدر الإسلام – دراسة في التعايش السلمي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة تكريت ، كلية التربية للعلوم الإنسانية (تكريت ، ٢٠١٣م) .
- **حجازي ، فايزة عبد الرحمن :**
  - أهل الذمّة في بلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢-٣٣٤هـ / ٧٤٩-٩٤٤م ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا (عمان ، ٢٠٠٠م) .
- **الحداد ، دعاء إياد مصطفى :**
  - التأثيرات الفنية الكلاسيكية والبيزنطية على الآثار الأموية في بلاد الشام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا(عمان ، ٢٠١٠م) .
- **حسن ، محمد صديق :**
  - تجارة العراق مع بلدان المشرق في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب (الموصل ، ١٩٧٥م) .
- **حسّين ، يحيى احمد عبد الهادي :**
  - أهل الذمّة في العراق في العصر السلجوقي (٤٤٧-٥٩٠هـ /١٠٥٥-١١٩٣م) أطروحة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا (عمان ، ٢٠٠٠م) .
- **السامرائي ، عبد الجبار محسن عباس :**
  - إحياء الأراضي واستصلاحها في شبه الجزيرة العربية والعراق حتى نهاية العصر العباسي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب (بغداد ، ٢٠٠٠م) .
- **الشريف ، حامد محمد الهادي :**

- أهل الذمّة في بلاد الشام في الفترة الأموية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا (عمان ، ١٩٩٧م) .

- **طبي ، سمير :**
- دور أهل الذمّة في الدولة الإسلامية في العصر العباسي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة العقيد لحاج لخضر ـ باتنة ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية (الجمهورية الجزائرية ، ٢٠٠٨م) .

- **الطرشان ، نزار :**
- المدارس الاساسية للفسيفساء الاموية في بلاد الشام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الاردنية ، كلية الدراسات العليا (عمان ، ١٩٨٩م) .

- **العامري ، علي حسين :**
- أسماء المواضع القديمة في بلاد بابل في فترتي العهد القديم والتلمود ، رسالة ماجستير غير منشورة في اللغات السامية (بغداد، ١٩٩٨م).

- **عبد الخالق ، هناء :**
- الزجاج الإسلامي في مخازن ومتاحف الآثار في العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الدائرة العلمية للتاريخ والآثار (بغداد ، ١٩٦٩م) .

- **عرفة ، ثريا حافظ :**
- الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة (مكة المكرمة ، ١٩٨٩م) .

- **عوض ، عثمان صبري :**
- الجزية في عهد الرسول ﷺ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا (فلسطين ، نابلس ، ٢٠٠٩م) .

- **العيثاوي ، يحيى محمد علي :**
- مشاريع الري في العراق خلال عهدي الراشدين والأمويين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد (بغداد ، ٢٠٠١م) .

- **عيسى ، بثينة عبد الرحمن :**

- التكاليف والضرائب الإضافية في صدر الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا (عمان ، ١٩٩٧م)

- **الغريري ، وسن حسين محيميد :**
- أهل الذمّة في العصر العباسي دراسة في أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات (بغداد ، ٢٠٠٢م) .
- أثر أهل الذمّة في الحركة الفكرية في العراق وبلاد الشام من القرن الثاني حتى القرن السابع الهجري ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات (بغداد ، ٢٠٠٧م) .

- **الغزاوي ، إيمان سليمان :**
- أهل الذمّة في العصر البويهي ٣٣٤هـ -٤٤٧هـ / ٩٤٥م-١٠٥٥م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك (المملكة الأردنية الهاشمية ، ٢٠٠١م).

- **فرجاني ، مراد :**
- الإصلاح الزراعي والمالي في العصر العباسي الأول وانعكاساته على بلاد المغرب ١٣٢هـ -٢٣٢هـ / ٧٤٩م- ٨٤٧م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة العقيد لحاج لخضر – باتنة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية (الجمهورية الجزائرية ٢٠١٥م) .

- **الفهيد ، ثريا بنت سعود بن عبد العزيز :**
- الآثار السياسية والحضارية لأمراء البيت العباسي في العراق خلال العصر العباسي الأول (١٣٢هـ -٢٣٢هـ / ٧٥٠م - ٨٤٧م) رسالة ماجستير غير منشورة جامعة القصيم (المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٢م) .

- **كاطع ، مؤيد عيدان :**
- الخدمات الصحية في العراق خلال العصر العباسي ١٣٢هـ ٦٥٦هـ / ٧٤٩م – ١٢٥٨م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل (الموصل ، ١٩٨٥م) .

- **اللهيبي ، نجوى محمد رجاء :**

- المنشآت العامة في سامراء في الفترة من ٢٢١هـ - ٢٧٩هـ / ٨٣٦م ت٨٩٢م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة (المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٤م) .

- **مشعان ، محمود شاكر :**

- أهل الذمّة في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ / ٩٦٩-١١١٧م) أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية - ابن رشد (بغداد ، ٢٠١٠م) .

- **نوارة ، دغيش ، و جعيجع ، ابتسام :**

- التواصل الثقافي بين اهل الذمة والمسلمين في كنف الخلافة العباسية ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير اكاديمي في التاريخ ، جامعة محمد بوضياف - المسيلة ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية (الجمهورية الجزائرية ، ٢٠١٦م).

- **ابن يعقوب ، ابراهام :**

- موجز تاريخ يهود بابل من بدايتهم وحتى اليوم ، ترجمة : علي عبد الحمزة لازم الناصري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية اللغات (بغداد ، ٢٠٠٠م) .

- **اليوزبكي ، توفيق سلطان :**

- تاريخ أهل الذمّة في العراق (١٢هـ - ٢٤٧هـ) ، اطروحة دكتوراه، غير منشورة ، جمهورية مصر العربية ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب (القاهرة ، ١٩٧٢م) .

البحوث والدوريات

- **الأب فنشستو :**

- رحلة الأب فنشستو إلى العراق ، ترجمة بطرس حداد ، مجلة مجمع اللغة السريانية (بغداد ، ١٩٧٥م) .

- **إبراهيم ، حسن احمد :**

- العرب وإثراء الدراسات الطبية ، مجلة المؤرخ العربي (بغداد ، ١٩٨١) .

- **إبراهيم ، محمد حسن :**

- النحو العربي وأثره في نشوء النحو العبري وتطوره ، مجلة المورد(بغداد، ١٩٨٥م).

- **أرملة ، اسحق :**
  - البطرياركية الإنطاكية ، مجلة المشرق (بيروت ، ١٩٢٣م) .
- **البستاني ، فؤاد افرام :**
  - تمازج العناصر البشرية في بغداد العباسيين ، مجلة المشرق (بغداد، ١٩٣٤م).
- **البطاينة ، محمد ضيف الله :**
  - العلاقة بين النصارى العرب وحركة الفتح ، مجلة المؤرخ العربي ، نشر اتحاد المؤرخين العرب (بغداد ، ١٩٨٢م) .
- **البكري ، محمد حمدي :**
  - رسالة الهاشمي إلى الكندي ورد الكندي عليها ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول ، مطبعة جامعة فؤاد الأول (مصر ، ١٩٤٧م) .
- **بهنام ، بولس :**
  - الطب عند العرب الاوائل ، مجلة بين النهرين (بغداد ، ١٩٧٦م) .
- **بيشه ، غازي :**
  - مناهضة الصور وتشويهها في ضوء الأرضيات الفسيفسائية المكتشفة في أم الرصاص وماعين ، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام (دمشق ، ١٩٩٠م) .
- **التكريتي ، سليم طه :**
  - بيت الحكمة في بغداد وازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي ، مجلة المورد (بغداد ، ١٩٧٩م) .
  - العلوم عند العرب ، ترجمة : محمد جلوب ، مجلة بين النهرين (الموصل، ١٩٧٨م) .
- **الجواري ، احمد عبد الستار :**
  - مجالس المأمون صور من حرية الفكر في تاريخ الحضارة العربية ، مجلة العربي ، (الكويت ، ١٩٦٠م) .

- **حبي ، يوسف :**
- كنيسة المشرق كنيسة أصيلة شاهدة ، مجلة مابين النهرين (الموصل ، ١٩٧٩م).
- وزراء وكتاب مسيحيون في القرنين السابع والثامن الميلاديين ، مجلة بين النهرين (بغداد ، ١٩٨٨م) .
- **حدّاد ، رشيد :**
- الوجه النصراني للحضارة العربية ، مجلة المؤرخ العربي (بغداد ، ١٩٧٧م) .
- **حسن ، زكي محمد :**
- بعض التأثيرات القبطية في الفنون الإسلامية ، مجلة جمعية الآثار القبطية (القاهرة ، ١٩٧٣م) .
- **حمارنة ، سامي خلف :**
- المسيحية في أرض الشام في أوائل الحكم الإسلامي ، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام (عمان ، ١٩٧٤م) .
- **حمارنة ، صالح :**
- ثورة الفلاحين في فلسطين أيام المعتصم ٢٢٧هـ / ٨٤١م ، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين ، ١٩٨٣م) .
- **حمدي ، طارق ابراهيم :**
- الطب العربي ، ماضيه التليد حاضره المشرق ومستقبله المزدهر ، مجلة آفاق عربية (بغداد ، ١٩٨٠م) .
- **خريسات ، محمد عبد القادر :**
- التوسع العمراني في مدينة دمشق حتى أواخر الحكم الفاطمي ، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام (فلسطين ، ١٩٩٠م) .
- خالد بن يزيد واهتماماته العلمية ، مجلة دراسات تاريخية (بلا.م ، ١٩٨٣م) .
- **خضير ، صلاح الدين حسين :**
- التعايش السلمي وأثره في المعاملات الاقتصادية والمالية بين المسلمين وأهل الذمّة ، جامعة تكريت ، مركز صلاح الدين الأيوبي (تكريت ، ٢٠١٢م) .

- **خطاب ، محمود شيت :**
  - مكايد يهودية عبر التاريخ الإسلامي ، مجلة فكر الأمة(عمان ، ١٩٩٨م) .
- **الدوري ، عبد العزيز :**
  - الجهبذة والصيرفة في العراق في القرن الرابع الهجري ، مجلة القضاء العراقية (بغداد ، ١٩٤٣م) .
  - نشوء الأصناف والحرف في الإسلام ، مجلة كلية الآداب (بغداد ، ١٩٥٩م) .
  - نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية ، مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد ١٩٧٠م) .
- **دوزي ، رينهارت :**
  - المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة : أكرم فاضل ، مجلة اللسان العربي (بلا.م ، ١٩٧٢م) .
- **أبو دية ، عدنان أحمد :**
  - تأثير المدرسة المعمارية المحلية على بناء قبة الصخرة ، مجلة جامعة القدس المفتوحة (القدس ، ٢٠١٢م) .
- **رؤوف ، عماد عبد السلام :**
  - تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد ، مجلة المورد (بغداد ، ١٩٧٩م) .
- **ربابعة ، احمد :**
  - الصناعة في فلسطين في العصور الحديثة ، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (عمان ، ١٩٨٣م) .
- **رحمة الله ، مليحة :**
  - المجالس الاجتماعية في العصر العباسي ، المجلة التاريخية المصرية (القاهرة ، ١٩٦٩م) .
- **الزيات ، حبيب :**
  - الفسيفساء وصناعها قديما وحديثا من الروم الملكيين ، مجلة الشرق (القاهرة ، ١٩٣٧م) .

- خراج الأديار وجزية الرهبان ، مجلة المشرق (بيروت ، ١٩٣٨م).
- الصيارفة في الإسلام ، مجلة المشرق ، يصدرها آباء جامعة القديس يوسف (بيروت ، ١٩٣٧م) .
- الجوالي أو جزية رؤوس النصارى في الإسلام ، مجلة المشرق (بلا.م ، ١٩٤٧م) .

- **زيادة ، نقولا :**
- تجارة بلاد الشام الخارجية في العصر العباسي ، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام (دمشق ، ١٩٩٠م) .

- **ساكو :**
- البطريرك طيمثاوس الكبير رائد الحوار المسيحي – الإسلامي في العهد العباسي ، مجلة ما بين النهرين ، مطبعة الأديب البغدادية (بغداد ، ١٩٧٦م) .

- **سالم ، السيد عبد العزيز :**
- الفسطاط ، مقال بدائرة معارف الشعب (القاهرة ، ١٩٦٠م) .

- **السامرائي ، حسين علوان إبراهيم وسحاب خليفة :**
- العوامل الجغرافية وأثرها في اختيار موضع وموقع سامراء العباسية " ، مجلة سر من رأى ، جامعة تكريت ، كلية التربية (سامراء ، ٢٠٠٨م) .

- **سبانو ، احمد غسان :**
- دمشق في دوائر المعارف العربية والعالمية ، سلسلة دراسات ووثائق دمشق الشام ، دار الكتاب العربي (القاهرة ، بلا . ت) .

- **سركيس ، يعقوب :**
- مقال عن البصرة ، مجلة سومر (بغداد ، ١٩٤٨م) .

- **سرور ، محمد جمال :**
- الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي ، مجلة العربي (الكويت ، ١٩٦٣م) .

- **شافعي ، فريد :**

- الأخشاب المزخرفة في الطراز الأموي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول ، مطبعة جامعة فؤاد الأول (القاهرة ، ١٩٥٢م) .

- **صكبان ، جاسم :**
- النصرانية ونشأة التصوف الإسلامي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة البصرة (البصرة ، ١٩٧٧م) .

- **طوقان ، فواز :**
- الحائر في العمارة الأموية ، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الدار المتحدة للنشر (بيروت ، ١٩٧٤م) .

- **عادل ، حامد الجادر وآخرون :**
- يهود الأقطار العربية ، مركز الدراسات الفلسطينية (بغداد ، ١٩٩٠م) .

- **عاشور ، سعيد عبد الفتاح :**
- الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية ، مجلة عالم الفكر (الكويت ، ١٩٨٠م).

- **العبادي ، احمد مختار :**
- الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية ، مجلة عالم الفكر (الكويت ، ١٩٨٠م).

- **عباس ، إحسان :**
- الحياة الثقافية والعمرانية في فلسطين خلال القرنين الرابع والخامس ، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين ، ١٩٨٣م) .

- **عباس ، وصفي عبد الأمير :**
- النهروان مشروع الري الرئيسي في العهد العباسي ، وقائع ندوة نظام الري في العصر العباسي ، دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية ، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد ، ١٩٩٩م) .

- **عبد الكريم ، ناريمان :**
- دور مصر في أفريقيا من الفتح العربي حتى نهاية عصر الولاة ، بحث ضمن كتاب دراسات في تاريخ مصر الإسلامية (القاهرة ، ٢٠٠٧م) .

- **عبد اللطيف ، عبد الشافي محمد :**

- دور المصريين في إنشاء البحرية المصرية ، بحث منشور في كتاب مصر والإسلام (القاهرة ، ٢٠٠٣م) .
- **العراقي ، محمد عاطف :**
- إبراهيم بن ادهم رائد من رواد التصوف الإسلامي ، مجلة العربي (الكويت ، ١٩٧٤م) .
- **عطية ، جورج :**
- الجدل الديني المسيحي في العصر الأموي وأثره في نشوء علم الكلام ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام (عمان ، ١٩٨٧م) .
- **العلي ، صالح احمد :**
- الخراج ، مجلة الإمام الأعظم (بغداد ، ١٩٧٤م) .
- **العميد ، طاهر مظفر :**
- الفنون المعمارية في العراق ، بحث منشور في كتاب العراق في موكب الحضارة الأصالة والتأثير (بغداد ، ١٩٨٨م) .
- **عوادات ، أحمد عبد الله :**
- الحياة الاقتصادية في العراق في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي (بغداد ، بلا.ت) .
- **عياش ، عبد القادر :**
- مشاركة مدن الفرات في سورية ، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الدار المتحدة للنشر (بيروت ، ١٩٩٤م) .
- **قاسم ، عبدة قاسم :**
- أهل الذمّة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك دراسة وثائقية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة ، ٢٠٠٣م).
- **كاتبي ، غيداء خزنة :**
- الجهبذة في العراق وتطورها خلال القرن الرابع الهجري ، مجلة دراسات (بلا.م ، ١٩٩٩م) .
- **كامل ، مراد :**

- تاريخ الأدب السرياني من نشأته إلى الفتح الإسلامي ، مقالة ، مجلة المقتطف (بلا.م ، ١٩٤٩م) .

- **الكبيسي ، صبحي فندي :**
- بعض الوسائل الاقتصادية للتعايش السلمي ، مركز صلاح الدين الأيوبي للدراسات التاريخية والحضارية ، جامعة تكريت (تكريت ، ٢٠١١م).

- **كتار ، ماريوس :**
- بغداد في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، مجلة المورد ، ترجمة : اكرم فاضل (بغداد ، ١٩٧٣م) .

- **كتانة ، جنين عبد اللطيف :**
- هندسة الري وتخطيط المدن في العراق ، بحث منشور في كتاب العراق في موطن الحضارة الأصالة والتأثير (بغداد ، ١٩٨٨م) .

- **كوبرلي ، محمد فؤاد :**
- العلوم الإسلامية عند العرب ، ترجمة : فاضل مهدي بيات ، مجلة المورد (بغداد ، ١٩٧٤م) .

- **محفوظ ، حسين علي :**
- القنوات في التراث ، ندوة الري عند العرب ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد (بغداد ، ١٩٨٩م) .

- **محمد ، محمود الحاج قاسم :**
- الوسائل التعليمية في دراسة الطب عند الأطباء العرب والمسلمين ، مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد ، ٢٠٠٠م) .

- **المحمدي ، أحمد سليمان عيسى :**
- مقومات التعايش السلمي المتعلقة بسياسة الدولة الخارجية في السنة النبوية ،مركز صلاح الدين الأيوبي للدراسات التاريخية والحضارية ، جامعة تكريت (تكريت ، ٢٠١١م) .

- **مرتيون ، سعيد :**

- أدعياء الطب وإثرهم على الأمة وعلى صناعة الطب في المشرق العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري ، مجلة المؤرخون العرب (بغداد ، ١٩٩٠م) .
- **مصطفى ، شاكر :**
- المؤرخون النصارى في العصرين الأموي والعباسي ، مجلة كلية الآداب والتربية (الكويت ، ١٩٧٨م) .
- **الملاح ، هاشم يحيى :**
- الرسالة الإسلامية ودورها في نشأة الحضارة العربية الإسلامية ، مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد ، ٢٠٠٠م) .
- **منيمنة ، سارة :**
- التكوين الوظيفي للمدينة الإسلامية ، مجلة الفكر العربي (بيروت ، ١٩٨٢م) .
- **ميناردس ، اوتو :**
- المشارقة في مصر والقدس ، ترجمة : ايشو القس عوديشو ، مجلة بين النهرين ، مطبعة الأديب البغدادية (بغداد ، ١٩٨٨م) .
- **يعقوبي ، محمد :**
- النشأة الإسلامية لمصطلح علم الكلام والفلسفة الإسلامية ، مجلة الحضارة الإسلامية (بلا.م ، بلا.ت) .

Abstract

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the master of prophets and messengers, and on his family and companions, and those who follow them with charity and meet to the Day of Judgment,

The Arab Islamic civilization is one of the richest civilizations in the history of mankind with its heritage and its effects. This civilization interacted with other civilizations and produced a civilization based on practical and creative work in all fields. It took great steps and laid the foundations of the current civilization, For example, the Arabs have invented the decoration, molding and silverware industry in silver, gold, glazes, pottery, textiles and the addition of new elements of architecture, in addition to their role in the economy in general and their contribution to the scientific aspect. The Arabs did not have a technical renaissance before they left the Arabian Peninsula, opening the half of the world known at the time and heading to the Levant, but they adopted the fine arts and handicrafts everywhere they entered. They built them in Iraq, the Levant and Egypt, and opened their chests to non-Muslims, Jews, Christians, , And allowed the distinguished elements of these to occupy their social and functional positions within the framework of the principle of equal opportunities, not known to a nation of nations throughout the history of mankind, and thus contributed to non-Muslims in the making of Islamic civilization and enrich, without any contract or sensitivities from this side or that, In the fields of economic and financial activity almost freely, they grew their wealth and increased their levels of social equivalent to their ability to work, so became some economic activities of their competence, as well as in the field of cultural and urban, and the Umayyads transferred the capital of the Islamic State to Damascus until they brought raw materials and brought Artists and skilled from various states to build mosques and the construction of new cities that Egypt, has participated artists and makers from the Arab countries that were subjected to Arab Muslims at that early time, as well as the Abbasids after

they worked to bring workers and makers, including the people Who participated in the Islamic civilization in all its aspects, and this is what we will discuss in the subject of our research:

(Contributions of the Dhimmis of the Islamic civilization in the Arab Islamic East until the third century A.H / The Ninth Century A.C).

With regard to the most important reasons and motives that led me to study such a subject, it comes at the forefront of the desire to study the history of the people of the Islamic Mashreq in the Islamic East and know the most important contributions in the field of Islamic civilization and over the first three centuries of the Hijra, They have been referred to as "Deaf people" and have tried to study these contributions in the areas of urbanization, economy, trade and agriculture, as well as their contributions to the scientific aspect of this historical period from the history of Islam, specifically in the Mashreq, which includes Iraq and the Levant Egypt, which prompted me to choose the subject of my thesis, is a subject of great importance and responsibility for many reasons, including the following:

- The need to highlight the virtues of Islam, and to describe the conditions that it has created for the people of Dima and grant them full freedom to carry out their work, which led to the extension of Islamic civilization with many achievements of urban, economic and scientific.
- The interest of ancient Christian historians to write about the conditions of the people under the Islamic rule, and some of them were contemporaries of the events and some of them were quoted by historians who witnessed these events and included their news on a lot of news that shows the reverse reality of what was the reality of the people of the total freedom under Islamic rule , Under which they contributed their clear contributions in all fields.
- A number of Western writers and orientalists in the modern era dealt with this subject. Some of them are fair and Islamic, and some of them are prejudices. They focused their studies on wars and disturbances, highlighting light on what was happening to them from harassment and intensity, ignoring their great role in Islamic civilization.

• This study attempts to show the reality of the people of the Dhimmis in the Islamic Mashreq, and their contributions to urban, economic and intellectual in the era of research.

• Demonstrate the great experiences enjoyed by the people of Dhim in the Islamic civilization during the research period.

All these reasons led me to choose the subject of this research, which was entitled (Contributions of the people of the Islamic civilization in the Levant until the third century AH).

The nature of the research necessitated its division into an introduction, four chapters and a conclusion with an index of sources and references and a summary in English, as follows: Introduction: Presented a brief introduction to the subject and its division according to the academic mechanisms, importance and energy and analysis of the sources and references that were relied upon in writing this thesis.

The first chapter of the thesis was titled, The definition of the people of dhimmah, the first section of which included the definition of language and terminology, and the definition of their sections, which represented the Jews, Christians, Sabians, and Magi, and in the second section was identified the most important names that were launched, The third topic is the people of dhimmis in the Quran and Sunnah, their duties, their rights, and their social life.

Then came the second chapter to be entitled, the contributions of the people of Al Dhimah in the urban side. Under this title, three basic researches were included. The first part included their contribution to the building of cities. The second topic dealt with their contribution to the bridges and bridges. The third topic dealt with their contribution to the engineering of irrigation projects And dams.

Then the third chapter of the thesis entitled contributions of the people of Dehima in the economic side, the first section of the most important contribution of agricultural, and the second topic dealt with the most important and most important industrial contributions, and then came the third section to show their contributions to trade.

Finally, the fourth chapter deals with the contributions of the

people of the Dhimma in the intellectual aspect. Three chapters were included under this chapter. The first part dealt with the scientific contributions of the people of Dhimah. The second topic dealt with the contribution of the people of Dehma in intellectual and religious debates. And the poets and writers of the people of the Dhimmah in the writings of Muslims.

Then came the conclusion to show the most important results reached in the research, and then a list of sources and references relied upon during the research and study, and finally a summary of the thesis in English, and an address in English as well.

In conclusion, we hope that we have been able to provide a modest picture of the contributions of the people of Dhimah in the Islamic civilization in the Mashreq until the third century AH and that what was in this thesis is correct and correct. We ask Allaah to grant him pardon and praise in the first and hereafter.

The researcher